مقبرة براغ

عنوان الكتاب/مقبرة براغ
المؤلف/إمبرتو إيكو
ترجمة وتقديم: خضير اللامي
نقلها عن الإيطالية ريتشارد ديكسون

الطبعة الأولى- بغداد- ٢٠١٣

الطباعة الالكترونية والتصحيح والاخراج الفني: دار الشؤون الثقافية العامة

العنوان:
وزارة الثقافة- العراق - بغداد - شارع حيفا- هاتف ٥٣٧٣٣٠٧
البريد الالكتروني baghdad 2013 @mocul. gov. iq

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١١٩٣ لسنة ٢٠١٣

مقدمة المترجم

مع أن الأعمال الإبداعية التي حملت تقديماً على صدارتها نادرة، وبخاصة المترجمة منها، وأنا من الذين يميلون الى هذا المنحى، بمعنى أن النصوص الإبداعية حمالة أوجه عدة وكل قارىء يجترح نصه الخاص، ولأن العمل المترجم يُقدم عادة لمن لا يعرف لغة النص الأصلي، أجد من الضروري أن يُلقي المترجم إضاءات على بعض الأعمال المترجمة. وعموماً يبقى التساؤل: ما هي الأعمال الإبداعية التي تفرض على مؤلفها أو مترجمها كتابة مقدمة لها؟

قبل عديد سنوات قرأت مقدمة لرواية " الصخب والعنف " لوليم فوكنر كتبها جبرا ابراهيم جبرا الذي ترجم هذه الرواية، قال فيها، هذه الرواية لا يمكن هضمها من القراءة الأولى ولا حتى الثانية. وأكد هذا القول كثير من نقاد فوكنر. كما لا يغيب عن بالنا هنا تداعيات رواية يوليسيس لجيمس جويس، ترجمة طه محمود طه، التي حملت على صدرها مقدمة وافية تحاول فيها فك مغاليق بعض اقفال هذه الرواية، ومحمد درويش، قدم لرواية السقوط الحر، لوليم غولدنغ، وانفعالات ناتالي ساروت ترجمة وتقديم فتحي العشري.

هذا الكلام المتعلق بأهمية المقدمة لمثل هكذا أعمال، ينسحب تماماً على رواية إمبرتو إيكو " مقبرة براغ " إذ من الصفحات الأولى يدعونا إيكو الى تعضيده تأويلياً في فهم ما يكتبه السارد الآخر في الرواية: " لا يعرف السارد نفسه حتى هذه اللحظة، من هو هذا

الكاتب الغامض، ويقترح أن يكتشف(جنباً الى جنب مع القارىء) وكلانا ينظر ويتابع بفضول ماذا يدوِّن هذا السارد على صفحات هذا الورق. " إذاً، من خلال ندائه هذا، هناك صوت داخلي آخر كتب هذا العمل الروائي غير صوت إيكو اوجويس؟ " وعلينا هنا في هذا العمل الروائي لإيكو التعامل " التعاضد " مع هذا الصوت الداخلي "النداء "، للوصول الى رؤوس خيوط هذه الرواية لفك تشابكها. الروائي، ايكو بوصفه سارداً آخر، من جانبه حاول قدر امكانه أن يكتب إضاءة مقتضبة عن (وهذا نادراً ما يحدث في العمل الروائي)تداخل الأحداث وتشابكها وغموضها وزمنها الإسترجاعيflashbac، وحبكتهاالمعقدة واسلوبها الملتوي، فضلاً عن شخصيات الرواية، بخاصة بطلها الرئيس سيموني سيمونيني الشخصية المتخيلة الوحيدة الذي يعاني من انفصام الشخصية، ومزدوجه آبي دالا بيكولا ايضاً، وكلاهما لا يعرف الآخر، إنهما شخصية واحدة في جسد واحد.

ورأيت أن إضاءة امبرتو ايكو المقتضبة غير كافية وتمنيت أن يوضح اكثر من هذا. فكانت لي مبرراً لكتابة هذه المقدمة الموجزة، وكنت اتمنى انا الآخر أن اسهب في التوضيح بيد أن العمل الابداعي يحول دون ذلك لأنه ينفرد بخصوصيته.

إن التعامل مع هذه الرواية، رواية " مقبرة براغ " لمؤلفها الايطالي امبرتو ايكو حفيد دانتي، ذي العقل المركب، والاسلوب المعقد، والفيلسوف، والسيميائي، والناقد الأدبي، والمؤرخ، والاكاديمي،

والموسوعي المعرفي بإمتياز، هوتعامل مع عمل ابداعي لرواية تنطوي على احداث جسام متداخلة، حدثت في نهاية القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين، تحتاج الى قاريء نوعي متمرس. والرواية قد تبدو سلسة ومرنة ومفهومة وقد ينطلي هذا على القاريء العادي؛ لكن القاريء المحترف النموذجي كما يقول ايكو، قادر على التعامل مع اسلوب الرواية، أما القاريء الهاوي، فانه يسهم في انهيار هيكلية الرواية بأكملها نظراً لعدم تمكنه من استيعاب اللغة الخيالية المحبوكة بدقة متناهية.

يقودنا امبرتو ايكو في سفر روائي لا يُنسى عبر احداث روايته "مقبرة براغ " التي اشتق اسمها من مقبرة يهودية قديمة في براغ، كان قادة حاخامات يهود الأمم في جميع انحاء العالم يلتقون فيها كل مئة سنة تقريباً لوضع خطط التآمر للسيطرة على مقدرات البشرية وحرفها عن مسارها الإنساني الأصيل، ومنهم من يقول إن هذه البروتوكولات هي محض كذبة فبركها الروس لإضطهاد اليهود. أطلقوا عليها " بروتوكولات حكماء صهيون ". وتمكن سيموني سيمونيني بطل الرواية إيّاه من صنع مقبرة براغ، واعادة صياغتها بما تتناسب مع المفاهيم والأفكاروالتحولات الدراماتيكة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ولكن الغريب جداً أن سيمونيني يستهين بتلك البروتوكولات بعد أن زورها، لأنه ادرك أن لا احد يعرف اهميتها غيره ويعتقد أنها شيئاً تافهاً واطلق قولته الشهيرة: اذا اردت أن اتاجر بوثيقة عن مؤامرة

فليس ثمة حاجة لي في أن اعرضها على المشتري لأن المعلومات التي فيها هي متداولة بين الناس الذين يعتقدون بما يعرفون من الأصل.. وهذه هي روعة المؤامرة المتقنة.

أن سيمونيني البطل المتخيل الوحيد في الرواية، هو المزور لجميع احداث الرواية الحقيقية تقريباً وهذا ما يؤكد كلام امبرتو ايكو الذي قال فيه، إني استخدمت الأدب لسرد الحقيقة التاريخية لكشف قناع العالم في التزوير التاريخي. ومع افادة سيمونيني من كتاب موريس جولي في صناعة البروتوكولات اليهودية الذي كان نزيل السجن معه واقام علاقات صداقة ليتمكن بعد ذلك من سرقة كتاب "حوار في الجحيم بين ميكيافيلي ومونتيسيكو " الذي زج في السجن بسببه لأنه احتوى على انتقاد شديد ضد نابليون الثالث. وينتهي بعد ذلك الى قتله واخفاء جثته في مجاري صرف المياه.

يجسد ايكو من خلال بطله سيمونيني في الرواية كراهية السلالات ودسائس ومؤامرات اليهود والماسونية واليسوعية والمنظمات والطوائف السرية الأخرى، وبحبكة روائية قل مثيلها، وسيرى القارىء البشاعة لكل ما هو غير يهودي على سلوك اليهود إزاء السلالات والأمم الأخرى، الماني وايطاليين وفرنسيين وحتى أمريكيين وروس وبخاصة موقفهم من تلك السلالات، ولا ينبغي أن يتوهم القارىء بأي شكل من الأشكال أن الرواية أو مؤلفها هما مسيئآن للسلالات الأخر كما يبدو في سياق الرواية..

وما قد يلاحظه المتلقي، من ما يشبه الإساءة أو الإساءة ذاتها، لشخص المسيح وصليبه والديانات الأخرى، انما هو يأتي من موقف يهودي شيطاني تاريخي من المسيح أو المسيحية ليس إلا، في محاولة منهم لتهويذ المسيحية، أراد الروائي هنا، أن يُظهر كراهية اليهود ضد البشرية عبر التاريخ واظهار الجرائم التي يرتكبها شياطنة اليهود هي الأكثر بشاعة وخسة في الخداع.. وجسّد هذا كله في موقف البطل الرئيس المتخيل سيموني سيمونيني إزاء كراهيته وحقده وإزاء الأعمال الشنيعة والمخططات الجهنمية والتغلغل بين اوساط المجتمعات العالمية والتآمر عليها وبين المنظمات التجسسية والماسونية التي يقوم بها اليهود عبر التاريخ. وحين عرف سيموني سيمونيني الضعيف جنسياً وربما شبه ميت جنسياً أن ديانا قد اثارته في ليلة قداس، قتلها في نهاية الأمر لأنه لا يريد أن يدنس تأريخه بإنجاب طفل من يهودية تمارس الشيطنة..

يقول امبرتو ايكو: " حان الوقت الآن للحديث عن الكراهية التي هي شعور منتشر أكثر من الحب، الحب علاقة انتقائية، انا أحبك وانت تحبني، وبقية العالم مستثنى من هذا الشعور، في حين أن الكراهية عامة، اجتماعية، يمكن لفئة من البشر أن تكره فئة أخرى.

هنا، يحاول ايكو، تفكيك مفاهيم وآليات الكراهية بين السلالات والأمم والأقوام عبر التاريخ وراهنه وبخاصة ما كانت تمور به نهاية القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين من احداث جسام ودور

اليهود الشيطاني ضد المسيحية والديانات الأخرى كما السلالات الأخر وتدنيس مقدساتها.

وتبقى مسألة هامة يجب ان ينتبه لها القارىء في شخصية بطل الرواية الرئيس هي ان انصرافه الى المال ووجبات الطعام انما تعلمها من جده بطريقة مفرطة، وهذا يعني أن هذه العملية هي عملية تعويضية substitutional نتيحة حرمانه من كثير من متع الحياة و متعة الجنس خاصة. وثمة مسألة اخرى قد تزعج المتلقي كثيراً هي أن ايكو بث في جسد الرواية كثيراً من الأسماء والعبارات والعناوين والكلمات والمصطلحات بما فيها اسماء الأكلات باللغة الفرنسية والايطالية وحتى اللاتينية وهي مفهومة لدى المتلقي الغربي، بيد أنها غير مفهومة لدينا الى حد يحاول المتلقي أن يضع الرواية جانباً والإنصراف عن قراءتها، وهذا يعني لنا كقراء خذلان امبرتو ايكو في ندائه لنا للوقوف في هضم الرواية، وبهذا حاولت قدر الإمكان التخفيف منها سواء عن طريق ما توحي لي من معنى او من خلال سياق النص، واعتقد أن هذا مباح للمترجم، وتركت ما يمكن تركه.

وختاماً،لا يبدو لي هنا أنني قد استهين بعقل القاريء العربي، واثبط من همته بقدر ما اعد نفسي القارىء الأول لنصها العربي ناهيك عن مكابداتي في نقلها والغور في اعماق ما يريد امبرتو ايكو أن يطرحه في هذه العمل الروائي الشائك.

خضير اللامي

٢٠١٣

(١)
عابر سبيل في ذاك الصباح الرمادي

ثمة عابر سبيل في ذاك الصباح الرمادي في آذار/ مارس ١٨٩٧، سادر الى مخاطرته، وتهلكته، في ساحة موبيرت، او الموب، كما كانت تُعرف في دوائر الجريمة(فيما مضى كانت مركز الحياة الجامعية في العصور الوسطى، حين كان يتقاطر الطلبة إليها في كلية الفنون في فيكوس سترامنيوس، أو ما يسمى شارع دي فوريه، بعد ذلك تحولت الى مكان لتنفيذ حكم الإعدام برسوليّي الفكر الحر أمثال إتيان دوليه Dolet (Etienne') الذي صادف أن وجد نفسه في أحد المكانات القليلة في باريس ليتجنب دمار البارون هاوسمان، وسط أزقة متشابكة نتنة، إنشطرت الى شطرين بإتجاه بيفيريا التي ما تزال ظاهرة للعيان هنا، منسابة من احشاء العاصمة، حيث كانت في حالة مخاض لمدة طويلة، قبل إفراغ حمَتها، ولهاثها وقذارتها على مقربة من نهر السين. ومن ساحة موبيرت التي شوهتها بالفعل جادة سان- جيرمين، وهي شبكة من الطرق مازالت تتفرع بإتجاهات عدة، مثل طريق ميتري - البيرت، وسان- سيفيرن، وغالاند، وطريق لا بوشيري، وسان- جوليان-لا- بوفري، وعلى مسافة من شارع لاهوشيه، هناك فضلات مبعثرة فضلاً عن فنادق قذرة عموما تقع بالقرب من أصحاب فنادق أوفرني Auvergnat الجشعين بطريقة إسطورية، إذ يطلبون فرنكاً واحدا على أول ليلة

مبيت، وبعد ذلك أربعين سنتا(زائداً عشرين سوساً أذا أراد النزيل أن يتغوط)

فإذا أراد أن يستدير الى ما كان قد تحوّل مؤخرا الى شارع ساوتون، ولكن بعد ذلك تحوّل في ما يسمى شارع دي امبويس، وعلى مسافة نصف طريق الشارع تقريباً، بين ماخور تنكّري مثل مطعم البراسيري brasserie وحانة يقدمان وجبات عشاء ونبيذ ملّوث بسوسْين(رخيصا حتى ذلك الحين، وبإمكان الطلاب القريبين من جامعة السوربون تحمّل نفقته).يجد طريقاً غير سالك، أو ممشى تكتنفه الأشجار غير سالك ايضاً، ومنذ ذلك الحين وهو يُطلق عليه طريق موبيرت غير السالك، بيد أنه في عام ١٨٦٥ أُطلق عليه كول دي ساك دي امبويس، وقبل سنوات بُنيت عليه دارa tapis-frane(في عالم سفلي شعبي، حانة، وفندق ذي سمعة سيئة، عادة ما يجول فيهما أرباب السوابق، ويتردد إليهما مجرمون أُطلق سراحهم من السجن حديثاً.) فضلاً عن سيئي السمعة. في القرن الثامن عشر، كان يتواجد هنا مختبر لثلاث نساء مُسمّمات ذائعات السمعة واحياناً تجد شخصاً ما مختنقاً بمادة سميَة كنَ يقطرنها في مواقدهن.

في نهاية ذلك الزقاق، كان ثمة شيء غير واضح،نافذة دكان خردة، علامة متلاشية ممجَدة لـ Brocantage de qualitè-- يغطي نافذه زجاجها طبقة كثيفة من الغبار تحول دون رؤية البضاعة المعروضة أو داخل ذلك الدكان من خلال زجاج النافذة التي لا تتجاوز عشرين سنتمتراً مربعاً، وكلها محمولة على إطار خشبي. الى

جانب النافذه بإمكانه رؤية باب موصدة دائماً، وثمة ملاحظة الى جانب جرس تعلن أن مالك الدكان غائب مؤقتاً.

لكن إذا، وهذا نادراً ما يحدث، كان الباب مفتوحاً، فإن مَنْ يدخل فيه سيكون قادراً على أن يميز مرة ثانية، ومن خلل نصف إضاءة ذلك الكوخ الحقيرالداكن، إنتظام رفوف قليلة ومجموعة مناضد متساوية غير مستقرة، وأشياء مختلطة، رغم إنها تبدو جذابة للوهلة الأولى، لكنها بالفحص الدقيق تتحول تماماً لتكون غير مناسبة لأية مهنة تجارية نزيهة، حتى وإن عُرضت بأسعار واطئة. إنها تتضمن منقشتي موقد نار،ورقاص ساعة، طلاء زرقة مينتها تساقط، وثمة وسائد مطرزة بألوان براقة، وزهرية معمولة من معجون السيراميك، وطاولات صغيرة غير مستقرة ذات اسلوب غير محدد، وحامل بطاقات دعوات مصنوعاً من حديد صديء، وصناديق أوراق بوكر غير محددة، ومراوح بشعة ماركة أم- اللؤلؤ مطرزة بالطرق الصينية، وقلادة ربما مصنوعة من مادة الكهرب، وخفين مصنوعين من لبَاد ذي إبزيمين مرصعين بزخرفة آيرلندية، ومزق رتب من عهد نابليون، وفراشات أسفل مادة زجاجية شفافة، وفاكهة من الرخام مزدوج الألوان في كأس شفاف، ومحارات جوز الهند، وألبومات قديمة بألوان ماء الورود، وآلة تصوير مؤطَرة،(تبدو قديمة حتى ذلك الحين)- وهكذا إذا التقط أحد ما صورة منحرفة لإحدى تلك الآثار المخجلة لإستيفاء ديون قديمة لممتلكات العوائل المعدمة، فإنه يجد نفسه أمام مالك مريب بإمتياز،

وإن طلب سعراً، فإنه سيسمع شخصية بإمكانها أن تثني على أفضل جامع للأثريات العجيبة.

وإذا سُمح لزائر جاء بمقتضى زيارة خاصة، فإنه أي الزائر سيستمر بالدخول خلال الباب الثاني، الذي يفصل الدكان عن الطوابق العليا للبناية، وانه سيصعد إحدى السلالم اللولبية المترنحة، لتلك البيوت الباريسية المواجهة لأشعة الشمس والرياح وستكون واسعة بسعة مداخل أبوابها(ضيقة ومنحرفة بإتجاه معكوس إحداها للأخرى.) وسيدخل غرفاً رحبة لا تشبه غرف تحفيات الطابق الأرضي، وتبدو أنها مفروشة بأشياء متنوعة: طاولة ذات ثلاث أرجل إمبراطورية مطرزة برؤوس عقبان، ومنضدة أرغن مسنودة بكائن خرافي مجنَّح، وخزانة ملابس من القرن السابع عشر، ومكتبة من خشب المهاغوني، فيها مئات الكتب من إصول مغربية، ومنضدة قراءة من طراز أميركي تعلوها أضلاع خشبية، تحتوي على جرارات كثيرة مثل جرارات secrètaire الأمينة. إذا اجتاز الى الغرف المجاورة، فإنه سيجد سرير نوم فارهٍ، ورفوف étagère محمَّلة، ببورسلين الSèvres ، ونارجيلة تركية، وكوباً كبيراً من المرمر، ومزهرية كرستال؛ وضعت على الجدار البعيد، وطليت شبابيك النوافذ بمشاهد اسطورية، وقماشتين رُسِمت عليهما آلهات الشعر والكوميديا الإغريقية، كما عُلِّقت الكثير من هذه اللوحات على جدران الغرف، فضلاً عن زخرفة عربية، وثياب كشميرية شرقية أخرى، وقنان حجيج قديمة؛ ومغاسل تحتوي على رفوف مليئة بأفضل أنواع مستحضرات الزينة – وبإختصار، ثمة مجموعة غريبة تحتوي على

مواد ثمينة ومثيرة وربما إنها لا تشير الى كثير من متانة وحسن ذوق أكثر مما تشير الى رغبة التفاخر والتباهي.

وبالعودة الى الغرفة الأولى، يكتشف الزائر هيأة بشرية كهلة يلفّها مِبذَل، جالسة على منضدة أمام نافذة يتيمة، تنفذ من خلالها إنارة ضئيلة آتية من الزقاق، تُمكّن ذلك الزائر من رؤية أكتاف ذلك الرجل، كان يكتب حول ما نريد قراءته، ومن خلاله يلخص لنا السارد من وقت الى آخر، كي لا يثقل على كاهل القارىء.

لن يتوقع القارىء أنّ السارد سيثير، دهشته، ذلك أن هذه الهيأة هي لشخص أُطلق عليه اسم فعلاً، لأنها،(يكون هذا منذ مستهل القصة)لا أحد أطلق عليه اسم حتى الآن. ولا السارد نفسه يعرف حتى هذه اللحظة من هو هذا الكاتب الغامض، ويقترح أن يكتشف(جنبا الى جنب مع القارىء) وكلانا ينظر ويتابع بفضول ماذا يدوّن هذا السارد على صفحات هذا الورق.

(٢)
مَنْ انا؟

١٤ آذار- مارس ١٨٩٧، لا ريب انني اشعر بالإرتباك حينما ابدأ بالكتابة هنا، كما لو أنني أعرّي روحي، تحت إمْرَة- كلاّ، يا إلهي، دعنا نقول نصيحة- اليهودي الألماني(أو النمساوي، لا فرق بينهما) مَنْ أنا؟ ربما اسألني عن آلامي هذه، أجل، ماذا فعلت في حياتي مَن الذي أحبه؟ لا أحد يتبادر الى ذهني، أعرف أنني مغرم بتناول الطعام الشهي: بمجرد ذكر إسم Tour d'Argent، يجعل كل ارجاء جسمي ترتعش، هل ذلك حب؟

ومَنْ الذي أكرهه حقا؟ أستطيع القول إنني أكره اليهود، لكن الحقيقة هي إنني، جدّ مذعن حد الشكوى الى نصائح ذلك النمساوي(اوالألماني) الدكتور الذي قال لي ليس لدي شيء ضد اليهود الملعونين.

كل ما أعرفه عن اليهود هو كل ما علّمني إيّاه جدّي الذي اعتاد أن يقول، " إنهم في الغالب شعب ملحد، إنهم ينطلقون من فكرة أن الخير يجب أن يحدث هنا، وليس وراء القبر لهذا فإنهم يعملون حسب،من أجل غزو هذا العالم."

كان شبحهم نكّد سنوات طفولتي ووصف جدي أن تلك العيون التي تتلصص عليك، هي عيون مخادعة ستحوّلك الى لون شاحب، وتلك الإبتسامات المداهِنة، وشفاه تلك الضباع التي تخفي أسناناً

مسلولة، وتلك النظرات المدنَّسة، والملوَّثة، وتلك التغضنات غير المستقرة بين الأنف والشفاه، وتلك التجعدات التي خلقتها الكراهية، وتلك أنوفهم المستدقة شبيهة بمنقار طير جنوبي... وتلك العيون، وتلك العيون... إنها تدور محمومة، وبؤبؤاتها شبيهه بلون الخبز المحروق، تشير الى إصابتهم بمرض الكبد، أفسدتهم إفرازات كراهية ثمانية عشر قرناً، صاغتها آلاف التجاعيد الصغيرة التي تتعمق في داخلهم مع تقادم الزمن، حدٍ يبدو الشاب اليهودي الذي يبلغ العشرين من عمره ذابلاً كرجل عجوز. حين يبتسم. أوضح جدي، يكون جفناه المتورمان منغلقين نصف انغلاقة يصلان الى نقطة لا يتجاوزان فيها أكثر من تجعيد غير محسوس، علامة للمكر، والبعض يقول الفسوق... وحين كبرتُ ونضج تفكيري، ذكَّرني جدي، أن ذلك اليهودي، فضلاً عن كونه تافهاً كتفاهة الاسباني، وجاهلاً كالكرواتي، وجشعاً كالمشرقي، وناكراً للجميل كالمالطي، وصلفاً كالغجري، وقذراً كالرجل الإنجليزي، وملَّوثاً مثل الكالميك (أحد أقوام التتر..المترجم)، وملحاحاً كالنمساوي، ومفترٍ كأي انسان قادم من مدينة آستي Asti، ومراهقاً لا يسيطر على شهواته – إذ جعلت منهم الظروف، نعوظيين، وبشاعتهم غير متناسبة بين قزمية بُنَيتِهم ونحافة شبه مشوهة.

وبقيتُ أحلم باليهود كل ليلة سنين و سنين.

ولسوء الحظ لم التقِ أبداً أحدهم، ما خلا امرأة عاهرة في غيتو تورين اليهودي ،حينما كنت صبياً(وتبادلنا بعض الكلمات حسب) فضلاً عن الدكتور النمساوي(أو الألماني ومع هذا فلا فرق بينهما.)

عرفت شخصيات ألمانية، وعملت لصالحها: إنها أوطأ مستوى إنساني يمكن تخيله. فالألماني يتبرز مرتين أكثر من الفرنسي. وأمعاؤه محمومة بنشاط يتجاوز نشاط عقله، الذي يُظهر دونيته الفسيولوجية، وخلال حقب الغزو البربري تنثر الجحافل الألمانية طريقها بكمية هائلة من برازها. في العصور الراهنة، ويعرف الفرنسيون المسافرون مباشرة متى يعبرون الحدود الإلزاسية التي تتجمع بالقرب منها كمية هائلة من مخلفات البراز على طوال الطرق. كأن هذا ليس كافياً، فالألماني النموذجي يعاني من رائحة الصنان - رائحة عرق كريهة - وتُظهر رائحة بول الألماني معدلاً يحتوي على عشرين بالمائة من النتروجين، بينما السلالات الأخرى خمسين بالمائة حسب.

يعيش الألماني حالة اضطرابات معوية دائمة، نتيجة الإفراط في شرب الجعة وتناول سجق لحم الخنزير الذي يبعث على شهيته. في أحد المساءات شاهدتهم، خلال زيارتي الوحيدة الى ميونيخ، في تلك الأصناف من الكاتدرائيات المقدسة، المفعمة بالدخان كما ميناء إنجليزي، فضلاً عن رائحة الشحوم والدهون، جالسين أزواجا هو وهي يمسك أحدهما يدي الآخر حول تلك البراميل من الجعة التي ستروي وحدها عطش ذلك القطيع من الثدييات، أنف الى جانب أنف، في حديث حب بهيمي، مثل كلبين يشم أحدهما الآخر،

وبضحكات عالية خرقاء، ومرح صاخب وحشي، وبشفاه يتراكم عليها وعلى وجوههم طبقات من الدسم الدائم، كما الزيت على جلود الرياضيين في حلبة قديمة.

إنهم يملأون افواههم بالجيست Giest التي تعني روح القدس، ولكنها هنا روح شراب الجعة، التي تسفههم في شبابهم وتدل ليس ثمة اهتمام ما بعد نهر الراين أنتج فناً ما خلا لوحات قليلة ذات وجوه بغيضة، وقصائد تبعث على الملل، ناهيك عن موسيقاهم: فأنا لا أتحدث عن القصائد الجنائزية- المثيرة للضوضاء لفاغنر، التي تثير حتى نصف المجنون الفرنسي، بل عن القصائد القليلة تلك التي سمعتها منهم، والحان موسيقارهم باخ التي تعوزها الإيقاعات الموسيقية، (أنها باردة كليلة شتاء)، أما سيمفونيات ذلك الرجل بيتهوفن فهي أصوات آرغونية فظة.

أما سوء استعمالهم للجعة فيجعلهم غير قادرين على أبسط حركاتهم السوقية، وفي ذروة سوقيتهم هذه تجعلهم لا يشعرون بالخجل من كونهم ألمان. إنهم يتناولون الطعام بشراهة راهب فاسق، مثل قول لوثر الذي يأخذونه على محمل الجد(هل حقا بإمكانك أن تتزوج من راهبة؟) لأنه فقط دمر الإنجيل حين تُرجم الى لغتهم.

لا اعرف مَنْ قال إنهم يسيؤون الى استخدام مخدَّرِيْن عظيمين أوربيين، هما، الكحول والمسيحية؟

هم يعتقدون أنهم ينمازون بالعمق، لغموض لغتهم- التي لا تملك وضوح اللغة الفرنسية، ولا يقولون بالضبط تماماً ماذا ينبغي أن تكون،

وليس ثمة ألماني يعرف ماذا يعني بكلامه، أوأخطاء هذاالشك في العمق. فإنك مع الألمان، كما مع المرأة لا تصل الى نتيجة أبداً. ومن سوء الحظ حين كنت طفلاً، جعل مني جدي(دون دهشة لمشاعره النمساوية) أتعلَّم هذه اللغة غير المعبرة، وعليك أن تبحث عن الأفعال بإهتمام أثناء القراءة، لأنك لا تعرف أين ينبغي أن تكون تلك الأفعال، وهكذا، كرهت هذه اللغة، ككراهيتي لليسوعي، الذي قَدِم ليعلمني إياَها، بالضرب كما اعتاد بخيزرانة على سلاميات يدي.

~ ~ ~

منذ ذلك الزمن الذي كتب فيه ذلك الرجل غوبينو، عن عدم المساواة بين السلالات البشرية، إذ يبدو إذا تكلم شخص ما بسوء عن سلالة أخرى فهذا يعني أن سلالته هي الأفضل، فأنا لست منحازا لأقول هذا. وحالما صرت فرنسياً(فأنا كنت نصف فرنسي لجهة أمي) أدركت أن مواطنيً الجدد هم بلهاء، مخادعون، ممتعضون، حسودون، وفخورون في كل شيء، وما يتعلق بموضوع التفكير فإن أي شخص ليس فرنسياً فإنه ُيعدُّ همجياً وغير قابل على تقبل النقد. فهمت ايضاً أنك حين تنبه فرنسياً أن ثمة صدعاً في خبزه، فهذا دليل كافٍ للحديث عن سوء الآخر، مثل القول، "نحن البولونيين، لدينا كذا، وكذا خلل ". ولأنهم لا يريدون أن يكونوا في الدرجة الثانية لأي فئة، حتى لو كانوا على خطأ، فإنَ رد فعلهم " أوه، كلا، نحن هنا في فرنسا أسوأ ". ويشرعون بذم الفرنسيين حد يصابون بالذعر.

إنهم لا يحبون جنسهم، حتى وإن حصلوا على منافع منهم، وليس ثمة بدائي في النزل كما هو مالك النزل الفرنسي. ويبدو أنه يكره زبائنه(ربما إنه يفعل ذلك) على نحو يتمنى أنهم ليسوا هناك،(وهذا بالتأكيد ليس كذلك، لأن المواطن الفرنسي أكثر بخلا منه،) IL grognent toujours، حاول أن تطلب من أحدهم شيئاً. " Sais pas , moi " هكذا، سيرد، وسيتجهم كما لو أنه على وشك أن ينفخ على شجرة توت ليقتلعها.

إنهم شريرون. ويثيرون السأم حد اللعنة. إنهم البشر الوحيدون الذين يُبْقون مواطنيهم مشغولين لسنوات عدة يقطعون رؤوس بعضهم بعضاً، ومن نافلة القول إن نابليون صرف انتباه غضبهم الى سلالة أخرى، والمسير بهم الى تدمير أوربا.

كانوا فخورين في أن يحصلوا على دولة يصفونها بالقوية، لكنهم أنفقوا وقتهم في محاولة لإسقاطها: وليس ثمة أحد أفضل من المواطن الفرنسي في تشييد المتاريس مهما كان السبب وفي كل آونة تتغير فيها الرياح، وغالباً حتى دون معرفة السبب، يسمح لنفسه أن يُحمْل الى الشوارع من قبل أسوأ انواع الرعاع. والمواطن الفرنسي لا يعرف حقاً ماذا يريد، ولكنه يعرف تماماً إنه لا يريد أن يعرف ماذا يملك. لكن الطريقة الوحيدة التي يجيدها هي إنه يردد مع نفسه أغنيات.

يعتقدون أن العالم أجمعه يتحدث الفرنسية. وهذا ما قد حدث قبل عقود قليلة مع الزميل لوكاش، الأصيل في فرنسيته الذي زور ثلاثة آلاف وثيقة أصلية، سارقاً ورقة جدّ عتيقة وذلك بقطع نهايات الأوراق

من كتاب قديم في المكتبة الوطنية، مقلداً مختلف أنواع خطوط الأيدي، رغم إنها لا تشبه خط يدي... فأنا لا أعرف كم عدد الوثائق باهضة الثمن التي باعها الى المجنون جاسليس، Chasles(عالم الرياضيات العظيم، ويقال إنه، عضو أكاديمية العلوم، لكنه أحمق) ليس هو وحده حسب؛ بل إن كثيراً من زملائه الأكاديميين يحسبونها هِبَة لمراسلات كاليغولا، وكليوباترا ويوليوس قيصر، باللغة الفرنسية، أما باسكال ونيوتن وغاليلو فكانوا يتبادلون الرسائل فيما بينهم باللغة الفرنسية ايضاً، حينما كان كل طفل يعرف أن الرجال المثقفين في تلك الأزمان كانوا يكتبون فيما بينهم باللغة اللاتينية. أما العلماء الفرنسيون فليس لديهم فكرة أن الشعوب الأخرى لا ينطقون بأي لغة ماخلا الفرنسية، ولكن ما هو الأهم، أن الرسائل الزائفة تخبرنا كيف أن باسكال إكتشف الجاذبية الكونية قبل نيوتن بعشرين سنة، وهذا كان كافياً لخداع أولئك السوربونيين sorbonnards،الذين كانوا يلتهمهم الغرورالذاتي الوطني.

ربما كان جهلهم نتيجة بخلهم- والرذيلة الوطنية التي اتخذوها فضيلة سموها إدخاراً، وفي هذه البلد لا غير، تكون جميع المهازل هي خطة للبخل. ناهيك عن ذكر الأب الكبير pére Grandet.

تستطيع أن ترى بخلهم في شققهم المغبرة، وفي تنجيد مفروشاتهم الرثة، وأنابيب الحمامات المتدلية الى الأسفل منذ زمن اسلافهم، وتلك السلالم الخشبية الحلزونية متداعية الأوصال، بنيت لسد الفراغات غير المستعملة. إن الفرنسي واليهودي كلاهما مُطعِّم(ربما

كلاهما ينحدر من أصول ألمانية) كما تُطعِّم أنت هذه النباتات، وتنتهي بنا الى ما نحن فيه الآن، في زمن الجمهورية الثالثة.

وإذا اصبحت فرنسياً، لأنني لا أطيق أن أكون إيطالياً، كوني بيدمونتي الأصل(بالولادة)، وأشعر أنني لست أكثر من محض كاريكاتور لشخصية غول Gaul. لكن ذا أفق ضيّق جداً. ويجفل الشعب البيدمونتي من أي فكرة جديدة. ويرهبهم حدوث الأشياء غير المتوقعة: ويدفعهم الى الإبتعاد أكثرعن مملكة الصقليتين(رغم إن القلة القليلة من الغاريبالديين كانوا من البيدمونتيين) ويحتاجون الى إثنين من الليغوريين حادي الطبع أمثال غاريبالدي وشخصية شريرة كمازيني. ولا تدعني أذكر ماذا قد اكتشفت حين اُرسِلتُ الى باليرمو(أين كان ذلك؟ عليّ أن أستكنه). ودوماس هو المجنون الوحيد المعتدّ بنفسه الذي يحب اولئك النوع من الناس، ربما انهم يعبدونه أكثر مما فعل الفرنسيون، الذين يعدونه نصف هجين. كان محبوباً من النابليونيين والصقليين، الذين هم ذاتهم خلاسيون، ليس بسبب خطأ زنى أُمْ، ولكن من خلال تراكم أجيال من التاريخ، وُلدوا من خلال تداخل تهجين المشارقة الكفار(قبل ظهورالاسلام.. المترجم)، والعرب المعرّقين والقوطيين المتفسخين الذين اكتسبوا اسوأ ما لدى أسلافهم المُهجنين - والهمجية من السوابيين، ومن الإغريق، التردد واستمراء ضياع أنفسهم في ثرثرة حتى ينتهي بهم الأمر الى تفريق شعرة الى أربعة أجزاء. على كل حال، يكفي أن نرى تماماً الغلمان في نابولي الذين يسحرون الأجانب بالتهام السباغاتي،

الذين يحشون مِريئهم به ويدفعونه بأصابعهم الى معدهم، ويلطخون أنفسهم بالطماطم، أنا لم أرهم يفعلون ذلك، ولكني سمعت بهم.

أما الإيطالي فغير موثوق به، فهو كذاب، خائن جدير بالإزدراء، يجد نفسه مطمئناً الى حمل الخنجر أكثر من حمله السيف، ويفضل السم على الدواء، ومقايض مراوغ، ومتناغم فقط مع متغيرات الرياح – ورأيت مالذي حدث لأولئك الجنرالات البوربونيين، في اللحظات التي غامر فيها غاريبالدي وظهور الجنرالات البيدمونتيين.

والحقيقة أنَ الإيطاليين نَمْذجوا أنفسهم نسخة من الإكليروس، وهم الحكومة الحقيقية التي شكلوها منذ زمن انحراف الإمبراطورية الرومانية التي أرهقها البرابرة، لأن المسيحية أرهقت مجد السلالة القديمة ايضاً.

القساوسة... كيف استطعت التعرف عليهم؟ أعتقد في بيت جدي، فأنا املك ذاكرة غامضة لكنها تبدو داهية، أسناناً منخورة، وتنفساً رديئاً، وأيدٍ معرَّقَة تحاول أن تربت على رقبتي الخلفية. يا للقرف. إنهم متبطلون ينتمون الى طبقة لا تقل خطورة عن اللصوص والمتشردين، أنهم اصبحوا قساوسة أو رهبانا حسب ليعيشوا حياة البطالة. نعم، البطالة مضمونة لهم، إذا كان هناك، من يقول، إنَ قساً واحدا لكل ألف شخص، فهذا يعني لديهم الكثير مما يقومون به، ولكنهم لا يتكاسلون ولا يدخرون وسعاً في تناول طعام الديكة المسمَّنة. ومن أغلب القسس غير الكفوئين تختار الحكومة أغباهم، وتعيِّنهم أساقفة.

إنهم يلتفون حولك منذ لحظة ولادتك، يعمّدونك؛ وستراهم في المدرسة، إن كان والداك متحمسين لإرسالك إليهم؛ وفي العشاء الرباني الأول، والتعليم المسيحي، وتثبيت العماد؛ وفي يوم زفافك ثمة قس يعلمك ماذا تفعل في السرير، واليوم الذي يلي الإعتراف سيسألك قس كم مرة فعلتها، وهكذا يستطيع أن ينهض بنفسه من خلف المُصَّبَعَة. أما الجنس فإنهم يتكلمون عنه برعب، ولكن تراهم يخرجون كل يوم من مضاجع المحارم دون أن يغسلوا أيديهم، بعد أن يتناولوا طعام مسيحهم وشرابه، وبعد ذلك يتبرزون ويتبَولون عليه في الخارج.

يصرون على، أنَ مملكتهم ليست في هذا العالم، ثم يأخذون أيَ شيء يقع في متناول أيديهم. لذا، لن تصل الحضارة الكمال حتى تسقط آخر حَجرة في آخر كنيسة وعلى آخر قس، و لن نتحررمن ذلك القدر الشرير.

ونشر الشيوعيون فكرة أنَ الدين هو افيون الشعوب. هذا صحيح، لأنَه يُستخدم غطاء لإغراءات الشعوب، وبدون الدين سيتضاعف عدد الناس مرتين أمام المتاريس. حيث انَ ومن خلال أيَام الكومونة لم يكن العدد كافياً، وسيكونون تحت قصف المدافع دون كثير من الإزعاج. ولكن بعد سماع كلام الطبيب النمساوي عن فوائد المخدر الكولومبي، فأنا هنا أستطيع القول إنَ الدين هو فعلاً كوكايين الشعوب، لأنه يقود دائماً الى حروب ومذابح الملحدين، وهذه هي حقيقة المسيحيين، والمسلمين، والملحدين الآخرين، بينما زنوج

أفريقيا يذبح بعضهم بعضاً داخل تخوم أراضيهم، الى أن حولتهم البعثات التبشيرية الى الدين المسيحي وربطتهم بالمجاميع الكولونيالية، حد بلغت بهم المثالية إستعدادهم للموت في الخطوط الأمامية واغتصاب النساء البيض حينما يصلون المدينة. والناس ليسوا متحمسين للشر تماماً، حينما ينطلقون من خارج قناعات دينية.

واسوأ الجميع، دون شك، هم اليسوعيون، وتنتابني مشاعر أنني ألعب عليهم بخدع قليلة، أو ربما هم الذين جعلوني أخطأ بحقهم، أنا لست متأكداً من الذي أخطأ بحق الآخر. أوربما، سريان دماء إخوانهم الماسونيين فيهم. فهم مثلهم. بيد أنهم أكثر اضطراباً، فاليسوعيون على الأقل لديهم مثيولوجيتهم ويعرفون كيف يستخدمونها، ولكن الماسونيين لديهم الكثير منها ومع هذا فقدوا صوابهم. وتحدث إليّ جدي عن الماسونيين قال. إنهم واليهود قطعوا رأس الملك، وابتكروا الكاربونيين، الذين هم أكثر غباء من الماسونيين- وذات مرة إنتحروا، حينما صنعوا قنبلة خطأ، أدت الى قطع رؤوسهم، أوحين تحولوا الى إشتراكيين، ثم الى شيوعيين وكوميونيين، الجميع يتسلق الجدار، أحسنت عملاً يا، تيرز!.

الماسونيون واليسوعيون. اليسوعيون هم ماسونيون مرتدين زيّ النساء.

علـى فكرة، إنـني أكـره النـساء، مـع قلـة معـرفتي بهـن، ومنـذ سـنين يـسيطر علـيّ هاجس مطعـم نـساء البراسـيري brasseries àfemmes ، ومطاردات الجانحين فيه من كل صنف، إنه اسوأ مـن المـواخير، الـتي من الصعوبة بمكان تشييدها بسبب معارضة الجيران. ومطاعم البراسـي بإمكانها أن تفتح في أي مكان، لأنها كما يقولون، إنهـا مكانـات للـشرب فقط. بيد أنك تـشرب أسـفل الـسلالم وتمـارس البغـاء في أعلاهـا، وكـل براسي لديه موضوعه، إذ إن الفتيات يرتدين ملابس طبقاً للمكان: ففي مكان واحد، هناك سـاقيات ألمانيات؛ عكـس النـادلات اللائـي يخـالفن قـانون المحـاكم فيلبـسن روب المحامـاة. وفي كـل مكـان تجـد اسمـاء كـثيرة منـه، مثـل براسـي دو تـيري- كـول، وبراسـي بيليـز موراشـينز، وبراسير دي كواتورزي فيسي، وهو لـيس بعيـداً عـن جامعـة الـسوربون، ورائداته دائماً ما يجرين وراء الألمـان – وهنـا طريقـة لتـشويه الأخـلاق الفرنسية. وثمة ستون منهن على الأقل يأتين من المحافظة الخامـسة أو الــسادسة، و مائتــان مــنهن تقريبــاً ينحــدرن مــن بــاريس، وجمــيعهن منفتحات على الشباب، الذين يذهبون الى هناك بسبب الفضول، ومن ثم يعتادون عليهن، وأخـيراً ينـدفعون نحـوهن بقـوة، إذا لم يكـن ذلـك أسوأ. وحين يكـون البراسـي قـرب مدرسـة، يـذهب الطـلاب الى هنـاك بعد الدرس للتلصص على الفتيات من خلال ثقوب الأبواب. أنا أذهب الى هنـاك لأشـرب... وأتلـصص مـن الـداخل، مـن خـلال ثقـب البـاب،

بينما الآخرون الذين يتلصصون من الخارج، ليسوا طلاباً - إنني أتعلم قدراً كبيراً، عن العادات وقيم الكبار، وهذا يمكن أن يكون مفيداً دائماً.

وأقصى ما أستمتع به هو اكتشاف مختلف أصناف رؤوس القوادين الذين يتسكعون حول الطاولات؛ بعضهم أزواج لا يستمتعون بسحر زيجاتهم: إنهم يتسكعون، ويرتدون أزياء جميلة، ويدخنون ويلعبون الورق، وينظر إليهم مالكو الفتيات كديَوث الطاولة. ولكن في الحي اللاتيني، هناك الكثير من الطلاب الفاشلين، هم قلقون دائماً ربما ثمة من سيتسلل الى مصادر رزقهم، وهم مسلحون بالسكاكين دائماً. وأهدأهم جميعاً هم لصوص وسفاحون، وهم في حالة ذهاب وإياب لأنهم بحاجة الى مراقبة الفتيات والتأكد من عدم خيانتهن لهم- وفي اليوم التالي حينما ينتهون من ذلك، يسيبون في بيفريا.

وثمة ايضاً مِثليون، مشغولون بالبحث عن منحرفين جنسياً من كلا الجنسين لممارسات جد متوهجة، يلتقطون الزبائن في بالاس رويال أو في شامب أليزيه، ويجذبونهم بإستخدامهم لغة مشفرة. وكثيراً ما يحصلون على تواطؤ للذهاب الى غرفهم مرتدين أزياء تقترب من أزياء الشرطة، مهددين بإعتقال الزبون بنزع ملابسه الداخلية، لإرغامه على التوسل طالباً الشفقة بعدها يكتفون بحفنة من النقود.

حينما ادخل بيوت الدعارة هذه أفعل ذلك بحذر، لأنني أعرف ماذا سيحدث لي. فإذا بدا الزبون وكما لو أنه غني، يقوم مالك الدعارة بإشارة، وستُقدِّم الفتاة نفسها وتدريجياً تقنعه بدعوة جميع الفتيات الى الطاولة وطلب أغلى الأشياء(لكنهن يشربن نبيذاً خفيفاً وماءً ملوناً يدفعه الزبون برحابة صدر كي لا يثملن. أو يجعلنَّك تلعب ورقاً، وبالطبع إنهن يتبادلن الإشارات، وهكذا تتحقق خسارتك وعليك أن تدفع عشاء الجميع، بما في ذلك مالك الدعارة وزوجته. وإن حاولت أن تتوقف، فإنهم يدعونك أن تلعب ليس من أجل المال حسب، بل لأجل كل فتاة ربحتها تخلع ملابسها قطعة بعد قطعة... وكل مفردة قلادة ترقد على ذلك الجسد الأبيض المقرف، وتلك الأثداء المحتقنة، وتلك الآباط التي تثير أعصابك.

لم يسبق لي أن صعدت الى الطابق الأعلى. فقد قال أحد ما إنَ النساء محض تعويض عن العزلة، بإستثناء ما تحتاجه أنت من خيال أوسع. وهكذا عدت ادراجي الى المنزل ورحت أحلم بهن في الليل- وأنا بالتأكيد لست مصنوعاً من حديد - وبعد ذلك هنَّ اللائي أغرينني في ذلك.

قرأت الدكتور تيسو، فضلاً عن ذلك، إنني أعرف أنهن يؤذينك حتى لو كنت على مسافة بعيدة منهن. بيد أننا لا نعرف إن كان الحيوان يتمتع بنشاطنا ذاته ولديه السائل المنوي نفسه، لكننا نعرف

أن هاتين الصفتين هما لا ريب فيهما صحيحتان. وبعد تدنيس نشاط ليلي طويل، يفقد الناس طاقتهم وتنحلّ أجسادهم، وتشحب عيونهم، ويشوب ذاكرتهم الغبش، وتتضبب رؤيتهم، ويجشّ صوتهم، وتؤرقهم الأحلام المزعجة، وتوجعهم عيونهم، الى حد تظهر بقع حمراء على وجوههم. بعضهم يبصق مادة دبقة، وشعور بالخفقان، والإختناق، والنحول. بينما يشكو الآخرون من الإمساك أو يخرجون روائح كريهة على نحو متزايد. وفي الأخير يصابون بالعمى.

ربما هذه مبالغات. فحينما كنتُ صبياً كان ثمة بثور تنتشر في وجهي، ولكن هذا يبدو مسألة طبيعية في هذا العمر، أو ربما أن الصبيان جميعاً ينغمسون في هذه الملذات - بعضهم يمارسها بإفراط وفي تماس معها ليلاً ونهاراً. الآن أعرف كيف اخطو. فأحلامي تزعجني حسب بعد قضاء ليلة براسية. ولم يحصل لدي إنتصاب كل مرة أرى فيها فتاة في الشارع، وقد حصل هذا كثيراً. والعمل منعني من الإنحلال الأخلاقي.

ولكن لماذا نفلسف الموضوع بدلاً من تفكيك الأحداث كلها؟ ربما إنني أريد أن أعرف ليس ما فعلته أول يوم أمس حسب، ولكن ما يختلج في أعماقي ايضاً - هذا افتراض أنَ ثمة شيئاً ما في أعماقي. ويقال إنَ الروح ببساطة هي إنعكاس للأفعال. لكن إذا كرهت شخصاً

ما وهذبت هذه الضغينة، فإن، يا إلهي، شيئاً ما في داخلي ! وماذا يقول الفيلسوف؟ أنا اكره إذن أنا موجود.Ode ergo sum.

بعد فترة رن جرس الطابق الأرضي. فكرت ربما أن هناك شخصاً معتوها جداً يريد أن يشتري شيئاً ما، بيد أنه أخبرني أنَ تيسو أرسله - لماذا إخترت كلمة السر هذه؟ إنه يريد وصية خطّية، موقعة من بونيفوي شخصياً لصالح شخص يدعى غيلوت(الذي كان بالتأكيد هو) أنه يحمل ورقة الكتابة التي كان يستخدمها بونيفوي، أو استخدِمت للغرض ذاته، كمثال لخط يده. دعيت غيلوت الى مكتبي، إخترت قلما وحبراً مناسباً ودونت الوثيقة تماماً دون أن تسبقها مسودة. أعطاني غيلوت المبلغ المناسب مع الميراث الشرعي كما لو أنه عرف مكانتي.

هكذا كانت هي تجارتي؟ ومن المدهش أن تخلق عملاً شرعياً من لا شيء، تزوير رسالة تبدو أصلية، تسويد اعتراف موفق، إبتداع وثيقة ستقود بصاحبها الى التهلكة... إنها قوة الفن، وستكافأ بزيارتك الى مقهى انغليسCafé Anglais.

ذاكرتي يجب أن تكون حية، نعم لدي انطباع أن قروناً مرت منذ أن تذوقت آخر نكهة لأصناف الطعام ذاك:

Soufflés à la reine, filets de sole à la vnènitienne, escalopes de turbot au gratin , selle de mouton purée bretonne... entrèe أو كمدخل: paté chaud de cailles , او poulet à la portugaise او

houmard a la parisienne, او جميعهم، او بما ان plat de résistance

ربما, canetons à la rouennaise , او, orolans sur canapés المقبلات

و cassolettes, aubergines a lespagnole,aspergnes en branches

princes وما يتعلق بالشراب، لا أعرف ماذا أشرب، فربما شاتو مارغوز، أو شاتو لاتور، أو شاتو لافيت، وهذا يعتمد على فترة تعتيقه.

ودائماً ما أجد متعتي في الطعام أكثر منه في الجنس، ربما هذا ما تركه القساوسة علي من أثر.

أشعر أنَ رأسي في غيمة دائمية تمنعني من النظر الى الماضي. لماذا، حدث كل شيء فجأة، هل تتجدد ذكرياتي حول زياراتي الى بيسين بجلابيب الأب بيرغاماشي؟ فأنا نسيت تماماً بيرغاماشي. ولكن مَنْ هو؟ إنني استمتع بإطلاق العنان لقلمي في التجوال الى حيث تقودني غرائزي. وطبقاً لنصيحة الدكتورالاسترالي، فينبغي عليّ الوصول الى نقطة حد تشعرني فيها مذكراتي بألم حقيقي، وستُفصِح لماذا دمرتُ فجأة أشياء كثيرة.

يوم أمس، إذ كنت أعتقد إنه يوم الثلاثاء، الثاني والعشرين من آذار، إستيقظت وأنا أدرك تماماً مَن أنا؟- الكابتن سيموניני، الذي عمره سبع وستون سنة، تحملت عبئها جيداً،(إنني من البدانة بمكان بحيث لا ينطبق علي وصف رجل وسيم). إني أفترض أن رتبة الكابتن في فرنسا، في إحياء ذكرى جدي تبعث الماعات غامضة الى الخدمة

العسكرية الماضية لآلاف الرتب في عهد غاريبالدي. في هذا البلد، حيث قُيم غاريبالدي في فرنسا أكثر منها في ايطاليا، ويحمل اعتبارات خاصة. ولد سيمون سيمونيني في تورين، من أب توريني، ومن أم فرنسية(سافوية،ولكن حين وُلِدت، كانت فرنسا قد غزت سافوي.).

ما زلت مستلقٍ في سريري، تاركاً الحبل على الغارب لأفكاري بالتجوال. أما المشاكل التي عانيتها مع الروس(الروس؟) فمن الأفضل أن لا يشاهدوني في مطاعمي المفضلة. فأنا استطيع أن أطهي شيئاً بنفسي. ووجدت في هذا إسترخاءً لساعات قليلة للقيام بطهي شيء لذيذ.على سبيل المثال: لحم على الأقل، سمكة سمكها ـ أربعة سم ـ تكفي على سبيل المثال، لشخصين، بالطبع ـ ورأسا بصل من الحجم المتوسط، وخمسون غرام خبزاً بدون قشور، وخمس وسبعون غراماً من الجبنة الصفراء المثقبة، وخمسون غرام زبدة. وخبز الشعرية بفتات الخبز ومزجه بالجبنة الصفراء المثقبة، وبعد ذلك، تقشير، وتقطيع البصل، وتذويب اربعين غراماً من الزبدة في مقلاة صغيرة. وبعد ذلك، وفي مقلاة أخرى، قلي البصل مع ما تبقى من الزبدة. يغطى الإناء مع نصف البصل، ويُتبّل اللحم بالملح والفلفل الحار، ويهيأ في إناء، ويضاف مع بقية البصل، ويجب التأكد من استقرار اللحم جيداً في أسفل الإناء. توضع الزبدة المائعة الى الأسفل ويضغط عليها برقة باليد. ويضاف إليها لباب الخبز ليشكل قبة، مع آخر الزبدة المذابة.

يضاف الى ذلك نبيذ أبيض ويعجن حتى يتحول الى سائل. وتقدم مع القرنابيط.

إنها لا تستغرق وقتا طويلاً، بيد أنَ متعة الطهي تبدأ قبل حاسة الذوق عادة، والطهي يعني إستباقاً لتلك المتعة، الذي يعني ما كنت أستمتع به بينا كنت مسترخٍ في فراشي. والمجانين هم وحدهم الذين يحتاجون الى المرأة والإحتفاظ بها، أوالى فتى صغير، تحت غطاء أسرَتهم، كيلا يشعرون بالوحدة. بيد أنهم لا يفهمون أن الفم الجوعان هوأفضل من الإنتصاب.

كل ما أحتاجه متوفراً تقريباً في المنزل، خلا اللحم والجبن الأصفر المثقب. وإذا شح اللحم فبإمكاني الذهاب الى القصاب في أي يوم أشاء في ساحة موبيرت ـ ومن المفيد أنني أعرف إنه يغلق قصابته يوم الثلاثاء. ولكنني أعرف ايضاً قصاباً آخر، على مسافة مئتي متر من جادة سان جرمين، ومسافة مثل هذه مشياً على الأقدام لا تؤذي قدميّ. فأرتدي ملابسي، قبل المغادرة، وأثبّت عادة شاربي الأسود ولحيتي الجميلة أمام المرآة المعلقة فوق المغسلة. وبعد ذلك ألبس الشعر المستعار على رأسي وأُفرِقه من الوسط وأبلله ثم أسرحه بهدوء، وأرتدي جاكيتتي الطويلة وأضع ساعتي الفضية في جيبها الوسط كي تتدلى سلسلتها الى الخارج بوضوح. وبينا أنا أتساءل مع نفسي، كي أظهر بمظهر الكابتن المتقاعد، أحب أن اعزف بأصابعي على صندوق درع سلحفاة موضوع على خشب مصنوع من عرق سوس متساوي الأضلاع. وثمة لوحة لإمرأة قبيحة ولكنها معتنية بزيها، داخل غطاء

الصندوق. ولا شك أنها من المرحومات المحبوبات، وبين الفينة والأخرى أعزف بالمزمار في فمي وأمرره الى لساني من جانب الى آخر، وهذا ما يسمح لي بالكلام بهدوء أكثر - ويتابع المستمع حركة شفتيك لكنه لا يسمع ماذا تقول. والمشكلة هي محاولة الإستمرار بمظهر شخص ما معدل ذكاءه أقل.

~~~

هبطت الى الشارع، وانحرفت نحو الزاوية، محاولاً عدم الوقوف أمام البراسيرية، حيث يمكن سماع الأصوات الصاخبة للنساء الساقطات منذ الصباح الباكر.

لا يبعد ميدان موبيرت أكثر من ساحة المعجزات حينما وصلت الى هنا قبل خمس وثلاثين سنة. حين كان يعج بباعة إعادة تصنيع التبغ، من الأنواع الرديئة التي يحصلون عليها من أعقاب السيجار وبقايا غلايين التدخين، ومن أعقاب السيجائر المصفّاة- ويباع التبغ الرديء بفرنك واحد للباوند، أما المصفّىّ منه فيباع بين فرنك واحد ونصف فرنك وفرنك وستين من الفرنك(رغم إن الصناعة قلما تكون نافعة، وأنهم ينفقون أرباحهم هذه في قبو للخمر، ولا يجدون لهم مأوى ينامون فيه في الليل). إنما يحشرون أنفسهم مع القوادين الذين، يبقون يتثاءبون في نومهم حتى الساعة الثانية ظهراً، يقضون نهارهم بتدخين السيجائر، متكئين على الحائط كأي متقاعدين محترمين، ثم يذهبون الى العمل وقت الغسق، مثل كلاب الرعاة. ويحشرون أنفسهم مع اللصوص يسرق أحدهم الآخر حينما تنقص نقوده، لأنه ليس ثمة
~~~

أحد من بينهم يحتشم(ماعدا المتبطلين القادمين من الريف.) تجرأت على عبور الشارع من الساحة، وربما سأكون فريسة اذا لم تكن خطوتي عسكرية وإتباع الطريقة التي أدوِّر فيها عصاي. وعلى كل حال، فإن نشالي المنطقة يعرفونني، وبين الحين والآخر يحييني أحدهم، يخاطبني بلقبي العسكري. وبصرف النظر عن ذلك، إنهم يعتقدون أنني أنتمي الى عالمهم السفلي، والكلب لا يأكل الكلب، إنهم يعجون مع العاهرات اللائي راح جمالهن يتلاشى – ما عدا اللائي ما لبثن جذابات وما زلن يعملن في مطعم براسيري النساء– brasseries à femmes – وإنهن لهذا السبب، ليس لديهن فرصة ما خلا عرض أنفسهن على بائعي الملابس العتيقة، واللصوص التافهين، ذوي الرائحة الكريهة، و بائعي تبغ من الدرجة الثانية، وعند رؤيتهم رجلاً أنيقاً مهذباً يرتدي قبعة نظيفة فإنهم يتجرؤون ويمشون بمحاذاته ليأخذوا بيده، ويقتربون منه أكثر حد يستطيع فيه شم رائحتهم الرخيصة المنفرة الممزوجة بعرقهم، وهذا يشكل لي تجربة مروعة(ليس لدي رغبة أن أحلم بهم ليلاً) وهكذا، حينما أرى أحدهم يقترب مني فإني سأهش بعصاي بحركة دائرية كاملة، على نحو أشكّل منطقة لا يمكن الدخول إليها حماية لنفسي، وسيفهمون هذه الإشارة حالاً، لأنهم اعتادوا على إطاعة الأوامر وكيف يحترمون العصا.

وأخيراً، فإن ميدان موبيرت يزدحم بالشرطة السرية الذين جُنّدوا لإطاعة مخبريهم او وشاتهم، ليجمعوا المعلومات عن الأوغاد وإنضاجها بعد فترة حضانة، وربما يبرز أحد ما ليهمس بصوت عالٍ الى شخص

آخر، متخيلاً صوته يتلاشى مع الضحيج العام. لكن سرعان ما يفضحهم سلوكهم الشرير المبالغ فيه. إذ ليس ثمة وغد حقيقي يشبه وغداً آخر، ولكن هؤلاء الأوغاد يتشابهون.

في هذه الأيام، يمر خط التراموي من خلال الساحة، لكنه لم يعد يشعرني أنه يشبه التراموي في وطني، ورغم ذلك، فما زال هناك بعض الناس النافعين إن استطعتَ التعرف عليهم، متكئين على الجدار، في مدخل مقهى ميتري البيرت أو في إحدى الطرق المجاورة. على العموم، فباريس لم تكن كما كانت باريس، منذ أن كان برج إيفل الذي يشمخ عبر المسافات، ويمكن رؤيته من الزوايا جميعها.

كفى.أنا لست عاطفياً، فهناك الكثير من المكانات الأخرى أجد فيها ضالتي. فصباح أمس احتجت الى لحم وجبنة، ومازال ميدان موبيرت يخدم غرضي.

وكي اشتري الجبنة، مررت من دكان القصاب وشاهدته مفتوحاً.

هل تفتح في يوم الثلاثاء؟ كيف يحدث هذا؟" تساءلت وأنا ادخل.

" اليوم هو الأربعاء، ياكابتن " أجابني بضحكة. شعرت بإرتباك، واعتذرت، قائلاً إنك فقدت ذاكرتك مع تقادم العمر، قال، ما زلتُ فتى شاباً، ولكن من السهولة بمكان أن ينسى المرء احياناً حينما ينهض من فراشه وهو على عجالة من أمره. إخترت ما اشتريته من لحم ودفعت ثمنه دون أن أسال عن التخفيض(وهو الطريقة الوحيدة لنيل رضا واحترام البائعين).

عدت الى المنزل، ما زلت أتساءل مع نفسي، نزعت شاربي ولحيتي، كما أفعل حينما أكون بمفردي، ودخلت غرفة النوم. كان ثمة شيء يصعقني، شيء ليس من موجودات الغرفة. كانت هناك ملابس معلقة بالقرب من خزانة الجرارات، وثمة روب كاهن يعود دون شك، الى قس. إقتربت أكثر، رأيت في أعلى الخزانة ضوءً رمادياً، شعراً مستعاراً أشقر اللون في الغالب.

أتساءل هنا، أي ممثل من الدرجة الثالثة ربما استقبلته عبر الأيام القليلة الماضية حينما أدركت إني كنت ايضاً أتنكر، ومنذ أن تنكرت بلحية وشارب هما ليسا إياي. هل كنت شخصاً آخر، كان يستبدل ملابسه بالتناوب كرجل مهذب ومحترم وككاهن ايضاً. ولكنني الآن كيف محيت ذكريات الشخص الثاني هذا كلها؟ أو ربما هناك سبب آخر(أو ربما كي أتجنب الإعتقال) فأنا قد تنكرت بشارب ولحية وفي الوقت نفسه ضيفت شخصاً يرتدي ملابس راهب، وإذا كان هذا الراهب زائفاً(فالراهب الحقيقي لا يرتدي شعراً مستعاراً) قد بقي بصحبتي، فأين ينام، على افتراض أن سريراً واحداً حسب في البيت؟ أو ربما لم يسبق له أن عاش هنا أو، لأسباب أخرى، هل كان قد احتمى هنا قبل يوم وحرر نفسه من هذا التنكر وخرج؟ الله وحده يعلم أين ذهب ويعرف ماذا فعل.

كان عقلي عقيماً، كما لو انني كنت أعرف أن ثمة شيئاً ينبغي عليّ تذكره بيد انني لم أتمكن من ذلك - أعني، أشياء كانت جزءً من ذكريات شخص آخر. اتحدث عن ذكريات شخص آخر، هو، كما أعتقد

التعبير الصحيح. في تلك اللحظة شعرت انني شخص آخر، كان يراقب من الخارج. شخص ما يراقب سيمونيني، هو، في هذه اللحظة، لا يعرف تماماً مَنْ هو.

إهدأ، قلت لنفسي، دعنا نفكر، ما يتعلق بالشخص الذي زوّر الوثائق تحت ذريعة بيع التحفيات القديمة، والذي اختار احدى ضواحي باريس غير مرغوب فيها، فمن غيرالمحتمل أنني منحت حماية لشخص مشبوه يقوم بمكائد. لكنني لا أتذكر الى مَن منحت حماية لا تبدو طبيعية.

نظرت من حولي، وفجأة بدا بيتي غريباً، كما لو أنه بيت شخص آخر، وكما لو أنه ربما يحمل أسراراً أخرى. غادرت المطبخ، الى جهة اليمين حيث غرفة النوم، والى اليسار حيث غرفة الإستقبال بأثاثها الإعتيادية. فتحت جرارات المكتب التي تحتوي أدوات حرفتي – أقلام، أنواع المحابر أوراق لمختلف الأزمان، بيض أو زرق. وعلى الشراشف، فضلاً عن الكتب، ثمة صناديق تحمل أوراقي وخشب الجوز المعبَد. حاولت أن أتذكر لأي غرض تستخدم هذه الأشياء، في هذه الأثناء سمعت صوت الجرس.هبطت وأنا أتجنب مجيء أي زائر غير مرحب به، رأيت امرأة عجوزاً بدا لي انني عرفتها. " أرسلني تيسو" قالت، وهكذا دعوتها للدخول، الآلهة وحدها تعرف لماذا إخترتُ كلمة السر تلك.

دخلت وفتحت حقيبة كانت ممسكة بها الى صدرها عارضة عليَّ عشرين رغيف خبز من أرغفة القربان المقدس.

أخبرني آبي دالا بيكولا أنك ستكون سعيداً بها.

" بالتأكيد " أجبتها، كنت مندهشاً من إجابتي، وسألت كم المبلغ.

أجابت المرأة الشابة عشرين فرنكاً لكل واحد.

صرخت، بغريزة التاجر غير المحترف"أنت مجنونة."

إنك أنت المجنون، أنت وقداساتك السود. إنك تعتقد أنه من السهولة الذهاب الى عشرين كنيسة في ثلاثة أيام لتأخذ عشاءً ربانياً، محاولة إبقاء فمي جافاً، راكعة ورأسي بين يديّ، محاولة إخراج خبز القربان من فمي دون ترطيبه، واضعة إياه في حقيبة صغيرة وحملته على صدري، دون أن يلحظني راعي الأبرشية أو أي إنسان آخر؟ ناهيك عن ذكر الحرمات، والجحيم الذي ينتظرني. فإن تفضلت، ونقدتني مئتي فرنك، أو سأذهب الى آبي بولون. " أجبت تقريباً بآلية،آبي بولون مات. من الواضح، أنكِ لا تحصلين على عشرين فرنكاً في هذا الوقت "بعد ذلك، شعرت بالإضطراب، وقررت مطاوعة غريزتي دون مزيد من التفكير.

" لا يهم، سأنقدك الفرنكات "، قلت ذلك، ودفعت لها. ووضعت الأرغفة المكرّسة في وعاء خبز القربان بإنتظار وصول الزبائن المنتظمين. مثل أي عمل آخر. بإختصار، بدا كل شيء عادي، ومألوف، لكن أحسست أن هناك شيئاً مشؤوماً يحدث حولي لا أستطيع تحديده.

عدت الى مكتبي وانتبهت أن باباً في الزاوية القصية تغطيه ستارة. فتحته، ناوياً الدخول من خلال الممرالمظلم مما فكرت بحاجتي الى

مصباح ينير لي الطريق. كان الممر يشبه مخزن دعائم مسرحية، أو أنَ الغرفة الخلفية مليئة بالسلع القديمة تشبه كنيساً يهودياً. ثمة ملابس من اصناف مختلفة معلقة على الجدران ل- فلاح، و تاجر فحم، وموزع بريد، وشحاذ، وجاكيتات وسراويل جنود- والى جانب كل بدلة ثمة خوذة، و عدد كبيرمن الرفوف الخشبية الطويلة منظمة بإعتناء، فضلا عن عدد كبير من الباروكات، وفي أقصى الزاوية توجد قلنسوة،مشابهة لما في غرفة ملابس الممثلين، مغطاة بمرطبان المبيض ومساحيق تجميل حمراء اللون، وأقلام رصاص باللون الأزرق الغامق والأسود، وأقدام أرانب برية، ومسحوقات ناعمة، وفرش تجميل، وأمشاط رأس.

وعند نقطة معينة يتحول الممر الى زاوية، في أقصاها ثمة باب آخر يفضي الى غرفة مضاءة أوسع من غرفتي، لأنها تطل على شارع لم يكن شارع موبيرت الضيق غير السالك. وفي الحقيقة، ان التطلع الى الخارج من إحدى النوافذ، يمنحني رؤية شارع ميتري – البيرت الأسفل.

ثمة سلَم من الغرفة في الطابق الأسفل يؤدي الى الشارع، ولكن لا شيء آخر. إنه ملحق يحتوي على غرفة واحدة، وفي مكان ما بين المكتب وغرفة نوم، تحتوي على أثاث بسيطة غامقة اللون، منضدة، وكرسي ذي مسندين للذراعين يحتوي على طاولة أمامية للكتابة، وسرير نوم. وهناك مطبخ صغير له مدخل يؤدي الى السلم، ومرحاض يحتوي على مغسلة.

كان من الواضح أنَ السكن المؤقت pied-à-terre لرجل الدين الذي من خلاله يجب عليّ أن أكون على معرفة به، لأن شقتينا كانتا مرتبطتين. ومع هذا يبدو أنَ كل شيء كان مألوفاً. وشعرت أنني أزور الغرفة للمرة الاولى.

دنوت من المنضدة ورأيت حزمة من الرسائل مازالت في ظروفها، كلها معنونة الى شخص واحد: الى المحترم جداً، أو المحترم جداً جداً،آبي دالا بيكولا. الى جانب الظروف يوجد عدد من الأوراق كُتبت بخط اليد،بريشة جميلة، ورشيقة، و شبيه بخط يد نسائية، ويختلف كثيراً عن خط يدي. مسودة الرسائل ليس لها أهمية خاصة، تعبير حسب عن شكر لهدية، تأكيد على موعد. والورقة في أعلى هذه الرسائل كُتبت بلا مبالاة، على نحو أنَ الكاتب يدون ملاحظات مواضيع لإعتبارات أهم. قرأتها بصعوبة:

يبدو أنَ كل شيء غير طبيعي. كما لو أنَ شخصاً ما يراقبني. دون في أدناه للتأكد من الحقيقة.

اليوم هو الثاني والعشرون من آذار \ مارس

أين جبتي، أين الشعر المستعار؟

ماذا حدث الليلة الماضية؟ تفكيري مرتبك.

لا أستطيع أن أتذكَر الى أين يؤدي هذا الباب في نهاية الغرفة.

وجدت رواقاً(غير مرئي؟) مليئا بالملابس، والشعر المستعار، ومستحضرات تجميل، ومكياج يستخدمه الممثلون المسرحيون.

وجبّة جيدة كانت معلقة في أعلى المشجب، وفي أعلى الرف وجدت ليس شعراً مستعاراً جيداً حسب، بل حواجب عيون زائفة. ومع آخر، مسحوق أحمر لتجميل الوجنتين، عدت كي أعيد النظر في تفكيري، وجدت نفسي شاحب اللون ومحموماً الى حدما في مظهري.زاهداً. هذا هو أنا. ولكن مَن أنا؟

أعرف أني آبي دالا بيكولا. أو بمعنى آخر، كل شخص يعرف من هو آبي دالا بيكولا، لكنني وبوضوح لست آبي دالا بيكولا، وأُعطيت هذه الملابس لأتشبّه به.

الى أين يؤدي هذا الرواق؟ إني خائف في الذهاب أبعد من هذا الرواق. أعيد قراءة الملاحظات في أعلاه، فما قد كُتب قد كُتب. ومن ثم فقد حدث فعلاً. وصدق بما قد كُتب.

هل هناك شخص ما خدَرني؟ بولان مثلا؟ إنه قادر تماماً على فعلتها. أو اليسوعيون؟.أو الماسونيون؟ ماذا سأفعل بهم؟

اليهود؟ أولئك هم الذين يجب أن يفعلوها.

لا أشعر بالأمان هنا. لابد وأن ثمة شخصاً ما قد كسر الباب ودخل المنزل خلال الليل. فقد سُرقت ملابسي، وما زال الأسوأ. فقد نقّب في أوراقي. وربما هناك شخص يتجول في باريس جعل الناس يعتقدون أنه آبي دالا بيكولا.

يجب أن أختفي في أوتيويل. ربما تعرف ديانا. لكن مَن هي ديانا؟

ملاحظات آبي دالا بيكولا توقفت هنا، ولكن من الغريب أنه لم يأخذ معه وثيقة معتمدة مثل هذه- وهي دلالة واضحة للتعبير عن حالته القلقة. وكل ما أستطيع اكتشافه هو انتهى الى هنا.

عدت الى الشقة في زقاق موبيرت غير السالك وجلست الى مكتبي بأي طريقة تقاطعت فيها حياة آبي دالا بيكولا مع حياتي؟

من الطبيعي انني لم أكن قادراً على تجنب معظم الحدس الواضح: إنَ آبي دالا بيكولا وأنا كلانا شخص واحد. إذا كان ذلك الأمر صحيحاً، إذن سيكون كل شيء واضحاً – فإن كلتا الشقتين متلاصقتان، فقد رأيتني أرتدي ملابس آبي دالا بيكولا وأنا ذاهب الى شقة سيمونيني، ولكن كيف تركت الجبة والشعر المستعار هناك ثم بعدها نمت. ماخلا تفصيل بسيط: إذا كان سيمونيني هو آبي دالا بيكولا، لِمَ لا أعرف كل شيء عن دالا بيكولا؟ ولماذا لا أشْعُرُني دالا بيكولا، ومن الذي لا يعرف أي شيء عن سيمونيني؟(في الحقيقة، كي أكتشف أفكار ومشاعر دالا بيكولا يجب عليَ أن اقرأ مشاعره من خلال ملاحظاته). ولكن إذا كنتني آبي دالا بيكولا فعلاً، فلا بد وأن أكون في أوتيويل، في البيت الذي يبدو فيه أنه يعرف كل شيءعنه وعنيّ، أنا(سيمونيني) لا أعرف أي شيء. ولكن مَن هي ديانا؟

مالم أكن أنا احياناً سيمونيني الذي نسي دالا بيكولا، واحياناً أن دالا بيكولا نسى سيمونيني. فذلك لن يكون شيئاً جديداً. من الذي أخبرني عن حالات ازدواج الشخصية؟ ألم يحدث هذا لديانا؟ ولكن مَن هي ديانا؟

قررت أن اتقفى أثر خطواتي مرة اخرى. أعرف انني أحتفظ بكتاب المواعيد. الذي وجدت فيه الملاحظات في أدناه:

الأول من آذار \ مارس، قداس.

الثاني والعشرون من آذار | مارس، تاكسيل

الثالث والعشرون من آذار| مارس، غويللو من أجل وصية بونيفوي

الرابع والعشرون من آذار | مارس، الى درومونت

لم تكن لدي فكرة لماذا يجب أن أذهب الى القدَاس في الأول من آذار \ مارس. لا أعتقد انني رجل مؤمن، والرجل المؤمن طبعاً يؤمن بشيء ما. هل أنا أؤمن بشيء ما؟ لا أعتقد ذلك. لأنني أصلا لست مؤمنا. وهذا شيء منطقي، بيد أنك تذهب احياناً الى القدَاس لأسباب كثيرة، ولا علاقة لها بالإيمان.

وما خامرني من شعور أكيد فيما إذا كان ذاك اليوم، الذي أعتقد أنه يوم الثلاثاء، لكنه في الحقيقة هو يوم الأربعاء الثالث والعشرون من آذارا مارس، وأن غويللو في الحقيقة جاء إليَ كي يسحب وصية بونيفوي. كان ذلك في الثالث والعشرين واعتقدت أنه الثاني والعشرين. وهكذا، ما الذي حدث في الثاني والعشرين؟ ولكن من هو أو ماذا كان تاكسيل؟

وفكرة رؤية ذلك الزميل درومونت في يوم الثلاثاء هو الآن خارج الموضوع. لا أعرف مَن أنا، كيف تمكنت من لقاء شخص ما؟ عليَّ أن أختفي ريثما أجد حلاً. درومونت... أعتقد أنني عرفت مَن هو، نعم،

إذا حاولت التفكير فيه، فإن الأمر يبدو لي أن تفكيري كان معتماً بسبب النبيذ.

دعنا نفكر بإحتمالات أخرى، قلت مع نفسي. دالا بيكولا هو شخص آخر، ومهما كانت الأسباب غامضة فهو احياناً يأتي الى شقتي، الملاصقة لشقته الى حد ما برواق سّري. وفي مساء الحادي والعشرين من آذار/ مارس عاد الى شقتي في زقاق موبيرت غير السالك، ترك معطفه(لماذا) في شقتي؟ ثم ذهب الى شقته لينام، وفي صباح اليوم التالي إستيقظ. فاقداً لذاكرته. أما أنا فقد إستيقظت بعد الساعة الثانية صباحاً، فاقداً لذاكرتي ايضاً. في تلك الحالة، مالذي استطعت فعله في الثاني والعشرين من يوم الثلاثاء إذا أنا إستيقظت في الثالث والعشرين دون ذاكرة؟ فلماذا دالا بيكولا ينزع ملابسه هنا، ومن ثم، دون روب الرهبنة، ذاهباً الى مكانه - ولكن في أي وقت؟ كنت منذهلاً من رعب تلك الفكرة التي أجتاز فيها القسم الأول من الليل في السرير... يا إلهي، انهن النساء اللائي يملأنني رعباً، ولكن مع كاهن يكون الأمر أكثر رعباً. أنا أعزب ولكنني لست منحرفاً...

بطريقة أخرى، أنا ودالا بيكولا شخص واحد. ومنذ وجدت روب الرهبنة في غرفتي. بعد يوم القداس(في الحادي والعشرين) كان بإمكاني العودة الى زقاق موبيرت مرتديا زي دالا بيكولا(فإذا استطعت الذهاب الى القداس، فإنه يكون أكثر مصداقية إذا ذهبت كوني آبي) وقبل نزع روب الرهبنة والشعر المستعار، وبعد ذلك الذهاب الى النوم في شقة آبي(ناسياً أنني تركت روب الرهبنة في

شقة سيمونيني).بعد صباح اليوم التالي، في الثاني والعشرين من يوم الثلاثاء آذار/ مارس، إستيقظت أنا دالا بيكولا، ولم أجد نفسي بلا ذاكرة حسب، بل إنما لم أتمكن من إيجاد روب الرهبنة على أسفل السرير، كما دالا بيكولا بلا ذاكرة، لكن وجدت روب رهبنة آخر في الرواق، وكان لدي الوقت الكافي للهروب في اليوم ذاته الى أوتيويل، لأغيِّر رأيي حسب في نهاية اليوم، تسللت وعدت الى باريس في آخر ذلك المساء الى شقة موبيرت، علقت روب الرهبنة على المشجب في غرفة النوم.إستيقظت بلا ذاكرة مرة أخرى، ولكن كسيمونيني في يوم الأربعاء، معتقداً أنه مازال يوم الثلاثاء. وعلى هذا، لدي سبب أن، دالا بيكولا فاقد لذاكرته في الثاني والعشرين مِن اذار/ مارس، وبقى فاقد الذاكرة طوال اليوم، وجد نفسه في الثالث والعشرين مِن آذار /مارس أنه سيمونيني. ليس هناك استثناء مما تعلمت مِنْ – ما إسمه؟– ذلك طبيب العيادة في فنسينيس.

ثمة مشكلة صغيرة واحدة، أعدت قراءة ملاحظاتي. إذا كانت تلك الأشياء حدثت هكذا، فإن سيمونيني وجد نفسه في سريره في الثالث والعشرين، فإننا لا بد وأن نجد روباً واحداً وليس اثنين – أحدهما يكون قد تركه في ليلة الحادي والعشرين، والثاني في ليلة الثاني والعشرين. ولكن في الواقع لدينا روباً واحداً فقط.

لكن،كلا، أي معتوه أنا. عاد دالا بيكولا من أوتيويل الى رو ميتري – البرت في مساء الثاني والعشرين، وضع روبه، ثم غادر الى الشقة في شارع موبيرت ونام هناك، إستيقظ في صباح اليوم التالي(الثالث

والعشرين) كسيمونيني ووجد حسب رداءً واحداً على الرف، كان ذلك حقيقة، إن كانت الأحداث إتخذت ذاك الإتجاه، حين دخلت شقة دالا بيكولا في صباح الثالث والعشرين، فإنه يجب أن أجد الروب الذي تركه هناك في مساء الثاني والعشرين، ولكن ربما أعاد تعليقه في الرواق حيث وجده. كل ما أستطيع عمله هو أن أتحقق من الأمر.

سرت عبر الرواق، مع مصباح مضاء، وأنا أشعر بالذعر. إذا كان دالا بيكولا وأنا لسنا شخصاً واحداً، حادثت نفسي، ربما قد رأيته يظهر في النهاية الأخرى من الرواق، وربما ايضاً أنه يحمل مصباحاً أمامه... من حسن الحظ، لم يحدث ذلك. ووجدت الروب معلقاً في الزاوية البعيدة للرواق.

ومع ذلك، ومع ذلك... إذا كان دالا بيكولا عاد من أوتيويل، و،نزع الروب، وسار على طول مسافة الرواق المفضي الى شقتي ذاهباً بإرتياح لينام في سريري، فإنه في هذه الحالة قد عرف مَن أنا، وعرف أنه بامكانه أن ينام هنا تماماً كما لو كان ينام في سريره، معتقداً أن كلانا شخصاً واحداً. لأن دالا بيكولا ذهب الى سريره مدركا أنه سيمونيني، بينما في صباح اليوم التالي، إستيقظ سيمونيني غير واعٍ أنه كان دالا بيكولا. بمعنى آخر، أن دالا بيكولا فقد ذاكرته للمرة الأولى، ثم استعادها، ومن ثم ذهب للنوم وترك فقدان ذاكرته لدى سيمونيني .

فقدان الذاكرة... هذه العبارة، تعني عدم التذكر، تفتح فجوة في سديم الزمن ذلك الذي قد نسيته تماماً. أتذكر إنني أتحدث عن الناس مع فقدان الذاكرة في جيز ماغني، قبل أكثر من عشر سنوات مع بورو وبيورو، مع دي موري، ومع الطبيب النمساوي.

(٣)

جيز ماغني

فجر الخامس والعشرون آذار \ مارس 1897 ، جيز ماغني... وبقدر ما أتذكَر، إعتدت أن لا أتكلف أكثر من عشرة فرنكات في ذلك المطعم في شارع كونتريسكارب – دوفين، نوعية الطعام تناسب سعره. فأنا مغرم بالطعام الجيد، أنا اعرف ذلك، ولكنني لا استطيع تناول الطعام في مطعم فويوت كل يوم. في السنوات التي مضت، إعتاد الكثير القيام بزيارة غوتيه أو فلوبير أوعازف البيانوالبولوني المسلول الذي تحتفظ به إمرأة منحطة تتجول وهي مرتدية السروال. فذات مساء قمت بزيارة قصيرة هناك لكن نأيت بنفسي نحو جهة اليمين. ذلك أن الفنانين لا يطاقون، حتى ولو من بعيد، فهم دائماً ينظرون إلينا، ليروا إن كنا قد عرفناهم.

ثم توقف " الرجال العظام " عن الذهاب الى ماغني، وانتقلوا منه الى بريبانت – فاشيتي في جادة المتقاعدين، حيث بإمكان المرء ان يأكل أفضل ويدفع أكثر، لكن الواضح أن الشعر يعطيك الخبز carmina dant panem. وحين تحررت ماغني رحت أتحدث، إذا جاز التعبير، حتى شرعتُ بالذهاب بين الحين والآخرالى هناك في مستهل 80s '.

رأيت رجال العلم فيها، ومن بينهم الخيميائيون البارزون مثل بارثيلوت Barthelot، وكثيراً من الأطباء في مدينة سالبيترير Salpetriére، بيد أنَ المستشفى لم يكن قريباً تماماً منها، ولكن ربما إن أطباء المستشفى يجدون متعة في التنزه لفترة قصيرة في الحي اللاتيني أفضل من تناول الطعام في مطعم gargotes القذر حيث تذهب عوائل المرضى الى هناك. لأنَ النقاشات الطبية المتنوعة تشير الى وهن الآخرين، ولأنهم في ماغني يتنافسون بضوضاء، والجميع يتحدث بصوت عالٍ، فالإذن المتمرسة احياناً تستطيع التقاط بعض الأشياء الممتعة. والإصغاء لا يعني دائماً محاولة للفهم. وعلى كل حال، ربما أي شيء تافه، قد ينفع ذات يوم. بيد أن المهم هوأن تفهم أشياء الآخرون لا يعرفون أنك تعرف.

بينما يجلس الكتّاب والفنانون معاً دائماً الى موائد طويلة، يتناول العلماء عشاءهم وحدهم، كما أفعل انا. وبعد الجلوس الى الموائد المجاورة ولمناسبات عديدة، تآلفتُ مع عدد قليل من الأطباء، وأول معرفتي كانت مع الدكتور ديو موريه، وهو رجل كريه وقد اندهشت كيف صار طبيباً نفسانياً(وكان)، يكسب ثقة مرضاه بمثل هذا الوجه المتجهّم. كان شاحباً، وحسوداً ويجعل المرء يفكر أن قدره يبقيه دائماً في الدرجة الثانية. كان، في الواقع، مديراً لمستشفى سريري صغير للأمراض العصبية في فنسينس، بيد أنه يعرف الى حد بعيد، أن مهنته كطبيب نفساني، لن تتمتع بشهرة وإزدهار الطب كما شهرة الطبيب النفساني بلانشيه – رغم إن الدكتور موريه قد اعتاد أن يغمغم بسخرية

على مرضى الطبيب بلانشيه لمدة ثلاثين سنة قبل ان يتأكد أنهم مصابون بمرض الأعصاب(وعلى حد زعمه، أنه شاعر بجدارة) الذي ساقه للإنتحار بعد خضوعه للعلاج في مستشفاه السريري الشهير.

وثمة مجموعتان أخريان تتوزعان على الطاولتين اللتين تآلفتُ من خلالهما مع الطبيبين بورو وبيورو، وهما زميلان غير عاديين يبدوان توأمين، وكلاهما يرتدي بدلة سوداء ومعطفاً شبيهاً بمعطف توأمه، ولكل منهما شارب اسود طويل وذقن حليق بإعتناء، وياقة ليست نظيفة الى حد ما، ومن المحتوم، وكما كانا في باريس كمسافرين، أنهما تدربا في المدرسة الطبية في روشيفورت وقدِما الى العاصمة قبل أيام قليلة حسب، ليتابعا في كل شهر تجارب شاركوت.

" ماذا، لا يوجد كراث هذا اليوم؟ " سأل بورو في أحد الأيام بحنق، وأردف بيورو بإحتجاج: " لا، ليس ثمة كراث؟".

بينما إعتذر النادل، تطفلت أنا من المائدة المجاورة وقلت: "لكنهم يملكون فجلاً برياً وأنا أفضله على الكراث ". وبعد ذلك، وبإبتسامة، رحت أغني بعذوبة ".

étaient en train / au clair de lune /Tous les.légumes et les passant les / javascript:void(0) sàmuserjavascript:void(0)de / les sasifis / dansaient en rond , / les cornichons /regardaient. "dansaient sans brut...

وأقنعت مجموعة المائدتين بإختيار جذور الفجل. ومن هناك ابتدأت المعرفة الودية، وقررنا المجيء هنا كل يومين في كل شهر.

شرح بيورو" كما ترى، يا مسيو سيمونيني " إنَ الدكتور شاركوت يدرس مرض الهستيريا، وهو نوع من أنواع أمراض العصاب الذي تظهر أعراضه في مختلف الأمراض العضلية الناشئة عن أمراض عقلية، وحسية. وكان يُعدُّ في الماضي كواحد من مظاهر الأمراض النسائية حصرياً الذي يتسبب عن إضطرابات في وظائف الرحم، بيد أن شاركوت قد كوّن وجهة نظر عن أن أعراض تلك الهيستيريا توجد في كلا الجنسين. وربما يسبب أمراض الشلل، والعمى، والصمم، وصعوبة في التنفس، وتأتأة في الكلام ربما.

وقاطع بورو " يا زميلي العزيز، لم يذكرحتى الآن أنَ مزاعم شاركوت يجب أن تطور علاجاً لتخفيف تلك الأعراض." وكنت تماماً على وشك أن أصل الى ذلك، حين أجاب بيورو بغضب " إن شاركوت اختار مسارالتنويم المغناطيسي الذي يُعَدْ حتى الآن غزواً للدجالين أمثال مسمير Mesmer. وتحت تأثيرالتنويم المغناطيسي ينبغي أن يمكّن المرضى من إسترجاع أحداث التجارب الصادمة، التي هي أصل الهستيريا، وسيتعافون من خلال إعادة الوعي إليهم.

" وهل شفوا مِن علَتهم؟ "

"هذا هو الموضوع قال بيورو، يا مسيو سيمونيني، " وما يتعلق بنا، فإن ما يجري في سيلبيتير، هو في الغالب مشاعر شبيهة بعمل المسرح أكثر منه طبا نفسياً سريرياً، ودعنا نكون أكثر وضوحاً: إننا لا نرغب في النزاع مع القدرات التشخيصية الناجعة للسيد... "

وأكد بورو " لا تسألهم أبداً " إنَ تقنية التنويم المغناطيسي ذاته هي... "

أخبرني بورو وبيورو عن مختلف انظمة التنويم المغناطيسي إبتداء من طرق شعوذة ابي فاريا(وانوخزْت أذناي لإسم دوماشان، مع انه معروف جيداً بيد أن ما يسمى دوماس سرق القصص الحقيقية) وصولاً الى الدكتور برايد، الرائد الحقيقي لتلك القصص.

قال بيورو، " أفضل منومي المغناطيس " والآن هم يتبعون اكثر الإجرءات بساطة. "

واضاف بيورو " والأكثر فعالية، عن طريق تحريك ميدالية أو مفتاحاً أمام المريض، الذي يجب أن تلاحقهما عيناه بدقة، وفي غضون دقيقة الى ثلاث دقائق فإن بؤبؤي الضحية يتحولان الى حركة تذبذبية، ويبدأ النبض بالخفقان ببطء، وتسبل العينان، ويرتخي الوجه، ويبدأ النعاس الذي ربما لا يستمر أكثر من عشرين دقيقة.

وعلَق بورو "ويقال، إنَ هذا يجب أن يعتمد أكثر على الموضوع، لأنَ المغناطيسية لا تعتمد على إرسال المرونة الغامضة، كما يقول المهرج مسمير، بل تعتمد على ظاهرة الإيحاء. ويحصل المعلمون الروحيون الهنود على النتيجة ذاتها من خلال التركيز على أرنبة الأنف، ويركز رهبان مونت آثوز على سَرَّتهم.

ويضيف بورو: " إننا لا نؤمن كثيراً بصيغ هذه الايحاءات الذاتية. رغم إننا أنفسنا نطبق الأفكار التي طورها شاركوت ذاته، وقبل أن يثق كثيراً بتأثير التنويم المغناطيسي. إننا نتعامل مع حالات اختلاف

الشخصية، بمعنى آخر، مع المرضى الذين يعتقدون بأنهم شخصية واحدة في يوم ما وشخصية أخرى في يوم آخر، وكلاهما لا تعرف شيئاً عن الأخرى. وبصدد هذا الموضوع زار مستشفانا شخص يسمى لويس.

قال بيورو " إنها قضية مهمة، فهو يشكو من الشلل، والخدر، والإنقباض، والتشنج العضلي، وفرط الإحساس، وتهيج الجسد، والنزف، والسعال، والتقيء، والصرع، والخلاع، والسير اثناء النوم، ورقصة الست فيتوس، والتأتأة...

"قال بورو:" احياناً يعتقد إنه كلب، باخرة بخارية. و احياناً يشعر بوهم الإضطهاد، وانحسار الرؤية، وهلوسات ذوقية وبصرية وشمّية، وشعور زائف بالتدرن الرئوي المحتقن، وصداع، وإحتقان، ومغص المعدة، وإمساك، وفقدان الشهية للطعام، والضور، والنعاس الشديد، وهوس السرقة... "

قال بيورو: " بإختصار، إنها صورة طبيعية. ولكن بدلاً من العودة الى التنويم المغناطيسي، فإننا نستعمل عموداً حديدياً يوضع على الذراع الأيمن للمريض، وبعد ذلك، كما لو أنه طريقة سحرية، يظهر أمامنا إنسان جديد، ويختفي شلله وحساسيته من الجهة اليمنى وتنتقل الى الجهة اليسرى ".

واستمر بورو " كان أمامنا شخص آخر، لايتذكر أي شيء حدث له قبل لحظة. هذه حالة واحدة من حالات لويس الممتنع إمتناعاً كلياً عن تناول الكحول؛ وفي الآخر يتولد لديه ميل لشرب الكحول.

قال بيورو " ثمة ملاحظة، إنَ القوة المغناطيسية تفعل مفعولها حتى لو كانت على مسافة. فعلى سبيل المثال، إذا وضعنا قنينة محتوية على مادة كحولية تحت كرسي الشخص المعني دون علمه. فيحدث لديه حالة من حالات السرنمة " السرنمة: هي المشي أثناء النوم.. المترجم.. " فإن ذلك السائر سيعرض في نومه كل أعراض الإدمان على الكحول.

ختم بيورو كلامه " إنك تفهم أن ممارستنا تحترم السلامة العقلية لذلك المريض " إن التنويم المغناطيسي يجعل ذلك الشخص يفقد شعوره، بينما المغنطة لا تملك تأثيراً عنيفاً على أي عضو من اعضائه، ماخلا الشحن المتقدم لشبكة الأعصاب ".

ومِن تلك المحادثة كونت فكرة أنَ بورو وبيورو هما شخصان أبلهان عذّبا المجاذيب المساكين بمواد جارحة، وتأكدت من رأيي هذا حينما رأيت الدكتور دو موريه، الذي تابع المحادثة من المائدة المجاورة، وهو يهز رأسه مرات عديدة.

قال لي بعد يومين " ياصديقي العزيز، إنَ شاركوت ورجليَنا كلاهما مِن روشيفورت، فبدلاً من تحليل تأريخ سيرة حياة مرضاهما، عليهما أن يسألا نفسيهما ماذا يعني أن يأخذا حالتين من حالات الشعور، وينفقا وقتهما بالقلق عما إن كان من الأفضل إجراء تجارب تأثير التنويم المغناطيسي أو من خلال قضبان حديدية، والمشكلة هي أن كثيراً من المرضى يمرون من شخصية الى أخرى، بطريقة متزامنة، ودون مقدرتنا على التنبؤ كيف ومتى. ربما نتحدث عن تأثير التنويم

المغناطيسي الذاتي. وفي رأيي أن شاركوت ومريداه لم يقدموا إعتبارات كافية عن تجارب قضية الدكتورآزام وقضية فيليدا. إننا لا نعرف كثيراً عن هذه الظاهرة. وربما أن اضطراب الذاكرة ينتج عن طريق نقص في الدم ما زال غير معروف في فجوة من المخ وأن التقلص السريع في الشرايين الدموية ربما تحفزها حالة الهستيريا، ولكن في أي مكان من تلافيف المخ يحدث نقص الدم الجاري ويسبب فقدان الذاكرة؟ ".

" أين؟

" ذلك هو الموضوع. إنك تعرف أنَ مخّنا ينقسم الى نصفين. وربما هناك اناس يفكرون احياناً في النصف الكامل، واحياناً مع النصف غير الكامل الذي تكون فيه قدرة الذاكرة مفقودة. ففي مستشفاي السريري وجدت حالة مشابهة جداً لحالة فيليدا. فضلاً عن حالة إمراة شابة تتجاوز العشرين عاماً بقليل تدعى ديانا. "

وتوقف دو موريه للحظة، على نحو متلهف الى عرض قضية موثوق منها.

" تركها أحد أقاربها معي لغرض العلاج أكثر من سنتين، لكنه توفي بعد ذلك. وتوقف الدفع بالطبع، لكن ماذا سأفعل، هل أرمي الفتاة في الشارع؟ لا أعرف الكثير عن تأريخ حياتها. ويبدو، وطبقاً لما أخبرتني به، أنها خلال مرحلة مراهقتها، كانت تشكو من ألم كل خمسة أيام أو ستة في صدغيها نتيجة إثارة ما، وبعد ذلك تتهاوى كما لو أنها تريد أن تنام. وما سمّته هي نوماً، هو في الحقيقة، هجمة

هستيرية؛ وحينما تستيقظ، أو تهدأ، تختلف تماماً عمّا كانت عليه في السابق. بمعنى آخر، أنها تدخل بما وصفه الدكتورآزام بالحالة الثانية، second state. الحالة التي نطلق عليها الحالة الطبيعية، كانت ديانا تتصرف كمريدة لطائفة ماسونية.. . لا تسء فهمي، أنا ايضاً انتمي الى Grand Orient، التي أعني بها ماسونية الشعب المختار، لكن ربما تعرف أن ثمة أنواعاً من تقاليد " الطاعة " تقاليد أعضاء الماسونية مع نزاعات خاصة بالعلوم المستترة، وبعضها علم غامض ومن حسن الحظ، أنه ثانوي جداً – يميل الى طقوس شيطانية. ماذا يجب، ياأسفاه، سنعرّف حالتها الطبيعية normal state تعد ديانا نفسها مريدة للوسيفير الشيطان أو شيئاً مِن هذا القبيل. وقامت بعلامات فاجرة، إذ تكلمت عن حوادث مثيرة للشهوة، تحاول فيها إغواء أعضاء من طاقم التمريض من الرجال وأنا واحد منهم. وآسف أن أكون غير مهذب، وبشكل خاص مثل ديانا، وربما هناك مَن يقول عنها، إنها إمراة فاتنة. ومِن وجهة نظري، انها في هذه الحالة عانت من تأثيرات صدمات أثّرت فيها خلال مراهقتها، وحاولت الهرب من تلك الذكريات الدورية في الدخول في حالتها الثانية. وفي هذه الحالة تظهر ديانا لطيفة، ومخلوقا بريئاً؛ ومسيحية طيبة، وتسأل عن كتاب صلاتها والسماح لها بالذهاب الى القداس. لكن الظاهرة الغريبة، التي حدثت لفيليدا ايضاً، أن ديانا، في حالتها الثانية، حينما كانت فاضلة، تتذكر بوضوح كيف كانت تتصرف في حالتها الإعتيادية، وما تلبث ان تكتئب، وتشعر بالإحباط، وتتساءل كيف بإمكانها أن تكون سيئة، وتقرر معاقبة نفسها

بإرتداء قميص من شعر، وفي مثل هذه الحالة التي تسمى الحالة الثانية، حالتها العقلانية rational state، تشير الى حالتها الطبيعية لفترة حينما كانت فريسة للهلوسات. وفي حالتها الطبيعية، على كل حال، فإن ديانا لا تتذكر أي شيء مما قامت به في حالتها الثانية. وتناوب الحالتين في فترات لا يمكن التنبؤ بهما، واحياناً تبقى في الحالة الأولى أو الحالة الثانية لعدة أيام، وسأتفق مع الدكتور آزام متى تأتي حالة ما يسمى بالسرنمة التامةperfect somnambulism. إنها ليست السير أثناء النوم حسب، في الحقيقة، ولكن حتى أولئك الذين يتناولون المخدرات - الحشيشة، والبلادونا، والأفيون- أوسوء استخدام الكحول، يقومون بأشياء لا يعرفون متى يستيقظون منها مرة أخرى."

إنني لا اعرف لماذا يثيرني سبب مرض ديانا كثيراً، ولكنني أتذكر قولي الى دو موريه: " سأذكرها الى أحد معارفي الذي يتعامل مع حالات الحزن كهذه، ويعرف أين تكون فتاة الميتم أفضل بعد ذلك، سأرسل آبي دالا بيكولا إليك؛ فلديه الكثير من التأثير في المعاهد الخيرية ".

على الأقل أنني اعرف آبي دالا بيكولا حين أتحدث مع دي موريه، ولكن لماذا أنا قلق على هذه المرأة ديانا؟

كنت أكتب لساعات، حتى بدأ ابهامي يؤلمني، ثم تناولت طعامي على مائدتي، ونشرت الزبدة وال paté على الخبز،وقليلاً من شراب الشاتو لاتور لتنشيط الذاكرة.

أود أن أكافيء نفسي بشيء ما. لا أعرف ما هو، ربما أقوم بزيارة الى بريبانت- فاشيي، ولكن علي أن انتظر حتى أعرف نفسي من أنا، لأنني لا أرى مِن حولي تماماً. عاجلاً آو آجلاً، رغم إنني سأغامر بزيارة مدينة موبيرت لأجلب معي شيئاً ما أتناوله.

دعنا لا نفكر كثيراً في هذا الأمر في هذه اللحظة، ونعود الى كتابتنا.

خلال تلك السنوات(أعتقد أنها ٨٥' أو ٨٦') التي تعرفت فيها على ذلك الرجل في ماغني الذي ماأزال أسميه الدكتورالنمساوي أو(الالماني). وقد استحضرت إسمه في ذاكرتي الآن - كان يسمى فرويد(اعتقد أنه يُكتْب هكذا Froide)، دكتور في الثلاثين من عمره تقريباً ودائماً ما يأتي الى ماغني لأنه لا يحتمل البقاء في مكانه أكثر فقط، وإنه كان يعمل متدرباً مع شاركوت لعدة سنوات. جلس وحيداً بالقرب من الطاولة، وفي بداية الأمر إقتصر جلوسنا على إيماءات مهذبة لرأسينا. وكونت عنه رأياً، أنه كئيب بطبيعته، مريض في سهولته، رعديد ومتلهف الى شخص ما ليأتمنه وليخفف عن اعبائه. وفي ثلاث مناسبات وجد ذريعة لتبادل قليل من الكلمات، بيد أنني نأيت بنفسي عن ذلك.

مع ذلك فإن اسمه ليس له رنين اسم شتاينر أو روزنبيرغ، ومع ذلك ايضاً فقد تعرَفت على جميع اليهود الذين عاشوا وجمعوا نقوداً في باريس يحملون أسماءً ألمانية، وقد أثار شكوكي بأنفه المعكوف، وذات يوم سألت دو موريه مْن يقوم بإشارات غامضة، أضاف، " لست متأكداً،

ولكن على أية حال، من الأفضل أن ابتعد عن ذلك - اليهود والألمان هم خليط وأنا لا أحب مثل هذا الخليط ".

وسألت " أليس هو استرالياً؟".

" إنه الإسم، أليس كذلك؟ اللغة نفسها، تفكير واحد. ولن انسى البروسيين الذين يتخطون بالقرب مِن الشانزليزيه ".

" وقد علمت أنَ ذلك الطب هو من بين المهن التي في الغالب يمتهنها اليهود، وكثير من المرابين. إنه شيء جيد أن لا تكون بعوز للمال، وأن لا تكون مريضاً ".

" بيد أن هناك طبيباً مسيحياً ايضاً. " أجاب دو موريه بإبتسامة باردة.

يبدو أنني وقعت في زلَّة.

وهناك مفكرو باريس، الذين قبل أن يعبّروا عن نفورهم، من اليهود، تخلوا عن بعض أفضل اصدقائهم من اليهود. منافقون. أما أنا فليس لدي أصدقاء يهود(الله يسامحنا). وقد تجنبت مخالطة اليهود طيلة حياتي. ربما إنني غريزياً أتحاشاهم، لأن اليهودي(حاله حال الألماني) بإمكانه أن يعرِّفك من خلال رائحته الكريهة(مثل فكيتور هوغو Victor Hugo أكتبه fetor judaica). هذه وعلامات أخرى تساعدهم على التعرِّف على بعضهم بعضاً، كما يفعل اللوطيون. وقد اعتاد جدي أن يقول إنَ رائحتهم تعود الى استخدامهم المفرط للثوم والبصل، وربما لحم الضأن والأوز، ومصقول بسكر لزج يجعلهم سريعي الغضب. وهذا السلوك ينطبق على سلالتهم ذاتها ايضاً. دماؤهم ملوثة،

وأعـضاؤهم التناسـلية واهنـة. وكلـهم شـيوعيون- إنظـر الى مـاركس ولاسيل. وفي هذا الإعتبار، فإنَ يسوعيِّي كانوا مصيبين هذه المرة.

ونجحت في تجنب اليهود لأنني كنت احتفظ بأسماء بعضهم. ثمة يهـود نمـساويون، تحولـوا الى أغنيـاء، إنتحلـوا اسمـاء خياليـة، وأولعـوا بـشراء الأزهـار، والأحجـار الكريمـة أوالمعـادن الثمينـة، وتحولـت أسمـاؤهم الى سـلبرمان او غولدشـتاين. أمـا اليهـود الفقـراء فمـازالوا يحتفظون بأسماء مثل غرينزبان أي الفقراء(verdigris). أمَا في فرنـسا وإيطاليـا، فقـد تنكـروا لأسمـائهم عـن طريـق تـبني أسمـاء المـدن أو المكانات، مثل، رافينا، مودينا، بيكارد وفلاماند، أو استوحوا من تقاويم ثورية(فرومينت، وأفوين، و لوريي) – تماماً، كما أخفـى آباؤهم اسمـاء المؤلفين قتلة الملوك. لكن ينبغـي عليـك ايضاً أن تكـون منتبهـا للإسـم الأول الذي احياناً يخفي الأسماء اليهوديـة الحقيقيـة – مـوريس الـذي ينحدر من موسى، إيـسيدور مـن إسحاق، وإدوارد مـن هـارون، وجـاك من يعقوب، والفونس من آدم.

هل سيغموند هو إسم يهودي؟ فقد قررت غريزياً أن احـتفظ بمـسافة بيني وبين الدجال، ولكن ذات يوم سقطت من يد فرويد مملحة حين أراد ان يتناولها من مائدة اخرى. ومن أصول المجاملات السائدة هي أن تكون محترماً بـين الموائـد المجـاورة، ثـم عرضت عليـه مملحـتي، مذكراً إيَاه أنَ بعض الشعوب تتـشاءم مـن انـسكاب الملـح، وهـذا يعـني أنَ هناك شيئاً مشؤوماً سيحدث. ضحك قائلاً، إنني لا أؤمن بالخرافـات. ومـن ذلـك اليـوم ونحـن لا نتبـادل إلاَ قليـلاً مـن الكلمـات. وقـد إعتـذر

لفرنسيته التي وصفها بأنها مرقعة، ولكن من السهولة بمكان أن يفهمها الآخر. إنهم بدو بالسلوك ولكن يجب أن يتباروا مع جميع اللغات. وقلت بأدب " إنها مسألة استخدام، للإعتياد على أصوات تلك اللغة " ثم ابتسم لي مع الإمتنان. قذر.

ولأن فرويد يهودي فهو مداهن ايضاً. ودائماً ما أسمع أنه يقال، إن سلالته يجب أن تتناول طعاماً خاصاً بها حسب، ويطهى بطريقة خاصة ايضاً، ولهذا السبب أنهم يعيشون في أحياء الغيتو. في حين إن فرويد يأكل ويشرب بشراهة في كل ما تعرضه مدينة ماغني من أكل وشرب. ولا ينفر من كأس جعة يقدم له مع وجبة طعامه.

في أحد المساءات أراد أن يرفه عن نفسه بالذهاب الى احد المطاعم، وقد طلب كأسي جعة، وبعد تناول الحلوى، وهو يدخن بنرفزة، طلب كأساً ثالثاً. ومن ثم، راح يتحدث ويؤشر بيديه، ثم سكب الملح مرة ثانية.

إعتذر " إنني لست أخرقاً " " ولكنني الى حد ما. مشغول البال ". تسلمت آخر رسالة منذ ثلاثة أيام مضت من خطيبتي. ولم أكن أتوقع أنها تكتب لي كما كنت أكتب لها، كل يوم تقريباً، وكان صمتها هذا أقلقني طيلة تلك الفترة. تقول في الرسالة إنها واهنة؛ وما يزعجني أنني لم أكن معها. وأريدها أن تتحسن مهما فعلت أنا. أريد أن أسمع منها ماذا تعتقد عند تناول عشائي مع شاركوت. لأنك تعرف، يا سيد سيمونيني، إنني قد دعيت الى عشاء في بيت أعظم رجل قبل عدة مساءات. ولم يحدث هذا مع أي شاب يزور الطبيب، وهو أجنبي.

هنا، فكرت، إن الرجل ينحدر مِن سلالة ساميَة وحديث نعمة، يشق طريقه بين العوائل الراقية ليتقدم في سيرة حياته. كان متعلقاً بخطيبته ويخشى أن لا تخونه طبيعة الإحساسات الداعرة لليهودي، الذي يفكر دائماً بالجنس؟ إنك تفكر فيها في الليل، أليس كذلك؟ وربما تنأى بنفسك عن احلام اليقظة – وعليك ايضاً أن تقرأ تيسو. بيد أنني تركته يستمر في حديثه.

" كان الضيوف رجالاً متميزين، نجل دوديه، الدكتور شتراوس، مساعد باستور، البروفسور بيك من المعهد والفنان التشكيلي الإيطالي أميليو توفانو. وكان مساء كلفني أربعة عشر فرنكاً – وربطة عنق سوداء جميلة من همبورغ، وقفازين بيضاوي اللون، وقميصاً، ومعطفاً للمرة الأولى في حياتي. وللمرة الأولى في حياتي ايضاً أحدد فيها لحيتي، على الطريقة الفرنسية. وقد خجلت حينما استخدمت قليلاً من الكوكايين الذي أطلق لساني.

" الكوكايين؟ ألم يكن مادة سامة؟"

" كل شخص يتسمم إذا أفرط في تناول الجرعات، بما في ذلك النبيذ. بيد أنني درست هذه المادة لمدة سنتين. الكوكايين، كما ترى، إنها مادة قلوية مستخرجة من نبتة تستخدمها شعوب اميركا الجنوبية مضغة لمقاومة ذروة الأنديز Andean، وهي لا تشبه الأفيون أوالكحول، إنها تحفز الحالات الذهنية للإثارة دون أن تخلف تأثيرات جانبية. ومفيدة في تسكين الألم، وتستخدم بخاصة في طب العيون، أوعلاج الأكزمة، ونافعة في معالجة الإدمان والمخدرات. وناجعة في

إستعمالها ضد دوار البحر، ومفيدة لمرض السكري؛ وتمنع الجوع، والخمول، والإجهاد، انها مثل السِحر، وهي تعويض جيد عن التدخين، وتعالج سوء الهضم، والغازات، وأمراض الكبد، وتشنجات المعدة، ووسواس المرض، وتهيُّج النخاع الشوكي، وحمّى القش، ومقاومة لمرض التدرن، وعلاج الشقيقة،، ولحالات تسوس الأسنان الخطيرة، وحشوة من القطن منقوعة بنسبة أربعة بالمائة من المحلول توضع في فجوة وسيتلاشى الألم حالاً. وفوق هذا كلّه إنها مدهشة في معالجة المصابين في مرض الكآبة – وإعادة الثقة إليهم، ورفع معنوياتهم، وتجعلهم أكثر فاعلية وتفاؤلاً. "

والطبيب هو الآن في طريقه الى الكأس الرابع، وقد وصل بشكل واضح، الى حالة التسمم الكئيب. إنحنى للأمام كما لو أنه يريد الإعتراف.

" الكوكايين، كما أقول دائماً لمحبوبتي مارثا، إنه شيء رائع لشخص مثلي، الذي لا يعد نفسه جذاباً بشكل خاص، وكان في شبابه غرّاً والآن هو في الثلاثين قد توقف عن النمو. ومرّ عليَّ زمن كنت مفعماً بالطموح ولكني مُحبط في التعليم، ويوماً بعد يوم شعرت أن أمنا الطبيعة أحبطت هممي، ولم تمهرني بلحظات شفقتها، في أي علامة من الذكاء الذي تمنحه للناس بين الحين والآخر."

وتلاشى كل شيء، فجأة، في الهواء مع ذلك الذي كان يدرك أنه قد كشف عن روحه العارية.إنه اليهودي وينغ الصغير، كما اعتقدت. وقررت أن احتضنه.

تساءلت " هل صحيح ما يقال إن الكوكايين لا يثير الشهوة الجنسية جيداً؟"

واحمرّ فرويد خجلاً." إن ذلك من الفضائل، كما أفهم... بيد أنني ليس لديَ تجربة في ما يتعلق بهذا الموضوع. وكرجل، فإنني لا أميل الى هذا الصداع. لكن كطبيب، فإن موضوعة الجنس لا تهمني كثيراً، رغم إنها تُناقَشْ كثيراً في سالبيترير. واكتشف شاركوت أنَ أحد مرضاه، بالضبط أوغسطينه، وخلال مرحلة متقدمة من أعراضها الهستيرية، تُظهر أن صدمتها المبكرة جداً كانت نتيجة عنف جنسي أثر فيها خلال مرحلة طفولتها. ومن الطبيعي أنني لا أنكر أنَ من بين الصدمات ما تحفز الهستيريا وربما إن هذه الظاهرة مرتبطة بالجنس، هذا واضح تماماً. ولكن أعتقد إنه من البساطة جداً أن نخضع كل شيء للجنس. ربما إنَ حشمتي البرجوازية أبعدتني عن هذه المشاكل.

كلا، لا أعتقد، أنها حشمتك، لأنك مثل جميع الرجال المختونين في سلالتك موسوس بالجنس و في الوقت ذاته تحاول نسيانه. أنا اريد بالضبط أن اعرف، حينما تضع يديك البذيئتين على مارثا حبيبتك، إن كنت لا تنتج سلسلة طويلة من اليهود الصغار ولا تسبب لها مرض التدرن نتيجة اجهادها.

في هذه الأثناء إستأنف فرويد كلامه: " إنَ مشكلتي، لسوء الحظ، مشكلة أخرى. فقد أشبعت رغبتي من الكوكايين وأنا غارق في بحر من الكآبة. كان الأطباء في الماضي يقولون إنني مفرط في السوداوية. وقد تمكنت من ايجاد مركَب Merck and Gethe د، بيد أنهم توقفوا

عن صناعته، ويريدون إيجاد فطيرة من مادة خام لصناعته. والأوراق الطرية لهذه المادة تُصنع فقط في أميركا، وأفضل مُنتِج لها هو بارك وديفز Park and Davis في ديترويت وهو من أكثر النوعيات القابلة للذوبان، لونه صاف، مطعَم برائحة العطور. وأنا متواضع في استعماله، ولكنني في باريس لا أعرف أسال مَنْ ".

وشنَفت الآذان الموسيقى التي يعزفها موسيقار موهوب آتية من أحد المكانات الأكثرسرية في موبيرت أو من مكان مجاور له. إنني أعرف بعض الناس لا يكفيهم ذكر الكوكايين حسب، لكنهم يرغبون في الماس، اوجلد الأسد أو حامض الكبريتيك، وفي اليوم التالي يعيدونها لك، طالما إنك لا تسأل مُن أين وجدوها. وما يتعلق بالكوكايين، إنه مادة سامة، وأنا اعتقد، إنني لا أهتم في المساهمة في تسميم اليهود. وهكذا، أخبرت الدكتور فرويد إنني في خلال بضعة أيام سأحصل على تجهيزات جيدة من المادة القلوية، وبالطبع، إن الدكتور فرويد لا يتخيل أن طرقي لا عيب فيها للوصول الى أي شيء. أخبرته " إنك تعرف نحن جامعو التحفيات نلتقي بمختلف اصناف الناس.

كل هذا لا ينفع مع مشكلتي، لكن يساعد على توضيح كيف أننا، في نهاية الأمر، تعرفنا وتحدثنا عن كل أنواع الأشياء. كان فرويد بليغاً وسريع البديهة، ربما كنت مخطئاً – أنه لم يكن يهودياً. ومن السهولة بمكان الحديث معه أكثر من بورو وبيورو، وحديثنا انتقل الى تجارب ذينك الشخصين، ومن خلال ذلك أشرت الى مريض دو موريه.

وسألته " هل تعتقد أن تلك المرأة المريضة كان بالإمكان شفائها بمغناطيسيات بورو وبيورو؟"

أجاب فرويد، " صديقي العزيز، في كثير من الحالات أننا نفحص بدقة المظاهر الجسدية الفسيولوجية، وأهميتها. ناسين إن كان المرض يتطور، فأصله في الأغلب سايكولوجي. وإذا كان الأصل سايكولوجياً، ففي هذه الحالة علينا أن نفحص الدماغ، وليس الجسم. إذا كانت الحالة عصابية، فالسبب الحقيقي للمرض ليس عضلياً، ولكنه الآفة السايكولوجية الأصلية، هل الناس لا يشعرون بالوهن حينما يمارسون الإنفعالات القوية؟ وعلى هذا الأساس، فإن أولئك المصابين بمرض النرفزة، مشكلتهم ليس كيف أنهم فقدوا احساساتهم، ولكن ما سببته لهم هذه الانفعالات؟

" ولكن كيف تشخص تلك الانفعالات؟

" يا صديقي العزيز، حينما تكون الأعراض هستيرية لا لبس فيها، كما في حالة مريض دو موريه، فإن التنويم المغناطيسي يعيد انتاج تلك الأعراض ذاتها، ومن الممكن في الحقيقة العودة الى الصدمة الأولى. بيد أن هناك مرضى لديهم تجربة لا تحتمل ويبحثون عن محوها – ويبدو على نحو أنهم يخفونها في مكان ما في عقولهم يتعذر الوصول إليها، وليس بإمكان مؤثرات التنويم المغناطيسي الكشف عنها. ومرة أخرى، نتساءل لماذا حين نكون تحت تأثيرالتنويم المغناطيسي نمتلك قدرة سايكولوجية خارقة تفوق قدرتنا ونحن في حالة اليقظة؟"

" وهذا ما لم نعرفه حتى الآن..."

" لا تسألني أسئلة واضحة ومحددة. إنني لم أعبر عن افكاري كاملة حتى الآن. واحياناً أحاول أن أفكر في طريقة للوصول الى الهوَة العميقة حينما نحلم حسب. وفهم آباؤنا القدماءْ تماماً كيف يمكنهم عرض أحلامهم. وشعوري هو إن كان بإمكان المريض أن يتحدث. ويستمر في الحديث لفترة طويلة، لعدة أيام، مع إنسان يعرف كيف يصغي إليه، ربما، يصف ببساطة ماذا كان يحلم، ربما تبرز الصدمة الأصلية فجأة وتتوضح خيوطها. ففي اللغة الانجليزية ربما نستخدم تعبير الحديث علاج ,Talking cures وانك تلاحظ حينما تتحدث مع شخص عن حوادث بعيدة، وحينما تبدأ بوصفها فإنها سرعان ما تنثال عليك التفاصيل التي كانت في زمن النسيان، او بمعنى آخر، الأفكار التي نسيتها، ولكن في الحقيقة ما هي الأفكار والتفاصيل التي كان الدماغ يخزنها في تجويف سري. أنا أعتقد، كلما أعيد بناء التفاصيل أكثر كلما زاد احتمال بروز سلسلة الأحداث. وهنا، أريد أن أقول، إنَها تتضمن حتى الحقيقة المهمة، والتفصيل الغامض الذي يحتوي على تأثيراضطراب لا يمكن تحمله كي يمهد الطريق لعملية التحفيز... كيف تقول، Abtrennung a Beseitigung، لا استطيع أن أجد الكلمة المناسبة لها... في اللغة الانجليزية أستطيع أن أقول، removal إزالة. وماذا تقول في الفرنسية حينما يقطع عضو عن باقي الجسم... une ablation؟ نعم، ربما هو التعبير الصحيح وفي الألمانية هو Entfernung."

هنا، يبرز اليهودي. في ذلك الوقت كنت، وكما أعتقد، مهتماً فعلاً بمختلف أنواع المؤامرات اليهودية وطموحات تلك السلالة في أن يصبح أولادهم أطباء وصيادلة كي يهيمنوا على أجسام المسيحيين فضلاً على عقولهم. إذا كنت مريضاً، هل تريدني أن أضع حياتي بين يديك، وأخبرك بأشياء أنا شخصياً لا أعرف عنها شيئاً، وبهذه الطريقة تكون المتسيِّد على روحي؟ وهذا أسوأ مِن الإعتراف أمام الأب اليسوعي؟ لأنه على الأقل، بالإمكان الحديث معه، وسأحمي نفسي بإخفاء بعض الأفكار عنه، أو بالأحرى، إن الأشياء التي يقوم بها كل إنسان، فإنها توصف بذات التعابير التكنيكية تقريباً – أنا سرقت، وأنا زنيت، أنا لا أشرِّف والدي ووالدتي. وستخذلك لغتك الدقيقة تماماً. إنك تتحدث عن الإزالة على نحو تريد ختن عقلي...

في هذه الأثناء شرع فرويد بالضحك وطلب كأس جعة آخر.

لكن لا تعتبرآرائي هذه على إنها حقائق. إنها خيالات حالم، حينما أعود الى النمسا سأتزوج، وسأتفرغ، لرعاية أسرتي، وسأشيد عيادة طبية. وسأوسع ممارسات التنويم المغناطيسي، كماعلَمني إياه شاركوت، ولن أتطفل في التحديق في أحلام مرضاي. إنني لست مهبطاً للوحي. وهنا أنني مندهش، من المحتمل أن مريض دو موريه قد لا يستفيد من تناول القليل من الكوكايين.

ذلك يعتمد على كيفية إنتهاء الحديث. في ذلك الوقت، فقد خلّف في حينه بعض الإنطباع في داخلي. لكن بدا كل شيء يعود الى عقلي، ربما إنني في وضع لا أشبه فيه ديانا. لكن في الغالب أشبه

شخصاً طبيعياً فقد جزءً من ذاكرته. ماعدا حقيقة هي أنني ليس لدي فكرة الى أين انتهى الأمر بفرويد. لا شيء في العالم يقنعني بإعادة قصة حياتي حتى الى مسيحي طيب، أو حتى الى يهودي. وأما العمل(مهما يكن) فيجب أن أتحدث مع رجال أعمال آخرين، من أجل الدفع، لكن يجب ايضاً الإحجام عن الحديث عن كل تكاليفي. لكن ربما استطيع أن أعيد قصتي مع نفسي. وأتذكر الآن كيف أنَ(بورو) أو بيورو أخبراني أن رجال الدين يستخدمون التنويم المغناطيسي بالتحديق الى سِرّاتهم كي يُنيموا أنفسهم.

ذلك هو السبب الذي ساقني أن أقرر، وبعناد، الإحتفاظ بهذه المذكرات. وكتابة تأريخي الشخصي كما أسترجعته الى عقلي تدريجياً، والذي يتضمن تفاصيل غامضة تقريباً، الى(ما قاله فرويد) إعادة بروز العناصر الإنصدامية. ولكن سأقوم بذلك بنفسي. وأعالج نفسي، ولن يؤدي بي الأمر الى أيدي الذين يعالجون المسعورين.

وقبل أن ابدأ(رغم، إنني في الواقع بدأت يوم أمس) لأتمتع بزيارة الى جيز فيليب في مونتورغويل لأضع نفسي في إطار مناسب من التفكير لهذه الصيغة من التنويم المغناطيسي الذاتي. سأجلس بهدوء، وآخذ وقتي في تفحص قائمة الطعام – إحدى الوجبات التي ستقدم في الساعة السادسة مساءً وحتى منتصف الليل – واطلب potage à la Crécy من سمك الترس مع الصلصة، وشريحة لحم البقرlangue de veau au jus، ثم نأتي الى شراب مسكر ومثلج مع petit

fours، وشــراب يـــسهل ازدراد الطعــام وقنينــتين مــن خمــر عنــب البورغندي.

وفي منتصف الليل سأمر والقي نظرة على قائمة طعام العشاء. بما فيه شراب السلحفاة(وهو شراب لذيذ خطر في بالي مصنوع،عمله دوماس - هل عرفت دوماس؟) فضلاً عن سمك السلمون وبصل الربيع مع الخرشف والفلفل الجنوي الحار وشراب الرم وكيك إنجليزي حار الخ.. ومع الدخول في عمق الليل لا بد وأن أُمتع نفسي بوجبة شهية من طبق طعام الصباح وربما حساء الـ soupe aux oignons،الذي جلبه النادل الى فرقة لي هوليز ايضاً في تلك اللحظة، وكنت سعيداً بتصرفي مع تلك المجموعة. ولكي أهيء نفسي لعمل الصباح تناولت فنجان قهوة مركزة مع pousse – café الكونياك وماء الكرز.

وفي الحقيقة، شعرت قليلاً من الثقل، ولكن ذهني بقي مرتاحاً.

يا للأسف، لا استطيع أن أتمتع بمثل هذه الإجازة الجميلة. إنك لا تملك ذاكرة، تساءلت مع نفسي، فاذا قابلت شخصاً ما يعرفك في المطعم، ربما إنك لا تعرفه. فماذا تفعل؟

وتساءلت ايضاً ماذا سأفعل إذا جاءني شخص وشاهدني في المحل، سيكون الأمر جيداً مع زميل جاء يسأل بخصوص وصية بونيفوي، أوالمرأة العجوز التي باعت لي الخبز المقدس، لكن ربما إنَ الأمر سيكون اسوأ مع غيرهما. وهكذا، وضعت ملاحظة تقول، إنَ المالك سيكون في الخارج لمدة شهر، دون الإشارة الى متى يبدأ الشهر أو ينتهي. في هذه اللحظة تذكرت شيئاً آخر. يجب أن أعزل

نفسي هنا، بإستثاء الخروج في أوقات معينة لشراء الطعام. ربما سيكون التقشف مفيداً- من الذي يقول إنَ الذي حدث لم يكن نتيجة الإنغماس المتطرف. لكن متى؟ إن اليوم المشهود هوالحادي والعشرون؟

وربما مرة أخرى، ينبغي عليّ أن اشرع بإعادة فحص تأريخ حياتي في التأمل في سِرّتي، كما وصف بورو أو(بيورو)؛ في المعدة المليئة، لأنني لم أتقدم في العمر كثيراً، ويجب أن لا ابدأ بالنظر الى نفسي في المرآة.

وبدلاً من ذلك، جلست أمام هذه المنضدة، وشرعت في الكتابة دون توقف، دون تحريف، مقيداً نفسي بقضم شيء ما بين الفينة والأخرى، وأشرب- نعم، أشرب دون أن أكبح نفسي، وما هو أفضل شيء في هذا البيت هو سقفه الجميل.

(٤)
في يوم جدَي

السادس والعشرون، آذار/ مارس ١٨٩٧، طفولتي. تورين... أنا وأمي جالسان في شرفة تطل على منحدر تلٍ في الجانب الآخر من نهر بو. ثم رحلت أمي، والدي كان يبكي، كان جالساً في الشرفة التي تطل على التلال وقت الغسق. قال جدي إنها إرادة الله.

أتكلم الفرنسية مع أمي مثل أي بيدمونتي مهذب،(حين أتكلمها هنا في باريس، يبدو كما لو أنني تعلمتها في غرينوبل، حيث يتكلمون الفرنسية بطلاقة، وليس مثل باريسيي babil). ومنذ طفولتي شعرت أنني فرنسيا أكثر مني إيطالياً، والجميع في بيدمونت يفعل ذلك. لهذا السبب وجدت الفرنسية لغة لا تطاق.

~~~

الطفولة تعني تعلق جدي بي، أكثر مما تعني والدي ووالدتي. كرهت أمي التي غادرتني دون أن تقول لي شيئاً، وكرهت والدي الذي لم يقم بأي شيء لمنعها من الرحيل، وكرهت الرب لأنه شاء أن يحدث مثل هذا، كما كرهت جدي لأنه كان يعتقد أنه من الطبيعي أن يشاء الرب مثل هذا الفعل. والدي كان دائماً في مكان آخر - "صناعة إيطالية " كما اعتاد أن يقول عن نفسه. " صنعتُ إيطاليا ". ولم تصنعني إيطاليا.
~~~

كان جدي جيوفاني باتستا سيموניني ضابط سابق في جيش سافوي- وأعتقد أنه تركه في وقت الغزو النابليوني، وتطوع لخدمة الباربونيين في فلورنسا وبعدها، في توسكانا حين أمست تحت السيطرة البونابرتية ايضاً، وعاد الى تورين، وتقاعد برتبة كابتن. وهو يعيش خيباته.

كان أنفه ممتلىء بالثؤلول- وكل ما أستطيع رؤيته هو أنفه حينما كان يحملني قريباً من ذلك الأنف، واشعر أنَ لعابه يتقافز فوق وجهي. كان جدي كما يطلق عليه الفرنسيون حتى الآن ci-devant،أي الأنسان الذي يصاب بنوستالجيا إستعادة النظام القديم ancien règime، الذي لن يغفر لجرائم الثورة. ولن يتوقف عن إرتداء التنورة- وما زال يحتفظ بملابس جلدية - ضيقة ويضع مشبك ذهب تحت الركبة، ومشبك جلد لحذاء مصنوع من الذهب. وصدريته، وجاكيتته وربطة عنقه السوداء تضفي عليه ملامح كهنوتية. وانماط السلوك السالفة تفرض ايضاً إرتداء شعر مستعار مجفف، بيد أنه يرفض ذلك لأنه كما يقول، انهم يشبهون الغول حين يضعون فوق رؤوسهم شعراً مستعاراً كما في عصر روسبيرو.

لا اعرف إن كان غنياً، لكن ما أعرفه أنه كان لا يبخل حين يطرح موضوع الأكل الشهي. وأهم ما اتذكره في طفولتي مع جدي هو مكونات وجبة طعامه من ال bagna caöda: زيت مغلي في إبريق خزفي، مع سمك الشوفة المنكَه، ثوم وسمن، تحفظ وهي ساخنة في موقد فحم ويضاف إليها الحرشف البري(تترك منقوعة في ماء بارد

وعصير الليمون- والبعض يفضل إضافة كمية من الحليب، لكن جدي لا يفضل ذلك). فضلاً عن فلفل حار مشوي، وأوراق الكرنب السافوْيي بيضاء اللون، وخرشوف القدس، وقنابيط رقيق - أو خضار مسلوق: بصل، وشمندر، وبطاطس، وجزر(ولكن كما اعتاد جدي أن يقول، إنَ هذه هي مادة الفقراء المعوزين). وأنا أحب أن اتناولها، وجدي يمتع نظره وهو يراني اسمن مثل خنوص،(كان يقول هذا بتحبب).

راح جدي يحدثني ولعابه يرشني، يريد أن يربيني على وفق مبادئه:" إنَ الثورة يابنيًّ، قد جعلت منا عبيداً لدولة كافرة، أكثر ظلماً من ذي قبل وإخوة أعداء، وقابيل يقتل أخاه هابيل، و أن لا نكون احراراً، وليس من المستحسن ايضاً أن نملك كل ما نحتاجه. كان آباؤنا أكثر فقراً ولكنهم مع هذا أكثر سعادة لأنهم بقوا متمسكين بقوانين الطبيعة. فالعالم الحديث أنتج لنا البخار الذي سمم الأرياف، ونول الأنسجة الميكانيكية، التي سلبت العمل من كثير من النفوس البائسة ولم تنتج المصانع كما كانت في السابق. إن تركت الرجل على غاربه فإنه سيتحول الى شرير أكثر منه حراً. وما نحتاجه من حرية قليلة يجب أن تكون مضمونة بالإستقلال."

وموضوعه المفضل هو آبي بارويل. كنت في طفولتي في الغالب استطيع رؤية آبي بارويل، الذي يبدو أنه يسكن منزلنا، مع أنه قد مات منذ زمن.

واستطيع سماع جدي يقول، " كما ترى ياولدي، إن الثورة المجنونة قد هزت الأمة الأوربية كلها، وما فتئت الإشاعات تسري

لتؤكد أن الثورة لم تكن الفصل الأخير وليس آخر فصل من فصول المؤامرة العالمية التي يقودها فرسان الهيكل ضد العرش ومذبح الكنيسة.بمعنى آخر ضد الملوك – وبخاصة ملوك فرنسا – وأُمّنا الكنيسة المقدسة... وهذا كان رأي آبي باروبل، الذي كتب في نهاية القرن مذكراته،

Mémoires pour servir à l'histoir du Jacobinisme

وسألت بعد ذلك جدي، " وماذا سيفعل فرسان الهيكل بشأن ذلك؟" أعرف هذه القصة ظهراً على قلب، ولكن أردت أن اسمح لجدي إستئناف موضوعه المفضل.

" وفرسان الهيكل يا بنيَّ، هم نظام متطرف جبار دمرهم ملك فرنسا كي يستولي على ثروتهم، وأرسل أغلبهم الى مشنقة الحرق. بيد أن ما تبقى منهم أسسوا نظاما سرياً للإنتقام من فرسان ملك فرنسا ومن المؤكد تماماً، وحين قُطع رأس الملك لويس بالمقصلة، تسلق رجل غريب منصة المقصلة ورفع رأس الملك المسكين وهو يصرخ " لقد انتقمتَ، يا جاك دي موليه؟ وموليه هذا هو رئيس المحفل الصهيوني لفرسان الهيكل الذي احرقه الملك وهو في أبعد نقطة من منطقة ILe de la Cité في باريس.

" متى أُحرق هذا الموليه؟ "

" في ١٣١٤"

دعني أتحقق، ياجدي... كان هذا قبل الثورة بخمسمائة سنة تقريباً. وكيف استطاع فرسان الهيكل الإختفاء طيلة هذه القرون؟ "

إنهم تسربوا الى نقابات بنايات الكاتدرائية القديمة، ومن تلك النقابات ولدت الماسونية، الإنجليزية، واتخذوا من اسم تلك البنايات إسم الماسونية لأنَ أعضاءها إعتبروا أنفسهم بنائين أحرارا " free masons.

"ولماذا بدأ الماسونيون بالثورة؟ "

" لأنَ بارويل أدرك أن التنويريين Illuminati البافاريين إستولوا على السلطة وأفسدوا فرسان الهيكل الأصليين والماسونيين ! كانت هذه طائفة مروّعة، أسسها شخص معروف إسمه فيشاوبت Weishaupt، حيث يعرف كل عضو مرشده الروحي حسب، ولا يعرف عن المقامات السامية الأخرى وخططهم؛ وهدف تلك الطائفة ليس تدميرالعرش والمذبح حسب، بل لبناء مجتمع دون قوانين أو دون أخلاقيات، لذلك يجب أن تكون العائدات الشخصية بما فيها النساء ملكاً مشاعاً – ياإلهي اغفرلي إن أنا تلفظت مثل هذا الكلام الى طفل، ولكن لا بد من كشف خطط الشيطان. وتوحدوا مع البافاريين التنويريين، وشكلوا عصبة لرفض كل إيمان يجلبه أولئك الشائنون للمعرفة الموسوعية للوجود encyclopèdie ، وأعني بذلك، فولتير، ودي لامبير، وديدرو وغيرهم من الذين يستولدون الشر، ويستنسخون التنويرية، ويتحدثون الفرنسية في عصرالتنوير lumières Siècledes، وفي المانيا Aufklärung، أوالتنويرية، ويلتقون سراً للتآمر على سقوط العرش، في نادي يعرف باليعاقبة Jacobins "، وبعد ذلك أطلقوا عليه إسم جاك دي موليه نفسه. وهم فعلا الجماعة التي تآمرت على الثورة الفرنسية."

" ويفهم بارويل كل شيء عن ذلك."

" لكنـه لا يفهـم كيـف أن مجموعـة مـن الفرسـان المـسيحيين إستطاعت أن تنمـو بين طائفة عدوانيـة للمـسيح. مثل خميرة داخل عجينة – ولكن بالطبع، لا يمكن لها دون طحين أو ماء أن تتكون، كما أن العجينة لا يمكن أن تنتفخ. ولا يمكنك بالطبع دون ذلك أن تصنع خبزاً. لكن ما هي الخميرة التي صنعها إنسان ما، أو قدر، أو شيطان، وبقيت حيـة في جـسد الجمعيات الماسونية وفرسان الهيكل السرية لتجعل منها طائفة شيطانية في كل الأزمان كلها.

هنا توقف جدي، وضع يداً فوق الأخرى على نحو يريد أن يركز تفكيره، وارتسمت ابتسامة ماكرة على وجهه وكشف بتواضع محسوب وبإنتصار متواضع: إنَ جدك هو الذي يملك الشجاعة وأول مَن يقولها، يابنيَّ العزيز. وحالما تمكنت من قراءة كتاب بارويل، كتبت له. الآن اهبط ياولدي، واجلب علبة المجوهرات. "

نفذت تعليماته. فتح جدي العلبة الصغيرة بمفتاح ذهبي معلق في رقبته وأخرج ورقة، حال لونها الى اللون الأصفر بعد مرور أربعين سنة عليها. هذه الرسالة الأصلية التي صنعتُ منها نسخة خالية من العيوب والأخطاء لترسل الى بارويل."

رحت أراقب جدي وهو يقرأ الرسالة، بتوقفات دراماتيكية.

سيدي، تفضلكم بقبول تهنئات جندي وفيّ جداً، رغم إنني جاهل، ما ورد في كتابك، ربما وصف بحق العمل السامي للقرن الماضي. آه، كيف أزلتَ قناع تلك الطوائف البغيضة التي تمهد

الطريق لمعاداة المسيحية، أنها العدو الحقود، ليس للدين المسيحي حسب، بل لكل إيمان، ولكل مجتمع، ولكل مثال أعلى. وعلى كل حال، أنك ذكرت أحداها بصورة عابرة. ربما فعلت عن عمد، وفي الواقع، كما لو أنها معروفة جيدا، وفي النتيجة على الأقل يمكن أن تُخشى. ولكن من وجهة نظري أنها الأكثر رعباً هذا اليوم إذا أخذنا بنظرالاعتبار ثروتها العظيمة والحماية التي تتمتع بها في كل دولة أوربية تقريباً. إنك تدرك يا سيدي، أنني أشير هنا الى الطائفة العبرية، ولكن في الحقيقة ليس إليها. ويبدو كلياً أنها منفصلة عنها ومعادية، ولكن في الحقيقة ليست كذلك. فإنَ جميع هذه الطوائف تحتاج حسب الى أن تعرض نفسها كأعداء بإسم المسيح وتريد أن تشجعها، وتنفق عليها المال، وأن تحميها. وهل رأينا غير ذلك حتى الآن، وهل رايناها، تدعم السفسطة الحديثة وتقودها؟ والماسونيين واليعاقبة، والتنويرية بالذهب والفضة؟ واليهود لهذا السبب، مع جميع المتشيعين للطوائف الأخرى، هم جناح واحد يبحث عن تدمير إسم المسيح حيث أمكن. ولا أعتقد، يا سيدي، أن هذه المبالغة كلها هي من طرفي حسب. فأنا لم أشر الى أي طرف آخر عدا ما أخبرني به اليهود أنفسهم..."

" وكيف عرفت هذه الأشياء كلها عن اليهود؟"

" كنت تجاوزت العشرين من عمري تماماً وكنت ايضاً ضابطاً في جيش سافوي حينما غزا نابليون مملكة بيدمونت. إندحرنا في ميليسيمو، وضُمّت بيدمونت الى فرنسا. وكان هذا إنتصاراً

للبونابورتيين الكفرة، بدأوا بإصطيادنا نحن ضباط الملك ووضعوا في رقابنا حبال المشنقة. حد انتشرت شائعة أنه من الأفضل أن لا نتجول في المدينة بزينا العسكري، وأن لا نظهر أنفسنا أمامهم. كان والدي يعمل في التجارة، ولديه صفقات تجارية في الوقت نفسه مع مرابي يهودي كان متفضلاً عليه بديونه. كان يملك مكاتب جيدة إستأجرت أحدها لعدة أسابيع(بسعر عالٍ، بالطبع) كغرفة صغيرة مؤقتاً في الغيتو، الذي كان في ذلك الوقت مجاوراً تماماً حيث اسكن، بين فيان سان فيليبو وديلا روزين، الى أن تراكم الغبار فيها ثم غادرت المدينة واستقريت مع أقاربي في فلورنسا. وكان من الصعوبة بمكان الإختلاط مع هذا النوع من البشر بطريقة مريحة، ولكنه كان المكان الوحيد الذي لا أحد يحلم بموطيء قدم فيه - واليهود لا يغادرون ذلك المكان بإستثناء اولئك الناس المحتشمين الذين حافظوا على بقائهم فيه.

بعد ذلك وضع جدي يديه على عينيه على نحو يريد إزالة صورة لا يطاق مشهدها." وهكذا انتظرت أن تمر العاصفة، فقد عشت خلف تلك الشوارع الخلفية القذرة مع ثمانية أشخاص عاشوا في غرفة واحدة، وفيها موقد واحد للطهي، وسرير ودلو يقطر ماءً، وناس استنفدهم مرض فقر الدم، جلودهم مشمّعة، لا يمكن تصور زرقتهم التي تشبه زرقة شيطان الصين، يبحثون دائماً عن الزوايا المظلمة، ينيرهم حسب ضوء شمعة واحدة. لا تجد فيهم قطرة دم واحدة، ألوانهم تضرب الى الصفرة، لون شعر رؤوسهم يشبه لون الجيلاتين، لحاهم حمر غير

مشذّبة، وحين تكون سود، فمظهرها يشبه لون سترة طويلة تلاشى لونها...لا استطيع تحمل نتانة هؤلاء النزلاء الذين يتجولون في الفناءات الخمس. أتذكرها جيد- فناء غرانديه، وفناء دي بريتي، وفناء ديلا فيت، وفناء ديلا تافيرنا، وخامسهم فناء تيرازا، متصلة ببعضها بممرات يخيم عليها الرعب، وستجد اليهود حتى في ميدان كارلين، تجدهم في كل مكان، لان السوفويين أصبحوا مهذبين – لكن في ذلك الحين كانوا محتشدين أحدهم فوق الآخر في الممرات الضيقة التي لا تصلها الشمس، وهناك لا يجدون مَن يخيفهم من البونابورتيين، وسط هذا الحشد القذر المتزلف فقدت شهيتي للطعام.

توقف جدي، مسح شفتيه بمنديل، كما لو أنه يزيل طعماً وسخاً من شفتيه. " والفضل يعود إليهم في بقائي على قيد الحياة. ما هذا الإذلال. لكننا نحن المسيحيين إذا احتقرناهم لأنهم بالتأكيد ليسوا من صنفنا – وفي الحقيقة كرهونا ايضاً، بالطريقة ذاتها التي يكرهوننا بها هذا اليوم. وهكذا رحت أخبرهم أنني من أسرة يهودية في ليفورنو، وحينما نشأت لدى أقاربي كان من سوء حظي أنهم لم يعمدوني، بيد أنني بقيت يهودياً في أعماقي. ويبدو أن هذه الثقة لم تؤثر فيهم كثيراً، لأن كثيراً منهم شرح أنه كان في الحالة نفسها التي أنا فيها وأنهم لم يعودوا يعيروا كبير اهتمام لمثل هذه الأشياء. ولكن كلماتي جعلتني أنال ثقة رجل عجوز يعيش في فناء كورتيلا ديلا تيرازا المجاورة لفرن خبز فطائر."

هنا صار جدي أكثر حيوية وهو يسرد تلك المقابلة، كما راحت عيناه تتدحرجان ويداه تؤشران وهو يقلد شخصية اليهودي الذي كان يصفه." ويبدو أنَ هذا الموردخاي هو من سوريا، وقد كان متورطاً في حادثة مؤلمة في دمشق. إذ اختفى صبي عربي في المدينة. وليس ثمة أحد يشك في اليهود في بداية الأمر لانهم يعتقدون أنَ اليهود يقتلون الأطفال المسيحيين فقط في طقوسهم. وبعد ذلك، أُكتشفت بقايا أشلاء ذلك الصبي في مصرف المياه - أوصاله مقطعة آلاف ومسحوقة على ملاط مصرف تلك المياه. وتبدو آثار الجريمة مشابهة لتلك المنسوبة لليهود الذين شرعت الشرطة تعتقد مع مقترب عطلة عيد الفصح لليهودPassover، لأنهم في هذه العطلة هم بحاجة ماسة الى دم مسيحي ليصنعوا منه خبزهم، ولعدم وجود صبي مسيحي في حينه، فإنهم مرغمون على أخذ دم صبي عربي، ثم عمدوه، إستعداداً لذبحه."

وأوضح جدي " وكما تعرف أنَ التعميد هو دائماً عملية شرعية، مهما كان ذلك الذي يقوم بها، يجهِّزون ذلك الشخص المعمَّد ليقوم بالتعميد طبقاً لتعاليم الكنيسة الرومانية المقدسة. وهذا غدر يعرفه جيداً اليهود جميعهم ايضاً، ولايخجلون من ترتيل القول " سأعمدك كما سيعمد المسيحيون، وإن كانوا وثنيين فأنا لا أؤمن، ولكنني أؤمن بالذي سيقوم بعملية التعميد بإيمان كامل " ولكن الشهيد المسكين لديه فرصة جيدة للوصول الى السماء على الأقل. ورغم ذلك فشكراً للشيطان حسب. "

وشكّوا في مورديخاي حالاً. وكي يدفعوه للحديث، ربطوه من رسغيه خلف رقبته، ووضعوا أوزاناً برجليه، ورفعوه مرات عدة ببكرة ودعوه يسقط على الأرض. ثم وضعوا مادة الكبريت تحت أنفه ثم أسقطوه على ماء جليدي، وحين رفع رأسه دفعوه نحو الأسفل حتى اعترف. وبإختصار، كي يضع حداً لحياته، يقال إن الرجل المسكين أعطى خمسة أسماء من أسماء أشقائه الذين لا يستطيعون أن يقوموا بشيء ما من أجله.واعدم الأشقاء الخمسة حتى الموت ثم بعد ذلك اطلقوا سراحه، بعد أن خلعوا أوصال أطرافه. وبينا هو فاقد الإحساس، أشفق عليه شخص وحمله على سفينة تجارية مغادرة الى جنوة، لكن من ناحية أخرى، شرع يهود آخرون برجمه بالحجارة حتى الموت. ويقال في الحقيقة، إنَ ثمة قسيساً كان على متن تلك السفينة كان يغويه لإعادة تعميده ولم يمانع وبهذا وجد المساعدة حينما هبط على أرض مملكة بيدمونت، رغم إنه بقي مخلصاً في أعماقه لدين آبائه. وعلى هذا سيكون اسمه كما أطلقه عليه المسيحيون مارانو، عدا هذا أراد الوصول الى تورين بحثاً عن ملجأ في الغيتو ناكراً في أي وقت مضى أنه كان قد ارتد الى دين آخر؛ واعتقد كثير من اليهود أنه يهودي زائف ما لبث وفياً لإيمانه المسيحي الجديد حقاً – وهكذا، ربما يقال، إنَه تحول الى مارانو أكثر من مرتين، ولكن لا أحد يثبت أن كل الإشاعات التي كانت تأتي من الخارج هي نوع من الشفقة على مجنون بقي حياً يعيش على صدقة ضئيلة من الجميع، واقتصرت

حياته على العيش في حفرة لا يستطيع حتى الذين يسكنون في الغيتو أن يتجرأوا على العيش فيها.

وكل ما قام به من عمل في دمشق، زعم جدي أن ذلك الرجل العجوز لم يُصب بالجنون فعلاً. فقد كان ببساطة مفعماً بكراهية لا يخمد أوارها ضد المسيحيين، وفي تلك الزريبة دون نوافذ مسكَتْ يده المرتعشة رسغ جدي، وعيناه متلالئتان تحدقان إليه في الظلمة، وصرَّح أنه مِن الآن فصاعداً سيكرس حياته للإنتقام. وأخبره كيف أنَ تلمودهم يعظ بكراهية الطائفة المسيحية، وما هي السبل لإفساد المسيحيين، أنهم، اليهود، هم الذين اخترعوا الماسونية، التي أصبح أحد أعضائها الروحيين غير المعلنين. لهذا يقود المحافل اليهودية من نابولي الى لندن، ولكن عليه أن يبقى مختفياً، ويعيش سراً، منعزلاً عن العالم، كي لا يطعنه أحد اليسوعيين بالسكين من الذين يحاولون اصطياده في كل مكان.

وراح ينظر من حوله وهو يتكلم، كما لو أن يسوعياً مسلحاً بخنجر يمكن أن يظهر من احدى الزوايا المظلمة، ومن ثم يطعن أنفه علانية، واحياناً ينوح لحالته الحزينة، واحياناً أخرى يحافظ على الكتمان، أو ابتسامة انتقامية، متلذذاً بحقيقة أن العالم بأجمعه لا يدرك قوته الرهيبة. ولمس يد جدي بمداهنة مطلقاً عنان خياله. وأخبره فيما إذا كان سيمونيني راغباً جداً، فإن طائفتهم سترحب به بأذرع مفتوحة، ويريده أن يسمح له بدخول المحافل الماسونية.

وكشف لجدي أن كِلاً من ماني Many، نبي الطائفة المانوية، ورجل الجبل العجوز سيء الصيت، الذي خدَر سفاكيه قبل إرسالهم لقتل الأمراء المسيحيين، الذين كانوا من سلالة يهودية، أخبره أن الماسونية والتنويرية كان كلاهما من السلالة اليهودية. كما اخبره أن الماسونية والتنويرية قد اسسهما يهوديان، كما أسس ذينك اليهوديان الطوائف المناهضة للمسيحية جميعها، التي تشكل الآن عدداً كبيراً في العالم و تتضمن ملايين الناس في العالم، نساءً ورجالاً يحتلون مواقع، طبقية واجتماعية، وتضم رجالاً من الكنيسة وعدداً كبيراً من الكرادلة، وقبل هذا بمدة طويلة كانوا يبذلون جهدا لجذب البابا الى جانبهم(وبينما كان جدي على وشك أن يقول أخيراً، طالما كانت شخصية شكاكة مثل بيوس التاسع بلغ عرش السنت بيتر، لا تبدو الفكرة بعيدة الإحتمال تماماً)؛ واخبرني أن اليهود أنفسهم يتظاهرون بأنهم مسيحيون كي يخدعونهم أكثر، ويسافرون حول العالم من مكان الى آخر وهم يحملون شهادات تعميد مزورة اشتروها من راعي الأبرشية، وبالمال والخداع كانوا يأملون من الحصول على اعتراف حضاري من كل حكومة، كما يفعلون في كثيرمن البلدان؛ وحصلوا فعلاً على حقوق المواطنة مثل أي مواطن آخر بإمكانه أن يشتري بيوتاً وأراضٍ، عن طريق المرابين الذين يجردون المسيحيين من عقاراتهم وثرواتهم؛ وأنهم بذلك أقسموا أن يكونوا حكام العالم في أقل من قرن، ليمحوا الطوائف جميعها لتمسك طائفتهم وحدها بعنان

قمة الحكم لبناء معابد يهودية كما لو أنها كنائسهم ويخضعون الجميع للعبودية.

" هذا " إختتم جدي، " ما كنت اخبرت به بارويل. ربما قد بالغت قليلاً، بقولي إنني تعلمت من جميعهم ما هو حقيقة، وما سمعته من رجل واحد حسب، ولكنني كنت وما أزال مقتنعا أن ذلك الرجل العجوز كان يسرد الحقيقة. وهذا ما دونته أنا. فدعني أنتهي من قراءته.

واستأنف جدي القراءة:

"يا سيدي، هذه هي الخطط الغادرة للأمة العبرية، التي سمعتها بتينك الأذنين. لذلك، سيكون من المستحسن جداً أن يتناول ذلك قلم مقنعاً ومتميزاً مثل قلمك الذي سيفتح عيون الحكومات آنفة الذكر، ويوجهها الى عودة تلك الشعوب لممارسة حقها الصحيح في الإعتراض، والذي سعى إليه آباؤنا بتبصر وحكمة للحفاظ عليه. وهنا، ياسيدي، أدعوك لتقوم بإسمي، للعفو عن جندي إيطالي، عن أي خطأ قام به، ربما تجده في هذه الرسالة. إنني أتمنى عليك باسم الرب الكريم لمكافأته السخية بالكتابات المنورة التي كرستها في كنيسته المقدسة، وربما أنه قد يوحي الى أولئك الذين يقرؤونها، ولك خالص التقدير، والى الذين تشرفت بهم، سيدي،عبدك المتواضع والمطيع جداً، جيوفاني باتستا سيمونيني. "

واسأل جدي في هذا الموضوع وفي كل مناسبة، يعيد فيها الرسالة الى الخزانة " وماذا قال آبي بارويل؟ "

" إنـه لم يتلطَـف علـيّ بالإجابـة. ولكـن لـدي بعـض الأصـدقاء الجيدين في رومان كيوريا، إكتشفوا أن هذا الجبان كان يخشى من انتشار مثل هذه الحقائق، التي ستسبب مذبحة لليهـود، الـذي لا يريـد أن يثيرها لأنه يعتقد أنَ ثمة أناساً أبرياء بينهم. والأدهى من ذلك، حينمـا قـرر نـابليون مقابلـة ممثلـي المجلـس الأعلـى لليهـود القدماءGrand Sunhedrin، للحصول على دعمهم لطموحاته، كانت هناك تهديدات من اليهود الفرنسيين في ذلك الوقت لابد وأن تكـون لها تـاثيرات– ولا بـد ايضاً مـن أن شخـصاً أخـبر آبـي باروبـل أنـه مـن الأفضل له اَن لا يثير مشكلة. لكن في الوقت ذاته شعر بارويل أنـه لـن يطيق صبراًعلى السكوت، لهذا السبب أرسل رسالتي الأصلية الى الحبر الأعلـى بونتيـف بيـوس الـسابع، واستنـسخ اعـداداً كـبيرة منهـا الى الأساقفة، ولا تهم البقية، لأنه حمل الرسالة الى الكاردينال فيش، ومن بعد ذلك الى كبير الأساقفة غولز، وبهذا استطاع إخبار نابليون. وقام بالفعل ذاتـه بإخبـار رئـيس الـشرطة في بـاريس. وشـرطة بـاريس، كمـا أُخـبرتُ، نفـذت تحقيقـاً، في رومـان كوريـا ليتأكـدوا أنـني شـاهد ثبـت معتمد عليه. يا للعنة الشيطان،– قلما ينكرها الكرادلـة ! وبإختـصار، كـان بارويل يتلقى هجوما سرياً: إنه لايريد أن يثير أي مشكلة أكثر مما سببه كتابه حالياً، بيد أنه حينما تظاهر بالكتمان كان يرسل نصف اكتشافاتي الى العالم ويجب أنَّ تعلم أنَ بارويل قد تربى على تعاليم يسوعية حتى مجيء لويس الرابع عشر حيث طردهم من فرنـسا، ومـن ثـم اُتخـذت بحقه قرارات كقس كـاذب، بإستثناء تحولـه الى يـسوعي مـرة ثانيـة في

عهد بيوس السابع الذي استرد حقوقه كاملة في الكهنوتية. وكما تعرف، أنني كاثوليكي متحمس ومعترف اعترافاً كاملاً لا نقص فيه، ولكن اليسوعيين هم دائماً اليسوعيون - يقولون شيئاً ما ويفعلون شيئاً آخر، يعملون شيئاً ما ثم يقولون شيئاً آخر - وتصرف بارويل بطريقة لا تختلف عن هذا النهج.

وضحك جدي ضحكة خافتة، وبصق وهو يغمغم، من خلال ما تبقى له من أسنان قليلة، وهو يستمتع بوقاحة مريرة " إذن هذا هو الموضوع، ياعزيزي سيمونيني، أنني أمسيت شيخاً، فأنا لا أريد أن أكون الصوت المنفرد في البرية، فإذا هم لا يريدون الإستماع إليَّ، فعليهم أن يجيبوا بأنفسهم عن ذلك أمام الله القدير، لكنني اجتزت لهب الشهادة نيابة عنكم أنتم أيها الشباب. بيد أن قوة أولئك اليهود الملعونين أخذت تتفاقم بإضطراد، وعاهلنا الجبان كارلو البرتو يبدي مزيدا من التساهل معهم، ولكنهم سيطيحون به عن طريق مؤامراتهم.

وسألت " وهل يتآمرون هنا في تورين ايضاً؟"

نظر جدي من حوله، كما لو أنَ شخصاً ما يصغي الى كلماته، بينما ظلال الغسق تلقي بظلامها على فضاء الغرفة قال، "هنا وفي أي مكان آخر، إنهم سلالة ملعونة، ويقول تلمودهم " أي إنسان يقرأه يجب أن يؤكد هذه العبارة- على اليهود أن يلعنوا المسيحيين ثلاث مرات في اليوم ويسألوا الرب أن يفنيهم ويدمرهم، وإذا صادف أحدكم مسيحياً على جرف فعليه أن يدفعه للهاوية. لكن، هل تعرف لماذا أُطلق عليك اسم سيمونينو؟ أنا طلبت من والديك أن يعمداك تخليداً لذكرى

سانت سيمونينو، الطفل الشهيد، الذي إختطفه اليهود في القرن الخامس عشر بالقرب من ترنت. و قتلوه خنقاً ليستخدموا دمه في طقوسهم.

~ ~ ~

" فاذا لم تحسن التصرف وتذهب مباشرة للنوم، فإنَ مورديخاي المرعب سيزورك هذه الليلة. " بهذه الطريقة يهددني جدي. إنَه من الصعوبة الذهاب للنوم في غرفة صغيرة على سطح المنزل، أُصغي السمع الى طقطقة البيت القديم، متوهماً سماع قدمي الرجل العجوز المزعج على درجات السلم الخشبية، قادماً بإتجاهي ليسحبني الى عرينه الجهنمي، ليطعمني خبزا شبيها بفطيرة مغموسة بدم اليتامى الشهداء. هذه قصص أخرى سمعتها من ماما تيريزا تبعث في داخلي إضطراباً، ومن الخادم العجوز مرضعة والدي أسمع أنها ما زالت تجر قدميها حول الدار، متخيلاً مورديخاي الفاسق يسيل لعابه ويدمدم، "فيبي، في، فو، أنني اشم رائحة دم صبي مسيحي. "

~ ~ ~

كنت في الرابعة عشرة تقريباً، حاولت مرات عدة الذهاب الى الغيتو الذي تحول الآن الى نزيزة، خارج تخومه القديمة، منذ أن تم إزالة كثير من القيود في بيدمونت. ربما التقي مع بعض اليهود أثناء تجوالي في حدود العالم المحرمة تلك ، بيد أنني سمعتهم يقولون إنَهم هجروا أساليبهم القديمة منذ قرون. قال جدي " إنهم متنكرون، يمرون في الشارع من أمامنا دون ان نميزهم." وبينما كنت أتجول

في تلك الحدود، التقي بفتاة شعرها اسود تعبر ميدان كارلينا كل صباح حاملة سلة مغطاة بملابس الى محل قريب. نظراتها نارية، عيناها حريريتان، ملامحها غامقة... من المستحيل أن تكون يهودية، ولا يمكن لأولئك الرجال الذين وصفهم جدي، بملامح جشعة، وعيون سامة، أن ينتجوا نساءً مثل تلك الفتاة التي قدِمت من الحي اليهودي.

هذه هي المرة الأولى التي انظر فيها الى امرأة ماخلا ماما تيريزا، ورحت أخط الشارع ذهاباً إياباً كل صباح وقلبي يخفق بعنف كلما رأيتها من على مسافة. وفي الصباحات التي لا أراها فيها، أروح أتجول حول الساحة كما لو أنني أحاول أن أجد مهرباً في الشارع، ولكني أرفض أي امرأة أخرى، وأتسمر في مكاني هناك في وقت كان جدي ينتظر عودتي. أجلس مرعوباً الى طاولة وأنا أقضم رغيف خبز.

وذات صباح تجرأت لإيقافها، وعيناي بإتجاه الأرض، وطلبت منها أن أحمل سلتها. أجابتني بوقاحة، وبلهجة، أنها بإمكانها أن تحمل سلتها، لكنها لم تنادني بـ monssùe، بل بـ gagnu، صبي، وقفت أتطلع إليها. ولم أرها منذ ذلك الحين. شعرت بالإهانة من فتاة صهيون. ربما إنني أحمق؟ في الحقيقة، هذه إشارات لبداية حربي مع بنات حواء.

~~~

في مرحلة طفولتي، رفض جدي إرسالي الى مدرسة حكومية لأنه يعتقد أنَ المعلمين جميعهم كاربوناريين وجمهوريين. لذا أنفقت كل تلك السنوات وحيداً في البيت، أراقب بإمتعاض لساعات أولئك
~~~

الأطفال الذين يلعبون على ضفة النهر، وكما لو أنهم يسلبون مني حصتي في اللعب معهم. وأقضي بقية الوقت حاجراً نفسي في غرفة أدرس فيها مع أب يسوعي يختاره جدي دائماً، طبقاً لعمري، من بين غربان سود تحوم حول المنطقة. فقد كرهت المعلم في تلك اللحظة. ليس بسبب طريقة معاقبتي بالضرب على أصابعي حسب، بل لأن والدي(الذي يقضي معي أوقاتاً قصيرة يكون فيها شارد الذهن) غرس في داخلي كراهية القساوسة.

" لكن معلميَّ ليسوا قساوسة أنهم آباء يسوعيون " هكذا اعتدت أن أسميهم.

رد والدي " بل أسوأ، لا تثق باليسوعيين. هل تعلم ماذا كتب أحد القساوسة القديسين(أقول قساً، وليس ماسونياً، أو كاربوناريا، أو أحد التنويريين الشياطنة- كما أعتقد أنهم كذلك- إنه الأب غيوبيرتي، ذلك القس الورع) انها اليسوعية هي التي، تعذب، وتزعج، وتشوه السمعة، وتضطهد، وتدمرالرجال الأحرار؛ أن اليسوعية هي التي تدفع بالرجال الأخيار والبواسل خارج المواقع العامة وتحل محلهم آخرين خسيسين وحقيرين؛ أنها اليسوعية التي ترخي، وتعوق، وتعذب، وتضايق، وتربك، وتضعف، وتفسد التربية العامة والخاصة منها بآلاف الأساليب، التي تغرس الألم، وعدم الثقة، والكراهية، والبغضاء، والقلق، والنزاع، علانية وسراً بين الأفراد، والعوائل، والمؤسسات، والطبقات، والحكومات والشعوب؛ أنها اليسوعية التي تضعف العقول، وتدجن القلوب والرغبات، وتحولها الى حالة من الكسل شبيهة بكسل

الحيوانات الثديية، كما توهن الشباب من خلال نظام واهٍ، وإفساد الكبار من خلال الإذعان، وتبني اخلاق منافقة، تقاتل، وتضعف، وتقمع الصداقة، والعلاقات الداخلية، والطاعة البنوية، والحب المقدس الذي يُشْعِر الناس بوطنهم...(وقال) ليس ثمة طائفة مثلها في العالم جافة جداً، وقاسية، ومتحجرة القلب، حينما توشك مصالحها على المحك، كما تعرضت له شركة المسيح. وخلف ذلك الوجه اللطيف والمغري، وتلك الكلمات المعسولة، و الأخلاق الدمثة جداً، هو ذلك اليسوعي الذي يستجيب بجدارة لنظام وتعليمات رؤوسائه الذين قُدت قلوبهم من حديد لإختراق المشاعر السامية والعواطف النبيلة. إنها تطبق بصرامة فلسفة مكيافيلي على دولة قائمة على أسس ثابتة جيدة، دون اعتبارات لمبدأ الخطأ أو الصواب، أو العاطفة أو القسوة. ولهذا السبب تعلم شبابها في معاهد لاهوتية بعيدة عن تهذبب العواطف العائلية، ولا يتخذون لهم اصدقاء، بيد أن لديهم الإستعداد لطاعة مسؤوليهم في أدنى مواطن ضعفهم حتى لدى أقرب رفقائهم، للسيطرة على نبضات القلوب، وتقديم ولاء الطاعة التامة perinde ac cadaver. وقال غيوبيرتي رغم إنَ هنود فانسيغارس، أو كابتي الحرية، أو الشناقين ضحوا بأجساد اعدائهم من أجل تقديم طاعتهم، يقتلونهم بالخنق أو السكين، ويقتل يسوعيو ايطاليا الروح بقطع الألسن كالزواحف، أو بأقلامهم.

واردف والدي، " كنت استمتع دائماً، ببعض تلك الأفكار التي يستقيها غيوبيرتي من رواية اليهودي المتجول، The wandering Jew، بقلم أوجين سو، التي نشرت قبل سنة."

~~~

والدي. النعجة السوداء بين افراد العائلة. قال جدي كان مختلطاً مع الكاربوناريين، ولكن حينما ذكرت هذا لوالدي، قال لي، بهدوء لا تصغِ الى مثل هؤلاء الهائمين على وجوههم. وقد تجنب الحديث معي عن مثالياته، وربما خجلاً، أو احتراماً لوجهات نظر والده، أو تحفظا مني. ولكن هذا يكفي تعلقاً بي أن اسمع مصادفة من والدي مع آبائه اليسوعيين، أو التقط ثرثرة بين ماما تيريزا مع ولي الأمر، لأدرك أن والدي من بين أولئك الذين لا يؤيدون الثورة ونابليون حسب، بل يتحدث عن ذلك الإيطالي الذي هز سلطة الإمبراطورية النمساوية، والبوربون، والبابا، لتتحول الى أمة(ثمة كلمة لا يمكن لفظها في حضور جدي.)

~~~

تلقيت تعليمي الأساس على يد الأب بيرتوسو، الذي يملك وجهاً يشبه وجه ابن عرس، وكان الأب بيرتوسو هو مَن علمني تاريخنا الحاضر(بينما علمني جدي التاريخ القديم.)

وأخيراً، هناك إشاعة بدأت تنتشر حول نشاطات الكاربوناريين – ووجدتُ أخباراً عنهم في الصحف التي تصلنا موجَهة الى والدي الغائب، واستولي عليها قبل أن يدمرها جدي. وعليَّ أن أتذكر متابعة

الدروس اللاتينية والألمانية التي يعطيني إياها الأب بيرغاماشي، الذي كان صديقاً حميماً لجدي وقد هيئت له غرفة صغيرة في الدار، ليست بعيدة عن غرفتي. والأب بيرغاماشي، يختلف عن الأب بيرتوسو ،أنه شاب جميل الطلعة له شعر مجعد، وقسمات وجه متسقة، وطريقة كلامه ساحرة، وفي البيت على الأقل، يرتدي روبه الأنيق بهيبة، وأتذكر يديه البيضاوين وأصابعه المستدقة، وأظافر أطول مما يتوقع لقس مثله.

وغالباً، ما يراني منكباً على دروسي، يجلس الى جانبي، يطرق على رأسي، ويحذرني كثيراً من مخاطر قد تهدد شاباً متهوراً، وأخبرني أنَ الكاربوناريين لم يكونوا اكثر من غطاء لذلك البلاء العظيم، الشيوعية.

قال،" الشيوعية، تبدو أنَها لا تشكل خطراً منذ حين قريب، ولكن الآن، وبعد بيان مارش Marsch،(أو هكذا، لفظها)(يعني بها ماركس.. المترجم)، يجب علينا أن نكشف عن مؤامراتهم. إنك لا تعرف شيئاً عن بابيت انتيرلاكن، إبنة اخت الرجل العظيم الثري، فيشاوبت weishaupt وهي التي أطلق عليها إسم بتول الشيوعية السويسرية العظيمة.

ومَن الذي يعرف لماذا أنَ الأب بيرغامشي بدأ ينتابه قلق على الصراعات الدينية بين الكاثوليك والبروستانت في سويسرا أكثر من قلقه على العصيان في ميلان وفينا الذي نوقش كثيراً في ذلك الوقت.

فقد ولدت بابيت في بيئة جريمة، وعاشت حياة الفسوق، والسرقة، والإختطاف، وسفك الدماء. إنَها لا تؤمن بالإله. فضلاً عن ذلك كانوا

يسمعونها تشتمه. وهناك مناوشات في أسفل لوسيرن، قتل الراديكاليون فيها العديد من الكاثوليكيين في أقدم الكانتونات، كان اتباع بابيت هم الذين يمزقون قلوب وعيون ضحاياهم. أمَا بابيت بشعرها الأشقر الذي تلعب به الريح، مثل عاهرة بابل، فتخفي تحت عباءتها تعاويذ السحر، والحقيقة هي رسول المجتمعات السرية، وأنها العفريت الذي يوزع الحان الأوركسترا لجميع انواع الخدع والمكائد لتلك الجمعيات الغامضة. وبابيت تظهر ثم تختفي كوميض غول، تحمل أسراراً لا يمكن سبر اغوارها، تعترض رسائل دبلوماسية دون التدخل في أختامها، تنزلق مثل صلٍّ في أغلب مجالس الحكومات الخاصة في فينا، وبرلين، وسنت بطرسبيرغ، تفحص الرسائل المزورة وتغير التفاصيل في جوازات السفر. تعلمت فنون السحر منذ طفولتها، وعرفت كيف تمارسها كقائدة للطائفة. ويبدو أنها موسوسة بالأعمال الشيطانية، مثل طاقتها غير المستقرة، ونظرتها الفاتنة.

وجفلتُ، وحاولتُ أن لا أُصغي، ولكن حين جنَ الليل حلمت وأنا بين النوم واليقظة ببابيت انتيرلاكن، حاولت أن احجب صورة ذلك العفريت الأشقرالذي يتطاير شعره على أسفل كتفيه، وبالتأكيد أنها كانت عارية، ذلك روح الغول، العفريت، بنهديها الجذلين الثقيلين الكافرين، وبغرور مفعم بالإثم. نعم، حلمتُ بها نموذجاً للتقليد، يملؤك رعبا بمجرد ما تفكر بتمشيط شعرها بأصابعها. وتقتُ الى أن أكون مثلها، عميلاً سرياً كامل الطاقة بإمكاني تزوير الجوازات وقيادة ضحايا من الجنس الآخر الى الهلاك.

يحب أساتذتي تناول وجبات الطعام الجيد، وهذا العيب يجب أن يصاحبني حتى سن الرشد. فأنا أتذكر أوقات الطعام، كئيباً أكثر من كآبة الاجتماعات الحيوية للآباء الطيبين الذين يناقشون وجبة الطعام bollito misto اللذيذة، التي يطهيها جدي كما تعلمها.

وكمية المواد المطلوبة في طهيها على الأقل نصف كيلو من فخذ لحم البقر، وذيل الثور، وقليل من السجق، وقطعة من لسان ورأس العجل، ونقانق cotechino، ولحم دجاج مغليّ، وبصل، وجزر، وكمية من الكرفس، وقبضة بقدونس. تترك هذه الوصفة بأنواعها لفترات من الوقت طويلة بعض الشيء، وهذا يعتمد على نوع اللحم. بينما كان جدي يصر ويؤكد اصراره الأب بيرغاماشي بإنحناءة من رأسه، وما أن يجهزاللحم المسلوق حتى تجهز اطباق الطعام، ولم يبق غير نثر الملح الخشن، ويُصب في عدد من ملاعق الحساء الساخن على اللحم لتزيد من نكهته. ولكن عدم الإكثار من الخضار ما عدا قليل من البطاطا، وكمية من التوابل والخردل، صلصلة نبات حرّيف، ولكن فوق كل ذلك(وبناء على ما أكده جدي) bagnetto verde: باقة بقدونس وشريحة من السمك ولب الخبز، وملعقة شاي من شجرة الكبر، وفص ثوم، وصفار البيض المغلي، وجميع هذا يفرم مع زيت الزيتون والخل.

كانت هذه وجبات الطعام اللذيذة، كما أتذكر، في مرحلة الطفولة والشباب.

~~~
~~~

كان مساء ساخناً ورطباً. كنت أدرس، كان الأب بيرغاماشي يجلس الى جانبي. ويداه تمسك بقذالي ويهمس بأذنيَ - يا ولدي التقي، المرتَّب جداً، الذي يرغب في تجنب إغراء الجنس الآخر، يستطيع أن يُظهر ليس الصداقة الأبوية حسب، إنما الحنان الدافيء الذي يمنحه الرجل الناضج.

من الآن فصاعداً، لن اسمح لقس أن يلمسني أبدا. هل أنا ربما أرتدي ملابس كملابس آبي دالا بيكولا، لهذا، أنا الذي بإمكانه أن يلمس الآخرين؟

~~~

حين بلغت الثامنة عشرة، كان جدي، الذي أرادني أن أكون محامياً (أي شخص يدرس القانون يطلق عليه لقب محام، في بيدمونت.) سلّم بالسماح لي بالخروج من الدار للدراسة في الجامعة. وكانت هذه فرصتي الأولى للاختلاط مع الفتيان الذين هم من أبناء جيلي، لكن بعد فوات الأوان، شعرت بعدم الإرتياح معهم. وأخفقت في فهم ضحكاتهم المكبوتة ومغزى نظراتهم حين يتكلمون عن النساء وهم يمرون من حول الكتب الفرنسية وعناوينها المتنافرة. وفضلت الإحتفاظ بإصدقائي وقراءاتي. وكان يشترك والدي في صحيفة الدستور LeConstitutionnel، التي أصدرت رواية " اليهودي المتجول" للروائي سو في باريس، وبالطبع قرأت الحلقات كلها بنهم. هنا تعلمت كيف استطاعت جمعية المسيح سيئة الصيت التآمر على اقتراف الجرائم البشعة لتستحوذ على إرث الفقراء والناس الطيبين،
~~~

وتدوس على حقوقهم. ما زاد من شكوكي في اليسوعيين، وهذه التجربة أدخلتني في بهجة الروايات المسلسلة feuilleton. وفي غرفتي على السطح وجدت صندوقاً من الكتب يحتفظ به والدي بعيداً عن نظر جدي(والبحث بطريقة مماثلة لإخفاء مثل هذا التصرف الشائن الوحيد لدى جدي) وقد انفقت المساءات كلها، حتى احتقنت عيناي في قراءة كتاب اسرار باريس، و الفرسان الثلاثة، والكونت مونت كرستو...

نحن الآن في العام ١٨٤٨ العجيب. فالطلاب جميعهم مبتهجون بالإنضمام الى بابوية الكاردينال ماستاي فيريتي - بيوس التاسع- الذي قد منح العفو العام عن الجرائم السياسية قبل سنتين. فهذاالعام قد بدأ بالتزامن مع الإحتجاجات الأولى في ميلان ضد النمسا، حينما امتنع المواطنون عن التدخين لتدمير دخل الحكومة الإمبراطورية.(وهؤلاء الرفاق الميلانيون، الذين وقفوا بثبات حينما أغضبهم الجنود والشرطة بعصفهم بوابل من غيوم دخان السيجار، وهناك شاهدت أصدقائي من تورين في مقدمة المحتجين) في ذلك الشهر ذاته، إنفجر التمرد الثوري في مملكة الصقليتين، ووعد فرناندو الثاني بسن دستور. في شباط / فبراير قام عصيان عام في باريس وخلع فيليب لويس من الحكم وأُعلنت الجمهورية(مرة واحدة والى الأبد): وألغيت العبودية، وأُبطل حكم الإعدام للجرائم السياسية، وتأسس مبدأ الإقتراع العام. وفي آذار / مارس منح البابا قانون حرية التعبير وحرر اليهود في حي الغيتو من الطقوس المذلة والإلتزامات العديدة .

وخلال المدة ذاتها، منح دوق تسكانيا ايضاً الدستور للشعب. بينما أدخل كارلو البرتو القانون الشرعي الألبرتاني الى مملكة بيدمونت. وأخيرا، ثمة احتجاجات ثورية في فينا، وفي بوهيميا، وهنغاريا، وفي غضون هذه الأيام الخمسة من الحصارفي ميلان التي قادت الى النمسا وإسقاط النظام فيها،بالتعاون مع بيدمونت ذهب الجيش الى الحرب وحرروا ميلان وضمت الى البيدمونت. وانتشرت إشاعات بين رفاقي أن الشيوعيين قد اصدروا بيانا سبب فرحة صاخبة ليس بين أوساط الطلاب حسب، بل بين العمال والفقراء، واقتنع الجميع أن آخر قس سيعلق فوراً على المشنقة وأحشاء آخر ملك.

لم تكن الأخبار سارة كلها: فقد عانى البرتو كارلو إندحارات عدة، وعدَه الشعب الميلانـي خائنا، أو من قبل المواطنين كلهم عموماً؛ وكان بيوس التاسع خائفا من اغتياله من قبل أحد وزرائه، الذي التجأ الى غاييتا مع ملك الصقليتين، وبعد محاولات سرية للتحريض على الإضطرابات، برهن على أنه أقل ليبرالية مما كان قد بدأ في مستهل الأمر؛ وبعد منح تشريعات عدة تراجع عن تنفيذها، ولكن في الوقت المحدد الذي وصل فيه غاريبالدي ومازيني الى روما، أُعلن عن قيام جمهورية روما.

غادر والدي الوطن للقيام بمهمة في آذار/ مارس، وقالت ماما تيريزا إنَها كانت متأكدة أنه ذهب لينضم الى المتمردين الميلانيين. بإستثناء ما يحدث الآن في كانون أول /ديسمبر، إذ تسلم أحد اليسوعيين الذي يعيش معنا أخباراً أنه التحق مع أنصار مازيني، الذين

كانوا مندفعين للدفاع عن جمهورية روما. كان والدي يعذبني بالنبؤات المدمرة والمرعبة التي حولت هذه الأشهرالمدهشة الى اشهر مرعبة annus mirabilis الى annus horribilis . في غضون هذه الأشهر ذاتها، قمعت الحكومة البيدمونية النظام اليسوعي، وصادرت ثروات اليسوعيين، ولكي تدمر كل شيء من حولهم، قمعت ايضاً الجمعيات المتعاطفة معهم مثل جمعية اخوان سان كارلو وجمعية ماريا سانتيسيما و جمعية الإصلاح.

"يُعد هذا مستهلاً لمعادات المسيح " تأوه جدي. ومن الطبيعي أنه يضع اللوم في كل حادثة على المكائد اليهودية. ويرى أن نبؤات مورديخاي السيئة جداً قد تحققت.

~ ~ ~

ووفر جدي الحماية للآباء اليسوعيين للهرب من غضب الجماهير، وبينما هم ينتظرون بعض رجال الدين ومن بينهم رجال دين علمانيين. وصل سراً في مستهل عام ١٨٤٩عدد كبير منهم من روما وهم يحملون قصصاً مروعة لما كان يحدث هناك.

بعد قراءة رواية اليهودي المتجول لسيو، رأيت الأب باكشي متجسداً بهيأة الأب رودن، اليسوعي الشرير، الذي يتحرك خلسة خلف الظلال، مضحياً بكل المباديء من أجل مصالح الجمعية، ربما لأنه(مثل الأب رودن) أخفى الأب باكشي عضويته في الجمعية عن طريق الملابس العلمانية، فقد ارتدى معطفاً وضيعاً وقبعة قديمة، ولفاعاً بدلاً من ربطة عنق، وصديرياً رثاً، وحذاءً ثقيلاً ملطخاً بالوحل، يدوس

به على سجادنا الجميل دون أي مبالاة. وجهه شاحب، واهٍ، وواضح التعابير، شعر رأسه رمادي دهني وأملس فوق فوديه، عينان تشبهان عيني سلحفاة، وشفتان رقيقتان أرجوانيتان. كان حضوره على المائدة ببساطة يوحي بالنفور. يدمر الأب باكشي شهية المرء بإعادته قراءة القصص المرعبة، يلفظ عباراته بنغمات إحتفالية: يقول بصوت مرتعد " ياأصدقائي، عليٍّ أن أقول لكم: إنَ الجذام أخذ ينتشرفي باريس. وبالتأكيد أنَ لويس فيليب ليس قديساً، لكنه كان حصناً ضد الفوضى، فأنا رأيت شعب روما خلال الأيام القليلة الماضية ! نعم، هل أنهم شعب روما حتى الآن؟ كانوا مرهقين، رؤوسهم شعثاء، وقطاع طرق يديرون ظهورهم الى السماء من أجل الحصول على كأس نبيذ. إنهم ليسوا بشراً، إنهم رعاع، مختلط مع حثالات حقيرة من المدن والأرياف الإيطالية، أتباع لغاريبالدي ومازيني، وسائل عمياء لكل الشرور. إنكم لا تعرفون الشر البغيض الذي يقترفه الجمهوريون، انهم يدخلون الكنائس ويكسرون مخزن رفات الشهداء ويذرّون رمادها في الرياح ويستخدمون جرار رماد الموتى أباريق للشاي. ويشقون احجار المذبح ويلطّخونها بالغائط، ويشوّهون تمثال العذراء بالخناجر، ويقلعون عيون صور القديسين، وبأقلام الفحم يخربشون ويرسمون عليها صوراً خلاعية." حينما تحدث القس ضد الجمهورية، سحبوه الى مدخل الباب وطعنوه، وقلعوا عينيه ومزقوا لسانه، ثم أخرجوا أحشاءه ولفّوها حول رقبته وشنقوه. لا تتخيلوا غير ذلك، حتى وإن تحررت روما(ثمة حديث يجري الآن عن مساعدات تصل من فرنسا) وسيندحرأتباع

مـازيني. إنهـم ينـزُون مـن كـل مقاطعـات إيطاليـا؛ إنهـم مخـادعون وماكرون، ودجـالون وغـشاشون؛ إنهـم جـسورون، وصـبورون، وعاقـدو العزم. إنهم سيستمرون في الحشد ويترددون الى المدن الأكثر سرية، زيفهـم ونفـاقهم يـسمحان لهـم بـالنفوذ الى أسـرار مكاتـب الحكومـة، والجيش، والبحرية، والشرطة، وقلاع المدينة.

صرخ جدي، وهو مسحوق الجسد والفؤاد " وابني بينهم "

وطُهيت وجبة لحم البقر الممتاز في بورولو ثم وُضعت على المائدة

قـال " إنَ ولـدي لا يفهـم أبـدا جمـال هـذا الـشيء. لحـم بالبـصل،والجزر، والكـرفس، والمريميـة، ونبـات إكليـل الجبـل، وورقـة الغـار، والقرنفـل، والقرفـة، والعرعـر، والملـح، والفلفـل، والزبـدة، وزيـت الزيتون، وبالطبع لا ننسى قنينـة البورولـو، يُطهـى مـع عصيدة الـذرة أو حـساء البطاطا المركّز. إذهـب وحـارب الثـورة. فكـل طعـم الحيـاة قـد ولى. وأنـتم أيهـا النـاس تريـدون أن تتخلـصوا مـن البابـا، و سينتهي بنـا المطـاف الى إرغـام صـياد الـسمك غاريبالـدي تنـاول bouillabaisse niçoise. أي عالم هذا قادم إلينا ".

~ ~ ~

غالبا ما ينطلق الأب بيرغاماشي، مرتدياً احياناً زياً علمانياً، يقول إنـه سيرحل في أيام معدودة، دون أن يوضـح الى أيـن أو لمـاذا. ومـن ثـم أدخل غرفته، أخرْج عباءتـه، أرتـديها، وأرى نفـسي في المرآة متباهيـا، أتنقل في الغرفة كما لو أنني أرقص، لا سمح الله، و كما لو أنني أقلده.

فإذا غادر المنزل فإنني سأكون الأب آبي دالا بيكولا، فقد اكتشفت هنا المسافات البعيدة لإختباراتي المسرحية.

في جيوب العباءة وجدت بعض النقود(من الواضح أنَ القس قد نساها) و قررت أن اتجاوز نفسي قليلاً واكتشف مكانات في المدينة التي سمعت كثيراًمن الناس يتحدثون عنها.

هكذا ارتديت العباءة – دون أن أدرك أنَ ثمة غضباً في هذه الأيام- إنطلقت نحو متاهة بالون، Balön، التي هي جزء من بورتا بالازو، بعد ذلك سكنها حثالة من سكان تورين، حيث هناك زمرة من المهرطقين يغزون المدينة. في أيام الأحتفالات تعرض بورتا بالازو ضيافة ممتازة. ولشدة الإزدحام يحتك الناس بعضهم بعضا حول المقاعد الخشبية الطويلة، وتندفع المضيفات الى محلات القصابة؛ ويقف الأطفال مفتونين أمام صانعي الحلوى البيضاء؛ ويشتري ذواقة الطعام دجاجهم، وفي المطعم لن تجد لك محط رجل، ومسست مس الكرام إمرأة بعباءتي، وجلست جلسة إكليركية وأنا أنظر إليها، وأضع يدي فوق الأخرى، وأحدق بوجوه النساء المرتديات قبعات، وقلنسوات، ووشاحات وخمارات، وشعرت بإنذهال لعربات الخيول، والعربات التي يسحبها العمال، والصيحات، والصرخات، والزئير.

إنَ إثارة الحماس من قبل جدي ووالدي جعلني أختفي. مع اختلاف الأسباب، واندفع الى أحد المكانات الإسطورية في تورين في ذلك الوقت. إرتديت ملابس يسوعية، واستمتعت بفضول مؤذ سببته لنفسي. وصلت كافيه البيسيرن، القريبة من حرم كونسوليتا،

لأتذوق طعم حليبها، وأريجه المعطر بالكاكو، والقهوة، ونكهات أخرى، في كأس ذي مقبض من المعدن، ولم أكن اعرف أنَ هذه واحدة من بطولاتي، وسيكتب الكسندر دوماس عن البيسيرن bicerin،بعد خمس سنوات، ولكن بعد زيارتين أو ثلاث الى مكان سحري فقد تعلمت منها كل شي عن ذلك الرحيق، المتأتي عن إصول بافارية، ماعدا ذلك، ايضاً الحليب، والقهوة والشكولاتة الممزوجة رائحتيهما، في البيسيرن تأتي في ثلاث طبقات منفصلة عن بعضها(وتحافظ على حرارتها) وهنا، بإمكانك أن تطلب bicerin pur e fiur المصنوعة بالقهوة والحليب pur e parp،مع القهوة والحليب او ' n poc dtut ' يعني شيء قليل من كل شيء.

إنَه مكان مهيب، ببوابته الحادة المصنوعة من الحديد المطاوع وتيجان أفاريزه من حديد الصب تحمل لوحات الإعلانات، أما مِن الداخل فخشبه من boiseries مزيَّن بالمرايا، والرخام يؤطر سطوح المناضد، و خلف الكاونترات جِرار معطرة برائحة اللوز وبأربعين صنفاً من التحف الفنية. وقفت أتمتع وأراقب خاصة في أيام الآحاد، حينما يكون هذا الشراب ممزوجاً بالرحيق لأولئك الذين يسرعون للتحضير للعشاء الرباني وتوفير المساعدات للمغادرة الى كونسولاتا – كوفيء البيسيرن كثيراً خلال الصوم الكبير، خاصة وأن الشوكالاته لا تعتبر غذاءً كاملا. إنها نوع من التباهي.

وفضلا عن متع القهوة والشكولاته، فما قد استمتعت به هو كي أظهر بمظهر شخص آخر؛ ولا يحمل الناس عني أي فكرة ومَن أكون وهذا يمنحني احساساً بالسمو. إنني سر.

~~~

لكن عليَّ أن أحدده، وأخيرا تخلّيت عن هذه المغامرات. إذ كنت خائفا من أن ألتقي برفاقي، الذين هم بالتأكيد لا يعتقدون أن لديّ حماساً دينياً وأعتقد أنني سأحترق في حماسهم للكاربوناريين.

يلتقي هؤلاء الوطنيون الأحرارالطموحون عموما في أوستريا ديل غامبيرو. في شارع ضيق مظلم، يقع الى جانبه مدخل مازال مظلماً وثمة علامة جمبري كبيرمطلي بلون ذهبي، طعام جيد ونبيذ جيد. Good Wine and Good Food، وفي الداخل ثمة غرفة تقدم الدجاج والنبيذ المعتق. ووسط رائحة السجق والبصل، رواد يشربون واحياناً يلعبون لعبة المورا morra. وفي أغلب الأحيان لا تمر ليلة دون أن يضع المتآمرون خططا ويحلمون بعصيانات كبيرة. وتعلمت ذائقة الطعام في بيت جدي، وبمحض ذكرGambero dora، كافية لإشباعك، وتبعدك حتى عن الإهتياج. بيد أنني بحاجة للخروج الى المجتمع والهروب من ضيوفنا اليسوعيين وتناول طعام العشاء المفضل غامبرتو الدهين وأصدقائي الجذلين المفضلين في المنزل.

ننصرف وقت الفجر، نتنفس بصعوبة لتناولنا الثوم، وقلوبنا مفعمة بالحماسة الوطنية، ونضيع تحت حجاب الضباب. من المهم أن نتجنب انتباه الشرطة السرية. احياناً نعبر ال Po، ونتسلقه لننظر من خلفنا عبر
~~~

السطوح أجراس الأبراج طافية خلل الضباب الذي يغطي السهول، بينا باسيليكا السوبرغا النائية تومض في هذا الوقت تحت الشمس، وتبدو مثل فنار وسط البحر.

وبوصفنا طلاباً لا نتحدث عن الأمة القادمة حسب، بل إننا نتحدث كما يحدث في مثل هذا العمر، عن النساء، كل في دوره، وبعيون تلمع، وأتطلع انا عبر الشرفات، وأختطف الإبتسامات، وألمس اليد أثناء مروري مِن على السلم، وأرمي زهرة جافة من الكتاب المقدس كي تلتقطها إحدى الفتيات(ولابد لي من التبجح هنا) بينما ماتزال اليد موضوعة بين صفحات الكتاب المقدس مفعمة بالعطر. أروح أتذرع بالمضايقة، وأتمسك بسمعة الأخلاق الصارمة والسامية كوني مازينينيا.

في أحد المساءات أعلن أحد المغفلين من أصدقائنا أنه وجد خزانة في غرفته أعلى السطح كان والده الصفيق والخليع قد اخفاها جيدا، فيها عدد من كتب مختلفة الأحجام ومعروفة جيداً في تورين وتسمى بـ (الفرنسية) الخنازير Cochons، ولا يتجرأ أحد ما ليضعها خارج منضدة غامبيرو الدهنية، وقرر أن يعيرها لنا بالتناوب. حينما جاء دوري، لم أرفضها.

وفي ليلة متأخرة، تصفحت تلك الأحجام، التي لا بد وأن تكون ثمينة وقيِّمة، وموثَّقة كما كانت في أصلها المغربي، مربوطة بخيوط حريرية ومختومة باللون الأحمر، حافات صفحاتها مطلية بماء الذهب، وبأغلفة فلورنس مذهبة وبعضها مطرزة. ومعنونة كما يلي، Une veilée،أوآه !Monseigneur,si Thomas nous voyait، إرتعدت حين

قلبت الصفحات المنقوشة وعلى إثرها تصبب العرق من قمة رأسي حتى خدي مروراً الى رقبتي: فثمة نساء رافعات تنوراتهن لعرض أردافهن البيض المبهرة، على الرجال الفاسقين - ما عرفت إن كنَ أكثر ازعاجاً باستدارتهن النحاسية غير المحتشمة أوابتسامةعذرية لفتاة شابة، يلتفت رأسها دون حشمة بإتجاه منتهكها، وجهها مضاء بعينين مستهترتين وشعر رأسها أسود فاحم مفروق بعقدتين جانبيتين؛ والأكثر رهبة، ثمة ثلاث فتيات في عربة، سيقانهن مفتوحة يعرضن ما كان من المفروض أن يكون دفاعاً طبيعياً عن فروجهن العذرية، إحداهن عارضة نفسها الى الجانب الأيمن لرجل مجعَد الشعر، كان في الوقت ذاته جالساً الى جانبها وتخترق نظراته تلك الفتاة المضطجعة دون حياء، بينما الفتاة الثالثة تعرض نفسها بانفراج دون اكتراث ويدها اليسرى منفلقة بتلهف من خلال مشد خصرها المجعَد. بعد ذلك وجدت كاريكاتيراً غريباً لقس يغطي وجهه الثؤلول، ومن يقترب أكثر يجد الى جانبه مختلف الصور رجالا ونساءً عراة متشابكين بأوضاع شتى تخترقهم أعضاء رجال ضخمة، أكثرها معلقة بسلك فوق قذال رقابهم كما لو أنها تشكل، مع خصيان الرجال رأساً سميكاً ينتهي الى عقصات.

لا أتذكر كيف انتهت تلك الليلة المضطربة. حينما يقدَم الجنس نفسه لي بكامل رعبه(بالمعنى الإنجيلي للكلمة مثل رعد صاعق يثير فيَ إحساساً بالخضوع فضلا عن الخوف من التدنيس.) أتذكر أنني خرجت حسب، من تلك التجربة المرعبة بغمغمات متكررة مع نفسي

تشبه الإبتهالات، على وفق تعبير الكاتب أو النص المقدس الذي قدمه إليَّ الأب بيرتوسو وطلب مني أن احفظه قبل سنوات مبكرة: إن جمال الجسد هو ما يخفيه الجلد في اعماقه. فإذا استطاع الرجال أن يروا ما تحت اللحم سيصابون بالغثيان بمجرد نظرتهم الى النساء: وسيكون كل هذا السحر الأنثوي كلّه ليس أكثر من بلغم، ودماء، والأخلاط الأربعة: الدم والبلغم والصفراء والسوداء. وتعد هذه الأشياء كلها مخفية تحت المنخرين، وفي الحنجرة، والمعدة... ونحن الذين نتمرد على فكرة لمس القيء أو البراز بأطراف أصابعنا، كيف نستطيع أن نتقبلها بسرور ونعانق كيساً من الخراء؟

ربما إنني في ذلك العمر ما زلت أؤمن بالعدالة الإلهية، وأعزو ما يحدث في اليوم التالي الى الإنتقام الإلهي في الليلة العاصفة. وجدت جدي يتمدد وهو يلهث في كرسيه، ماسكاً ورقة مغضنة بين يديه. إستدعينا الطبيب. أخذت الورقة من بين يديه وقرأت فيها أنَ والدي كان قد أصابته شظية فرنسية بينما كان يدافع عن جمهورية روما، في حزيران /يونيوعام ١٨٤٩ حينما أرسل لويس نابليون الجنرال أودينوت ليحرر العرش البابوي من جيش مازيني وغاريبالدي.

لم يمت جدي، رغم بلوغه الثمانين، بيد أنه لاذ بصمت ممتعض عدة أيام، ولا أحد عرف إن كان هذا ناتجاً عن كراهية الفرنسيين أو لقوات البابوي التي قتلت ابنه أو تجرؤ ابنه على عدم مواجهتهم بمسؤولية، أو أنَ جميع المواطنين هم الذي أفسدوه. ومن وقت لآخر

يسحب نفساً مؤلماً، ويشير الى مسؤولية اليهود عن الأحداث التي كانت تهز إيطاليا تماماً كما دمروا فرنسا قبل خمسين سنة.

~~~

ربما لشعوري من الإقتراب من والدي، أنفقت ساعات طويلة في غرفتي في السطح في قراءة الروايات التي خلّفها بعده، واستطعت أن اتلقف رواية دوماس جوزيف بالساموJoseph Balsamo،التي وصلت عن طريق البريد ولم يتسن له قراءتها.

إنها رواية مدهشة، كما يعرف الجميع، تسرد مغامرات كاغليوسترو، وكيف تآمر لسرقة قلادة الملكة، وكيف استطاع بضربة واحدة معنوياً ومالياً تحطيم الكاردينال دي روهين، وتنازله عن العرش وتعريضه لمحاكمة ساخرة. يعتقد الكثير أنَ خداع كاغليوسترو يسهم في اعتبار توريث الملكية التي تسهم في مناخ يلحق الخزي الذي قاد الى ثورة،٨٩.

وذهب دوماس أبعد من ذلك، أنه رأى في كاغليوسترو، صورة مستعارة لشخصية جوزيف بالسامو عن سابق تصور الذي نظم عمداً ليس الإحتيال حسب، بل تدبير المؤامرة السياسية تحت حماية الماسونية العالمية.

وقد كنت مفتونا بـ auvertue. مشهد: جبل الصاعقة. وعلى الضفة اليسرى من نهر الراين، حيث ثمة عصابات قليلة في سلسلة من جبال Worms وهي جبال مقفرة تبدأ اسماؤها بـــ كرسي الملك، وصخرة النسر، وعرف الثعبان، وأعلى هذه الجبال هو جبل الصاعقة. وهنا، في
~~~

السادس من مايس /آيار١٧٧٠(قبل عشرين سنة من إندلاع الثورة القدرية تقريباً) وبينا كانت الشمس تتوارى خلف برج كاتدرائية ستراسبوري التي تقسمها الى نصفي شعلة نار، كان ثمة مسافر غريب Stranger قادماً مِن مينز يتسلق منحدر الجبل، تاركاً حصانه في مكان معين، الى أن جاء يوم إستحوذت عليه مجموعة من كائنات مقنَّعة، وبعد تعصيب عينيه قادوه خلل غابة، وبعد أن وصلوا الى أرض مقطوعة الشجر، كان بإنتظاره ثلثمائة شبح، يرتدون أكفاناً ومسلحون بسيوف. وشرعوا بتوجيه الأسئلة إليه بإهتمام.

ماذا ترغب؟ أن ترى النور. هل انت مستعد للقَسْم؟ وبدأت سلسلة من الإختبارات، مثل شرب دماء خائن قد قُتل، وهم يوجهون البندقية نحو رأسه ويسحبون اقسامها بوجهه واصرارهم على استسلامه. هذا هراء من ذلك النوع، الذي يذكرنا بطقوس الماسونية بأوطأ نظامها، وهذا معروف جيداً لدى قراء دوماس، حتى يذعن المسافر للأمر ويعود بإحتقار للإجتماع، ويعلنها صراحة أنه يعرف طقوسهم كلها وخدعهم، ولهذا ينبغي عليهم إيقاف التمثيل معه، لأنه كان شيئاً ما أكبر منهم جميعاً. وكان حقاً إلهياً أن يكون رئيس التجمع الماسوني العالمي.

ومِن ثم يدعو أعضاء المحافل الصهيونية في ستوكهولم، ولندن، ونيويورك، وزيورخ، ومدريد، ووارشو وجميع البلدان الآسيوية، والجميع بالطبع سيجتمعون في جبل الصاعقة لتأدية الطاعة إليه.

لماذا كان الماسونيون في جميع أنحاء العالم يجتمعون هنا؟ شرح المسافر الغريب. وطلب بداية اليد الحديدية، وسيف النار، وموازين

مصنوعة من الماس لإلغاء الفساد من على الأرض - بمعنى آخر، لإذلال وتدمير عدوين عظيمين للإنسانية، هما العرش والمذبح(وقد أخبرني جدي في الحقيقة أن شعار ذلك الحقير فولتير هو سيء السمعة écrasez L'infame ، ومِن ثم وصف المسافر أنه عاش مثل جميع مستحضري أرواح العصر الذين عاشوا أحياءً آلاف الأجيال، منذ زمن موسى أو ربما منذ زمن آشوربانيبال، الذين جاؤوا من الشرق ليعلنوا أنَ الساعة قادمة لا ريب فيها. وإنَ جميع شعوب العالم منذ زمن السلاميات التي كانت تعبر دون هوادة بإتجاه الضوء، وكانت فرنسا هي القائد المتقدم لهذه السلاميات - لتضع المشعل في يديها لهذه المسيرة، ودعها تجلب ضوءً جديدا للعالم. وثمة ملك عجوز فاسد يتولى زمام الإمور في فرنسا لم يبق له إلاّ سنوات قليلة في الحياة. وأحد أولئك الحضور(لافيتر عالم الفراسة العظيم) حاول ان يقدم وجهين من أسلافه الشباب(لويس السادس عشر الآخروي وزوجته ماري انطوانيت) مُظهِراً نوعاً مِن الصدقات، بيد أن المسافر الغريب(الذي ربما عرفه القراء من الآن هو جوزيف بالسامو، ولم يسمه دوماس حتى الآن) مذكرا إياه ربما ليس هناك اهتمام بالرحمة الإنسانية حينما كان تعزيزتقدم المشعل يتقدم على أعمدة الإعدام. وخلال عشرين سنة من الحكم الملكي كاد أن يمحي فرنسا من على وجه الأرض.

وفي هذا الموضوع على كل ممثل محفل ومِن أي بلد كان أن يتطوع بالرجال أو المال لنجاح الجمهورية والقضية الماسونية تحت شعار Lilia pedibus destru– إسحق بالأقدام ودمر أزهار ليْلك فرنسا.

لم يخطر ببالي أنَ مؤامرة القارات الخمس تكون طريقة مفرطة لتغيير الدستور في فرنسا. وعلى الجميع في بيدمونت في ذلك الوقت في الحقيقة، أن يسلِّم أنَّ القوى الوحيدة التي توجد في العالم هي فرنسا. أو بالتأكيد النمسا، وربما كوشين الصين البعيدة جداً جداً فقط، ولكن ليس هناك بلد يستحق النظر، بإستثناء الدول البابوية. ومن الصورة التي ابتدعها دوماس(إشارة الى ذلك الكاتب العظيم) وأنا أتساءل فيما إذا لم يكتشف الشاعر الملحمي، ليصف مؤامرة واحدة، الصيغة العالمية لكل مؤامرة ممكنة.

دعونا ننسى جبل الصاعقة، والضفة اليسرى لنهر الراين وتلك الأحداث، قلت مع نفسي. ودعونا نتخيَل المتآمرين الذين يأتون من جميع انحاء العالم يمثلون مخالب طوائفهم في كل بلد. دعونا نجمعهم في غابة لا شجر فيها، في كهف، في قلعة، في مقبرة أو في سرداب مظلم تحت الكنيسة، دعونا نختار أحدهم ليلقي خطبة يعلن فيها بوضوح الخطة، والنية في غزو العالم... فأنا اعرف كثيراً من الناس الذين يخافون مؤامرة الأعداء المختفين – فأعداء جدي كان اليهود، واعداءاليسوعيين كان الماسونيون، واعداء الأب إيّاي الغاريبالدي كان اليسوعيون، واعداء نصف ملوك أوربا كان الكاربوناريون، ومجموعات المازنيين،كان الملك المدعوم من رجال الدين، وأعداء

البوليس في نصف العالم كان التنويريون البافاريون، وهكذا. وَمن يعرف كم عدد الناس الآخرين في العالم مازالوا يعتقدون أنهم مهددين بالمؤامرة؟ وهنا صيغة يجب أن تملأ كوصية، وفيها اسم كل شخص ومؤامرته الخاصة.

فدوماس يفهم حقاً بوضوح العقل البشري. وماذا يرغب كل فرد فيه، والذين يكونون أشد حماسا للرغبة هم أشد بؤساً وأكثرسوء حظ.؟ كي تحصل على مال بسهولة يعني، أنك تملك السلطة(والسعادة الأعظم هي في قيادة وإهانة رجالك) وأن تنتقم من كل خطأ تتحمله(وليس هناك من لا يعاني من خطأ، وعلى كل حال، هذا هو الحد الأدنى) وفي رواية مونت كريستو، نرى كيف يعرض عليك دوماس تكديس الثروة العظيمة، وهي كافية في أن تمنحك القوة البشرية الأعلى، وكيف تجعل من اعدائك يعيدون لك ديونك. ولكن لماذا يتساءل كل واحد منا أنه غير محظوظ(أو ليس على الأقل يكون محظوظاً كما ينبغي) لماذا لم أكن مفضلا كما الآخرين الذين هم أقل جدارة مني؟ ليس هناك مَن يعتقد أن سوء حظه يوعز الى عيب فيه؛ لهذا السبب يجب عليه أن يعثر على جنايته، كما ويعرض دوماس، على جميع المُحبَطين(أشخاصاً وبلداناً) توضيح اخفاقاتهم. إنه شيء آخر. إنه هناك في جبل الصاعقة مَن يخطط لدمارك.

وبعد تأمل، أخفق دوماس في ابتكار أي شيء، أنه مجرد ما وضع ذلك في صيغة قصة، طبقا لما قاله جدي، حتى ظهر الآن آبي بارويل. وهذا دفعني للتفكير، ولو بعد حين، فإذا أردتُ أن ابيع المؤامرة،

فإنني لن اعرض على الشاري أصلها، ولكن سأعرض عليه ببساطة شيئاً آخر يعرفه الآن أو بالإمكان اكتشافه بسهولة أكثر بطرق أخرى. فالناس يعتقدون بما يعرفونه الآن حسب، وهذا هو جمال الصيغة الكونية للمؤامرة.

~~~

كان عام ١٨٥٥ بلغت فيه الخامسة والعشرين من عمري. وتخرجت في كلية الحقوق، بيد أنني لا أعرف بالضبط ماذا افعل لمستقبلي. فقد قضيت الوقت مع مجموعة من الأصدقاء دون أن أشعر بكثير من الحماس في اندفاعهم الثوري، وهم شكوكيون دائماً، وسيُحبَطون في غضون اشهر. هنا مرة أخرى استطاع البابا أن يعيد قبضته على روما، وبقي بيوس التاسع مصلحاً، وتحول الى أكثر رجعية من أسلافه، هنا تلاشت كل بارقة أمل، سواء من سوء الطالع أو الجبن، واصبح كارلو البرتو مبشراً للوحدة الإيطالية. وأعيد الإمبراطورالى فرنسا بعد ثورات إجتماعية عنيفة أعادت النور الى القلوب، وتشكلت الحكومة البيدمونتية التي أرسلت الجنود ليقاتلوا في حرب خاسرة في كريميا بدلاً من تحرير إيطاليا.

لم أعد اقرأ الروايات التي علمتني أكثر مما علمني إياه اليسوعيون- ففي فرنسا، كان المجلس السامي في العالم الذي(لسبب أولآخر) يتضمن أسقف وثلاثة من رؤوساء الأساقفة قد اجتازوا ما يسمى تعديل قانون ريانسي Riancey Amendment،الذي فرض خمس سنتيمات من الفرنك الفرنسي ضريبة على كل نسخة تصدرها الصحف
~~~

في حلقات fuilleton. وهذه الصحف كان لها أهمية قليلة لدى أولئك الذين لا يعرفون شيئاً عن عمل الطبع، بيد أن اصدقائي وأنا أدركنا بسرعة مضمونها: وكان فرض هذه الضريبة هو عقوبة جزائية. وستجبر الصحف الفرنيسية لوقف طبع الروايات، وأصوات هؤلاء الذين يدينون مساوىء المجتمع مثل سيو ودوماس ستصمت الى الأبد.

ويزداد جدي إضطراباً، رغم إنه يدرك ماذا يجري من حوله الآن، فإنه يشكو من الحكومة البيدمونتية التي سيطر عليها الماسونيان كافور ودازيكليو. وحولاها الى كنيس للشيطان.

قال، " إنك تدرك يا بنيَّ أن قوانين ذلك الرجل سيكاردي قد ألغت ما يسمى بإمتيازات الإكليروسية. ولماذا الغت حقوق اللجوء في الأماكن المقدسة؟ فهل الكنيسة لها حقوق أقل من مركز الشرطة؟ ولماذا ألغت المحكمة الكنيسية لمحاكمة الكهنة الذين يتهمون بجرائم عامة؟ فهل الكنيسة ليس لها حق أن تحكم وفق قوانيها الخاصة؟ ولماذا ألغت الرقابة الدينية السابقة على المطبوعات؟ هل بإمكان الجميع أن يعبروا عما يريدون، دون احترام للمذهب أوللدين؟ حينما دعا رئيس أساقفتنا فرانسوني رجال الدين المسيحيين التورنيين أن يتمردوا على هذه الإجراءات، فإنه اُعتقل كمجرم عادي وحكم عليه لمدة شهر في السجن ! والآن وصلنا الى موضوع الرهبان المتحللين والمتسولين، كان عددهم ستة آلاف راهب تقريباً. صادرت الدولة ممتلكاتهم وقالت يجب أن تستخدم هذه الممتلكات لدفع رواتب الأبرشية، فإن جمعنا هذه الثروة كلها من جميع الرهبان فإن

رقمها سيصل الى عشر... وددت القول مئات الأضعاف أي بقدر ما يعادل رواتب المملكة برمتها، وستنفق المملكة المال من أجل المدارس، أو منح الطبقة المتواضعة تعليماً هي ليست بحاجة اليها، أو لإستخدامها في تعبيد طرق أحياء الغيتوات ! وهذا كله تحت شعار " كنيسة حرة في دولة حرة " وهناك شئ واحد فقط يتمتع بحرية حقيقية لإستغلال سلطته، هو الدولة فقط. وثمة حرية حقيقية أخرى هي حق الإنسان في اتباع قانون الإله فقط. ليستحق الجنة أو النار. والآن بدل ذلك، الحرية تعني اختيارك لمعتقداتك وآرائك مهما كانت، حيث أن الجميع سواسية في هذا – وما يتعلق بالدولة أنا دولة الجميع سواء أكنت ماسونياً، أومسيحياً، أويهودياً، أومن اتباع سلطان المسلمين. ولكن لا أحد يبالي بالحقيقة "

" وهذا هو الواقع يا بنيَّ " صرخ ذات مساء، ولم يعد بمقدوره وهو في شيخوخته هذه أن يميزني عن والدي، وزفر ثم تأوَه حينما كان يتكلم. " إنَ الجميع اختفى: كنائس القديس لاتيران، وكنائس المترهب سان أغيديو، والكرمليون، وأبرشية الآباء، والدومينيكيون، والأخوات المضطَهدات، وتقدمة القديسة ماري، والمعماديون، والبنيديكتويون، وقانون لانتيران، والأوليفانتيون...

ويبدو أنه يحفظ هذه القائمة مثل حبات مسبحة، يحركها على نحو متزايد وينتهي كما لو أنه نسي أن يسحب نفساً، وطلب civet، المطهي من لحم الخنزير، والزبدة، والدقيق، والبقدونس، ونصف لتر من

البربيرة، وقطع من لحم الأرنب البري بحجم البيضة،(بما في ذلك الكبد والقلب)، ورأس بصل صغير، وملح، وفلفل، وبهارات وسكر.

كان يتأسى تقريباً، ولكن فجاة بعد هذه الوجبة فتح عينيه على سعتهما، ثم اجتاز بعيداً يحمل مشعلاً ليتجشأ.

دقت الساعة منتصف الليل وأدركت أنني كنت مستمراً في الكتابة ودون انقطاع تقريباً لفترة طويلة جداً. وعلى كل حال، حاولت بصعوبة، لأتذكر شيئاً عن السنوات التي أعقبت وفاة جدي ولكن دون جدوى.

كان رأسي يدور كبكرة خيوط.

(٥)
سيمونينو الكاربوناري

ليلة السابع والعشرون من آذار/مارس 1897،عذرا أيَها الكابتن سيمونيني، إن كنت قد تطفلت على مذكراتك، التي لم يكن بوسعي تجنب قراءتها. ولكن، حدث هذا دون رغبة مني فقد استيقظت هذا الصباح لأجد نفسي في فراش نومك. وستدرك أنني(أو على الأقل أعتقد في أن أكون إيّاي) آبي دالا بيكولا.

إستيقظت في فراش هو ليس فراشي أصلاً، وفي شقة غريبة، ولم أجد أثراً لعباءتي، أو لشعر رأسي المستعار. ماخلا لحية زائفة الى جانب الفراش. لحية زائفة فقط؟

وحدث لي الشيء ذاته قبل أيام معدودات حين استيقظت وليس لديَ فكرة منْ أنا. لكن ذلك حدث وأنا في مكاني الحقيقي، حيث وجدت نفسي أنني شخص آخر في مكان آخر. شعرت أنَ عيني ترشحان. ولساني يؤلمني، كما لو أنني عضضته.

وقفت الى جانب النافذة وشعرت أنَ الشقة تطل على طريق موبيرت غير السالك، تماماً على الجهة اليمنى من جادة ميتريه - البيرت، حيث أسكن.

رحت أبحث في الغرف، التي تبدو أنَ رجلا علمانياً يشغلها وكان من الواضح، أنه كان يرتدي لحية زائفة، ولهذا(إذا سمحت لي) أنَه رجل مشكوك بأخلاقه. دخلت مكتباً، مفروشاً بمباهاة مقصودة. في أقصى الزاوية الى جانب الستارة، وجدت باباً صغيراً ودخلت من خلاله الى رواق، يبدو أنَه شبيه بكواليس مسرح، مليء بأزياء نسائية، وشعور مستعارة. بعد أيَام معدودة، وجدت هناك عباءة، لكن هذه المرة ذهبت في الإتجاه الخطأ، نحو سكناي.

على منضدتي وجدت مجموعة من الملاحظات، تقضي بإعادتك بناء صياغتها، لا بد وأنني كتبت في الثاني والعشرين من آذار / مارس حينما استيقظت مثل هذا الصباح دون ذاكرة. ماذا، سألت نفسي، هل كان هذا يعني أن آخر ملاحظة كتبتها في ذلك اليوم، كانت تشير الى اوتيويل وديانا؟

إنَه شئ غريب، أنك تشك أنَ كلانا شخص واحد. إنك تتذكر أشياء كثيرة في حياتك ولكنني لا أتذكر منها إلا الشيء القليل. من الجانب الآخر، كما تُظهر مذكراتك، أنك لا تعرف شيئاً عني، بينما أنني بدأت أعي أنني أتذكر أشياء أخرى، وتحديداً القليل منها، عما حدث لك – كلما سنحت لك الفرصة – وبالضبط تلك الأشياء التي تبدو أنك غير قادر على تذكرها. فإن أنا استطعت تذكر أشياء كثيرة عنك، هل استطيع القول إنني أنت؟

ربما لا. ربما كلانا شخص مختلف، تربطنا حياة مشتركة لأسباب غامضة. وأنا، بعد كل ذلك، رجل إكليركي، وربما إنك اخبرتني ماذا

أعرف تحت ضغط الإضطراب. أو إنني إتخذت مكان الدكتور فرويد، دون علمك، وانتزعت من أعماقك ماكنتَ تحاول الحفاظ على كتمانه؟

ومهما كانت القضية، فإنَ من واجبي الكهنوتي أن أذكِّرك بما حدث بعد وفاة جدك- الله يدخله فسيح جناته. وأطمئن إذا متُّ الآن، فإن الله لن يمنحك مثل هذه الطمأنينة، التي تفتقدها، ويبدو أنك تتصرف بعدالة إزاء زملائك، وربما لهذا السبب ترفض ذاكرتك أن تتذكر الأشياء التي لا تشرفك.

~~~

وترك دالا بيكولا، في الحقيقة، عدداً شحيحاً من الملاحظات لسيمونيني، كتبت بحروف صغيرة تختلف تماماً عن خط يده؛ لكن تبدو تلك التعليقات المقتضبة بمثابة دعائم لسيمونيني التي تزيِّن سلسلة من الصور والكلمات التي تطفو فجأة. ويحاول السارد إختزالها أو بالأحرى، تحميلها تضمينات مناسبة، وهكذا، فإنَ هذه اللعبة من الإشارات والإستجابات تكون أكثر تماسكاً، ولكي لا ترهق القارىء بنغمات منافقة كالتي يستخدمها آبي، في تقريره لتوبيخ اخطاء الماضي لأناه الأخرى بحماسة مفرطة.

لا يبدو سيموني، منزعجاً دون مبرر من إلغاء الكهنة الكرمليين، ولا من موت جده حقيقة. ربما شعر بعاطفة إزاءه، لكن بعد مرحلة الطفولة والمراهقة التي قضاهما منعزلاً في منزل يبدو أنَه صمم لخنقه فضلا عن أنَه أوحى لجده وأوليائه من الرهبان بعدم الثقة، والمرارة، والإستياء
~~~

من العالم. وتحول الشاب سيمونينو بإضطراد الى عدم القدرة على تغذية المشاعر من مرض حب الذات الذي استنفد تدريجياً الصفاء الهادئ لإستثمار القناعة الفلسفية.

بعد التعامل مع الجنازة التي حضرها أساقفة إكليركيين واعضاء قياديين من نبلاء بيدمونت قريبون من النظام القديم، ancien régime، ذهب لرؤية ريباودنغو، كاتب عدل العائلة القديمة، الذي تلا وصية جده التي ترك له فيها عقاراته جميعها . وعلى كل حال، فقد أعلمه كاتب العدل(ويبدو أنه كان سعيداً بهذه الوصية.) أنّه نظراً لكثرة الرهون العقارية، فإنَ الرجل العجوز قد وقّع مختلف أصناف الإستثمارات السيئة، فلم يتبق أي شيء من تلك العقارات، بما فيها الدار التي يسكنها وبكل محتوياتها، ستذهب بأسرع ما يمكن الى الدائنين، الذين احتفظوا بها حتى حين، تقديراً لذلك الرجل المحترم، ولكن بلا تبكيت ضمير مع الحفيد.

قال كاتب العدل " عزيزي سيمونيني، ربما إنَ هذه الإجراءات هي وسائل حديثة تماماً، لم تكن مستخدمة سابقاً، لكن حتى ابناء العوائل المحترمة ملزمون احياناً للبحث عن العمل. هل تشعر بميل، سيدي، للحصول على مثل هذه الفرصة المتواضعة، فبإمكاني أن اعرض عليك وظيفة في مكتبي، لشاب تتوفر لديه معلومات قانونية ستكون مفيدة. ودعني أكون صريحا معك أنني لا استطيع مكافأتك تماماً ما يقابل الذكاء الذي تتمتع به، لكن الآن استطيع أن امنحك القليل ليمكنك من إيجاد مسكن آخرللعيش بكرامة متواضعة ".

وانتاب سيمونيني شك أنَ كاتب العدل بإستيلائه على ثروة جده أيقن أنِها قد ضاعت هباءً منثوراً بإستثمارات غير معقولة، لكنه لا يملك الدليل، وعلى كل حال، يجب عليه أن يواصل العمل مع كاتب العدل، وفكر أنَه في يوم ما سيكون قادراً على الوصول الى حل بإعادة بما كان متأكداً منه أنَ ذلك الرجل إنتزع الثروة ظلماً. وهكذا، فإنَه كيَّف نفسه بالعيش في دار تحتوي على غرفتين في باربارو ليقلل من زياراته الى الحانات حيث يلتقي رفاقه، وبدأ العمل لصالح نوتايو ريبودانغو البخيل، والتسلطي، وغير الموثوق به، الذي توقف الآن من مخاطبته بكلمة " المحامي " أو"السيد"، وانما يشير اليه ببساطة الى إسمه حسب، سيمونيني، ليدرك تماماً من هو السيد. وبعد مرور عدة سنوات راح يناديه بالكاتب scrivener(كما يطلقون عليه) فإنَه صار مؤهلا شرعياً. وأدرك، تدريجياً وفي الوقت الذي راح ينال ثقة سيده الحذرة، أن عمله الرئيسي لا يحتوي على كثير من القيام بمهمات كاتب عدل الروتينية مثل التأكد من صحة الوصايا، والمنح، والصفقات المالية، والعقود الأخرى. والى حد ما، إثبات المنح، والصفقات، والوصايا والعقود التي لم توضع موضع التنفيذ. بمعنى آخر، إن نوتايو ريبودنغو زوَّر وثائق مبالغ ضخمة، مقلداً حيث تقتضي الضرورة أنواعاً من خطوط أيدي الآخرين وتهيئة شهود مّجنَّدين في الحانات المجاورة.

وشرح ريبودنغو " ليكن واضحاً لديك، ياولدي، أنُ الشكليات إنتهى أمرها الآن. ما أقوم به الآن ليس وثائق مزورة لكنها نسخ جديدة

من وثائق أصلية قد فُقدت أو، ببساطة، أنَ المراقبة لم تعد واردة. ومِن عملية التزويرايضاً إذا استحصلت شهادة المعمودية حين ظهورها- عذرا للمثال- إن كنت ابن عاهرة، وولدتَ قريبا من أودالنغو بيكولو " واندهل بمتعة لهذه الفكرة المعيبة " أنني لن احلم بإقتراف مثل هذه الجريمة لأنني رجل شريف. ولكن إذا كان لديك عدو، إذا جاز التعبير، فمَن الذي بحث للإستيلاء على ميراثك، وأنت تعرف تحديداً أنه لم يكن الطفل إبن امك أو والدك ولكنه إبن عاهرة من إيدالنغو بيكولو، وأنَه فقد تماماً شهادة تعميده كي يحصل على ميراثك، واذا سألتني لأزور تلك الشهادة المفقودة لتفنيد ذلك المأزق فإنني سأساعد،في الكلام لإثبات حقيقة ما نعرف، ولن أندم على ذلك.

" نعم، ولكن كيف ستعرف حقيقة نسب ذلك الإبن؟ "

" قلتها لي بعظمة لسانك ! وستعرف الحقائق كاملة إذن."

" وهل تثق بي؟ "

" أنا اثق دائماً بزبائني، لأنني أخدم الناس الشرفاء حسب."

" ولكن إذا كذب عليك صدفة أحد هؤلاء الزبائن؟"

" في هذه الحالة هو الذي يجني على نفسه، وليس أنا. وإن ساورني القلق إن كان هذا الزبون ربما يكذب، فلن أقدم اعترافاً، يعتمد على الثقة. "

لم يكن سيمونيني مقتنعاً تماماً أنَ اعتراف ريبودنغو سيؤخذ بالإعتبار من قبل الناس الشرفاء، ولكن من لحظة شروعه بإدخال

الأسرار الى مكتبه صار جزءً من التزوير، إستحوذ بسرعة على سيده واكتشف أنه نفسه يمتلك مهارات تزوير خط اليد.

فكاتب العدل هذا وبطريقة اعتذاره عمّا قاله – أو ربما حدد نقطة ضعف مساعده – في مناسبات دعا سيمونينو الى مطاعم باذخة كمطعم كامبيو الثاني(الذي يتردد إليه كثيراً كافور نفسه) ومنذ لحظة زجّه في الأسرار المالية finanzziera، وسمفونية عرف الديك، والخبز الحلو، وشريحة من لحم الخاصرة، ونصف كأس من نبيذ المارسالا، وطحين، وملح، وزيت الزيتون، والزبدة، و هذه الوصفة تُعجن مع محلول كيمياء الخل. وللإستمتاع بهذا الطبق يجب على المرء ان يرتدي بما يتناسب مع المقام، سترة الفراك او stiffelius، كما يطلق عليها الى حد ما.

وتعليم سيمونينو، ورغم مواعظ والده، ربما لم يكن بطولياً، أو يتميز بنكران ذات، ولكن ما يتعلق بتلك المساءات كان مستعداً لخدمة ريبودنغو حتى الموت – على الأقل من أجل ريبودنغو ذاته، إذا لم يكن لنفسه... كما نرى بعد ذلك.

وازداد راتبه الآن – رغم إنَ الزيادة لم تكن كثيرة – على الأقل أنَ شيخوخة كاتب العدل تتسارع، وأمسى بصره ضعيفاً، ويداه تختضان. واصبح سيموني بإختصار، لا يمكن الإستغناء عنه. ولأنَه يمنح نفسه راحة إضافية قليلة، فليس بإمكانه تجنب مُتع مطاعم تورين(آخ، للمتع agnolotti alla piemontese، المحشوَة بالروست واللحم الأحمر، وعظام الطيور المغليَة، وكرنب سافوي المطهي بلحم الروست، وأربع بيضات،

والجبن المعمول الحرّيف، والجوز الطيب، والملح والفلفل، والصلصلة، وحساء الروست، والزبد، وفص ثوم، وعسلوج إكليل الجبل.) ونادراً ما يتردد الشاب سيمونيني على مثل هذه المكانات، وهكذا راح يُشبع إحساساته العميقة، ويرتدي ملابس رثة. كلما ازدادت وسائله، إزدادت حاجاته.

ومن خلال العمل لدى كاتب العدل، إكتشف سيموني أنَ ريبودنغو لا يقود الصفقات الموثقة للزبائن الخاصين فقط ولكنه يؤدي خدمات لإولئك الذين هم متورطين مع سلك الشرطة العام ربما ليخفي نفسه اذا ما حدث وأن اكتشفت السلطات عنه نشاطات غير قانونية تماماً. واحياناً، أنه يوضح، كي يدين المشتبه به كما ينبغي، وثمة إثباتات وثائقية يجب أن تقدم الى القضاة كي يقنعهم أنَ ادعاءات الشرطة لا تخلوا من أدلة مادية. وبهذه الطريقة، يواجه سيمونيني الشخصيات الغامضة التي تزور مكتبه من وقت لآخر، وبما قد يصفهم كاتب العدل " أنهم رجال مهذبون من القسم ،" ماذا يعمل هذا القسم وممثلوه فمن الصعوبة الفائقة التكهن: أنهم كانوا معنيين بأسرار شؤون الحكومة.

وأحد هؤلاء النبلاء هو كافالبير بيانكو، الذي اعلن ذات يوم أنَه مقتنع جداً بالطريقة التي قدم فيها سيمونيني وثائق مؤكدة غير قابلة للنقاش. ويجب أن تتضمن مسؤولياته جمع معلومات معتمدة عن أناس قبل أن يُفاتحوا، وذات يوم أخذ بيانكو سيمونيني جانبا وسأله إن كان

مازال مستمراً في ذهابه الى مقهى بيسيرن Caffé al Bicerin، واقترح عليه لقاءً هناك وصفه أنّه دردشة خاصة.

وقال " عزيزي المحامي سيمونيني، أننا ندرك جيداً، أنك كنت حفيد أحد رعايا صاحب الجلالة الموقر جداً، وبالتالي كما يبدو أنك متعلم تماماً. ونعرف ايضاً أن والدك دفع حياته من أجل أشياء نعدها مجردة عن المنافع، حتى وإن فعلها، إذا جاز التعبير، بسرعة مفرطة. ولهذا، نثق في ولائك ورغبتك في التعاون، وإذا اخذنا ذلك بنظر الإعتبار ايضاً أننا سنكون متساهلين جداً معك، وربما إننا قد ورطناك وناتيو ريبودنغو في وقت مضى لعدم نشاطاتكما الجديرة تماماً بالثناء. إننا نعرف أن لديك اصدقاء، وزمالات، ورفاق روحيين، إذا جاز التعبير - مازينيين وغاريبالديين وكاربوناريين. وهذا شئ طبيعي. ويبدو هذا موضة بين جيل الشباب. ولكن مشكلتنا هي كما يلي: إننا لا نريد من هذا الجيل أن يفقد عقله على الأقل قبل انجاز الأشياء المعقولة والمفيدة. وإنَ حكومتنا معنية بذلك الرجل الغريب بيساكين، الذي هبط بزورقه في جزيرة بونزا قبل عدة أشهر مضت مؤشراً بعلم ثلاثي الألوان جنباً الى جنب أربعة وعشرين رجلا مخرباً، وحرروا ثلثمائة سجيناً ومن ثم أبحروا باتجاه سابري، معتقدين أنَ الناس المحليين ينتظرونه لمساعدته بالأحضان. وإنَ كثيراً من عاملي الخير يقولون إنَ بيساكين روح سخية، أما المرتابون فيقولون عنه إنه مجنون، ولكن الحقيقة، إنه كان مخدوعا. هو ومسانديه إنتهي بهم الأمر الى مذبحة إقترفها أوغاد عندما أراد أن يحررهم. وهكذا ترى أنَ النوايا الحسنة

يمكن أن تقود أصحابها الى مثل هذه الأعمال حينما لا يضعون في حسبانهم الحقائق.

قال سيمونيني، " أنا افهم، ولكن ماذا تطلب مني؟"

" حسنا، إذا احتجنا وقف هؤلاء الشباب من القيام بأعمال خاطئة، فأفضل طريقة هي أن نضعهم خلف القضبان لمدة معينة، باتهامهم بمهاجمة السلطات، ونطلق سراحهم حينما تكون ثمة حاجة للروح الحماسية. ويجب بعد ذلك أن نفاجئهم بفعل التآمر الصريح. وإنك بالتأكيد تعرف من هم قادتهم الذين يثقون بهم. وكل ما ينبغي عليك القيام به هوأن ترسل الى شخص ما مسؤول وتطلب منه مقابلته في مكان محدد، والجميع مسلحون من أعلى رؤوسهم حتى أخمص أقدامهم، ويحملون اشرطة وأعلاماً ووحدة معلومات أساسية وقطعاً تظهرهم أنهم شبيهون بحاملي الأسلحة الكاربوناريين. وستأتي الشرطة لأعتقالهم، وهلم جرا ،

" لكن إذا كنت أنا معهم، فإنني سأتعرض للإعتقال، وإن لم أكن معهم سيدركون حالاً أنني أنا الذي وشيت بهم."

" بالطبع، ياسيدي، نحن لسنا سذج، كي لا نحتاط للأمر."

وقد خطط له بلانكو، كما سنرى. ولكن، سيموننا كان ايضاً مخططاً ستراتيجيا، وقد أصغى بإنتباه الى الخطة التي اقترحت عليه، إنه استنبط صيغة إستثنائية للدفع، وأخبر بيانكو بما يتوقعه من سخاء صاحب الجلالة.

" إنَ مستخدمي كما ترى، إقترف جرائم كثيرة قبل أن أكون مساعده. وهذه كافية لي في أن أوضح مسألتين أو ثلاث حيث توجد شهادات وثائقية كافية، لا تنطوي أيا منها على أهمية حقيقية - ربما ثمة شخص ما قد مات في الوقت المحدد - وما يتعلق بي يجب أن أقدم شهادات مجهولة، من خلال توسطك الرقيق، الى المحاكمة العامة، ومن المؤكد أن تدين ناتانيو ريبودنغو لتزويره أعمالاً عامة وتضعه خلف القضبان لعدة سنوات، وهذه كافية لتأخذ الطبيعة مجراها، ليس لفترة طويلة بالتأكيد نظراً لحالة الرجل العجوز الحالية.

" ومِن ثم؟"

" ومِن ثم، حالما يوضع نوتايو ريبودنغو في السجن، فسأزوًّر العقد، مُؤرخاً قبل أيام من اعتقاله تماماً، مبرهناً أنني اكملت سلسلة من الأقساط لمشتريات مكتبه وبهذا سأكون المالك له. أما ما يتعلق بالنقود ستُظهر أنني دفعتها كلها. ويعتقد الجميع أنه ينبغي عليّ أن أكون وريثاً لعقار محترم من جدي، والشخص الوحيد الذي يعرف الحقيقة هو ريبودنغو ذاته.

قال بيانكو " رائع، ولكن القاضي يريد أن يعرف مصير النقود التي من المفروض أنك قد دفعتها له."

" ريبودنغو لا يثق بالبنوك ويحتفظ بكل شيء في خزانة في مكتبه. أنا اعرف كيف تفتح الخزانة، بالطبع، لأنه سيتخيل أنَ كل ما يستطيع القيام به هو أن يدير ظهره، وطالما أنه لن يراني بعد ذلك، سيكون مقتنعا أنني لن استطيع أن أرى ماذا كان يفعل. وبالتأكيد ستفتح

الشرطة الخزانة بطريقة أو بأخرى، وسيجدونها فارغة. وأستطيع أن اشهد أنَ عرض ريبودنغو كان غير متوقع تماماً، وحينها سأكون مندهشاً بالمبالغ الضئيلة التي كان يتساءل أنني أشك أن لديه سبباً للتخلي عن شؤونه التجارية. وفي الحقيقة، أنهم سيجدون، الى جانب الخزانة، رماد بعض الوثائق الغامضة في الموقد، وسيجدون في جرارة منضدته رسالة من فندق في نابولي تؤكد حجزه إحدى الغرف فيه. وسيكون من الواضح، أنَ ريبودنغو فكر أنَه كان حاليا تحت المراقبة القانونية وأنَه قرر الهروب لتفادي تلك المساءلة، منطلقا للإستمتاع بثروته تحت حكم البوربون، ربما يكون قد هرَب أمواله هناك."

" ولكن إذا اعترف أمام القاضي عن عقدك، فإنَه سينكره."

" منَ يعرف ما هي الأشياء الأخرى التي سينكرها. ثمة احتمال ضعيف في أن يصدقه القاضي."

" خطة محبوكة. أنا معجب بك. يا سيمونيني. إنك مُبهِر، وأكثر اندفاعاً، وأكثر حسماً، من ريبودنغو، إذا جاز لنا القول، أكثر تنوَعاً، هذا شيء مدهش. أنَك ستسلم مجموعة الكاربونارية إلينا، ومن ثم سنتعامل مع ريبودنغو."

" يبدو أنَ اعتقال الكاربوناريين يشبه لعبة طفل، لأسباب ليس أقلها أنَ أولئك المتحمسين حقا كانوا أصغر بكثير من تفكير الأطفال، وأنهم كاربوناريون في أغلب احلامهم المتوهجة حسب، وسيموني، في البدء كان يغذي الكاربوناريين بعيداً عن الغرور لبعض الوقت تدريجياً بالهراء الذي أخبره به الأب بيرغاماشي، مدركا أنهم سيأخذون كل

إفشاء على أنه أخبار يستقبلها من والده البطولي. وقد حذره اليسوعيون باستمرار ضد مؤامرات الكاربوناريين - من ماسونيين، ومازينيين، وجمهوريين، ويهود، متنكرين بالوطنية، يتخفون من الشرطة حول العالم بالتظاهر أنهم تجار فحم، ويلتقون سراً تحت ذريعة تنفيذ أعمالهم التجارية.

" إنَ جميع الكاربوناريين يدينون بالولاء الى الألتا فينديتا، الذي يملك أربعين عضواً أغلبهم، من المرعب أن نقول، صفوة روما الأرستقراطية - زائداً، بالطبع، عدد من اليهود. كان قائدهم نيبيوس، نبيلاً رائعاً، وفاسداً طول النهار، ولكنه خلق لنفسه منصباً في روما، كان ذلك عبر الشك، والفضل يعود لإسمه وثروته. ومن باريس، بيوناروتي، والجنرال لافاييت والسنت سيمون الذين استشاروه إن كان هو المستشار الروحي لدلفي. ومن ميونيخ، ودريسدن، وبرلين، وفينا، وسنت بطرسبرج، ورؤوساء المحافل اليهودية الرئيسة - تشارنر، وهيمان، ويعقوب، وجودسكو، وليفين، وموراففييف، وشتراوس، وبالافيشيني، ودريستن، وبيم، وباثياني، وأوبنهيم، وكلاوس، وكارولوس - كلهم يبحثون عن نصيحته. وبقي نوبيوس تحت قيادة فنديتيا العليا حتى العام ١٨٤٤، حين دس أحدهم السم مع أكوا توفانا. لا تتخيَل أنَنا نحن اليسوعيين فعلناها. ويعتقد مؤلف القتل أنه كان مازينيا من فعل ذلك، الذي بحث، وبقي يبحث، كي يكون رئيساً للكوربونارنيين، وبمساعدة اليهود، وسَلَف نوبيوس الآن هو النمر الصغير، Little Tiger، وهو يهودي مثل نوبيوس، الذي لن يتوقف عن

الجري لتحريض أعداء كالفاري. ولكن مكان أعضاء واجتماع الألتا فينديتا يبقى سرياً. وكل شيء يجب أن يبقى غير معلن للمحافل اليهودية التي تستقبل توجيهاتها وحماستها منه. بما في ذلك الأربعين عضوا للألتا فينديتا الذين لا يملكون مصدر الأوامر التي تصدر أو تنفذ. وإنَهم يقولون إنَ اليسوعيين هم عبيد لقادتهم. إنَ الكاربوناريين هم عبيد للسيد الذي يحافظ على نفسه مختفياً تماماً. ربما الرجل العجوز العظيم هو الذي يدير أسرار أوربا.

وقد حول سيمونيني نيبيوس الى بطل شخصي، ودائماً ما يكون نظير ذكوري لبابيت انتيرلاكن، ونوَم مغناطيساً رفاقه عن طريق تحويلهم الى قصيدة ملحمية، بما أخبره الأب بيرغاماشي بصيغة قصة قوطية - رغم إخفاء تفاصيل صغيرة تذكر أنَ نوبيوس قد مات الآن.

الى أن جاء ذلك اليوم الذي كتب فيه رسالة لم تكن فبركتها صعبة، أعلن فيها نوبيوس العصيان عبر بيدمونت، بلدة بعد بلدة. المجموعة يقودها سيمونيني، الذي لعب دوراً خطيراً ومثيراً. و يجب أن يلتقوا ذات صباح في قاعة محكمة أوستيريا دي أورو، حيث يجدون السيوف والبنادق وأربع عربات محمَلة بالأثاث والفرش القديمة. وبهذا التسليح سيشقون طريقهم عبر تقاطع باربارو وبنوا متاريس ليغلقوا مداخل بيازا كاستيلو. وهناك يخيمون بإنتظار الأوامر.

كان هذا أكثر من كاف لإثارة قلوب عشرين طالباً إلتقوا في صباح مصيري في فناء صاحب الخان ووجدوا السلاح الموعودين به في عدد من البراميل. وبينما هم يبحثون عن عربات الأثاث، دون أن

يفكروا في تحميل أسلحتهم، باغتهم خمسون شرطياً متهيئين للرمي في الفناء. ودون مقاومة، أحاطوا بالصبيان ونزعوا سلاحهم، وصفّوهم في مواجهة الجدار، في كل جانب من مدخل البوابة. هيا، أنتم، أيَها الرعاع، إرفعوا أيديكم، دون حركة " صرخ بهم بعصبية ضابط يرتدي ملابس بسيطة.

ورغم إن المتمردين ظهروا ليتجمعوا قليلاً أو كثيراً بطريقة عشوائية، فقد أوقف شرطيان سيمونيني في أقصى الخط، تماماً الى جانب زاوية الزقاق، في هذه الغضون، ناداهم الضابط وذهبا بإتجاه مدخل الفناء. إستدار سيموني الى أقرب رفاقه وهمس في أذنه شيئاً ما. ولاحظ أنَ الشرطة على مسافة بعيدة عنهما، واندفعا بإتجاه الزاوية واطلقا سيقانهما للريح.

صرخ شخص ما، الى السلاح، إنهما يهربان. وسمع سيمونيني ورفيقه ثمة صوت أقدام تلاحقهما، فضلاً عن صراخ رجال الشرطة الذين راحوا يتعقبونهما في الزاوية. سمع سيمونيني صوت الرصاص. أصيب رفيقه، رغم إنّه من الصعوبة أن يحدد إن كانت الإصابة مميتة أم لا. وكان بإمكانه أن يصوب الرصاصة بإتجاه الهواء كما اتفقا.

استدار الى الشارع الآخر، ومن ثم الى آخر، بعيداً، وكان بإمكانه سماع صوت المتعقبين اياه، الذين يتابعون أوامرهم، وأخذوا الإتجاه الخطأ. وقبل أن يسير مسافة بعيدة، عبر ساحة كاستلو بإتجاه منزله، كأي مواطن عادي. وبعد ذلك، الى رفاقه – الذين أقتيدوا في هذا الوقت – مفترضاً أنَ الجميع قد هرب، ومنذ أن اعتقلوا معا وصفّوهم

طابوراً في مواجهة الجدار، ولا يتذكر أيَاً من الشرطة وجهه. لهذا فإنه ليس بحاجة أن يغادر تورين؛ وبإمكانه العودة الى عمله، كما يستطيع أن يُطمئن العوائل بإعتقال اصدقائه.

وما لبث يتعامل مع ناتايو ريبودنغو. ذهب الرجل العجوز الى السجن، كما هو مخطط له، وتوفي بعد سنة كمداً. بيد أنَ سيمونيني لم يشعر بالأسف عليه. وانتهى الأمر. ومنحه كاتب العدل عملاً، واصبح سيمونيني عبده لسنوات عدة؛ دمر كاتب العدل جده، ودمره سيمونيني.

~ ~ ~

إذن، هذا، ما كان آبي دالا بيكولا قد وصفه لسيمونيني. وبذلك شعر بإرهاق شديد بعد هذه الذكريات كلها التي نسجت حقيقة مساهمته في المذكرات التي توقفت في منتصف الطريق خلال جملة، كما لو، بينما كان يكتب، أنه سقط في دورة مِن السبات.

(٦)
العمل في المخابرات

الثامن والعشرون من آذار / مارس ١٨٩٧،السيد آبي، من الغريب جداً أنَ ما يُفترض أن تكون يوميات(وأن تُقرأ مِن قبل مؤلفها حسب) تتحول الى رسائل متبادلة. لكنني هنا، أكتب لك رسالة، ربما في يوم ما، تمر من هنا، وتقرأها.

إنك تعرف الكثير عني. وفي الغالب أنك شاهد غير مقبول. بيد أنك بالتأكيد صارم جداً.

نعم، أنا أعترف بذلك. في تصرفي إزاء ما ادَعيه عن رفاقي الكاربوناريين، وإزاء ريبودنغو ايضاً. إنني ما تصرفت طبقا للأخلاق التي من المفترض أن توعظها. ولكن دعنا نكون صريحين: كان ريبودنغو رجلاً لا أخلاقياً، وحين أفكر بكل ما قمتُ به منذ ذلك الحين، أبدو أنني أمارس بالمقابل لا أخلاقياتي على اللاأخلاقيين. كأولئك الصبية، الصبية المتعصبين، حثالة المجتمع، إذ من خلالهم، ومِن خلال تبني المباديء الغامضة التي يتبنونها، تنشب تلك الحروب والثورات. ومنذ أن ادركت أن عدد المتعصبين في هذا العالم لن يتناقص أبداً، ربما حسمت أمري أنني الرابح الأفضل في تعصبهم.

وهكـذا سأسـتأنف كتابـة مـذكراتي، إن سمحـت لـي. إنـني الآن مسؤول عن ما كان مكتباً في آخر أيام ريبودنغو – ومنـذ أن كنت أعيـد تزوير سندات قانونيـة بعد وفاتـه، لم يكـن هـذا مثيراً للدهـشة أنـني ما زلت افعل بالضبط هذه الفعلات نفسها في باريس.

والآن، أتـذكر بوضـوح ايضاً مـا قالـه لـي ذات يـوم كافـاليير بيـانكو: "وكما تـرى، أيهـا المحـامي سيمونيني، إنّ اليـسوعيين قـد ُطـردوا مِـن مملكـة بيـدمونت، ولكـن يعـرف الجمـيع أنهـم مـستمرون في مكـرهم بتجنيد مواليهم تحت أقنعة زائفة. ويحـدث هـذا في كـل مكـان يُنفـون إليـه. فقـد شـاهدت صـورة كاريكاتوريـة مـسلية في إحـدى الـصحف الأجنبية. تُظهر لنا مجموعة من اليسوعيين يتظاهرون في كل عام أنهـم يرغبـون في العـودة الى بلـدهم الأصـلي(رغـم إنهـم مـن الطبيعـي أن يوقفوهم في الحدود) الى أن أدرك أحد الأشخاص أن اخوانهم كانوا هناك يتنقَلون بحرية ويتقنَعون بلبوس رهبان آخـرين. إنهـم جميعاً مـن حولنا، ولكننا نحتاج أن نكتشف أين هم بالضبط. إننا نعرف ذلـك آخـر أيام جمهورية رومـا وبعـضهم اعتـاد الـذهاب الى دار جـدك. ويبـدو مـن غير المحتمل أنك لم تحتفظ بعلاقـة معهـم. لهـذا إننـا نـسألك أن تجـس نبـضهم ونوايـاهم. فثمـة مـشاعرعامة أن النظـام قـد ازداد تـاثيره مـرة أخرى في فرنسا – ومهمـا يحـدث في فرنـسا ربمـا يحـدث تمامـاً هنـا في تورين."

يخطىء تماما مَن يتخيّل أنني مازلت بتماس مع الآبـاء الجيـدين، ولكنني كنت أتعلم كثيراً من اليسوعيين، ومن مصادر موثوقـة. وخـلال

تلك الأعوام طبع يوجين سو آخر تحفته الأدبية أسرار الناس Les mystéres de peuple.، وقد انجزها بفترة قصيرة قبل وفاته في انيسي، في سافوي، حينما كان في المنفى، لأنه كان لفترة طويلة ذو نزعة إشتراكية وقد عارض بشدة إنقلاب لويس نابليون وإعلان الإمبراطورية، ولما تمضِي فترة طويلة على طبع تحفة حلقات feuilletons، بعد تعديلات ريانسي، كانت أعمال سو تصدر بأحجام صغيرة، وتقع تحت طائلة صرامة الرقابات المتعددة، بما فيها الرقابة البيدمونتية، ولهذا تواجه صعوبة كي ترى النور. وأتذكرعند قراءتي لها أنني وجدتها مملة الى أقصى حد في محاولة مني متابعة هذه القصة المتشتتة لتاريخ عائلتين، إحداهما غوليَّة Gauls والأخرى فرنجية Franks في فترة ما قبل التاريخ وحتى مجيء نابليون الثالث. حيث يتميز الفرنجيون بالظلم الشرير أما الغوليّون فيبدو أنهم كانوا اشتراكيين منذ زمن فيرسنغيتو. ولكن سو، ومثل جميع المثاليين، إستحوذ عليه هاجس وحيد.

فمن الواضح أنه كتب آخرالصفحات لروايته الأخيرة حين كان في المنفى، في الوقت الذي أحكم لويس نابليون قبضته على الحكم ونصَّب نفسه إمبراطوراً. لكي يجعل من هذه الإبداعات أكثراشمئزازاً، فإنَ سو قد أوضح فكرته: ومنذ أن كان اليسوعيون العدو الكبير الآخر للجمهورية الفرنسية منذ زمن الثورة، فكل ما يستطيع فعله إظهار نابليون القابض على السلطة هو بإيحاء وهدي من اليسوعيين. والحقيقة قد تم إبعادهم عن فرنسا منذ ثورة تموز/يوليو ١٨٣٠، لكن

في الواقع أنهم تمكنوا من الإستمرار في البقاء في حياتهم خفية وبسهولة أكثر بعد أن ظهر أن لويس نابليون لم يفعل ذلك، مسامحاً إياهم في البقاء لفترة معقولة مع البابا.

واحتوت هذه الرواية رسالة من الأب رودن(الذي ظهر في رواية اليهودي المتجول مخاطباً فيها المرشد الروحي الأعلى لليسوعيين الأب روثان،التي من خلالها انطلقت تفاصيل الخطة العظيمة. تقع الأحداث الأخيرة في الرواية خلال الصراع الإشتراكي والجمهوري ضد الإنقلاب، وتبدو أن الرسالة كُتبت على نحو أن ما قام به لويس نابليون فعلاً يبدو على نحو أنه لم يحدث حتى الآن، مما جعل كل تنبؤه أكثر اضطراباً.

ومنذ مستهل رواية دوماس، جوزيف بالسامو، تنساب بسلاسة الى ذهن القاريء: مما يجعلها كافية تماماً للتعويض عن جبل الرعد مع إحتوائها لكثير من الخلفيات الكَنَسية – مثل سرداب الدير القديم – بدلاً من الماسونيين، وجمع ابناء لويالا من جميع انحاء العالم. ويستبدل بالسامو برودن، وأنك ستقرأ النموذج القديم نفسه للمؤامرة القديمة ولكن بتصميم جديد يتناسب والزمن الحاضر.

وهنا، عنّت لي فكرة احتمال بيع غير قليل من قصاصات ورقية عن القيل والقال الذي ألتقطه هنا وهناك، وأبيعه كوثيقة صحيحة مأخوذة عن اليسوعيين. من الواضح، ينبغي عليّ أن استبدل تفاصيل قليلة، لإزالة الأب رودن، الذي يتذكره على الأرجح شخص ما على أنه شخصية روائية، وسيربح الأب بيرغاماشي، أينما وجد، رغم ان شخصاً

ما في تورين ربما قد ذكره لشخص ما. وكذلك، المرشد الروحي الأعلى للكهنة الأب روثان حين كان سو يكتب، في حين كان يقال إن الأب بيكس تولى المهمة الآن.

والوثيقة تبدو أنها نسخة طبق الأصل، كلمة بكلمة من المعلومات عبّرها مخبر موثوق به، ولا يظهر لنا على أنه جاسوس(لأن من المعلوم جيدا أن اليسوعيين لا يخونون الجمعية) والى حد ما صديق قديم لجدي الذي أسرّه هذه القضايا ليبرهن على قوة وعظمة كهونيته.

وأريد أن أضمِّن اليهود في القصة، كجزية لجدي، لكن سو لم يشر إليهم ولم أجد طريقة لحشرهم في القصة مع اليسوعيين- وعلى كل حال، كان يهود بيدمونت لا يشكلون أية أهمية فيها. وإنه من الأفضل أن لا يملؤوا رؤوس وكلاء الحكومة بمعلومات كثيرة جداً. وكل مايريدونه هو أفكاراً واضحة، وبسيطة – أسود وأبيض، جيد ورديء، ويجب أن يكون هناك وغد واحد حسب.

ما زلت، لا أريد مغادرة اليهود تماماً خارج الرواية، ولهذا استخدمتهم أرضية لها – ورغم ذلك، كانت طريقة في إثارة الشك في ذهن بيانكو عن اليهود.

ثمة شيء يحدث في باريس – أو، مازال الأسوأ يجري، في تورين – هل استطيع، فكّرت، كنت أدقق. ينبغي علي أن اجلب يسوعيّ إياي معاً خارج متناول المخابرات السرية البيدمونتية، التي تملك أخباراً ملفقة عنهم. وعلى كل حال، كان اليسوعيون في كل مكان–

أخطبوطات الرب، ومجساتهم تلتف بطريقة لولبية حتى في البلدان البروستانتية.

يجب على المرء الذي يرغب في تزوير الوثائق أن يمتلك معلومات جيدة عن هذه المهمة، وهذا هو السبب الذي دفعني أن اقضي وقتاً في المكتبات.على فكرة، المكتبات هي مكانات ساحرة: تشعرك احياناً أنك تحت قبة محطة قطار، وحينما تقرأ كتباً عن مكانات غريبة تنتابك مشاعر السفر الى بلدان بعيدة. في هذه الأثناء وقع في يدي كتاب يحتوي على زخرفة جميلة عن مقبرة يهودية في براغ. مقبرة مهجورة الآن، تحتوي على إثنتي عشرة شاهدة قبر تقريباً على مساحة محتشدة جداً، لابد وأنها بعيدة عن القبور، لأن هناك عدة طبقات من الأرض قد تراكمت فوق الطريق عبر مسارات قرون عديدة، ومن المحتمل أن شخصاً ما رفع بعض الشواهد المدفونة، بما في ذلك نقوشها، وهكذا كي يصنع كتلاً غير منتظمة من النقوش موضوعة في الإتجاهات كلها (أو ربما إن اليهود انفسهم حفروها، دون أي اعتبار، ودون أي اهتمام لجمالها ونظامها).

ويبدو أنَ الموقع المهجور ملائم على نحو ما، وفي الأقل ليس في تنافره. في أيَ طريقة ماكرة قرر فيها اليسوعيون أن يلتقوا في مكان كان مقدساً لدى اليهود؟ وبأي وسيلة للسيطرة على حيازة هذا المكان الذي كان منسياً من الجميع. وربما لا يمكن الوصول إليه؟ هذه الأسئلة كلها لا تحمل في طياتها أجوبة، أعطت مصداقية للقصة، ومنذ

أن حسبتُ أنَ بيانكو سيقتنع بحزم حينما تبدو جميع الحقائق قابلة للتأويل ومن المحتمل، أن تكون القصة زائفة.

وكقاريء نزيه لدوماس، شعرت بسعادة غامرة في وصف تلك الليلة، وذلك الظلام وتلك السرية المخيفة، فضلا عن تلك الأرضية للمقابر، المتناثرة ينيرها ضوء هلال باهت ومميت، أقام اليسوعيون قداساً في شبه دائرة، حين يشاهد المرء من الأعلى أروابهم السود الفضفاضة، ستظهرالأرض كما لو أنها تدب بصراصير زاحفة - ومرة أخرى، يصف دوماس غمزات الأب بيكز الشيطانية كما لو أنه يعلن التصاميم الوحشية لأولئك اعداء البشرية(وبالتأكيد أنَ شبح أبي سيبتهج في السموات العليا - وأعني بذلك من اعماق الجحيم، إذ من المحتمل أنَ الرب سبحانه وتعالى يرمي المازينيين والجمهوريين في أتونه) ومن ثم يصف الرسوليين الحقراء وهم يتفرقون، مثل غربان شياطين تحلق تحت جنح الفجر الشاحب، حاملين أنباءً الى مختلف بيوتاتهم حول الخطط الشيطانية لغزو العالم، وهكذا، يجلبون ليلة جهنمية.

ويجب أن أوجز الموضوع، ليتماهى مع التقرير السري، لأن من المعلوم جيداً أنَ عملاء الشرطة هم ليسوا قراء ممتازين وليس بإمكانهم قراءة أكثر من صفحتين أو ثلاث صفحات على الأكثر.

ومعلوماتي المفترضة على هذا الأساس تصف اجتماع ممثلي الجمعية من مختلف انحاء العالم في براغ تلك الليلة ليستمعوا للأب بيكز، وكيف أنه يقدم الأب بيرغاماشي، الذي قد تحول عبر سلسلة من ظروف سرية الى مستشار لنابليون الثالث.

وأخبر الأب بيرغاماشي كيف أنَ لويس نابليون بونابرت أظهر إذعانه لكهنة الجمعية.

قال " يجب علينا، أن نعجب بالبراعة التي خدع بها نابليون الثوار عن طريق تظاهره بدعم مذاهبهم، ومهارته في التآمر ضد فيليب لويس مسبباً سقوط الحكومة الكافرة. وثقته بمجلسنا، حين قدم نفسه في ١٨٤٨ كجمهوري حقيقي، لكي يُنتخب رئيساً للجمهورية. ولا ينبغي أن ننسى كيف أنه ساعد على تدمير جمهورية روما المازينية وإعادة البابا للعرش.

واستطرد بيرغاماشي " بحث نابليون وبكل الوسائل، لتدمير جميع الإشتراكيين والجمهوريين، والعلمانيين والثوريين، وجميع أولئك الأوغاد العقلانيين الذين يعتنقون السيادة الوطنية وحرية الإعلام، والدين، والحرية السياسية والإجتماعية. وقد بحث وسائل حل الجمعية التشريعية، واعتقل ممثلي الشعب بتهمة التآمر، وأصدر مرسوماً لحصار باريس، ورمى أولئك الذين يحملون السلاح الى المتاريس، ونفى الشخصيات الخطيرة وإرسالهم بالسفن الى كايين، وسحق حرية الجمعيات والإعلام، وأرسل الجيش الى الحصون ليقصف العاصمة، وتحويلها الى رماد، كي لا تبقى حجرة واحدة على وجه الأرض. وبالتالي تحقيق النصر للكنيسة الرسولية والبابا الكاثوليكي على بقايا أرض بابل الحديثة. ومن ثم دعا الشعب الى الاقتراع العام لتوسيع السلطة الرئاسية لمدة عشر سنوات، ومن ثم إعادة النظام الجمهوري الى النظام الإمبراطوري، واقتراع عام لنبذ الديمقراطية لأنها تمنح

سكان الريف الذين ما زالوا موالين الى أصوات قساوستهم حق التصويت. "

وما هو أكثر امتاعاً هو ما يجب على بيرغاماشي قوله في النهاية عن سياستهم إزاء بيدمونت. وهنا، توصلت من خلاله عن النوايا المستقبلية للجمعية، ورغم الوقت الذي كنت أعد فيه التقرير، كان قد تحقق بالفعل كل شيء.

ويحلم ذلك الملك الرعديد فيوتوريو عمانوئيل بقيام مملكة في إيطاليا، يشجعه في ذلك وزيره كافورعلى طموحاته هذه، وكلاهما كان يبحث ليس أن يرغم النمسا على الإنفصال من شبه الجزيرة بل ليدمر سلطة البابا المؤقتة. وكلاهما ايضاً يتطلع الى دعم فرنسا، وبهذا سيكون من السهولة بمكان زجها أولا في حرب ضد روسيا إيفاءً بوعدهما لمساعدتهما ضد النمسا، ولكن في الوقت نفسه يطالبان بمقايضة سافوي ونيس. ولكن الإمبراطور تظاهر بمساعدة بيدمونت لكن– بعد نصر محلي مهم – قايضا من أجل السلام مع النمساويين دون إشارة منهما، ومن شأن ذلك إيجاد صيغة لإتحاد إيطالي يرأسه البابا، الذي ستنضم النمسا إليه بينما تحتفظ بممتلكاتها في إيطاليا. وبهذه الطريقة، ستكون إيطاليا الدولة الليبرالية الوحيدة في شبه الجزيرة، وستبقى خاضعة الى كل من فرنسا وروما وعن طريق سيطرة الجيش الفرنسي سيتم غزو روما أو تحصين سافوي. "

كانت هذه هي الوثيقة. ولا أدري كيف ستقوِّم حكومة بيدمونت إتهام نابليون الثالث أنه عدو للمملكة البيدمونتية، لكنني أحسست

فعلاً ما هي التجربة التي تؤكد- أنَ أولئك الرجال في المخابرات السرية وجدوها مفيدة لإمتلاك وثيقة يمكن إستخدامها(حتى وإن لم يضعوها موضع التنفيذ الآن) لإبتزاز موظفي الحكومة، وخلق اضطرابات وتغيير مسار الأحداث.

وقرأ بيانكو التقرير بعناية فائقة، وكان يرفع بصره بين الفينة والأخرى ويركز في عيني ويقول كانت مادة في غاية الأهمية. ومرة أخرى، أثنى على الفكرة التي تقول حينما يبيع جاسوس شيئاً جديداً تماماً، فإنَ كل ما يحتاجه هو إعادة شيء ربما نجده في كشك من الدرجة الثانية.

لكن مع هذا لم يعرف بيانكو كثيراً عن الأدب، مثلما يعرف الكثير عني، ثم أضاف بتعبير لا يخلو من خبث " أنك قمت بإختراع هذه المادة بالطبع ".

قلت، بصوت مروع " أستميحك عذراً."

رفع يده ليوقفني. " لا تقلق، أيها المحامي سيمونيني. حتى وإن كانت هذه الوثيقة هي بخط يدك، فإنها تناسبني وسيقدمها رؤوساء كهنتي الى المحكمة بوصفها وثيقة أصلية. وستدرك – أنه من المعلوم جداً– أن وزيرنا كافور كان مقتنعاً أن نابليون الثالث هو تحت سلطته، كل ذلك بسبب إرساله كونتيسة كاستيغليون لتكون كونتيسته، هل نتجرأ ونقول رفيقته، وبدون نقاش أنها إمرأة جميلة، والرجل الفرنسي يستأنس بفضلها دون الحاجة أن نكرر سؤالنا. لكن من الواضح الآن أنَ نابليون لا يلبي رغبات كافور كلها خاصة وأن الكونتيسة فقدت كثيراً

من سحرها له للاشيء– ربما قد استمتعت به ولكننا لا نسمح بأن تعتمد شؤون الدولة على أهواء سيدة فاجرة. ومن المهم جداً أنَ صاحب الجلالة، رمز سيادتنا، لن يثق بنابورت. قريباً – في الحقيقة قريباً جداً– سينظِّم غاريبالدي أو مازيني(أو كلاهما) حملة على مملكة نابولي. وإذا حالف الحظ هذه المغامرة، فإن بيدمونت ستتدخل كي لا تترك هذه المناطق في يد الجمهوريين، وبقيامها مثل هذا العمل سنزحف بإتجاه شبه الجزيرة من خلال الدولات البابوية. وكي ننجز هذا الهدف، يجب علينا أن نغرس مشاعر سيادتنا في الشك والتذمر إزاء البابا وبهذا سيصغي قليلاً الى نصيحة نابليون الثالث. وكما يجب أن تدرك، أيها المحامي سيمونيني، أن السياسات غالباً ما تتقرر من قبلنا وينفذها خدم دولتنا المتواضعين أكثر مما يقررها أولئك الذين هم في نظر الناس، يمارسون السلطة.

ويُعدَ ذلك التقرير أول عمل جاد حقيقي لي، حيث لم أكن أخربش خارج رغبة ليس من مصلحة أي مخلوق بالذات، ولكن يجب أن نصوغ وثيقة معقدة سياسياً، يمكننا من خلالها أن نسهم في سياسات مملكة بيدمونت. إنني هنا أتذكر مشاعر الفخر الجياشة.

وفي الوقت المحدد، جاءت سنة ١٨٦٠ ذات الأحداث الجسام، أحداث البلد الجسام، رغم إنني لم أشارك فيها حتى الآن. فقد تابعت الأحداث من مسافات بعيدة، مصغياً الى ثرثرة عديمة الجدوى في مقهى العاطلين. وشاعراً بأنه ينبغي عليَّ أن أكون أكثر قرباً في المشاركة في القضايا السياسية، وأدركت بأنَ أكثر الأخبار جاذبية في

الفبركة ستتوقعها تلك العقول العاطلة، أكثرمن تقارير تلك الصحف ذات الحقائق الثابتة.

هكذا وصل الى سمعي أنَ مواطني دوقية تسكانيا الكبيرة ودوقية مودينا ودوقية بارما قد خلعت حكامها، وإنَ ما تسمى بالمفوضيات البابوية لأميليا ورومانغا قد انفصلتا عن السيطرة البابوية وكلتاهما أرادت الإنضمام الى مملكة بيدمونت. وفي نيسان / ابريل ١٨٦٠، إندلع التمرد في باليرمو؛ وكتب مازيني الى زعماء الثوار بأن غاريبالدي سيهب الى مساعدتهم؛ وانتشرت إشاعة بأن غاريبالدي كان يبحث عن الرجال، والمال، والسلاح لحملته وأن سفن البوربون قد عبرت فعلا مياه صقلية لمنع حملة العدو.

" هل تعرف أنَ كافورا يستعمل أحد رجاله الموثوق فيه جداً، لافارينا، ليحافظ على غاريبالدي تحت السيطرة؟"

" ماذا تقصد؟ إنَ الوزير وافق على مشتريات تحتوي على إثنتي عشرة بندقية لرجال غاريبالدي."

" وعلى كل حال، فقد أُوقف التوزيع، ومِن قبل مَن؟ مِن قبل مملكة الكاربوناريين !"

" لكن من فضلك، من فضلك ! يا كافور، إبتعد عن إيقافها، وساعد على التوزيع."

" تماماً ! ما خلا أنَها لم تكن بنادق من نوع أنفيلد كما كان يتوقع غاريبالدي، بل هي عبارة عن قطع سكراب معدن قديم. بطلنا سيكون محظوظاً إذا هم قد استعملوا قبرات الرمي !"

" وقد أعلمني شخص في القلعة الملكية، لم يذكر إسمه، أن لافارينا قد اعطى غاريبالدي ثمانية آلاف ليرة وألف بندقية."

" نعم، ولكنها كانت ثمانية آلاف، واحتفظت حكومة جنوة بألفين."

" ولماذا جنوة؟"

" لأنك لا تتوقع أنَ غاريبالدي سيذهب الى صقلية على ظهر بغل. ووقع عقداً بشراء سفينتين، سيبحران الى جنوة أو في المياه المجاورة. وإنك تعرف مَن الذي أعطى ضمان الدْين؟ الماسونيون، وإن ارتأينا الدقة، محفل يهودي في جنوة."

" أي محفل تتحدث عنه؟ المحفل الماسوني، هو بدعة اليسوعيين."

" يجب أن تحافظ على الهدوء - إنك ماسوني، وهذا ما يعرفه الجميع عنك ".

" يجب أن نتجاوز ذلك... على كل حال، فقد حدث أن عرفتُ من مصدر موثوق ومن أحد أولئك الذين حضروا توقيع العقد." وهنا انخفض صوته ليهمس، " كان المحامي ريكاردي والجنرال نيغري دي سنت فرونت."

" ومَنْ هما بحق الجحيم؟"

وانخفض صوته أكثر " إنك لا تعرف؟ إنهما رؤوساء قسم الشؤون السرية، أو بالأحرى، من وزارة شؤون الدولة للمراقبة السياسية، لخدمات المعلومات لرئيس الدولة. إنهم متنفذون - أكثر أهمية من رئيس الوزراء ذاته. أولئك هم. بعيدون عن كونهم ماسونيين."

" حقـا؟ بـالطبع، أنـه مـن الممكـن تمامـاً أن تكـون عـضواً في المخـابرات الـسرية وفي الوقـت ذاتـه تكـون ماسـونياً– التوفيـق بينهمـا ممكناً –

~~~

في الخامس من مايس/آيار أصبح من الشائع أنَ غاريبالـدي وآلاف المتطـوعين قـد غـادروا بحـراً في طـريقهم الى صـقلية. بيـنهم أكثـر مـن عـشرة متطـوعين مـن بيـدمونت، فـضلا عـن أجانـب، وعـدد كـبير مـن القانونيين، والأطباء، والصيادلة، والمهندسين، والعقاريين. والقلـة مـنهم ناس عاديون.

في الحـادي عـشر مـن مـايس /آيـار، أرسـت سـفينة غاريبالـدي في مارسـالا. والى جانبهـا البحريـة البوربونيـة؟ وكـان مـن الواضـح، ثمـة سفينتان بريطانيتان راسيتان في الميناء، بصورة رسمية لحمايـة مـصالح مـواطنيهم الـذين يغذون تجارة النبيـذ المارسـالي الجيـد.أرسـتا هنـاك لحماية غاريبالدي؟

بإختصار، وفي غضون أيام قليلـة مـن أيام الألـف الغاريبالديـة(كمـا هـي معروفـة الآن) قـد توجهـت الـسفن البوربونيـة في كالاتـافيمي ثـم تنامى عددها، والفضل يعود الى وصول متطـوعين. وأعلـن غاريبالـدي نفسه دكتاتوراً على صـقلية بإسـم فيتوريـو عمانوئيـل الثـاني، وفي نهايـة الشهر إحتل باليرمو.

وماذا عن فرنسا؟ ماهو رأيها؟ يبدو أن فرنـسا راحـت تراقـب الوضـع عن كثب، لكن أحد الفرنـسيين، هـوالروائي العظـيم الكـسندر دومـاس،
~~~

كان في ذلك الوقت أكثر شهرة من غاريبالدي نفسه، إندفع لينضم الى المحرِّرين في يخته الخاص إيما Emma، حاملاً معه المال والسلاح.

في نابولي كان فرانسسكو الثاني ملك الصقليتين غير المحظوظ، أرعبه رجال غاريبالدي الذين فازوا بعدة مواقع لأن جنرالاته قد خذلوه، وعجَل بالإعلان عن العفو عن السجناء السياسيين والإعلان عن إعادة دستورعام ١٨٤٨ الذي كان قد أُلغي، ولكن بعد فوات الأوان حين إنفجر الشغب ليمتد الى عاصمته.

كان ذلك في الأيام الأولى من حزيران / يونيو حين تسلمتُ ملاحظة من كافالير بيانكو، يخبرني فيها بالإنتظار في اليوم نفسه في منتصف الليل حيث تأتي عربة لتقلني الى مكتبي. كان موعداً غير طبيعي، لكنني شعرت بفرصة ممتعة، وفي منتصف الليل، كان التعرُّق شديداً نتيجة الحرارة الخانقة التي كانت تعذب المدينة في ذلك الوقت، إنتظرت أمام مكتبي. وصلت حالاً عربة موصدة الأبواب ومسدلة الستائر، في داخلها رجل لا أعرفه. سحبني الى مكان ليس بعيداً عن العربة، ويبدو أن العربة مِن مركز المدينة- وفي الحقيقة كان لدي انطباع أنها اجتازت شوارع المدينة الطويلة مرة أو مرتين قبل أن تصلني.

توقفت أمام فناء متهدم لشقة مبنية من كتل إسمنتية، كان مزيجاً من درابزينات متعرجة. وهنا دخلت خلل رواق صغير وهبطت الى ممر طويل. في نهايته ثمة باب صغير آخر يفضي الى مدخل صالة بناية متميزة جداً. وصلنا الى سلالم عريضة، لكن لم نصعدها وسرنا عدة

خطوات الى أقصى زاوية المدخل. أفضت بنا الى داخل غرفة جدرانها مخططة على الطريقة الدمشقية، وثمة لوحة تخطيطية للملك معلقة في أعلى الحائط، وطاولة مغطاة بنسيج أخضر يجلس حولها أربعة أشخاص، أحدهم كان كافاليير بيانكو، الذي قدمني للآخرين، لا أحد منهم صافحني واكتفى كل منهم بإنحناءة.

" تفضل بالجلوس، أيها المحامي سيمونيني. إنَ الجنتلمان الذي يجلس الى يمينك هو الجنرال نغري دي سنت فرونت، والى يسارك هنا هو المحامي ريكاردي، والذي أمامك هو البروفسور بوغيو نائب برلمان فالنزا بو.

من خلال الإشاعات التي سمعتها في البارات، أدركت أنَ أول شخصيتين كانتا مسؤولتين عن وزارة الخارجية لمراقبة الشؤون السياسية اللتين(صوت الشعب vox populi) قد ساعدتا رجال غاريبالدي لشراء سفينتيهما الشهيرتين. أما الشخص الثالث فقد عرفت اسمه: بوغيو الذي كان صحافياً، وبروفسوراً في القانون يبلغ عمره الآن الثلاثين، نائباً برلمانياً وأحد المستشارين المقربين من كافور. وجهه أحمر له شاربان جميلان، يرتدي نظارة ذات عين واحدة سعتها بسعة كعب كأس زجاجي، ويبدو في الغالب أنه رجل غير مؤذٍ في العالم. ويحتل مكانة موقرة بين الأشخاص الثلاثة الآخرين ويبدو ايضاً أنَ له نفوذاً واضحاً في الحكومة.

كان نغري دي سنت فرونت أول المتحدثين: " عزيزي المحامي سيمونيني، أنك تدرك جيداً مقدرتك على جمع المعلومات، فضلاً عن

تعقلك وحسن دراية التصرف في التعامل معها، أننا نريد إرسالك في مهمة شديدة الحساسية الى الحدود التي تحت غزو غاريبالدي حالياً. ويجب أن لا تقلق – لا نريد منك أن تقدم اقتراحاً الى ذوي القمصان الحمر في المعركة. إن الموضوع يتعلق بالحصول على معلومات. وبهذا فإنك تدرك تماماً ما هي معلومات الحكومة المفيدة التي يمكن الحصول عليها. إننا ملزمون بأن نثق بك الى حد أنني شخصياً غير متردد في وصف أسرار الدولة. وإنك على هذا الأساس تدرك الحاجة الى الحذر الشديد إعتباراً من هذا المساء فصاعداً. وحتى انتهاء مهمتك وما بعدها. وهذا ايضاً – إذا جاز التعبير – لضمان سلامتك الشخصية، التي نحن معنيون بها بالطبع.

من الصعوبة عليه أن يكون أكثر دبلوماسية. إذ كان سنت فرونت قلقاً كثيراً على حياتي ولهذا السبب كان يحذرني بعدم إخبار الآخرين بما أسمعه، أنني سأضع حياتي أمام خطر حقيقي، بيد أنَ هذه المقدمة مكنتني من أن أتخيل ماذا سأربح من هذه المهمة، إذا أخذنا بنظر الإعتبار أهمية البعثة. بإنحناءة رأس للموافقة. ودعوتُ السنت فرونت للإستمرار في حديثه.

لا أحد يستطيع شرح الموضوع أفضل من البروفسور بوغيو، الذي يسمح موقفه بحرية الوصول الى المعلومات والتعليمات من أعلى المصادر، التي هو قريب جداً منها. من فضلك، واصل الكلام يا بروفسور.

قال بوغيو " كما ترى، أيها المحامي سيمونيني، ليس ثمة أحد في بيدمونت لا يعجب بذلك الكرم، بذلك الرجل المستقيم الجنرال غاريبالدي أكثر من إعجابي. وما قد أنجزه في صقلية، بحفنة من رجال شجعان، ضد واحد من أشرس الأعداء في أوربا. إنها معجزة حقاً."

كانت هذه المقدمة كافية أن تجعلني أفكر أنَ بوغيو هو اسوأ أعداء غاريبالدي، بيد أنني فضلت أن ألوذ بالصمت.

إستمر بوغيو " وحتى الآن، رغم إنَ هذه هي الحقيقة، ذلك أنَ غاريبالدي فرض دكتاتورية على الأراضي التي غزاها بإسم ملكنا، ولم يدعمه فيتوريو عمانوئيل الثاني، والشخص الذي كان خلفه لم يدعمه في هذا القرار أبداً. كان مازيني معلَق خلفه، يتنفس خلف رقبته، متلهف ليتأكد من أن التعليمات العظيمة في الجنوب تقود الى خلق الجمهورية. وإننا نعرف القوة العظمى المقنعة لهذا الإنسان مازيني المتخفي في الخارج بشكل مريح، والذي أقنع حالياً عدداً من الرجال الحمقى للذهاب الى حتفهم. ومن بين أغلب الجنرالات الحميمين المتعاونين هما كرزبي و ونيكوتيرا – هما مازينيان بكل ما تعنيه الكلمة. ولهما تأثير سيء على رجل مثل الجنرال، رجل غير قادر على رؤية الحقد لدى الآخرين. دعنا نكون أكثر وضوحاً: سيصل غاريبالدي حالاً الى مضيق مسينا ويستمر بالعبور الى كالابريا. الرجل هو ستراتيجي داهية، متطوعوه متحمسون، وقد انضمت عدة جزر إليهم خارج المواطنة أوالإنتهازية. وقد أثبت كثير من الجنرالات البوربونية الآن بأنهم قادة غير جديرين حد أنَ بعض شجاعتهم

العسكرية كانت مشبوهة بسبب المدفوعات السرية. ليس من حقنا أن نقول مَن الذي نشك فيه بإرتكاب مسؤولية هذه المدفوعات. بالتأكيد ليست حكومتنا. وصقلية الآن في قبضة غاريبالدي، وإذا سقطت نابولي وكالابريا ايضاً، في هذه الحالة، إن الجنرال وبدعم من الجمهوريين المازينيين ستكون موارد تسعة ملايين مواطن في المملكة تحت تصرفهم وسيحاطون بإعتبارات شعبية لا تقاوم، وسيكون أقوى من سيادتنا، وكي نتجنب مثل هذه الكارثة هناك احتمال واحد فقط: الإتجاه جنوباً، وسنجتاز دون صعوبة تُذكر من خلال الدول البابوية ونصل الى نابولي قبل أن يصلها غاريبالدي. هل هذا واضح؟ "

" نعم، ولكن لا أعرف كيف أنا--"

" إنتظر لحظة فقط. إنَ حملة غاريبالدي قد أوحت بمشاعر الوطنية، لكن كي نتدخل للسيطرة عليها، أو بمعنى آخر نحيُدها، يجب علينا أن نعرض، من خلال إشاعات ذات خلفية جيدة، وأخبار صحافية، بأنَ كل المغامرة أخفقت عن طريق الناس الذي لم يكونوا موثوقين وفاسدين، وبهذا صنعوا المبررات لبيدمونت للتدخل.

قال المحامي ريكاردي " بإختصار، مَنْ منكم لم يتحدث حتى الآن، إنَ مهمتنا لا تنحصر في تقويض حملة غاريبالدي، بل لإضعاف دعم الإدارة الثورية التي ستعقبها. فقد أُرسل الكونت كافور لا فترينا الى صقلية، و قضى المواطن الصقلي العظيم سنوات عدة في المنفى ولهذا سيتمتع بثقة غاريبالدي. لكن في الوقت ذاته كان المتعاون المخلص لحكومتنا، فضلا عن أنه مؤسس الجمعية الوطنية الإيطالية

التي دعمت إنضمام مملكة الصقليتين في إيطاليا موحدة. وقد تعين لافارينا للتحقيق في بعض الإشاعات المزعجة جداً. ويبدو أن غاريبالدي حسن النية وأحمق، إذ أسس حكومة تلغي حكومة غيرها. من الواضح أنَ الجنرال لا يمكنه السيطرة على كل شيء. وإخلاصه موضع شك. لكن بيد مَن يترك الشؤون العامة؟ وينتظر كافور التقرير النهائي من لا فارينا عن إختلاس الأموال العامة، لكن رجال مازيني سيبذلون كل جهدهم لبيقوه بعيداً عن الشعب، وأعني بذلك، مجموعة من الناس الذين جمع منهم بسهولة آخر الأخبار عن كل الفضائح.

اضاف بوغيو" وعلى كل حال، أن قسمنا يثق بلا فارينا فقط كي نتأكد من التوسيع، ولا أرغب أن أكون محرجا، وبعيدا عن ذلك. ولكنه ايضاً صقليّاً – ودون شك، أن الصقليين ناس طيبون، لكنهم يختلفون عنا، ألا تعتقد ذلك؟ ستكون لديك رسالة مقدمة الى لا فارينا، وبالإمكان الحصول على مساعدته، لكن لديك مزيداً من الحرية للحركة وليس مطلوباً منك ببساطة أن تجمع حقائق موثقة ولكن(كما فعلت في المرات السابقة) لفبركتها عند الحاجة. "

" وبأي طريقة وتحت أي سلطة سأسافر الى هناك؟

قال بيانكو وهويبتسم " كما هو المعتاد، إننا فكرنا في كل شيء "

" إن السيد دوماس، كما تعرفه بإسمه المشهور،هو على وشك الوصول الى غاريبالدي في باليرمو. مبحراً في يخته إيما Emma. إننا لسنا متأكدين تماماً ماذا ينوي حينما يرسو هناك. ربما أنه ببساطة يريد

أن يكتب قصصاً روائية عن حملة غاريبالدي، أو ربما إنه رجل مزهوّ يبحث عن سفينته التي تتماوج في البحر مع البطل. ومهما يكن الأمر. سنعرف ذلك في غضون يومين أنه سيرسي في ساردينا في خليج أرزاشينا. وبعد ذلك على عتبات أبوابنا. ستشد الرحال صباح غد الى جنوة على متن سفينتا الى ساردينا، حيث ستنضم الى غاريبالدي، تحمل رسالة موقعة من شخص ما مدين له دوماس ويثق به. وستظهر كحامل مراسلات لصحيفة ينشرها البروفسور بوغيو، مرسلة الى صقلية والى مؤسسة دوماس الشهير فضلا عن غاريبالدي. وبهذه الطريقة، ستكون جزءً من حاشية الروائي وسترسو معه في بالرمو. بهذا سيمنحك اعتباراً ويبعدك عن الشك، الذي سيحوم حولك إن وصلت وحدك. ومن ثم تختلط مع المتطوعين ومع الناس المحليين. وستكون مع الرسالة بصحبة رجل محترم ومعروف جيداً سيزودك برسالة الى أحد ضباط غاريبالدي الشباب، الكابتن نييفو الذي عيّنه غاريبالدي كما يبدو نائباً لجنرال بحري. ومن المعتقد أنه عند رحيل لومباردو Lombardo وال بييمونت،Piemonte وهما السفينتان اللتان أقلتا غاريبالدي الى مارسالا. وكان يعهد إليه بأربعة عشر ألف ليرة من أصل تسعين الف ليرة التي جمعت أموال الحملة. إننا لم نكن متأكدين عن سبب تعيين نييفو لتنفيذ واجباته الإدارية. وقد علمنا أنه أديب، ويبدو أنه يتمتع بسمعة جيدة. وسيكون مسروراً في الحديث مع شخص يكتب الى الصحف ويقدم نفسه بوصفه صديقاً للروائي الشهير دوماس. "

كمن قد قضيت بقية المساء في الإتفاق حول المظاهر التكنيكية والإصطلاع على شؤون الدفع. وفي اليوم التالي أغلقتُ المكتب الى أجل غير مسمى، أجمع معاً نثريات ومتفرقات قليلة وأساسية، وبقدحة إيحاءٍ، أخذتُ معي عباءة الأب بيرغاماشي التي تركتها في بيت جدي والتي قد أنقذتني قبل أي شيء من الوقوع تحت طائلة الدائنين.

(٧)

مع الألف رجل

التاسع والعشرون من آذار/ مارس ١٨٩٧ ،أنا لا أعرف إن كنت أتذكر تلك الأحداث كلها، وبخاصة ما كنت أشعر فيها، خلال سفري الى صقلية بين حزيران /يونيو ١٨٦٠ وآذار/مارس ١٨٦١، وجدت حزمة من زوايا أوراق مطوية مساء أمس بينما كنت أنقّب عن بعض الوثائق القديمة في أسفل مكتب في الطابق الأول في الدكان.ثم بعد ذلك دونت هناك ما قد حدث. وربما كتبته كمسودة أولية لتقرير تفصيلي لدافعي رواتبي في تورين. كانت الملاحظات ناقصة. من الواضح أنني سجلتها حسب ما كنت أعتقد أنها كانت ذات صلة، أو اردت أن تبدو ذات صلة. وربما قد تخليت عنها فأنا لا أعرف تماماً...

~~~

وفي السادس من حزيران / يونيو، كنت على متن سفينة إيمَا إستقبلني الكسندر دوماس بمودة جمة. كان يرتدي معطفاً رمادياً خفيفاً ويبدو أنه لا يدع مجالاً للشك أنه نصف هجين - بشرته زيتية، شفتاه رقيقتان، ممتلئتان، وجاحظتان، شعر رأسه متجعد مثل افريقي متوحش. خلافاً لذلك، أنه يملك ملامح حيوية ساخرة، وابتسامة لطيفة، مربوع الجسد... وهنا تذكرت واحدة من القصص الكثيرة التي
~~~

تُحكى عنه: إذ قام شاب باريسي وقح بإشارة خبيثة في حضوره، الى آخر النظريات التي تربط بين الإنسان البدائي والأنواع الواطئة. أجاب دوماس: " نعم، سيدي، أنا منحدر من فصيلة القرود. ولكنك، ياسيدي، أنك تعود الى إحداها ! "

قدمني للكابتن بيوغراند، والملازم بريموند، والملاح بوديماتاس، والأخير(رجل أهلب كخنزير بري وجهه مغطى تماماً بالشعر ولحيته حليقة بيضاء كبياض عينيه) وقدمني بشكل خاص، للطباخ جين بوير- وبدا دوماس أنه يجل الطباخ أكثر من أي عضو في الطاقم. كان يسافر مع حاشية الملك مثل أيَ لورد كبير عاش في القرون الماضية.

وبينما كان يريني قمرتي. قال لي بوديماتاس، إنَ خصوصية بوير كانت وصفة en petits pois asperges، الغريبة، منذ أن لم تكن البازلاء من بين مكوناتها.

واقتربنا من جزيرة كابريرا، حيث يختفي عندها غاريبالدي حينما لا يريد أن يحارب.

قال دوماس، "ستقابل الجنرال حالاً. " وأشرق وجهه بإعجاب بمجرد ما ذكرالرجل. " وبلحيته الخفيفة وعينيه الزرقاوين، ويبدو لك أنه يشبه صورة المسيح في لوحة ليوناردو في العشاء الأخير، حركاته مفعمة برشاقة تامة، وصوته يتسم برقة لامتناهية. يبدو أنه رجل مزاجي، لكن حينما تلفظ كلمات مثل " إيطاليا " و" إستقلال " فإنك تراه ينفجر مثل بركان يقذف بحممه وسيوله. إنه ليس مسلحاً من أجل القتال: لكن في لحظة الفعل يسحب أول سيف ليوجه أول طعنة الى

أول مَن يلتقيه، ويشرع بمواجهة العدو. ولكن لديه نقطة ضعف: يعتقد أنه بطل لعبة البولنغ."

وبعد فترة قصيرة كان ثمة هياج على متن السفينة. كان البحارة على وشك سحب سلحفاة ضخمة من النوع الذي يوجد في جنوب كورسيكا. كان دوماس سعيداً بمشهدها.

" ينبغي القيام بعمل ما. يجب أن تقلبوها على ظهرها. ستمدُ السلحفاة رقبتها ببراءة وحينها تستغلون تهورها هذا لقطع رأسها – إضربوها ضرباً عنيفاً على قوقعة ظهرها !- قبل أن تعلقوها من ذنبها لمدة إثنتي عشرة ساعة كي يقطر دمها تماماً. ومن بعد ذلك إقلبوها على ظهرها مرة ثانية، واحشروا نصلاً حاداً بين درعها وجوشن صدرها واحذروا جيداً أن لا تثقبوا مرارتها وإلا ستصبح غير قابلة للأكل. أزيلوا الأحشاء الداخلية واحتفظوا بالكبد حسب – أما اللب الشفاف في الداخل فليس له فائدة تُذكر، ولكن هناك فصين، وبسبب بياضهما ونكهتهما، تبدو نكهتهما لا تختلف عن نكهة لحم العجل.

واخيراً، أزيلوا الأغشية، والرقبة والزعانف. وقطعوها الى قطع بحجم الجوزة، واتركوها لتنقع، واضيفوا الى القطع الحساء الجيد، مع بهارات، وقرنفل، وجزر، وزعتر وورق الغار، واتركوها على نارهادئة لمدة ثلاث أواربع ساعات. وفي الوقت المحدد، هيئوا شرائح من الدجاج المتبّل مع البقدونس، والثوم، وسمك الإنشوفة، وتطهى مع الحساء، ثم يضاف هذا كله الى حساء السلحفاة، الذي ستوزعونه في ثلاثة أوأربعة أكواب من نبيذ الماديرا الجافة. إذا لم يكن لديكم نبيذ

الماديرا، بإمكانكم استخدام المارسالا مع كأس صغير من البراندي أو شراب الرم، رغم أن ذلك سيكون افضل اثنين، un pis - aller، وسنتذوق طعامنا هذا مساء غد."

وشعرت تماماً أنه يشبه رجلاً مولعاً بالطعام المنكّه، بالرغم من نسبه المشكوك فيه.

(في الثالث عشر من حزيران/يونيو) وصلت الـ إيمّا إلي باليرمو قبل يوم أمس. ومع وجود ذوي القمصان الحمر في كل مكان، تبدو المدينة مثل حقل خشخاش. بيد أن عدداً كبيراً من متطوعي غاريبالدي بزيهم وأسلحتهم التي تبدو بأي شكل من الأشكال قديمة، بعضهم لا يضع أكثر من ريشة في خوذهم ويرتدون اللباس المدني كان من الصعوبة إيجاد الملابس الحمر الآن، وقميص واحد بذلك اللون يكلف ثروة - ربما يتوفرهذا بيسر أكثر لدي كثير من أبناء الأرستقراطيين المحليين، الذين لم يتطوعوا مع رجال غاريبالدي حتى بعد الحروب الدموية الأولى، وهم أكثر من المتطوعين الذين جاؤوا من جنوة. أعطاني بيانكو مبلغاً كافياً للعيش في صقلية و، لكي لا أبدو شديد التأنق في ملبسي، وجدت نفسي فجأة أرتدي زياً مستهلكاً مع قميص راح يتحول الى لون قرنفلي بعد تعرضه الى عدة غسلات، وسروالاً رثاً، القميص وحده كلفني خمسين فرنكا، وأستطيع شراء أربعة قمصان بالسعر نفسه في تورين.

هنا كل شيء غالٍ - إذ تكلف البيضة الواحدة أربع سولطات soldi وكيلو اللحم بثلاثين سولطاً، ولا أعرف إن كان السبب أن الجزيرة هي

فقيرة وأن الغزاة يستهلكون قليلاً مما تبقى من الموارد الحياتية، أو أن شعب باليرمو قد قرر أن الغاريبالديين هم نعمة من السماء وأنهم قد جزوا صوفهم بقدر ما يستطيعون.

~~~

واللقاء بين الرجلين العظيمين في باليرمو في فندق بالازو ديل سيناتو(" مثل فندق دي فيل في باريس عام ١٨٣٠!" صرخ دوماس بإبتهاج) كان اجتماعا مسرحياً ضم الإثنين، ولا أعرف مَن منهما أكثر مسرحياً مِن الآخر.

صرخ الجنرال " عزيزي دوماس، كم افتقدتك !" حين رد عليه دوماس تحياته. أجاب غاريبالدي " ليس أنا، ليس أنا، ألق التحية على هؤلاء الرجال. كانوا عمالقة " ومن ثم التفت الى رجاله " إعطوا السيد دوماس أجمل شقة في البناية، الآن، لا شيء أفضل من رجل جلب رسائل يعلن فيها وصول ألفين وخمسمائة رجل، وعشرة آلاف بندقية وباخرتين !"

تطلَعت الى البطل بمشاعر شك كانت تنتابني مع ذكر الأبطال كلهم منذ وفاة والدي. وقد وصفه دوماس بأبولو، لكن يبدو لي أنه ليس أكثر من قامة متواضعة، وليس من العدل أن نصفه فأراً، بساقين قصيرتين متقوستين، بالإمكان الحكم عليهما، من خلل مشيته، فضلاً عن معاناته من مرض الروماتيزم. رأيته يمتطي حصانه بصعوبة واضحة، يساعده في ذلك بعض رجاله.
~~~

مع اقتراب المساء تجمع حشد أسفل القاعة الملكية يهتفون، " يعيش دوماس، تعيش إيطاليا !" وكان الكاتب بالطبع مسروراً، بيد أنني كان لدي انطباع أن كل شيء مسرحه غاريبالدي، الذي يفهم غرور صديقه والحاجة الملحة للوفاء بوصول البنادق. إختلطت مع الحشد ووجدت من الصعوبة فهم ما يتحدثون بلهجتهم غير المفهومة، الشبيهة بلغة الأفارقة، بيد أنني التقطت عبارة قصيرة، حينما سأل شخص ما مَن هذا الدوماس الذي يهتفون له، وأجابه آخر أنه أمير شركسي كانت الأموال تتدفق عليه ووضعها الآن تحت تصرف غاريبالدي.

قدمني دوماس الى بعض الجنرالات، وصعقتني نظرات تشبه نظرات الصقر من ملازم غاريبالدي، المزعج نينو بكشيو، وشعرت برعب شديد أضطرني الى المغادرة. كنت بحاجة للبحث عن حانة أتردد عليها دون أن يراني أحد.

إذ الناس هنا يعرفون أنني أحد رجال غاريبالدي، بينما فيالق الحملة يعتقدون أنني صحافياً.

~~~

رأيت نينو بكشيو مرة أخرى بينما كان يمر في المدينة ممتطياً حصانه. يقال إنه سيكون القائد العسكري الحقيقي من خلف الحملة. كان غاريبالدي متحيّراً دائماً يفكر ما يحمله الغد. إنه رائع في الهجوم، يحث رجاله، ويبدو أن بكشيو يتفقد هنا وهناك ويحافظ على نظام القوات. بينما كان يمر، سمعت احد رجال غاريبالدي يقول لرفيقه: " أنظر الى تلك التحديقة، أنها تومض في كل مكان. بُنْيَته تشبه سيفاً مسلولاً، بكشيو! وحتى اسمه يشبه سهماً من ضوءٍ. "
~~~

من الواضح أنَ غاريبالدي وضباطه قد سيطروا على أولئك المتطوعين. وهذا شيء سيء- فالقادة الكارزميون سوف يُزالون حالا، من أجل سلام وأمن المملكة. فزعمائي في تورين كانوا مصيبين. وهذا غاريبالدي الإسطورة يجب أن لا يسمح له بالإنتشار شمالا، وإلاّ فإن رعايا الملك كلهم هناك سيرتدون القمصان الحمر ويتحولون الى جمهوريين

~~~

(الخامس عشر من حزيران / يونيو) من الصعوبة بمكان الحديث مع السكان المحليين. الشيء المؤكد هو أنهم يحاولون إستغلال أي شخص، إذا بدا لهم، بيدمونتياً، ورغم ذلك، ثمة قليل جداً من المتطوعين جاؤوا من بيدمونت. وجدتُ حانة حيث بإمكاني تناول العشاء بسعر رخيص كما أستطيع تناول الأطباق المختلفة التي يتعذر عليّ َمعرفة أسماءها. تناولت رغيف خبز يابس بالطحال غصصت به، لكن عن طريق النبيذ المحلي الجيد تمكنت من تمرير اثنتين أو ثلاث لقم اسفل البلعوم. بعد الأنتهاء من وجبة الغداء صادقت إثنين من المتطوعين، أحدهما يسمى أبَا، لا يتجاوز العشرين من عمره من ليغوريا، والآخر إسمه باندي، يعمل صحافياً، يقارب من عمري وهو من ليفورنو. من خلال حديثهما مكّناني من تكوين صورة عن وصول رجال غاريبالدي، ومعاركهم الأولى.

قال أبَا " آه، يا عزيزي سيموليني، إذا عرفت حسب. إنَ هبوطنا على بر مرسالا يشبه عملية سيرك تماماً ! فأمامنا السفن
~~~

البوربونية، Stromboli وال Capri. وسفينتنا Lambardo، كانت رافعة شراعها، قال نينو بكشيو إنه من الأفضل أن يلقوا القبض عليها من خلال إحداث ثقب في قعرها أفضل من بقائها سليمة وآمنة، والحقيقة ينبغي علينا إغراق سفينة Piemonte ايضاً. قلت ، خراب جميل ، لكن بوكشيو كان محقاً أننا لن نتخلى عن سفينتين للبوربونيين. على كل حال، هذا ما يفعله القادة العظام – أنهم يحرقون زوارقهم بعد الهبوط كي لا يكون هناك تراجع. وجنحت piemonte، الى اليابسة، كما شرعت ايضاً Stromboli، برشق المدافع وإطلاق النارعلى نطاق واسع. وصعد على متنها قائد إنجليزي من الميناء وأبلغ الكابتن أن ثمة رعايا إنجليز على الشاطىء وأنه سيتحمل مسؤوليته لمواجهة أي حادثة عالمية – وكما تعرفون، أنَ الإنجليز، لديهم مصالح كبيرة في مرسالا بسبب تجارة النبيذ. قال الكابتن الباربوني إنه لا يأبه للحوادث العالمية ثم باشر مرة أخرى بإعطاء الأوامر، وهذه المرة كانت المدافع تقذف بكثافة نيرانها. وحينما تمكنت السفن البوربونية من تحقيق أهدافٍ قليلة، فإن الدمار الذي احدثوه هو أن يوقفوا الكلب في منتصف الطريق.

" وهكذا كان الإنجليز يساعدونك "

" دعنا فقط نقول إنهم كانوا سعداء في الحصول على الطريق ليحرجوا الباربونيين "

" ما هي الإتصالات التي أجراها الجنرال مع الإنجليز؟ "

قام أبَا بمبادرة ليشير الى أنَ الجنود المشاة أمثاله يطيعون الأوامر دون أي نقاش. " لكن إصغ الى هذا. بعد وصوله المدينة، أعطى الجنرال أوامر بالإستيلاء على التلغراف وقطع الأسلاك. فقد أرسلوا الملازم مع عدد غير كثير من الرجال، وحينما رآهم أحد العاملين في مكتب التلغراف فأطلق ساقيه للريح. وجد الملازم عند دخوله المكتب نسخة من رسالة عاجلة مرسلة الى القائد العسكري في ترباني: ثمة سفينتان ترفعان العلم البيدمونتي قد وصلتا الميناء ويهبط منهما بحارة، في تلك اللحظة تماماً ورد الجواب. وقام أحد المتطوعين الذي كان يعمل في مكتب التلغراف في جنوة بترجمة الرسالة: كم عدد البحارة، ولماذا رسوا؟ أجابه الضابط، " أنني آسف، فقد وقعت في خطأ، إنهما سفينتان تجاريتان، من غيرغنتي تحملان شحنات كبريت ' جواب من ترباني: إنك أبله ' يقرأها الضابط، وهو يشعر بالسرور في داخله، إقطع الأسلاك وغادر. "

علّق باندي: " دعنا نكون شرفاء، أن السفن الراسية في الميناء لم تكن تماماً مخيمات سيرك، كما ذكر أبَا. وحينما نكون بموازاة السفن البوربونية، نبدأ بالقنابل اليدوية وأخيراً إطلاق المدافع. كنا نلهو بالطبع. ففي خضم الإنفجارات، هوى راهب عجوز. كانت قبعته في يده، إلتفت إلينا ليحيينا. صاح أحدهم، إنهض لا تحرن تحت وابل من الرصاص، أيها الراهب؟ ' لكن غاريبالدي رفع يده وقال، حسناً، أيها الراهب عن ماذا تبحث؟ ألم تسمع أزيز الرصاص؟ 'أجاب الراهب، أنني لا أخشى الرصاص، أنني خادم القديس فرانسيس، وإبن إيطاليا؟

' إنك مع الشعب، إذن؟ ' سأل الجنرال ' نعم، مع الشعب' أجاب الراهب. كان ذلك حينما أدركنا أن مارسالا كانت لنا. وأرسل الجنرال كرسبي الى جامع الضريبة بإسم فيتوريو عمانوئيل، ملك إيطاليا، لمصادرة الثروات جميعها.وتسليمها الى أشيربي، جنرال التمويل، الذي أصدر إيصالاً بالتسلم، لأن مملكة إيطاليا لم تؤسس بعد، ولكن كرسبي سلم الإيصال الى جامع الضرائب وهي أول وثيقة كان فيها فيتوريو عمانوئيل يُنصَّب ملكاً. "

واغتنمت الفرصة لأسأل، " ولكن ألم يكن نييفو مسؤول التموين والإمدادات؟ أوضح أبَا، " نييفو هو نائب أشيربي، وهو شاب جداً، وحالياً شاعر عظيم. ذكاؤه مشرق. ويعيش دائماً وحيداً، يحدق في المسافات، كما لو أنه يسعى للوصول الى الأفق. وأنا أستنتج أن غاريبالدي على وشك أن يعينه برتبة عقيد."

إشادات براندي ذهبت أبعد من ذلك:" في كالاتافيمي كان يحصل على القليل من مخلفات توزيع الخبز، وقد دعاه بوزيتي الإلتحاق بالمعركة لكنه قفز لينقض على العدو مثل طير أسود كبير، وجناحا عباءته مفتوحتان على سعتيهما، وفجأة إخترقت عباءته رصاصة وخلفت فيها ثقبا."

وهذا كاف تماماً بقدر تعلقه بي لأن أشعر بالكراهية إزاء نييفو. فهو وأنا متقاربان في العمر، ويعدُ نفسه حالياً رجلاً مشهوراً. وهو شاعرمحارب. بالطبع ستخترق عباءتك طلقة إذا تركتها ترفرف في

الهـواء بهـذه الطريقـة- لكـن مـن المـصادفات القدريـة الجميلـة أن الرصاصة إخترقت العباءة ولم تخترق صدرك.

في هذه اللحظة كان أبَا وباندي يصفان المعركة في كالاتافيمي - كان نصراً رائعاً، ألف متطوع في جانـب وخمسة وعشرون ألف متسلح تسليحا جيدا من البوربونيين في جانب آخر.

قال أبَا " غاريبالدي هو الذي يقودنا، وفي الخليج ثمة خِصْيان الصدر الأعظم الذي يمتطي حصانا، مسرَجاً تسريجاً رائعاً، بركابين مزخرفين، يرتدي قميصاً أحمر، وقبعة على الطراز الهنغاري. في ساليمي إستمتعنا بمشهد المتطوعين المحليين، القادمين من جميع الإتجاهات، على صهوات خيولهم، أوعلى أقدامهم، شياطين غوغائيون، وأقوام جبليون مدججون بالسلاح، يشبهون قطاع الطرق، عيونهم تشبه اسطوانات المسدسات. لكن تقودهم طبقة راقية، والملاك محليون. والسالمي مدينة شوارعها قذرة تشبه مجارٍ طافحة، لكن الرهبان يملكون أديرة جميلة، ونحن نقيم هناك. حصلنا على معلومات متناقضة عن العدو - أربعة آلاف، كلا، عشرة آلاف، عشرين ألف، مع الخيول والمدافع، جنوباً، لا، شمالاً، تقدم، تقهقر... وفجأة ظهر العدو بأكمله. وعدده خمسة آلاف رجل تقريباً، بيد أن رجلاً ما قال، يا للهراء، عشرة آلاف، بيننا وبينهم سهل قاحل. وشق النابليونيون المسلحون بالبنادق طريقهم بإتجاه التلال. بهدوء وثقة - يبدو أنهم مدربون تدريباً جيداً، ليسوا مثل رعاعنا. أبواقهم يا للحزن الذي ينبعث منها ! لم تدوِّ الطلقات الأولى إلاّ بعد الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر.

أطلقها رجال نابليون من بنادقهم هابطين من خلال أشجار الأجاص والصبير الشائكة. ' لا تجاوبوا، لا تردوا على النار !' صاح قبطاننا. لكن رصاصات البندقية عبرت تئز فوق رؤوسنا تصم الآذان الى حد أننا فقدنا توازننا. سمعنا قرقعة، تبعتها أخرى، ثم أعلن بوق الجنرال الدعوة للسلاح وشحن البنادق والهجوم. وأمطرنا الرصاص كالبَرَد. وفوق التلة تصاعدت غيوم الدخان من المدافع تطلق عليها حممها. عبرنا السهل واخترقنا الجبهة الأمامية للعدو. إلتفتّ للوراء وشاهدت غاريبالدي واقفا على التلة، مازال سيفه في غمده على كتفه الأيمن. يتقدم ببطء يراقب المشهد. وبكشيو يعدو على حصانه لحمايته ويصيح " ماذا تحاول أن تفعل، أيها الجنرال؟ ستُقتّل، ثم أجاب، ما هو أفضل شيء لي أن أموت من أجله أفضل من وطني؟ ثم استطرد، لا تبالوا لوابل الرصاص. إنني اخشى، أن في تلك المسافة، يبدو أن الجنرال يرى أنه من المستحيل كسب المعركة وقرر أن يموت. بيد أن بعد ذلك إنفجر مدفعنا في الطريق العام. ويبدو أننا سندعم الألف رجل. ومن الآن فصاعداً، فصاعداً، فصاعداً، فصاعداً ! ' وكل ما أسمعه هو صوت البوق، الذي لم يتوقف أبداً على حث القتال. تسلحنا بحرباتنا واجتزنا الخط الأول، ثم الثاني، بعدهما الثالث، صعوداً للتلة. وأخذت كتائب البوربونيين بالتقهقر للأعلى، أعادوا مجاميعهم ويبدو أنهم يعززون قوتهم. يبدو أنهم لا زالوا لا يُقهرون - انهم هناك في القمة ونحن في الأسفل، منهكون، وثمة لحظة استراحة، هم فوق ونحن على الأرض المنبسطة. وصوت النار هنا وهناك. وشرع البوربونيون

يدحرجون الصخور ويرمون بالحصى. قال رجل ما ،أن الجنرال قد أصيب. وشاهدت شاباً جميلاً بين أشواك الآجاص و الصبير، قد جرح، يتكيء على رفيقيه. كان يدافع مع رفيقيه عن التعاطف مع النابليونيين لأنهم ايضاً إيطاليون. تتناثر جميع المنحدرات بالموتى والجرحى. لكن لا أحد يسمع أنيناً. وبين الفينة والأخرى، نسمع صراخ النابليونيين في أعلى القمة " يعيش الملك !" في هذه الأثناء وصلت التعزيزات. يا باندي، تذكرتك ،كان ذلك حين ظهرت، مغطى بالجروح، ولكن اسوأها كانت الرصاصة التي طعنت صدرك من الجهة اليسرى، واعتقدت أنك ستلاقي حتفك في غضون نصف ساعة، كان ذلك في الهجوم الأخير، أمام الجميع - أي روح فيك ! "

قال باندي،" هراء، إنها مجرد خدوش."

" وماذا عن الرهبان الفرنسيسكانيين الذين كانوا يقاتلون معنا؟ إنه راهب واحد كان يحمل بندقية قصيرة وحفنات من الرصاصات والحصى وهو يتسلق التل بجهد أمام مستوى نظر العدو ثم اطلقت النار عليه. ورأيت أحد الأشخاص، كان قد أصيب في فخذه فما كان منه الاّ أن سحب الرصاصة من لحمه ثم استمر في القتال."

بعد ذلك أخذ أبَا يصف المعركة في بونتيه ديل أميرالغليو: يا إلهي، ياسيمونيني، أنه يوم من ايام، هوميروس ! شِعر أصيل. إننا الآن على مشارف بوابات باليرمو وهبّت قوات من المتمردين لمساعدتنا. كان ثمة شخص - ربما كان أول خفير ألقينا القبض عليه عن طريق المصادفة - صرخ " آه، يا إلهي ! " ترنَّح نحو الخلف، خطا ثلاث

خطوات أو أربع في طريق جانبي مثل رجل ثمل ثم سقط في خندق بين شجرتي حور، بالقرب من رجل نابليوني مسلح ميت. بإمكاني أن اسمع أحد الرفاق الجنويين تماماً بينما كان يمطرنا بوابل من الرصاص، صرخ، يا للجحيم، أين الطريق " ثم أصابته رصاصة في جبهته وشقت جمجمته. وفي بونتيه أميرالغليو الموازية للطريق، قاموا فوق أقواس، تحت الجسر وفي الحقل بمذبحة في حرابهم. وفي الفجر تمكنا من الجسر لكن نيران البنادق الكثيفة من كتيبة جنود مشاة خلف الجداًر منعتنا من المغادرة فضلاً عن تصويب سلاح الفرسان من الجهة اليسرى، لكننا دفعناهم الى الخلف بإتجاه الحقول. ومرة أخرى، أعدنا تجمعنا بسرعة فوق الجسر في تقاطع بورتا تيرميني، ولكن ثمة مدفعية قصفتنا من سفينة كانت راسية في الميناء قرب متراس أمامنا. لكننا رغم ذلك واصلنا المقاومة. ودق ناقوس الخطر. وتسللنا خلال شوارع ضيقة، وفي مكان محدد – يا إلهي، ما هذا المشهد !– ثلاث فتيات ساحرات مرتديات البياض، أيديهن ملتصقة بالدرابزن يشبهن زهرات الليلك في بياضهن، كنّ يراقبننا بصمت. إنهن الملائكة التي نشاهد صورها على جدران الكنيسة. سألننا، مّن أنتم؟ قلنا لهن إننا إيطاليون ثم سألناهن ومّن أنتن؟ أخبرننا أنهن راهبات. قلنا أوه، يا للشابات المسكينات – لكننا لا نمانع من تحريرهن من ذلك السجن وقدمنا لهن بعض الحلوى الممتعة – صرخن، " يعيش القديس روساليا !" أجبناهن، " تعيش إيطاليا!" ثم هتفن، " تعيش إيطاليا !' وبأصوات مقدسة رقيقة، تمنين لنا النصر. وقاتلنا خمسة أيام

أخر في باليرمو قبل الهدنة... ولكن لم تبادر أي منهن لراحتنا، أنهن محض عاهراتَ!"

الى أي مدى يمكنني أن أعتمد على ذينك الشخصين المتعصبين؟ إنهما شابان يخوضان تجربتهما الأولى في الحرب. قدسا جنرالهما منذ الشروع بالحرب وبطريقتهما الخاصة أصبحا كاتبي قصة قصيرة مثل دوماس، ضمّنا فيها ذكرياتيهما لهذا فإن جميع أوزّاتهما لا تعدو أكثر مِن بجعات. إنهما بالتأكيد قاتلا جيداً خلال هذه المناوشات، ولكن يبدو من الغريب جداً أنَ غاريبالدي استطاع أن يتجول في وسط المعركة(ليمكِّن اعداءه من رؤيته بكل وضوح على مسافات بعيدة) دون أن يصاب بأي جرح. أوهل كان العدو يصوب على نطاق واسع بناء على أوامر من قيادات عليا؟

وبدأت الآن أشكل هذه الأفكار إعتماداً على إشاعات سمعتها من مالك الخان الذي أسكن فيه – والذي لا بد وأن سافر الى مكانات أخرى في شبه الجزيرة، ويتحدث لغة كانت في الغالب مفهومة. وإنه هو الذي اقترح عليَ أن اتحدث مع الدون فورتوناتو موسوميسي، وهو محام يعرف بوضوح كل شيء عن كل شيء، وقد أظهر عدم ثقته بالقادمين الجدد في مناسبات غير قليلة.

لم يكن بإمكاني الإقتراب منه وأنا أرتدي قميصي الأحمر، وفكرت بعباءة الأب بيرغاماشي، التي جلبتها معي. مع مشط لتمشيط شعر رأسي، فضلا عن دهان ذي لمسات زيتية كافية، أسبلت عيني، ومن هناك تسللت خارج النزل، غير مرئي من أي كائن، كان ذلك، في

الحقيقة، تصرفاً غير حكيم في الغالب، اذ كانت تنتشر الإشاعة في الخارج، حول طرد اليسوعيين من الجزيرة. ولكن على العموم، سارت الأمور على الوجه الأحسن. ومرة أخرى، كضحية لظلم وشيك، إستطعت أن استوحي الثقة من بين أولئك المعارضين لغاريبالدي.

~~~

قمت بإتصال مع الدون فورتوناتو لأفاجئه، ذا صباح وبعد القداس، في الوقت الذي كان يرتشف فيه بهدوء قهوته. كان المقهى في مركز البلدة، كانت أنيقة الى حد ما، كان الدون فورتوناتو مسترخٍ. وجهه كان يشكل زاوية في مواجهة الشمس، عيناه مغلوقتان، لحيته نبتت بعد أيام من حلاقتها، يرتدي جاكيتة سوداء ورباط عنق قديم حرقته الشمس، من النادر أن يشعل السيجار بين أصابعه التي لطخها النيكوتين، لاحظت أنهم يضيفون قشور الليمون الى القهوة هناك – وتوقعت منهم ايضاً أنهم لن يضيفونها الى caffelatte.

جلست الى منضدة قريبة، كنت أتذمر من الحرارة خاصة بعد أنَ قد بدأ حديثنا. أبلغته أني مبعوث من رومان كوريا كي اكتشف ماذا يجري في هذه المكانات، وسمح لي ميوسوميسي بالحديث بصراحة.

" أيها الأب الموقر جداً، هل تعتقد أنَ ألف رجل، يلتقون معاً من جميع المكانات، ومسلحين بطريقة قديمة، بإمكانهم أن يرسو في مرسالا دون أن يفقدوا أي واحد منهم؟ ولماذا تتواجد البحرية البوربونية – أجمل اسطول في أوربا بعد الإسطول الإنجليزي – تطلق النار هنا وهناك دون أن تصيب أحداً؟ ولكن فيما بعد ماذا فعلت الفرقة
~~~

نفسها المكونة من ألف رجل أخرق في كالاتافيمي – فضلاً عن بضع مئات من الشباب الأوغاد بُعثوا الى هناك بعد أن ركلهم في عجيزاتهم بعض ملاك العقارات الذين أرادوا أن يتملقوا لكسب ود القوات المحتلة – وحين نضع في مقدمة أحد أفضل الجيوش المتدربة في العالم(وأنا لا أعرف إن كنت تدرك ماذا تريد الأكاديمية العسكرية البوربونية)... كيف استطاع ذلك الألف، أوالأوغاد دحر خمسة وعشرين ألف رجل، حتى وإن كان آلافاً قليلة منهم فقط أُرسلوا فعلا الى المعركة وبقي الآخرون في مؤخرة ثكناتهم؟ إنها النقود، ياسيدي العزيز، كميات هائلة من المبالغ، لتسديد رواتب موظفي البحرية في مارسالا. وبعد يوم في كالاتافيمي حينما استقر كل شيء متوازناً، كان الجنرال لاندي ومجموعة كتائب جديدة في توديع أولئك المتطوعين. لكن بدلاً من ذلك تراجع الى باليرمو ! ويقال، إنك تعرف، إنهم نفحوه بقشيشاً أربع عشرة دوكاتية. وماذا قال رؤساؤه؟ أصيب الجنرال رامورينو بطلق ناري من فرقة في بيدمونت قبل اثنتي عشرة سنة أو أقل بكثير من هذا – ليس لأنني مولع بالمونديين، بيد أنهم يفهمون بعض الشيء في الشؤون العسكرية. وحتى الآن أُستبدل لاندي ببساطة بلانزا، الذي حسب ظني قد سدد ديونه فعلياً. في الواقع، أنظروا الى هذا الغزو الشهير لبيدمونت... أعاد غاريبالدي تعزيز فرقته بثلاثة آلاف وخمسائة وغد جمعهم من بين المحكومين في صقلية، كما لدى لانزا حوالي ستة عشرألف رجلاً – نعم، ستة عشر ألفاً، وبدلاً من استخدام هذا العدد الكبير، أرسلهم لانزا ضد المتمردين

على شكل مجاميع صغيرة، وبالتالي سُحقوا – حتماً – عن بكرة أبيهم، لأنَ مختلف الإنتهازيين المحليين أُرغموا على الرمي بإتجاههم من أعلى السطوح. وهنا في الميناء، أفرغت السفن البيدمونتية حمولة البنادق الى المتطوعين تحت إشراف السفن البوربونية، وعلى الرصيف سمح لغاريبالدي بالوصول الى سجن فيكاريا ومخيم العمل الإجباري حيث حرر آلاف المجرمين العاديين، وجندهم في فرقته. ولكن يتعذر عليَ إخبارك ماذا يحدث الآن في نابولي. وعاهلنا المسكين يحيط به الخسيسون الذين تسلموا الآن نقودهم ويتم استنزاف الأرض من تحت قدميه.

" من أين تأتي هذه المبالغ كلها؟"

" أيها الأب الموقر جداً، إنني استغرب أنك في روما ولا تعرف إلاّ القليل ! إنهم الماسونيون الإنجليز ! ألا ترى الصلة؟ أنَ غاريبالدي ماسوني، ومازيني ماسوني ايضاً، ونُفي مازيني الى لندن للإتصال مع الماسونيين الإنجليز، وكافور ماسوني يتسلم أوامره من المحافل الماسونية الإنجليزية، و رجال غاريبادي جميعهم ماسونيين. وما زالت الخطة غير كافية لتدمير مملكة الصقليتين ولكنها لإلحاق طعنة حاسمة ضد قداسته، لأنه من الواضح، بعد الصقليتين، سيطالب فيتريو عمانوئيل بروما ايضاً. إنك تعتقد أنَ حكاية عن هؤلاء المتطوعين تبدأ مع التسعين ألف ليرة في جيوبهم، التي ستكون بالكاد تغطي إطعام أولئك الشرهين والمعربدين في الفرقة خلال هذه الرحلة؟ أنظر حسب الى الطريقة التي يلتهمون بها آخر تجهيزات باليرمو من الطعام

ونهب الأرياف المحيطة بهم. وفي الحقيقة أنَ الماسونيين الإنجليز قد اعطوا ثلاثة ملايين فرنك فرنسي الى غاريبالدي ومعادلتها بليرة ذهب تركية من الممكن تصريفها في أي مكان في بلدان محيط البحر المتوسط.

" ولكن مَن يعتني بالذهب؟"

" إنَ الجنرال يثق بالماسونيين، والكابتن نييفو، شاب تافه، لم يبلغ الثلاثين من عمره بعد، ولم يكن اكثر من صراف رواتب في مؤسسة رسمية، بيد أن أولئك الشياطين مستمرون في الدفع للجنرالات، والأدميرالات، وآخرين من هذا القبيل، بينما الناس الفقراء يتضورون جوعاً. كان الفلاحون يتوقعون من غاريبالدي توزيع عقارات أسيادهم عليهم، وبدلاً من ذلك راح الجنرال يجانب أولئك الذين يملكون الأراضي والأموال. إنتبه الى كلماتي، أنَ اوائلك الأشرار انطلقوا في المخاطرة بحياتهم في كالاتافيمي، حالما أدركوا أنَ لا شيء قد تغير. وسيبدأون بإطلاق النار على المتطوعين، وبالبندقيات نفسها التي سرقوها من الموتى. "

نزعت ردائي الكهنوتي، وتجولت في المدينة مرتدياً قميصي الأحمر، وصادف أن التقيت راهباً، هوالأب كارميلو، على عتبات الكنيسة. قال لي إنَه يبلغ السابعة والعشرين من عمره ولكنه يبدو في الأربعين. أراد أن ينضم إلينا، مما لا شك فيه أنه موثوق به، ولكنه يتحفظ على شيء ما. سألته، ما هو - بعد كل ذلك، ما زال ثمة رهبان في كالاتافيمي.

قال" أرغب في المجيء معك، إن كنت متأكدا أنك تقوم بشيء ما عظيم حقاً. كل ما تستطيع القيام به هو أنك تريد أن توحد إيطاليا وتجعل منها بلداً واحداً. إذا كان الشعب يعاني، فإنَ ذلك إما بسبب التقسيم أو الوحدة، ولا أعرف إن كنت قادراً على إيقاف تلك المعاناة"

قلت له " ولكن الناس يريدون الحرية والتعليم "

" الحرية ليست خبزاً، ولا تعليماً. ربما مثل هذه الإمور كافية لك في بيدمونت، ولكنها ليست كافية لنا نحن الصقليين."

" ماذا تريد، إذن؟ "

" لا حرب ضد البوربونيين، ولكنها حرب يقودها الفقراء ضد أولئك الذين يجوعونهم، الذين هم ليسوا في البلاط حسب، ولكن تجدهم في كل مكان."

" بما فيهم أنتم أيها الرهبان، أديرتكم وأراضيكم في كل مكان ايضاً."

" نعم، بما فيهم نحن – في الحقيقة نحن أولاً، قبل أي انسان آخر! ولكننا مع الإنجيل والصليب. ومع ذلك سأجيء. رغم أن طريقتك ليست كافية."

" وما تعلمته في الجامعة من البيان الشيوعي **Communist manifesto,** الشهير، أنَ هذ الراهب يجب أن يكون أحدهم. أنا أفهم قليلاً جداً عن جزيرة صقلية هذه.

~~~
~~~

ربما إنني كنت متشبعاً بهذه الفكرة منذ زمن جدي، ومنها بدأت أتساءل إن كان اليهود ايضاً متورطين بهذه المؤامرة لدعم غاريبالدي. إنهم دائماً ما يتورطون، بطريقة أو أخرى. وهكذا عدت لأرى ميوسوميسي.

قال " بالطبع، وقبل كل شيء، بينما لم يكن كل الماسونيين هم يهود، في المقابل أن كل اليهود ماسونيون. وماذا عن رجال غاريبالدي؟ كنت مستمتعاً وأنا أطّلع على قائمة المتطوعين في مارسالا التي طبعت " على شرف أولئك العمالقة. " ووجدت فيها أسماء مثل أوجينيو روفا غيوسيب، وجوزيل إسحاق دا انكونا، وصموئيل مارشيسي، وإبرامو إسحق البرون، وموئيسا مالداكا، وكولمبو دوناتو. كان سابقاً يسمى ابرامو. ألا تفترض أنهم مسيحيون مخلصون من خلال الأسماء؟

~~~

(السادس عشر من حزيران / يونيو) ذهبت لزيارة الكابتن نييفو، حاملاً رسالة المقدمة. إنه شاب حدد شاربيه الجميلين بموسى حادة وترك أسفل شفته خصلة شعر، يفعل ذلك كما لو أنه يهذب موقفه الحالم. محض تظاهر - وبينما نحن نتحدث، دخل علينا متطوع يطلب جمع بطانيات، ومثل أي مسؤول حسابات فضولي ذكَره أنَ شركته أعطت عشر بطانيات في الإسبوع المنصرم. " سأل نييفو " هل أنك تأكل بطانيات؟ إذا أنت بحاجة الى المزيد، سأبعثك الى الزنزانة لتهضم تلك البطانيات." حيّاه المتطوع ثم توارى عن الأنظار.
~~~

" إنك تعلم ما هو العمل الذي يجب أن أقوم به؟ إنهم سيبلغونك أنني أديب. ولكنني ما زلت أقوم بتجهيز الجنود بالمال والملابس، وأهيء عشرين ألف بدلة رسمية جديدة للمتطوعين الجدد الذين يصلون في كل يوم جديد من جنوة، ولاسبيزا وليفورنو. وبعد ذلك، أقوم بالنظر بالمناشدات المالية – للدوقات والكونتات الذين يطلبون سماحاً بمئتي دوكة في كل شهر وأعتقد أنَ غاريبالدي هوالملاك الرئيس للرب. والكل هنا يتوقع أنَ القضايا يجب أن تصنّف، وعهدوا لي بمهمة الخزائن ايضاً، ربما لأنني خريج القانون المدني والكنسي في جامعة بادو، أو لأنني لست لصاً، وهذه فضيلة عظيمة، في هذه الجزيرة حيث يكون الأمير والمحامي المخادع هما على حد سواء.

وتمتع بوضوح، بلعبة شاعر شارد الذهن. وحينما سألت إن كان قد تعين كولونيلاً حالياً. رد أنه لا يعرف.

قال " إن الوضع هنا مضطرب الى حد ما، وأن بكشيو يسعى الى فرض نوع من النظام تجده في بيدمونت حسب، كما لو أننا في أكاديمية عسكرية، بيد أننا مجرد فرقة من المشاة غير النظاميين. إستبعد مثل هذه التفاهة، على كل حال، إذا أردت أن تكتب موضوعاً عن تورين. حاول أن تحمّله إثارة حقيقية، ومشاعر حماسية جمعية، هنا أناس يريدون أن يضحوا بحياتهم من أجل شيء يؤمنون به. وآخرون يعدونها مغامرة في البلدان الكولونيالية. وبالرمو مكان مفضل في الحياة: والناس فيها يتناقلون الأقاويل هنا كما يتناقلونها في فينا، أنهم معجبون بنا كأبطال، خاصة وأننا نرتدي أثواباً فضفاضة حمر، وسيوفاً

معقوفة تجعلنا جذابين في عيون كثير من النساء الجميلات اللائي فضيلتهن في الحياة هي عفتهن. وكان مساء قلما وجدنا فيه مقعداً في المسرح وكان عصير الفاكهة رائعاً.

" إنك تخبرني أنك يجب أن تتعامل مع نفقات كثيرة، ولكن كيف تدبرت تسهيل أمورك بالقليل منها حينما غادرت جنوة؟ هل إنك استخدمت المبالغ المحجوزة في مارسالا؟

" كان هناك ثمة تغيير طفيف. كلا، كلا، حالما وصلنا الى باليرمو، طلب الجنرال من كرسبي أن يسحب مبالغ من مصرف الصقليتين. "

" نعم، سمعت. هناك حديث عن خمس ملايين دوكة... "

في هذا الموضوع تحوَل الشاعر الى نائب معتمد للجنرال مرة أخرى. حدَق في السماء." يقولون إنك تعرف، جميع الأصناف. ولكن يجب أن تتذكر الهبات من المواطنين في إيطاليا برمتها، ويمكنني القول، في كل مكان من أوربا – وأُكتب ذلك في صحيفتك في تورين، لأولئك الذين لا يواكبون الأحداث. ولكن من أصعب الأمور هي الحفاظ على الكتب بإنتظام، وحين تتحول إيطاليا رسميا الى مملكة فإنني سأسلم كل شئ الى حكومة جلالته، فضلاً عن الحسابات والى آخر سنت."

" ولكن ماذا ستفعل بهذه الملايين كلها التي تسلمتها من الماسونيين الإنجليز. تحادثت مع نفسي. أو ربما أنت، وغاريبالدي وكافور كلكم متفقون – النقود هناك ولكن لا يجب الحديث عنها. ومرة ثانية، ربما أن النقود كانت هناك وأنت لا تعرف عنها شيئاً – أنك رجل

في المقدمة، وشخص فاضل (مَن الذين يستخدمون كغطاء (مَن هم الذين)، وأنك تتصور أن هذه المعارك كلها قد ربحت عن طريق بركة الله وحده. ما زلت لم أكوّن صورة واضحة عن ذلك الرجل. فما خلا ملاحظة اخلاصه الذي وجدته في عباراته التي عبرت عن ندمه المؤلم في تلك الفترة، وفي غضون أسابيع كان المتطوعون يتقدمون، ويحققون نصرا بعد آخر بإتجاه الساحل الشرقي ويهيئون لعبور المضيق لدخول كالابريا ومن ثم نابولي، وقد أمرهم أن يبقوا خلف الخطوط، والحفاظ على الحسابات في باليرمو، وكان جزعاً الى حد ما. كما كان بعض جنوده. وبدلاً من أن يحمدوا الله على أنَ القدر قد قدم لهم عصيراً جميلاً وامرأة جميلة، طلب عباءته لينسل بعيداً عن وابل الرصاص.

وقد سمعت أنَه يقال إنَ أكثر من بليون نسمة يقطنون الكرة الأرضية. ولا أعرف كيف تسنى للمرء عدَهم، لكن من خلال نظرة حول باليرمو يتضح لنا أننا بدأنا نتكاثر وشرعنا فعلياً نزيح الآخرين لنحلَ محلهم. وإنَ أغلب الناس تزكم أنوفهم رائحة. وبدأ الطعام يشح. وتخيل حسب إذا تكاثرنا. فإننا يجب أن نختار الناس ونقتل الفائض منهم، حقاً، ناهيك عن مرض الطاعون والإنتحارات، وعقوبات الإعدام، وأولئك الذين يتحدى أحدهم الآخر بالمبارزات وأولئك الذين يستمتعون في ركوب الخيول ذات السرعة الفائقة ويجازفون بحياتهم في الغابات والمروج، وقد سمعت أنَ النبلاء الإنجليز يعومون في البحر، وفي النتيجة يغرقون فيه. لكن هذا ليس كافٍ. إنَ الحرب

هـي الأكثر فاعلية وطبيعيـة في طريقـة المخيال لوقـف زيـادة الأرقـام البشرية. وفي يوم من الأيام، حين تدفق الناس نحو الحـرب، لم يقولـوا هذه مشيئة الله، ولكنهم يوغلون بعملـهم هـذا، أنـك بحاجـة الى أنـاس يحاربون. إذا لم تجد من يحارب منهم، فلن يمـوت أحـد مـنهم، وبهـذه الحالة ستكون الحرب عبثية. لذلك، أنه لأمر حيوي أن تجد من أمثـال نييفو، وابَا، وباندي، الذين يحبون أن يلقوا بأنفسهم في خط النـار. أمـا الآخـرون مـن امثـالي بإمكـانهم العـيش دون أن يـضايقهم أحـد حتـى أقرب الناس إليهم.

بمعنى آخـر، رغـم انـني لا أكـنّ لهـم الـود، لكننـا بحاجـة الى أرواح نبيلة.

~ ~ ~

وبعد ذلك، إستدعيت لا فارينا، وسلمت رسالتي المقدمة.

قـال " إذا كنـت تتوقـع مـني أن أزودك بأخبـار جيـدة لترسـلها الى تورين. فإنس الأمر، لأنـه لـيس هنـاك حكومـة، فـإن غاريبالـدي وبكـشيو يعتقـدان أنهمـا مـسؤولان عـن الـشعب الجنـوي الـذي يحبهمـا، ولـيس الـشعب الـصقلي الـذي لا يكـن حبـا لهمـا. وفي بلـد لـيس فيـه تجنيـداً إلزاميا، فإنهمـا يفكـران أنـه بإمكانهمـا أن يـستدعيا ثلاثـين ألـف رجـل. وفي كـثير مـن البلـدات ثمـة ثـورات جديـة. إنهمـا أصـدرا مرسـوما أنَ المــوظفين الملكـيين الــسابقين كلــهم غــير مــؤهلين في المجــالس المحلية، ولكـنهم الوحيـدون الـذين يـستطيعون القـراءة والكتابـة. وفي اليوم التـالي أحـرق بعـض المناهـضين للإكليريكيـة المكتبـة العامـة لأن

اليسوعيين أسسوها. وحاكم باليرمو شاب جداً يسمى مارسيليبري، لا أحد سمع به أبداً. في الأراضي المنخفضة، راحت الجرائم تُقترف من كل نوع، وأولئك الذين ينبغي عليهم أن يحافظوا على النظام هم أنفسهم قتلة – والسيطرة الآن بيد قطاع الطرق تماماً. وغاريبالدي رجل شريف لكنه غير قادر أن يرى ما ذا يجري من حوله. ومن خلال إرسالية واحدة من طلبية الخيول في مقاطعة باليرمو، فإن مئتين منها قد اختفت ! والسماح بتجميع كتيبة من الأفراد الذين يرغبون في الإنضمام إليها، وهكذا يكون لدينا الآن بعض الكتائب، كاملة بفرقة الآلات الموسيقية النحاسية فضلا عن الضباط، وبما يقارب من أربعين الى خمسين جنديا ! والمهمة نفسها مُنحت الى ثلاثة أو أربعة اشخاص. وقد طُرد معظم القضاة في صقلية وحل محلهم محاكم مدنية وجنائية وتجارية ومفوضيات عسكرية في كل مكان والحكم على كل شخص يدان، كما هو في زمن هانز. ويقول كرسبي وفرقته إنَ غاريبالدي لا يريد محاكم مدنية لأن القضاة والمحامين لا يمكن الوثوق بهم، كما أنه لا يريد برلماناً يستخدم أعضاؤه القلم بدلاً من السيف، ولا يريد قوة من الشرطة لأنَ المواطنين يجب أن يتسلحوا ويدافعوا عن انفسهم. وليس لدي أدنى فكرة إن كان ذلك حقيقة – ولم يعد بإمكاني التشاور مع الجنرال."

وفي السابع من تموز/ يوليو سمعت أنَ لا فارينا قد أعتقل وأعيد الى تورين بناء على أوامر غاريبالدي، ومن الواضح كان ذلك

بتحريض من كرسبي. ولم يعد لدى كافور أي مُخبر. وكل شيء يعتمد، بعد ذلك، على تقريري.

إنه لمن العبث الآن، أن ارتدي زي قس لجمع المعلومات: إذ ثمة قيل وقال في الحانات، واحياناً أنَ المتطوعين أنفسهم هم الذين يتذمرون من الطريقة التي تسير بها الأمور نحو الأسوأ. وقد سمعت أنَ حوالي خمسين رجلاً من الصقليين تجندوا مع رجال غاريبالدي حينما وصلوا باليرمو، بعضهم أخذ سلاحه معه.

أوضح ابَا " أنهم فلاحون يتوهجون فجأة مثل قش يحترق ثم سرعان ما يخمدون. " وأصدر مجلس الحرب حكم الموت عليهم لكنه بعد ذلك تركهم يتجولون في المكان الذي يختارون شريطة الاّ يبتعدوا كثيراً. حاولت أن افهم المشاعر الحقيقية لهؤلاء الناس. والإثارة التي تسود في جميع أنحاء صقلية تعتمد تماماً على حقيقة أنَ تلك المدينة بائسة، تحرقها الشمس ويقتلها العطش(بغض النظر عن البحر)، فواكهها على ندرتها شائكة. ومن ثم، وفي بلد حيث لا شئ يحدث فيه لقرون. وصل غاريبالدي ومواليه. ولم يمد الناس يد المساعدة له، أو لأنهم ما زالوا يساعدون الملك الذي أطاح به غاريبالدي. إنَهم ببساطة ثملون بالنصر وأنَ ثمة شيئاً مختلفاً يجري الآن- وجميعهم يؤولون "الإختلاف " كما يشاؤون. ربما هذه رياح تغيير عظيمة تماماً إنها رياح جنوبية تهدهدهم كي يناموا.

~~~
~~~

(الثلاثـون مـن تمـوز/يوليـو) أصـبحت الآن صـديقاً حميمـاً لنيفـو، وأفضى لي بأن غاريبالـدي تـسلم رسالة رسمية مـن فيتوريـو عمانوئيل يأمره فيها أن لا يعبر المضيق. لكـن الرسالة مرفقة بها رسالة سرية مـن الملك يقـول فيهـا تقريبـاً " كتبـت لـك الرسالة الأولى كملـك، ولكـنني الآن أنصحك أن تنفذ نصيحتي، لكن واجبك تجاه إيطاليا يمنعك مـن القيام بأي جهد لمساعدة الشعب النابولي حينما يستنجد بك لتحريـره. " إنَ الملـك يعـيش خـداعاً مزدوجـاً، ولكـن ضـد مَـن؟ ضـد كـافور، أو غاريبالدي نفسه الذي هو أول من يأمر بعدم عبـور الأرض اليابـسة، ثـم يشجع على عبـور... وبعـد أن فعل ذلـك، فإنَ الملـك سيعاقبه لعصيانه بعبور قواته الى بيدمونت نزولاً الى نابولي؟

قـال نييفـو " إنَ الجنـرال سـاذج جـداً، وسيـسقط في فـخ، أود أن أكون معه، ولكن واجبي يضطرني البقاء هناك "

هذا الرجل متقد الذكاء، بيد أنني أدركـت أنَ ما يزيـد ذكاءه هـو حماسـة عابـدي غاريبالـدي. وفي لحظـة ضـعف دعـاني الى قـراءة مقطوعة صغيرة من ديوانه الشعري الذي وصله الآن والموسوم Amori Garibaldini، ومطبوع في الشمال لكنه لم يستطع إجراء التصحيحات عليه.

" وأتمنـى مـن قرائـي أن يـسمحوا لـي بـدوري كبطـل كـي أكـون بهيميـاً الى حـد مـا. وهنـا صفوا حروفهـا لتظهـر فيهـا الأخطـاء المطبعيـة المخجلة."

قرأت إحدى قصائده، المهداة الى غاريبالدي، ووصلت الى النهاية التي تؤكد أنَ نييفو هو بوهيمي الى حد ما:

في عينيه ثمة استنجاد غريب
يفعم كل عقل بالعظمة
و يدفع الناس الى الركوع
وتسجد رؤوسهم للصلاة
حول ميادين الساحة المحتشدة
يمر من أمامهم إنسان دمث
يحرك يده اليمنى ثم اليسرى برقة
الى لقاء الحبيبات

وسيصاب الجميع بالجنون لمرور هذه الرجل الضئيل مقوس الساقين.

~~~

(في الثاني عشر من آب /أغسطس) حينما زرت نييفو لأسأله إن كان حقيقة ما قد رأوه عن غاريبالدي ورجاله الذين هبطوا على ساحل كالابريا، لاحظت معنوياته هابطة، وفي الغالب تسيل دموعه. وصلته أخبار من تورين تقول إنَ ثمة إشاعة غير سارة عن الطريقة التي يعالج بها الأمور.

" لكنني أحتفظ بكل شيء مدوناً هنا، " قال ذلك، وضرب بقبضته سجلات الحسابات المغطاة بقماش أحمر. وأردف " كل الوصولات والصرفيات. وإن كان ثمة شيء قد سرق، ستظهره سجلاتي. حين
~~~

أسلّم السلطات المختصة هذه المستندات، ستتدحرج الرؤوس جميعها . وليس رأسي حسب."

~~~

(السادس والعشرون من آب /أغسطس) أنا لست رجلاً ستراتيجياً، ولكن منذ أن استقبلت الأخبار التي اعتقد أنها تمكنني أن أرى ماذا كان يجري من حولي. لاحظت ان ثمة وزراء، في نابولي أرسل لهم الماسونيون ذهباً نتيجة تحولهم الى قضية سافوي، وتآمرهم ضد الملك فرانسيسكو. وكان التمرد على وشك أن يقع في نابولي، وسيطلب المتمردون مساعدة حكومة بيدمونت، وسيأتي فيتوريو عمانوئيل من الجنوب. ويبدو غاريبالدي غير مدرك لأي شيء، أو ربما أنه مدرك لكل شيء أو ربما يتردد في مناوراته، وهكذا بإمكانه وصول نابولي قبل فيتوريو.

~~~

أجد نييفو في غضب شديد، يؤشر برسالة ويقول." صديقك دوماس، يلعب بوصفه كروسوس، ومن ثم يتخيل أنني كروسوس ! انظر ماذا قد كتب – وإنه غضب ليفعل ذلك باسم الجنرال ! المرتزقة السويسريون والبافاريون هم الآن حول نابلولي، إستأجرهم البوربونيون، أشم رائحة الهزيمة، عرضوا عليهم الهجرة الى مكان آخر مقابل أربعة دوكات للرأس الواحد، أو تسعين ألف فرنكاً. ودوماس متمثلاً في بطل روايته الكونت دي مونت كرستو، لم يأخذ كثيراً، إنما عرض بشكل رائع مبلغاً تافهاً لا يزيد عن ألف فرنك. قال إنهم

سيجمعون ثلاثة آلاف فرنك من المواطنين في نابولي، وسأل إن كان عن طريق المصادفة قد تآمرت على البقية. أين يعتقد أنني حصلت على هذا المبلغ؟

عرض عليَ الشراب " كما ترى يا سيمونيني، أن الجميع مستاؤون بسبب الهبوط على البر، ولا أحد يبدو أنه يعرف شيئاً عن التراجيديا التي سيكون عبئها مخجلاً في تاريخ حملتنا. يحدث هذا في برونتي، قرب كاتانيا، بلدة العشرة آلاف مواطن، أغلبهم مزارعون ورعاة ومازالوا عبيداً لنظام قريب من نظام إقطاعية القرون الوسطى. وقدمت الأرض بكاملها هدية الى اللورد نلسون، فضلاً عن لقب دوق برونتي، وعلى كل حال، أنِ الأرض كانت دائماً بيد فئة قليلة ثرية أو galantuomini، كما يطلقون عليها هناك. وتستغل الناس ويعاملون كحيوانات – ولا يستطيعون حتى الذهاب الى غابات الملاّك ليجمعوا النباتات البرية لطهي طعامهم حتى يدفعوا جزية حينما يدخلون الحقول. حين وصل غاريبالدي، تخيَل أولئك الناس أنَ العدالة حان وقتها وأنَ الأرض ستعود لهم. شكلوا جمعيات أُطلق عليها جمعيات التحرير، والشخصية القائدة لهذه الجمعيات هو محام يسمى لومباردو. ولكن برونتي إستملك إرث نلسون الإنجليزي، وساعد الإنجليز غاريبالدي في مارسالا. وهكذا منَ يساعد منَ؟ والى هنا، إمتنع الناس عن الإستماع الى المحامي لومباردو والليبراليين الآخرين وفقدوا كل سيطرة، وقدحوا زناد الشغب الشعبي، والمذابح الجماعية، وذبحوا ملاّك الأراضي النبلاء. ومن الواضح تماماً، أنهم اقترفوا خطأ، ومن بين

المتمردين كان ايضاً ارباب سوابق من المجرمين - فضلاً عن الفوضى التي ضربت أطنابها في الجزيرة، وأُطلق سراح كثير من المارقين الذين كان من المفروض أن يبقوا داخل اسوارسجونهم... ولكن حدث هذا كله بسبب وصولنا. وتحت ضغط الإنجليز أرسل غاريبالدي بكشيو الى برونتي، والذي لم يكن الرجل الذي يضرب بين الأعشاب، أمر ببناء سياج، و شرع بالإنتقام الشديد من السكان، وراح يسمع المزاعم التي تفبركها طبقة النبلاء التي تتطابق مع مزاعم المحامي لومباردو زعيم مثيري الشغب، التي لم تكن حقيقية، ولكن هذا لا يهم، ويجب أن يكون مثالاً للآخرين، وأُعدم لومباردو رمياً بالرصاص، فضلاً عن أربعة آخرين، من بينهم المسعورون البائسون الذين بقوا مدة قبل أن يسير الجزارون في الشوارع يصرخون بالشعارات المهينة ضد طبقة النبلاء دون أن يزعجوا أي انسان. بصرف النظر عن حزني لهذه القسوة، وكل الأعمال أثرت في نفسي شخصياً. هل تفهم، يا سيمونيني؟ هذا من جانب، وقد وصلت أخبار هذه الأفعال الى تورين، التي من خلالها ظهرنا نتواطأ مع النبلاء القدماء؛ من الجانب الآخر، أنها تلك الإشاعات التي أخبرتك بها بخصوص المال. وإنك لست بحاجة لأن تضع الإثنين معاً: النبلاء دفعوا لنا كي نرمي البؤساء من الفقراء، وإمتاع انفسنا هنا بنقودهم، ورأينا كيف يموت الناس من حولنا في كل وقت. إنه نذير شؤم.

~~~
~~~

(الثامن من أيلول / سبتمبر) دخل غاريبالدي نابولي دون أن يواجه أية مقاومة. وكان من الواضح أنه تحول الى حد ما الى رجل مغرور، لأن نييفو قال إنه سأل فيتوريو عمانوئيل أن يطرد كافور. وتورين الآن بحاجة الى تقريري، وقد أدركت أنه من غير المفضل تقديمه قدر المستطاع الى غاريبالدي. ويجب أن أبالغ في أن الذهب الماسوني قد خدع غاريبالدي غير المسؤول، ويؤكد مجزرة برونتي، وأشير الى جرائم أخرى، الإختلاس، والإغتصاب، والفساد والتبذير. وسأستخدم حسابات موسوميسي لأصف تصرفات المتطوعين، والإحتفالات الصاخبة في دير الراهبات، وفض بكارات العذراوات(ربما الراهبات ايضاً– ولا ضير في مهاجمة لون البشرة) .

ومن بعد ذلك سأقدم بعض الأوامر بتنفيذ طلبات الأموال الخاصة، وثمة رسالة من مخبرمجهول تخبرني عن صفقة متكررة بين غاريبالدي ومازيني عبر كرسبي، وعن خططهم لقيام الجمهورية، حتى في بيدمونت. وبعبارات أخرى، ثمة تقرير جيد قوي يضع غاريبالدي في زاوية ضيقة ليس لأن ميوسوميسي قدم لي تقريراً آخر جيداً يتضمن: أنَ غالبية رجال غاريبالدي يشكلون فرقة أجنبية مرتزقة، بل إنَ هؤلاء الألف رجل يتألفون من المغامرين، من فرنسا، وأميركا، وبريطانيا، وهنغاريا، وأفريقيا ايضاً. وحثالات من كل أمة، وكان كثير من القراصنة مع غاريبالدي نفسه من أميركا. ويكفينا أن نسمع أسماء ضباطه من الملازمين، تيور، إيبر، توكوري، تيلوكي، ماغيارودي، تشودافي، فريغيسي(وبصق ميوسوميسي على أسماء عديدة بقدر ما يستطيع،

بغض النظر عن تيور و إيبر، فإنني لم أسمع بمثل هذه الأسماء أبداً.) وكانت هناك أسماء بولندية، وتركية، وبافارية، والماني يسمى وولف، قائد الفرقة الألمانية والسويسرية الآبقتين الذي سبق له أن خدم البوربونيين. وزودت الحكومة الإنجليزية غاريبالدي بكتائب جزائرية وهندية. لكن من النادر جداً أن نجد مواطنين إيطاليين ! ما عدا الألف رجل، كان نصف الرجال الآخرين من الإيطاليين. ودون شك أن ميوسوميسي يبالغ، لأن كل ما سمعته يدور هنا من الفينيسيين، بلهجة لمباردية وأميلية وتوسكانية، ولم أسمع بأي إسم هندي. ولكن لا أعتقد ذلك سيسبب أذى من مزيج هذه السلالات.

وبالطبع هناك إشارات أضفتها الى اليهود العاملين مع الماسونيين.

واعتقد أن التقرير سيصل الى تورين بأسرع ما يمكن، ويجب ألاّ يقع في أيد أخرى. وقد وجدت سفن البحرية البيدمونتية على وشك العودة الى مملكة بيدمونت، ولن تقوم بتزوير وثائق رسمية تطلب من القبطان الرسو في شواطيء جنوة. ومكوثي في صقلية ينتهي هنا، وأنا آسف أنني لن أرى ما يحدث في نابولي وحولها ولكنني لا أريد إمتاع نفسي، ولا أريد أن اكتب ملحمة. وفي نهاية هذه الرحلات أتذكر بكل سرور فقط القواقع الحلزونات والـ cannoli... آه cannoli، وأقسم نييفو ايضاً أن أتذوق سمك أبو سيف à sammurigghu، وهذا وقت ليس كافٍ، وهكذا فكل ما أريد تذوقه من نكهة هو اسمه.

(٨)

الإيركـــول

من يوميات الثلاثين والحادي والثلاثين من آذار /مارس والأول من نيسان /ابريل١٨٩٧،بدأ السارد يكتشف هذه اللهجة الأميَبية بين سيمونيني والمتطفل عليه آبي مملة الى حد ما، ولكن سيبدو ذلك في الثلاثين من آذار/ مارس أن سيمونيني أكمل إعادة كتابة البناء الجزئي للأحداث النهائية في صقلية والتي نشفت سطورها وتقاطعت فقراتها برسم علامة X ومع ذلك بقيت مقروءة- لكنها الى حد الإزعاج. في الحادي والثلا ثين من آذار /مارس تدخَل آبي دالا بيكولا في المذكرات، كما لو أنه يخلع أبوابها الموصدة بإحكام كاشفاً له ما كانت ذاكرة سيمونيني تستعصي على الإنفتاح بيأس. وفي الأول من نيسان /أبريل وبعد ليلة قلقة تذكّر فيها هجمات الغثيان، قام سيمونيني بتوسيع الإنغلاق، ومن الواضح، كان منزعجاً مما دفعه للبحث عن تصحيح ما قد يعتبره مبالغات وسخطاً أخلاقياً من قبل آبي. بيد أنَ السارد لم يكن متأكداً، وبإختصار، كان هو الذي في نهاية الأمر صائباً، وسمح لنفسه أن يصف تلك الأحداث كما يشعر بها ربما تكوَن أفضل في إعادة بنائها، ومن الطبيعي أن يقبل مسؤوليته عن إعادة صياغتها .

أرسل سيمونيني تقريره الى كافاليير بيانكو عن عودته الى تورين إذ وصلت رسالة في اليوم التالي تدعوه الى لقاء في ذلك المساء

والمكان ذاته حينما كانت تقله المركبة ذاتها أول مرة، حيث ينتظره بيانكو، وريكاردي، ونيغري، ودي سنت فرونت.

إستهل بيانكو الحديث " أيها المحامي سيمونيني، أنا لا أعرف إن كانت طبيعة صداقتنا تسمح لنا الآن في التعبير عن مشاعري كاملة، ولكن يجب علي أن أقول لك إنك مجنون."

" كافالبير، كيف تتجرأ عليّ؟"

تدخل ريكاردي " انه تماماً كما قال، وانه تحدث معنا جميعاً. وبإمكاني أن أضيف، أنك مجنون خطير. الى حد، أننا يجب أن نعتبر إن كان من الحكمة أن نتركك تتجول في تورين في مثل هذه الأفكار التي في رأسك."

" إعذرني، ربما قد ارتكبت خطأ، ولكن – "

" إنك على خطأ، إنك على خطأ، كل ما قلته هو خطأ. ألا تدرك في غضون أيام معدودة تماماً(حتى بائعات السمك يعرفن ذلك الآن) أنَ الجنرال سيالديني وقواتنا سيدخلون دولات البابا؟ ومن المحتمل أن يكون جيشنا على مشارف بوابات نابولي في غضون شهر. في ذلك الوقت، فإننا سنهيء الأرضية للإستفتاء العام الذي من خلاله ستُضم المملكة والصقليتين وأراضيهم الى مملكة إيطاليا رسمياً. وإذا كان غاريبالدي الرجل المهذب والواقعي ونحن نعتقد ذلك، أنه سيقاوم قرارات ذلك المتهور مازيني، وسيقبل بالوضع الراهن bon gré mal gré،وسيسلم الأراضي المغزوَة الى الملك، وسيُعدَ هذا عملاً وطنياً رائعا، وسنفكك جيش غاريبالدي، الذي تعداده الآن ما يقارب ستين

ألف رجلاً ، ومن الأفضل أن لا يتجولون في المدينة كما يحلوا لهم، وسيُقبل المتطوعون في الجيش السوفيّي ويُسرَّح الآخرون الى وطنهم دون أن تكون جيوبهم خالية الوفاض. جميع هؤلاء الرجال الرائعين، وكل هؤلاء الأبطال. وتريدنا، أن ننشر تقريرك الملعون في الصحف وبين الرأي العام، لتقول إنَ اولئك الغاريبالديين، على وشك أن يكونوا جنودنا وضباطنا، كانوا مجموعة أوغاد، غالبيتهم العظمى من الأجانب، مَن الذين كانوا ينهبون وهم في طريقهم الى صقلية؟ تريدنا أن نقول إنَ الغاريبالدي ليس ذلك البطل الأثيري وعلى جميع الإيطاليين أن يقدموا له الشكر والإمتنان، لكنه مغامر دحر عدواً زائفاً عن طريق شرائه؟ وبذلك تآمر مع مازيني الى نهاية المطاف ليجعل من إيطاليا نظاماً جمهورياً؟ وتريدنا أن نقول إنَ نينو بكشيو سافر الى صقلية ليعدم الليبراليين ويذبح الرعاة والفلاحين؟ إنك مجنون حقاً؟

" ولكنكم أيها السادة، إستخدمتموني – "

" إننا لم نستخدمك، لتفتري على غاريبالدي وأولئك الرجال الإيطاليين الرائعين الذين حاربوا معه، ولكن كي تجد وثائق ربما تكشف كيف كانت بطانة حاشية البطل الجمهوري تسيء حكم البلدان المحتلة، كي تبرر تدخل بيدمونت. "

" ولكنكم أيها السادة، أنكم تدركون جيداً كان هذا ما يفعله لافارينا–"

" كتب لا فارينا رسالة خاصة الى الكونت كافور الذي لم يكن يتحرك بالتأكيد من مكان الى آخر. وبعد ذلك، أنَ لا فارينا هو لا فارينا

- شخص يحمل ضغينة خاصة ضد كرسبي. وأخيراً، ما هذا الهراء عن الذهب من الماسونيين الإنجليز؟ "

" الجميع يتحدث عن هذا الموضوع."

" الجميع؟ لكننا لم نتحدث؟ وعلى كل حال، ما هؤلاء الماسونيون؟ هل أنت ماسونياً؟ "

" كلا، لم أكن ماسونياً، ولكن - "

" إذن، لا تحشر نفسك في قضايا لا تعنيك أبداً، دع الماسونيين يتحملون عواقب أعمالهم."

من الواضح، لم يدرك سيمونيني أنَ جميع الحكومة السوفويّة هم ماسونيون- وكان الجميع هم يسوعيين من حوله حينما كان طفلاً. ربما قام بهذا العمل. ولكن ريكاردي قد انتقل حالاً الى موضوع اليهود. متسائلاً بأي فكرة ملتوية ضمَنهم في تقريره.

تلعثم سيمونيني، " اليهود يتواجدون في كل مكان، ألا تعتقد ذلك"

قاطعه سانت فرونت " لا يهم سواء صدَّقنا أم لم نصدِق، الحقيقة هي توحيد إيطاليا وأننا بهذا نحتاج الى دعم المجتمع اليهودي. وما هو أكثر. إنَه من العبث إخبار الكاثوليكيين الإيطاليين الطيبين أن الأبطال الغاريبالديين الأثيريين بينهم يهود ايضاً. وبإختصار، ومع كل اخطائك الفادحة هذه، اننا بحاجة الى أي مبرر لإرسالك الى أحدى حصوننا المريحة في جبال الألب لتستمتع بهوائها مدة طويلة. ولكن، للأسف الشديد مازلنا بحاجة لك. ويبدو أنَ الكابتن نيفو(او

الكولونيل أو سمه ما شئت) ما يزال هناك مع سجل حساباته. وليس لدينا فكرة، في المقام الأول، primis، إن كان مازال يحتفظ بها بشكل صحيح وفي المقام الثاني، secondis، إن كان ثمة حكمة سياسية للتصرف بهذه الحسابات وكشوفاتها. وأخبرتنا أن نييفو ينوي تسليمها لنا، وهذا شيء جيد، ولكن إذا قد عرضها على آخرين قبل أن تصلنا، سيكون أمراً سيئاً. وإنك ستعود الى صقلية، مرة ثانية كمراسل للبروفسور بوغيو لتكتب لنا تقاريرعن الأحداث الجسام الجديدة. وتلصق نفسك كعلقة بجسد نييفو وتتأكد من اختفاء الحسابات، ثم تتلاشى في الهواء، وتتصاعد مع أعمدة الدخان، وهكذا لم يعد لها ذكر. والأمر يعود لك بإتخاذ نوع القرار، وستفوض بإستخدام الوسيلة التي تختارها، شريطة أن تكون قانونية بالطبع، وينبغي أن لا تتوقع المزيد من الأوامرالصادرة منا. وسيمنحك كافالبير وبيانكو الإتصال ببنك الصقليتين لتكون مطمئناً على الأموال الضرورية.

وتعلقاً بهذا، فإنَ حساب دالا بيكولا ضئيل جداً، وناقص، على نحو يواجه صعوبة التذكر لمكان ما قد قيَده نظيره بالنسيان.

وعلى كل حال، يبدو أن العودة الى صقلية في نهاية أيلول/ سبتمبر، تضطر سيمونيني الى البقاء هناك حتى شهر آذار /مارس من السنة التالية، محاولاً عبثاً وضع يده على حسابات نييفو واستقبال إرسالية كل اربعة عشر يوماً من كافاليير بيانكو ويلحف بالسؤال عن كيفية سير الأمور.

وكرس نيبفو نفسه جسدياً ونفسياً الى هذه الحسابات المربكة، ويزداد قلقه بإطراد كلما سمع إشاعات خبيثة، وتتوسع أكثر فأكثر طاقة التحقيق، والفحص، والتدقيق، لآلاف الإيصالات كي يتأكد مما قد كان يسجله. خاصة وانه منح بصلاحية معتبرة، منذ أن كان غاريبالدي متلهفاً وحريصاً على أن لا يخلق فضيحة وتقولات، وقد دبر أمره أن يفتح مكتباً يديره أربعة مساعدين وحارسين في مدخل السلالم، كي لا يستطيع أحد، أن يتحدث، ويدخل حدوده بحثاً عن الحسابات.

في الحقيقة، أنَ نيبفو جعل من الأمر واضحاً أنَه يشك أنَ شخصاً ربما لم يكن مسروراً لما تحتويه تلك الحسابات. ويخشى من سرقتها أوالعبث فيها ،ولهذا عمل ما في وسعه لضمان استحالة كشفها من جهة ما. وبكل ما يسع سيمونيني من عمل هو إرساء أسس تضامن صداقته مع الشاعر. وسيعقد معه الآن علاقات رسمية غير قليلة، وبهذا يفهم ماذا يخطط بشأن هذه الكتب التعيسة.

وقضيا معاً مساءات عدة في جو باليرمو الخريفي الذي مازال مفعماً بحرارة نسيم البحر، ورشقات ماء موسمية حاملة معها نباتات الأنيسون، فاسحة المجال للسائل المعطر في الإنتشار تدريجياً في الماء مثل غيمة من الدخان. وشيئاً بعد شيء، تخلى نيبفو عن خدمة الإحتياط العسكرية ووضع ثقته بسيمونيني، ربما لأنه يحبه، ربما شعر أنَه سجين في المدينة وبحاجة الى رفقة انسان آخر يبادله أحلام اليقظة. تحدث معه عن حب خلَفه في ميلان. كان حباً مستحيلاً، لأن زوجها ليس إبن عمه حسب لكنه ايضاً من أفضل اصدقائه المقربين. ولا يستطيع

الإستمرار معه. فضلاً عن أنواع حب أخرى دفعته الآن الى مشاعر الوسوسة.

" هذا هو أنا، وها أنني محكوم عليَ بالبقاء هكذا. متقلب المزاج، وشخصاً كئيباً، ونكداً، ومزعجاً. بلغت الثلاثين من العمر وعشت الحروب دائماً لتلهيني في عالم لا أحبه. وهكذا فقد تركت رواية عظيمة في وطني، وما زالت مخطوطة. وأريد طبعها، لكنني لا أستطيع أبداً لأنه يجب عليَّ أن اهتم بهذه الحسابات الدموية. لو كنت طموحاً، ولو كنت متعطشاً للسعادة... ولو كنت سيئاً على الأقل... وعلى الأقل ايضاً مثل بكشيو... دعني وشأني. مازلت طفلاً، أعيش يوم وحدتي، أحب إثارة التمرد، أريد أن أتنفس الهواء، إنني سأموت من أجل الموت ذاته... وبعد ذلك سينتهي كل شيء."

لم يحاول سيمونيني أن يواسيه. لأنه عدَه معضلة بذاتها.

وفي بداية تشرين أول /إكتوبر إندلعت معركة فولتورنو، حارب فيها غاريبالدي ليصد الهجوم الأخير للجيش البوربوني. خلال تلك المدة ذاتها دحرالجنرال سيالديني الجيش البابوي في كاستيلفيداردو وغزا أبروزو وموليز، اللتين تشكلان جزءً من مملكة البوربون. وفي باليرمو، أُحبط نييفو. إذ سمع أنَ من بين متهميه في بيدمونت كانوا من اتباع لا فارينا الذي كان يتكلم بسوء وبكل وضوح على كل من له علاقة مع القمصان الحمر.

قال نييفو بإكتئاب " أن الوضع يدفعك للتنازل، ولكن في هذه اللحظات بالضبط لا ينبغي علينا أن نتخلى عن قيادة الدفة."

" في السادس والعشرين من شهر تشرين أول/اكتوبر وقع حادث جلل: إلتقى غاريبالدي مع فيتوريو عمانوئيل في تينو. وسلَمه الجنرال عملياً جنوب إيطاليا. وبهذا يقول نييفو، لا بد على الأقل أن يكون عين سيناتوراً. وحتى الآن، وفي مستهل تشرين ثان /نوفمبر صفَ غاريبالدي أربعة عشر ألف رجل وثلثمائة جواد في كاسيرتا بإنتظار مجيء الملك لإستعراضهم، بيد أنَ الملك لم يظهرابداً.

وفي السابع من تشرين أول/اكتوبر أعلن الملك انتصاره بدخوله نابولي، ولكن غاريبالدي بقي يوماً واحداً في سنسيناتوس وانسحب الى جزيرة كابريرا. قال نييفو " ما هذا الرجل،" بعد ذلك صرخ، كما يفعل الشعراء(مما أزعج سيمونيني إزعاجاً شديداً.)

وبعد أيام غير كثيرة، سرّح غاريبالدي جيشه. وقد قبل منهم عشرين ألف متطوعاً في جيش سافوي، من ضمنهم ثلاثة آلاف ضابطاً بوربونياً.

قال نييفو " هذه عدالة، انهم إيطاليون ايضاً، ولكن من المحزن أن تنتهي حملتنا الملحمية الى مثل هذه الطريقة. أنا لا أوقّع، سأقبض مرتباتي لستة اشهر، وسأقول مع السلامة. ستة اشهر لإكتمال مهمتي – أتمنى أن أتدبر أمري خلالها. "

لابد وأن يكون عملاً مرعباً. وابتداء من نهاية شهر تشرين أول/اكتوبر وحتى نهاية تموز/يوليو سيكون من النادر جداً إكتمال الحسابات. وفي تخمين أولي، أحتاج الى ثلاثة اشهر ربما اكثر.

حينما وصل فيتوريو عمانوئيل باليرمو في شهر كانون أول/ ديسمبر، ابلغ نييوفو سيمونيني " انني آخر رجال القمصان الحمر هنا

وابدو كما لوأنني انسان بدائي. وما هو أكثر، عليَّ أن أجيب على الأخطاء الفادحة التي اقترفها لا فارينا. لو عرفت أنَ مصيري يكون على شاكلة هذه النهاية، بدلاً من الذهاب الى جنوة من أجل هذا السجن لفضلت الغرق على الحياة. "

ما يزال سيمونيني لم يجد طريقة لوضع يديه على هذه الحسابات التعيسة. وفجأة، في منتصف كانون أول/ديسمبر، أعلن نييفو أنه سيعود الى ميلان في زيارة قصيرة. هل ترك الحسابات في باليرمو؟ إنَه من المستحيل معرفة ذلك.

~~~

خطط نييفو أن ينأى بنفسه لمدة شهرين تقريباً. وحاول سيمونيني أن يقضي فترة نقاهة لما يعانيه من اكتئاب القيام بزيارة حول باليرمو.(لم أكن رومانطيقياً، فكَر، ما معنى عيد ميلاد في صحراء دون ثلوج يتناثر فيها التين الشوكي؟) إشترى بغلاً، ولبس عباءة الأب بيرغاماشي وراح يتنقل من بلدة الى بلدة يصغي الى ثرثرة الخوارنة والمزارعين ولكنه لم يكتشف اسرار طبخ الصقليين.

في حانات بلدة منعزلة نجح في الحصول على أطباق طعام ريفية رائعة الشهية لا تكلّف كثيراً، وتحتوي ايضاً على acqua cotta: كل ما تفعله هو أن تضع شرائح من الخبز في وعاء حساء وتضيف إليها كمية من زيت الزيتون مع فلفل طري؛ ومن ثم تغلي بصلاً مثروماً، وتقطع شرائح من الطماطم ونعناعاً برياً تضع فوقه ثلاثة أرباع لتر ماء؛ وبعد
~~~

عشرين دقيقة، صبه فوق الخبز في إناء الحساء واتركه ليستقر لدقائق غير كثيرة، ثم يقدم ساخناً.

في إحدى ضواحي باغيريا وجد حانة فيها مناضد قليلة في قاعة مظلمة. وفي تلك الظلال الممتعة، ترحب بك حتى في أشهر الشتاء، وهيأ مالك الحانة وهوقذر المظهر أطباقاً مدهشة من قلب محشو، وعضلات لحم خنزير، وخبزاً لذيذاً واصناف الكروش.

وهناك التقى بشخصيتين، كلتاهما تختلف عن الأخرى، وبعد هنيهة، وبضربة عبقرية، تمكن من أن يجلبهما معاً كجزءٍ من خطة متفردة. لكن دعنا أن لا نستعجل الأمور.

تبدو الشخصية الأولى نصف مجنونة. قال صاحب الحانة إنه أعطاه الطعام والمأوى بدافع الشفقة، رغم إن الرجل كان في الواقع قادراً على إنجاز أعمال منزلية كثيرة ومفيدة. والجميع ينادونه بإسم برونتي، وفي الحقيقة، يبدو أنه قد هرب من مذبحة برونتي، وأنه مسكون دائماً بذكريات التمرد وبعد قليل من شراب النبيذ يأخذ بقرع قبضته على الطاولة ويصرخ بلهجة ثقيلة، يمكن ترجمتها تقريباً: " أيها السادة احذروا، أن ساعة القيامة آتية ! لا تخافوا، أيها المواطنون، إستعدوا !" هذا ما كان قد قاله صديقه ننزيو سيرالدو فراينكو، أحد أربعة رجال اعدمهم مؤخراً بكشيو، والذي صرخ بتلك العبارة قبل العصيان.

لم يكن برونتي هذا يتمتع بذكاء خاص، لكنه على الأقل لديه فكرة لا تتزحزح، هي أنه يريد قتل نينو بكشيو.

وبرونتي كان، تعلقاً بسيمونيني، هو محض رجل مغفل يستطيع من خلاله تجاوز مساءات الشتاء القليلة. وما يمتع أكثر هو الشخصية الأخرى، رجل أهلب، يبدو للوهلة الأولى منطوياً على نفسه، ولكن حين سمع سيمونيني يطلب من مالك الحانة وصفة أنواع الأطباق، إنضم الى الحديث وتحول الى شخص ذواقة، أخبره سيمونيني كيف يطهي agnolotti alla piemontese، بينما هو يكشف اسرار ال caponata؛ وصف سيمونيني tartare all'albese ، حتى سال لعابه وراح يشرح خيمياء حلوى المارزبان.

هذا الرجل، السيد نينوزو، تكلم بشيء ما يقترب من الإيطالية، ولمَح الى أنه قد سافر الى الخارج ايضاً. وبعد أن وصف إخلاصه العظيم الى مختلف التماثيل للمقدسات المحلية، وعبَرعن احترامه لكرامة سيمونيني الإكليركية. واعترف نينوزو بوضعه الغريب. إذ كان خبير متفجرات الغام في الجيش البوربوني - وليس جندياً عادياً بل حارس مخزن بارود قريب. وقد صد رجال غاريبالدي الجيش الى الخلف واستحوذوا على الذخيرة بما فيها مخزن البارود، ولكن بدلاً من تفكيك مستودع الوقود، عينوا نينوزو في خدمتهم لحراسة المكان، مقابل أن تدفع له السلطات العسكرية ما يقابل تلك الخدمة، وهناك، نفد صبره، بإنتظار الأوامر، فضلاً عن إستيائه من المحتلين الشماليين، وبقائه مخلصاً لمليكه، حالما بالتمرد والعصيان.

" استطيع أن أفجر نصف قوات باليرمو اذا أردت ذلك " همس نينوزو، حالما عرف أنَ سيمونيني لم يكن الى جانب البيدمونتيين.

وعبَر عـن دهـشته، في إخفـاق المغتـصبين لعـدم معرفتهم أنَّ ثمـة قبـواً تحت المخزن يحتوي على براميل كثيرة من بنـادق البـارود، والقنابـل اليدوية وأسلحة أخرى. يجب أن نحافظ عليها لإستخدامها في الهجوم الواسع، خاصة وأن مجاميع المقاومة تنظم نفسها في التلال لتجعل من الحياة أمراً صعباً أمام الغزاة البيدمونتيين.

وراح وجهـه يتـوهج تـدريجياً وهـو يتحـدث عـن المتفجـرات، مما أضفت ملامح الوسـامة علـى أنفه الأفطـس، وعينيه الغامـضتين. وذات يـوم قـاد سـيمونيني الى مـدخره ليستكـشف القبـو ومحتوياتـه ثـم أراه حبيبات ضاربة للسواد في راحة يده.

قال نينوزو، آه، أيها الأب المحترم، ليس ثمة أجمل شيء من كمية البارود هذه. إنظر الى ذلك اللون الرمادي المتفتت، أنَ الحبيبات لا تتفتت عندما تضغط عليها بأصابعك وستتوهج دون أن تلمس قطعة الورقة تلك. إنَه مصنوع من خمسة وسبعين قسماً من نترات البوتاسيوم وإثني عشر قسماً من الفحم العضوي وإثني عشر من مادة الكبريت. ثم انتقلوا الى ما أطلقوا عليه بالمزيج الإنجليزي، الذي يحتوي على خمسة عشر قسماً من الفحم العضوي وعشرة أقسام من الكبريت، وهذا دليل على خسرانكم الحروب، لأن قنابلكم اليدوية لا تنفجر. واليوم نحن خبراء(رغم سوء حظنا، و الحمد لله، ثمة القليل منا) نستخدم نترات شيلية بدلاً من الفحم العضوي، وهذا شيء آخر تماماً.

" أفضل."

إنه الأفضل، كما ترى، أيها الأب، أنهم يخترعون متفجرات جديدة في كل يوم، وكل اختراع يكون أكثر فتكاً من سابقه. ويبدو أن أحد موظفي الملك(أعني به الملك الحقيقي) يعرف كل شيء وأخبرني أنه استخدم الإختراع الجديد، البيروغليسرين. لم يعرف أنَ ذلك يستخدم لإحداث صدمة. وإنك من الصعوبة بمكان أن تفجّره لأنه عليك أن تكون هناك وتطرقها بمطرقة، وستكون أول من تفجرك تلك المادة. دعني أقول لك، إذا أردت تفجير شخص ما، فعليك استخدام بندقية بارود قديمة فهي الوسيلة الوحيدة لذلك. وستخلق من ذلك مشهداً جميلاً.

ويبدو أنَ السيد نينوزو شعر بسعادة غامرة. كما لو أنَ لا شيء ثمة أكثر جمالاً من هذا العالم. وفي ذلك الوقت، لم يعلق سيمونيني أهمية كبيرة على تشتت نينوزو. ولكن في آخر الأمر، وفي كانون الثاني /يناير، فكر في الأمر مرة ثانية.

ولأنه فكر ملياً في طرق وضع يده على سجلات حسابات الحملة، كانت مسبباته كما يلي: إما ان تكون الحسابات هنا في باليرمو أو ستعاد الى باليرمو حينما يرجع نييفو من الشمال. وسيأخذها بعد ذلك الى تورين عن طريق البحر.

لهذا من العبث متابعته ليلاً ونهاراً، وهذا لن يوصلني الى الخزانة السرية، حتى وإن اقتربت منها فإنني لن استطيع فتحها. وإن وصلت إليها وفتحتها، ستكون فضيحة،إذ سيكتب نييفو تقريراً عن اختفاء الحسابات، وربما يحملني سادتي في تورين المسؤولية. ولن استطيع

كتمان الأمر بهدوء حتى وإن فاجأت نييفو بالحسابات وطعنته بسكين من الخلف. فجثة رجل مثل نييفو ستكون دائماً سبباً للإرباكات المالية. وقد اخبروني في تورين أنَ الحسابات يجب أن تتلاشى مع تصاعد الدخان. يجب على نييفو أن يتلاشى معها في الدخان. وهكذا حينها يختفي(بطريقة تبدو حادثة طبيعية) وستتلاشى الحسابات في الخلفية. لذا، لماذا لا أحرقها وأفجر مكاتب المدخولات؟ واضح جداً. والحل النهائي الوحيد هو يجب ان يختفي نييفو مع حساباته، بينما يبحر من باليرمو الى تورين. إذا فُقد خمسون أو ستون رجلاً حياتهم في كارثة في البحر، لا أحد يربط هذا بتدمير سجلات حسابات قليلة مهلهلة.

فكرة جريئة وخيالية، من الواضح، أنَ سيمونيني كان كلما كبر إكتسب حكمة أكثر، ولم يعد لي وقت غير كثير على اللعبات السخيفة مع اصدقاء الجامعة. فقد شارك في الحرب، وواجه الموت،(لكن من حسن الحظ كان من نصيب الآخرين) ولكنه كان أكثر تلهفاً ليتجنب النهاية في ملاجيء تلك الحصون التي وصفها نغري دي سنت فرونت.

وبالطبع، فكر سيمونيني طويلاً وبإجهاد في هذه الخطة على الأقل لأنه لا يملك شيئاً يفعله. في هذه الغضون، أنفق وقتاً مع السيد نينوزو، عارضاً عليه وجبات غداء ممتازة. " ياسيد نينوزو، أنك تسأل لماذا أنني هنا، وأقول لك إنني قد جئت بناء على أوامر قداسة البابا لإعادة النظام الملكي لعاهلنا، عاهل الصقليتين. "

" وأنا الآن تحت خدمتك، أيها الأب، أخبرني ما الذي أقوم به."

" في يوم ما – لا أعرف حتى الآن متى – ستمخر باخرة من باليرمو الى البر الرئيس. ستكون حاملة خزانة تحتوي أوامر وخططاً مصممة لتدمير، والى الأبد، سلطة قداسة البابا وإذلال ملكنا. وقبل أن تصل تورينو. فإنَ هذه الباخرة يجب أن تغرق مع كل مَن على متنها."

" لا شيء أبسط من هذا، أيها الأب. سترى إستخدام آخر الإكتشافات، من الواضح مطورة من قبل الأميركان، التي يطلق عليها طوربيد الفحم، انه قنبلة تشبه كتلة من فحم. بإمكانك إخفاء تلك الكتلة تحت أكوام من الفحم تُستخدْم مواد أولية للباخرة. وكانت تستخدم في فرن، فيقوم الطوربيد بمهمة الإحماء ومن ثمة ينفجر.

ليس سيئاً. ولكن يجب أن تُرمى قطعة الفحم في الفرن في اللحظة المناسبة. ويجب أن لا تُفجر الباخرة في وقت مبكر أو في وقت متأخر – بعبارة أخرى، في وقت مغادرتها، أو على وشك الرسو – وإلاّ سيكون الأمر واضحاً جداً، يجب أن تُفجّر وهي في منتصف الطريق خلال رحلتها، بعيدة عن العيون المتطفلة.

" هذا أمر أكثر صعوبة. إنك لا تستطيع إرشاء وِقّاد السفينة، لأنهم الضحية الأولى، لذا يجب أن تحسب الوقت بدقة حينما تضع كمية الفحم المحددة في الفرن. وهنا، لا أحد يعرف، حتى ساحرة بينيفينتو لا يمكنها التنبؤ بمثل هذا الأمر."

" وهكذا."

" وهكذا، يا عزيزي الأب، ان الحل الوحيد الذي يحقق لنا النجاح المؤكد هو إضافة برميل آخر من البُارود مع فتيل جيد."

" ولكن هل الذي سيشعل الفتيل هو الذي سيبقى على متن السفينة وهو يعرف أنَ كل شيء سيتفجر؟"

" لا أحد، ما لم يكن الفاعل خبير متفجرات. ثمة – شكراً للرب على سوء الحظ – منْ لم يغادر منا إلاّ القليل. وبإمكان الخبير أن يتواجد ما دام الفتيل في حالة اشتعال. والفتائل هي عبارة عن باقة من القش مليئة ببارود بندقية أسود أو كبريت مغلف بورقة، أوسلك منقوع بنترات البوتاسيوم أو كمية من القطران. إنك لا تعلم كم تستغرق العملية لتصل الى الشحن. ولكن خبرة ثلاثين عاما أو هكذا، شكراً لله، ما زال احتراق الفتيل البطيء معمولاً به، ولدي قليل من الأمتار في قعر السفينة."

" وبعد ذلك."

" وبعد ذلك، يجب أن تعرف ما هي المدة التي تستغرقها من لحظة اشتعال الفتيل الى وقت وصول اللهب الى مادة البارود، ويجب أن تحسب الوقت طبقاً لطول الفتيل. وهكذا، إذا كان المخترع، قد اشعل الفتيل، ويعرف أنه يمكن أن يصل نقطة اتجاه السفينة وهناك شخص ينتظره مع زورق متدلٍ قليلاً في المياه، حينها تفجّر السفينة عندما تكون قد ابتعدت مسافة معقولة، واعتقد إن كل شيء إنتهى، عمل متقن."

" ياسيد نينوزو، هناك مشكلة واحدة حسب... دعنا نفكر أنَ ثمة عاصفة تهب في ذلك المساء ولا أحد يستطيع أن يدلي الزورق. فهل أنَ فناناً أتقن عمله مثلك يقوم بمثل هذه المخاطرة؟"

" لأكون صادقاً، أيها الأب، كلا."

لا أحد يستطيع أن يطلب من السيد نينوزو أن يذهب الى موته المحقق. إلاّ إذا كان هناك شخص بعمق تفكيره الثاقب.

في نهاية كانون الثاني /يناير، عاد نييفو من ميلان الى نابولي، حيث استقر هناك أربعة عشر يوماً، ربما جمع وثائق ايضاً. ومن ثم أمروه بالعودة الى باليرمو، ليجمع سجلات حساباته كلها (مما يشير الى إنه تركها هناك) وأخذها معه الى تورين.

لقاؤه مع سيمونيني كان عاطفياً وأخوياً. وغاص نييفو في تأملات عاطفية قليلة عن سفرته في الشمال، وعن ذلك الحب المستحيل الذي كان كارثياً، أوغرائبياً، لإيقاظه في هذه الزيارة القصيرة... وبدت عينا سيمونيني دامعتين وهو يصغي الى قصص صديقه الرثائية، ولكن في الحقيقة إنَ كل ما فكر فيه هو كيف أنَ سجلات الحسابات تفتح لهم الطريق الى تورين.

أخيراً، أخبره نييفو. في بداية آذار/مارس أنه سيغادر باليرمو الى نابولي على متن إيركول Ercole، ومنها يواصل رحلته الى جنوة. وإيركول هي سفينة إنجليزية معتبرة ذات مجاديف مزدوجة، على متنها طاقم يتكون من خمسة عشر ملاحاً وغرفة تسع لمجموعة من المسافرين. كانت تبحر لسنوات غير قليلة، ولكن أيامها لم تكن قد

أُستنفدت بعد، إنها مازالت سفينة لائقة. كان سيمونيني متلهفاً لمعرفة المزيد. وقد إكتشف أين يقيم قبطانها، ميكائيل مانسينو، وبمساعدة البحارة تمكن أن يقتنص فكرة عن مخطط السفينة أسفل سطحها.

بعد ذلك، إرتدى عباءته واستأنف مهمته القسيسية، وقبل عودته الى باغيريا، أخذ برونتي جانباً:

" يا برونتي، أخبره، أنَ السفينة على وشك الإبحار الى باليرمو بإتجاه نابولي وعلى متنها نينو بكشيو. والآن، حانت لحظتنا، آخر المدافعين عن العرش. لننتقم لأنفسنا لما فعل في بلدتك، انه ليشرفك أن تسهم في تنفيذ حكم الإعدام به."

" إخبرني ماذا افعل."

" هذا فتيل. وقد تم حساب دورته من قبل شخص يعرف عنه أكثر مني ومنك. تمنطق به حول خصرك. وثمة أحد رجالنا، هوالكابتن سيمونيني، وأحد ضباط غاريبالدي. لكنه مخلص لملكنا، سيكون على متن السفينة ومعه خزانة تحتوي على وثائق سرية عسكرية، فضلاً عن تعليمات يحافظ عليها تحت حراسة دائمة من قبل أحد رجاله الدائمين، الذي هو أنت، والخزانة بالطبع مليئة بالبارود، وسيبحر معك سيمونيني. حينما تصل الى نقطة معينة، تسمح لك برؤية جزيرة سترامبولي، ستؤمر بإخراج الفتيل من على خصرك، ضعه واشعله، وفي الوقت عينه سيُدلى الزروق الى البحر. وسيتيح لك طول الفتيل وسمكه بالتسلق الى قمرة الباخرة للوصول الى قيادة دفتها. وهناك سيكون سيمونيني بإنتظارك، وسيكون لديك الوقت الكافي للخروج

من الباخرة قبل أن تنفجر، وسنفجر ذلك الملعون بكشيو ايضاً. لكن لا تبحث عن ذلك السيمونيني، ولا تتحدث إليه إن شاهدته. وسيأخذك نينوزو الى السفينة بعربة. وحينما تصل معبر السفينة الخشبي، ستجد بحاراً اسمه المالو. سيأخذك الى عنبر السفينة، وتبقى هناك هادئاً حتى عودته لك ليخبرك ماذا يجب عليك أن تفعل."

توهجت عينا برونتي، لكنه لم يكن تماماً ذلك الغبي. قال " ولكن إذا كان البحر هائجاً؟ "

" اذا شعرت أنَ الباخرة بدأت بالتأرجح وأنت في العنبر، لا تقلق. فزورق السفينة كبير ومحكم البناء، له شراع وصارية، ولن تكون الأرض بعيدة. وبعد ذلك، إذا رأى الكابتن سيمونيني أنَ الأمواج عالية، فهو لن يخاطر بحياته، وسيقتل بكشيو في وقت آخر. ولكن أذا تسلمت الأمر، فيعني أن ثمة شخصاً يعرف عن البحر أكثر منك وهو الذي يقرر وصولك الى برالأمان وستبدو ستروبولي أمامك. "

وافق برونتي بحماس تام. ستنطلق المداولات مع السيد نينوزو الآلة الجهنمية. وفي اللحظة المناسبة، إرتدى ملابس الحداد، بينما يتخيل الناس نظرات الجواسيس والعملاء، ذهب سيمونيني لرؤية الكابتن مانسينو مع وثيقة تأمين الخزانة المغطاة بأختام الشمع، من خلالها ظهر أنَها من أوامر صاحب الجلالة فيتريو عمانوئيل الثاني بتصدير خزانة كبيرة تتضمن عبارة(نابولي، سري للغاية). ويجب أن تودْعَ في عنبر الباخرة لتختلط مع الشحنات الأخرى كي يموه تمييزها، ولكن ينبغي على أحد رجال سيمونيني الموثوقين البقاء الى

جانبها ليلاً ونهاراً. ويجب أن يستقبل من قبل البحار المالو، الذي سبق له وأن قام بتنفيذ بعثات مهمة للجيش، وعلى الكابتن أن لا يعير احداً أي اهتمام. ومن نابولي سيصل أحد الضباط ليتعامل مع الخزانة.

الخطة كانت بسيطة، والعملية لم ينتبه إليها أحد، وبخاصة نييفو، الذي كان أكثر اهتماماً في رعاية خزانة سجلات حساباته.

من المتوقع أن تقلع سفينة إيركول الساعة الواحدة مساءً، تستغرق رحلتها الى نابولي بين الخمسين والستين ساعة. ومن الأفضل أن تُفجر حين تقترب من سترومبولي، حيث يستمر بركانها في قذف حممه في الليل، وحتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود سيمر الإنفجار دون أن يلحظه أحد.

من الطبيعي، أن سيمونيني قد التقى المالو بعض الوقت مبكراً. وبدا أكثر قبولاً للرشوة من أي واحد من أفراد الطاقم، ويُشترى بمبلغ زهيد ما لديه من معلومات ضرورية. كان بإنتظار برونتي على الرصيف ليخبئه في العنبر، مع الخزانة. أخبره سيمونيني " بعد ذلك، وبحلول المساء ومهما كانت حالة البحر، إنظر الى نيران سترومبولي في الأفق، إهبط نحو العنبر، واخبر ذلك الرجل، 'الكابتن يقول حانت الساعة ' ولا تقلق مهما يقول أو يفعل. هذا ليس من شأنك. وكل ما تحتاج لمعرفته هو في الخزانة التي سيجد ذلك الرجل فيها قنينة زجاجية في داخلها رسالة إرمها من الفتحة. وهناك رجل سيكون قريباً من ذلك ومع الزورق سيستقبل القنينة ويأخذها الى سيمونيني في سترومبولي.

وكل ما تستطيع عمله بعد ذلك، هو أن تعود الى القمرة وتنسى كل شيء. وهكذا، كرر ما يجب أن تقول له."

" أحسنت."

في لحظة المغادرة، كان سيمونيني على الرصيف لتوديع نييفو. كانت لمسة وداع. قال نييفو " ياصديقي الأعز، كنت رفيقي لمدة طويلة. سأضحي من اجلك. ربما لن نلتقي مرة أخرى، سلمت حساباتي في تورين، وسأعود الى ميلان، وهناك... نلتقي. سأفكر في روايتي، وداعاً، دعني أحضنك. تعيش إيطاليا."

" رافقتك السلامة، عزيزي. سأتذكرك دائماً." قال ذلك سيمونيني، وذرف دمعة أو دمعتين، كما يتطلب منه دوره.

كان نييفو يحمل صندوقاً ثقيلاً أُفرغ من مركبته، وتبعه مساعدوه وهم يضعون الشعث على متن الباخرة، لا تبعد نظرك عنه أبداً. وبعد فترة وجيزة صعد مدرج الباخرة الخشبي. كان اثنان من أصدقائه قد وصلا، لم ينتبه إليهما سيمونيني، وحثاه ألاّ يرحل في باخرة إيركول، التي، قالا عنها إنها غير صالحة للإبحار. والأفضل له أن يبحر بباخرة أليتريكو، التي من المؤمل أن تبحر في صباح اليوم التالي. كان سيمونيني في لحظة قلق، بيد أنَ نييفو هز كتفيه، قائلاً إنَ وثائقه ستصل حالاً الى جهاتها. وغادرت إيركول مياه الميناء.

يقتضي من سيمونيني أن يجتاز الساعات المقبلة بمعنوية عالية تمنحه رصيداً متزايداً من برودة اعصابه. في الحقيقة أنه يقضي اليوم بطوله والمساء قلقاً بإنتظار الحادثة التي لا يمكن أن يشاهدها حتى

من قمة بانتا ريسي خارج باليرمو. يعتقد أنها ستنتهي في التاسعة مساءً. لم يكن متأكداً أنِ برونتي قادر على تنفيذ الأوامر بدقة. وتخيل برؤية مشهد بحار سترامبولي، وسيهبط ليعطي الأوامر، إنحنى الرجل المسكين للأسفل وحشر الفتيل في الخزانة، أشعلها وجرى مسرعاً الى الدفة ولم يجد أحدا ثمة. ربما يدرك أنه قد خدع واندفع الى العنبر مثل رجل مجنون(لأي شيء آخر كان هناك؟) إستنشق رائحة الفتيل. ولكن بعد فوات الأوان، إذ سيلتهمه الإنفجار عند عودته.

شعر سيمونيني بالإرتياح لإنجاز مهمته ثم ارتدى زيه الإكليركي وعاد الى الحانة في باغيريا ليشبع رغباته في تناول عشائه الرئيس المكون من سمك القد المنقوع في الماء البارد لمدة يومين ومقطع الى شرائح، وبصل، وسيقان البقدونس، وجزر، وكأس زيت الزيتون، وشرائح الطماطم وزيتون اسود، وجوز الصنوبر، وكشمش، ودراق، وملح، وفلفل، وكمثرى محلاة.)

من ثم راح يفكر بالسيد نينوزو... ليس من الصحيح أبداً أن ندع مثل هذا الشاهد الخطير يتجول حراً. إمتطى بغلته وعاد الى مخزن البارود. كان نينوزو في المدخل، يدخن في غليونه القديم، حياه بإبتسامة عريضة." هل تعتقد أنَ المهمة أُنجزت أيها الأب؟"

" أعتقد ذلك، يجب أن تشعر بالفخر تماماً، أيها السيد نينوزو." قال سيمونيني، حضنه وهو يهتف " يعيش الملك." وكما تجري العادة في تلك الأدوار. كما اتقن دور المجاملة، غرز خنجره بعمق عشرين إنجاً داخل جوف بطنه.

من الذي يعرف مكان الجثة، لا أرى أنَ احداً يمر بهذا الطريق. ومهما كانت الحادثة غير متوقعة جداً في نظر الشرطة او أي شخص آخر يتعقب حركات نينوزو في عودته الى الحانة في باغيريا، أنهم سيكتشفون أنه قضَى مساءات غير قليلة في الأشهر المنصرمة مع قس همه أن يتمتع بالطعام. لكن القس لا وجود له في أي مكان، منذ ان كان سيمونيني على وشك أن يغادر الى البر. وتعلقاً ببرونتي، لا أحد يعنى كثيراً بإختفائه.

عاد سيمونيني الى تورين في منتصف آذار /مارس تقريباً، كان متلهفا لرؤية دافعي ضرائبه – وحان وقت موعدهم لإنهاء الحساب. وظهر بيانكو في الواحدة مساءً في مكتبه، جلس وهو يقول " إنك ما قمت أبداً بعمل صحيح، ياسيمونيني."

إحتج سيمونيني " ماذا تعني؟ أردت أن تحترق الحسابات مع مهب الدخان، وأنا اتحداك إن وجدتها !"

" هذا صحيح، ولكن الكولونيل نييفو كان في مهب الدخان ايضاً، وهذا أكثر مما نقصده. هناك لغط كثير جداً حول اختفاء الباخرة، أنا لاعرف إن كنا قادرين على أن نحافظ على الهدوء. إنَه من الصعب أن نحافظ على المخابرات السرية خارج هذه الأعمال كلها. لكننا دون شك سنعمل بنجاح في نهاية الأمر، بيد أنَ الحلقة الضعيفة في السلسلة هو أنت. عاجلاً أو آجلاً سيتذكر شخص ما انك كنت صديقاً لنييفو في باليرمو و، سيندهش أنك كنت تعمل من أجل بوغيو.

بوغيو، كافور، الحكومة... ياإلهي، انني اكره التفكير بثرثرة تافهة تعقب ذلك. لذلك يجب أن تختفي."

سأل سيمونيني " الى الحصون."

" حتى الإحتفاظ بشخص ما في الحصون ربما يساعد على الإشاعات. إننا لا نريد أن نكرر مهزلة الرجل ذي القناع الحديدي.إننا نقترح أقل الحلول النظرية. إنك أغلقت محلاً هنا في تورين واختفيت في الخارج. إذهب الى باريس. بغض النظر عن النفقات البدائية، نصف موافقتنا على التعويض سيكون كافياً. وبعد هذا كلّه،رحلت بعيداً جداً، بهذا العمل السيء كأنك أنجزت نصف المهمة. ومنذ أن كنا لم نستطع الإفتراض أنك ستعيش كثيراً في باريس قبل الوقوع في المشكلة، إننا نشير إليك مباشرة الى زملائنا هناك، ربما لديهم شيئاً من اجلك يقومون به. نستطيع القول، إنك ستذهب، للإطلاع على جدول الرواتب في مؤسسة أخرى.

(٩)

باريس

آخر مساء الثاني من نيسان/ ابريل ١٨٩٧،منذ أن بدأت بكتابة هذه اليوميات، لم اذهب الى مطعم، وفي هذا المساء، يجب أن امنح نفسي قليلاً من الإستجمام، وقررت الذهاب الى مكان بحيث مَن يراني وأنا في حالة سكر، حتى وإن لم أعرفه، فلن أوفر له فرصة في أن يعرفني. إنه مكان قريب من كابريه في rue des Anglais , Pére Lunette، الذي يشتق اسمه من نظارة أنف ضخمة فوق مدخل الكابريه – لا أحد يعرف متى ولماذا وضعت في هذا المكان.

وبدلاً من تقديم الطعام بداية، فإن مالكي المطعم إعتادوا أن يقدموا للزبائن قطعاً من الجبن للقضم، في الغالب مجاناً، لتبعث فيك العطش. وبهذا، ستنصرف للشراب والغناء – أو بالأحرى، أنَ الفنانين " artistes " هم الذين يغنون: فيفي لابسنثي، وآرماند لي غويلارد، وغاستون تروي- باتي. الغرفة الأولى هي عبارة عن رواق، نصفها منضدة عالية من الزنك، يجلس خلفها صاحب المطعم، والسيدة زوجته وطفلهما الذي نام وسط شتائم وضحك الزبائن. في مقدمة المنضدة، وبموازاة الحائط، ثمة مقاعد طويلة خشنة يجلس عليها الزبائن

الدائمون يتناولون شرابهم. وعلى رف خلف المنضدة تظهر اجمل مجموعة من اطباق طهي أحشاء المعدة التي تتوافر في مدينة باريس كلها . لكن الزبائن الحقيقيين يذهبون الى نهاية الغرفة، التي تحتوي على منضدتين ينام السكارى على اكتاف بعضهم بعضاً. وقد زينت الجدران من قبل الزبائن بلوحات فاحشة في معظم اقسامها.

في هذا المساء جلستُ قبالة امرأة منكبَة على شرابها الأفسنتين. اعتقد أنني اعرفها. كانت تعمل فنانة تشكيلية لتصميم المجلات ولكنها تدريجياً تخلت عن ذلك، كانت مسلولة وأدركت أنها لن تعيش طويلاً. تعرض الآن لوحات الزبائن مقابل كأس من شراب الأفسنتين، بيد أن يدها مصابة بالرعاش. فإن حالفها الحظ، فإنها ستنتهي بالسقوط في بييفرا ذات ليلة، قبل أن ينال منها مرض السل.

تبادلنا كلمات قليلة،(إذ كنت قد الزمت نفسي بالبقاء في المنزل طيلة العشرة أيام الماضية والآن أنني بحاجة الى حديث مع امراة للترويح عن نفسي) وفي كل مرة أقدم لها كأس الأفسنتين قلما امتنع عن تناول كأس ايضاً.

وهذا هو السبب، حينما ابدأ بالكتابة، فإن رؤيتي تتضبب وترتبك أفكاري – وتكون الحالات الذهنية لتحفيز الذاكرة قليلة وسيئة.

كل ما أشعر به هو أنني كنت بالطبع قلقاً حينما وصلت باريس(وبعد كل ذلك، كنت في طريقي الى المنفى)، لكن المدينة استهوتني، وقررت أن أمضي بقية حياتي هنا.

لا أعرف متى تنفد نقودي، لذلك، استأجرت غرفة في فندق في منطقة بيفرا. ولحسن الحظ استطيع أن أتحمل نفقات غرفة واحدة حسب – وغرفة في تلك المكانات غالباً ما يكون ثمنها يعادل خمس عشرة مرة من ثمن حصيرة من القش واحياناً ليس فيها نافذة. ومفروشة من فضلات الدرجة الثانية، وسرير نوم يتطاير فوقه الهوام. وثمة حمّام من الزنك للغسيل ودلو للتبوّل، ولن تجد فيها أي كرسي... أما الصابون والمناشف فلا يرد لهم ذكر. وكُتبت ملاحظة على الجدار تقول يجب ترك المفتاح في ثقبه في الخارج عند المغادرة. من الواضح أن الشرطة لا تضيّع وقتها في غاراتها وحين يمسكون بالنائمين من شعر رؤوسهم، وهم يتلصصون عليهم عن قرب عن طريق ضوء الفانوس، يرفسون أولئك الذين لا يميزونهم ويجرون أولئك الذين جاؤوا يبحثون عنهم الى الطابق الأرضي، ولا يتوانون بالحاق هزيمة نكراء بأولئك الذين يحاولون أن يبدوا مقاومة.

وتعلقاً بتناول طعامي فقد وجدت حانة في شارع بتي بونت، حيث بإمكان المرء أن يتناول وجبة طعام من اجل سماع أغنية. اللحم كله كان رديئاً، ويطرحه الجزارون بعيداً في -Les Halles، وحين يحول لون السمن الى اللون الأخضر واللحم الهبرالى السواد... يستردونه من صناديق في الفجر، ينظفونه، ويغطونه بالملح والفلفل وينقعونه بالخل، ومن ثم يعلقونه لمدة ثمانية وأربعين ساعة في الهواء الطلق في أقصى زاوية في الفناء، الى أن يحين الوقت المناسب للزبون. الزحار مؤكد، والسعر مقدور عليه.

وبعد الحياة التي عشتها في تورين ووجبات الطعام الكثيرة في باليرمو، فإني سأُعرِّض نفسي للموت بعد عدة أسابيع في حقيقة الأمرإذا لم أجمع فيها حالاً أجوري الأولى(كما سأعيد حساباتها بعد فترة وجيزة.) من الناس الذين أرسلني كافاليير بيانكو إليهم. أستطيع الآن تحمل نفقات الطعام في نوبلوت الكائن في ريو دي لا هوشيت. كان بإمكاني الدخول الى غرفة واسعة تطل على فناء قديم، وأجلب خبزاً معي. وقريباً من المدخل ثمة مشرب تديره صاحبة المحل وبناتها الثلاث للأطباق الغالية الثمن - لحم بقر مشوي، وجبن، ومربى، وكمثرى مع جوزتين وكل هذا مطهي على نار هادئة ويُدفع نقداً. أما الزبائن أمثال المغنين والراقصين والحرفيين المهرة، والفنانين التشكيليين المفلسين والموظفين الصغار، الذي يطلبون على الأقل نصف لتر من شراب النبيذ فيسمح لهم بشربه خلف منضدة الدفع النقدي.

في الخلف، هناك مطبخ، فيه موقد كبير يطهى عليه ببطء لحم ضأن، ولحم أرانب ولحم بقر، وبزاليا مهروسة وعدس. لكن لن تجد لك منضدة طعام: بدلاً من ذلك تجد صحناً وأدوات مائدة توضع أمام الطاهي. ثم يأتي حامل وجبات العشاء يتدافع ليشق طريقه وهو يحمل في يده صحناً ممتلئاً بالطعام ليجد مكاناً له على منضدة كبيرة، وخلفه مساعدان يحملان أطباق الحساء وأربعة مساعدين يحملون لحم البقر - وجبة الطعام لا تكلفك أكثر من عشرة سنتات. ويبدو أنَ هذا سعراً

ممتازاً، وفي الحقيقة، أني لاحظت أنَ كثيراً من الناس المحترمين يأتون الى هذه الحانة من أجل المتعة في هذا الحي الفقير.

ولكن قبل فترة من تحمّلي نفقات الذهاب الى نوبلوت، فإني لن اهتم لهذه الأسابيع الجهنمية القليلة: فقد أقمت علاقات تعارف جيدة، استطعت التعرف على عالم سأتعلم من خلاله السباحة كسمكة في ماء. وفرصةالإصغاء الى أحاديث الناس في أزقته، كما اكتشفت شوارع في اقسام أخرى في باريس مثل شارع رو دي لاب متخصصا تماماً في تجارة خردوات الحديد للحرفيين وعوائلهم، أو لذلك الصنف من الناس الأقل سمعة، الذين يحترفون صنعة المفاتيح والأقفال، من نوع التي تحمل جماجم وهياكل عظمية، أو خناجر بلا أغماد يمكن اخفاؤها تحت أكمام سِتر حامليها.

مكثت في غرفتي أقل ما يمكن ولأسمح لنفسي حسب للإحساس بمتعة الباريسيين المعدمين. وهكذا تسكعت في الشوارع الرئيسة. لم أكن اعرف كم هي باريس أوسع من تورين. كنت مأخوذا بمشهد كثير من الناس من مختلف الطبقات يمشون الى جانبي. ويبدو أن القليل منهم لديهم مهمات خاصة ينوون إنجازها. وأغلبهم كان ينظر واحدهم الآخر. أما النساء الباريسيات المحترمات فقد اخترن ملابسهن بذوق راقٍ، وإذا كنَ لا يجلبن انتباهي، فإنَ اسلوب تسريحة شعرهن هو الذي يجلب نظري. ومن سوء الحظ، هناك ايضاً نساء، إذا جاز لنا التعبير، أقل احتراماً ابتدعن أساليب ساذجة في زيهن لجلب ذكورتنا. إنَ تلك النساء العاهرات، مع أنَهن لسن من النوع السوقي الذي كنت

التقي إياهن مؤخراً في حانات النساء. كن يخترن الرجال الأغنياء بدقة ، كما هو واضح، من التقنيات الشيطانية التي يستخدمنها لإغراء ضحاياهن. أحد رواتي شرح لي، في وقت ، أن ما يطلق عليهن اسم grisettes، هن وحدهن فقط نراهن في الجادات الرئيسة. كن نساء شابات لكنهن لا يتمتعن بذكاء خاص، وفاجرات، لكنهن سهلات. ولا يطلبن من عشاقهن الملابس أوالجواهر، لأنهن يعرفن أولئك العشاق، هم افقر منهن. وبعد ذلك، ولأنهم من هذا الصنف، لا يمانعن من منح انفسهن لهم، ثم يتوارين عن الوجود كما يتوارى كلب البج. ليحل محلهن مومسات، lorette او biche، او cocotte. يتسكعن في الجادات، وهن لسن أكثر متعة او ثقافة من grisette ولكنهن متلهفات الى الزي الكشميري وزخرفته. في الوقت الذي وصلتُ فيه الى باريس، فإنَ lorette، حلت محلها المومس – وبعد ذلك فإن من النادر للمومسات، أن يتواجدن في شوارع العشاق الأغنياء، الذين يملكون الماس، والعربات. أما سيدات الكاميليا dames aux camellias، فقد قررن كمسألة مبدأ في أن لا يُظهرن العاطفة أو الرقة أوالإمتنان وعليهن استغلال النفوس التي لا حول لها ولا قوة التي تدفع من أجل المباهاة في مقصوراتهن في الأوبرا. أي جنس مثير للاشمئزاز هذا.

في هذه الأثناء، ذهبت لمقابلة كليمنت فابري لاغرانج، وقد ارشدتني إتصالاتي السابقة في تورين الى مكتب في بناية مهجورة بوضوح، تقع في شارع يمنعني من حرية التصرف المهني عن الإعلان عن نفسي، بل حتى من كتابة اسمي على ورقة لا يمكن لأي أحد

الإطلاع عليها أبداً. واعتقد ان لاغرانج متورط بالقسم السياسي للمديرية العامة لتأمين المصالح العامة، لكني ما عرفت إن كان هو في قمة الهرم أو أسفله. إنه لا يبدو قابلاً للجواب لأي شخص آخر، ولن أكون قادراً، حتى تحت التعذيب، لأن أذكر أي شيء عن آلة الإستخبارات السياسية. لم أكن متاكداً، في الحقيقة، إن كان لاغرانج يملك مكتباً في البناية. كتبت الى العنوان أخبره أني احمل رسالة مقدمة من كافاليير بيانكو، وبعد يومين تسلمت بطاقة تنظم المقابلة في ساحة نوتردام. ويمكنني تشخيصه من القرنفلة الحمراء في عروة سترته. وإنه دائماً ما يقابلني في أغلب المكانات غير المحتملة في - كابريه، كنيسة، حديقة عامة، ولا يتكرر اللقاء في أي من هذه المكانات.

يحتاج لاغرانج وثيقة خاصة في ذلك الوقت، قدمتها له. إندهش فوراً، ومن ذلك اليوم وأنا اعمل من اجله كواشٍ indicateur، كما يوصف هنا، مقابل ٣٠٠ فرنك في الشهر زائدا ١٣٠ فرنكاً نفقات، فضلاً عن مكافآت المناسبات ومبلغ عالٍ من اجل تقديم وثائق. فالإمبراطورية تبذخ مبالغ طائلة على مخبريها، وبالتأكيد أكثر مما تنفقه مملكة بيدمونت، وسمعت أنه يقال، إنَ ميزانية شرطتنا تبلغ سبعة ملايين فرنك سنوياً، مليونان منها توضع جانباً للمخابرات السياسية. بيد أن آخرين يقولون إن الميزانية الإجمالية تصل الى ١٤ مليون فرنك، من ضمنها تكاليف تصفيق الحشود عند مرور الإمبراطور، فضلا

عن مجاميع ترسل للمحافظة على مراقبة مساعدي مازيني، وكذلك مثيري القلاقل والجواسيس الفعليين.

إعتدت أن اجمع على الأقل خمسة آلاف فرنك في السنة مع لاغرانج، ومن خلاله كنت أقدم زبائن خاصين، وهكذا وبسرعة إستطعت أن أسس مكتبي الحالي(تحت غطاء التعامل مع brocantage) ومع تزوير الوصايا، وبيع خبز القربان المقدس، جلب لي عملي هذا خمسة آلاف فرنك مع عشرة آلاف فرنك آخر سنوياً، وقد أُطلق علي ّفي باريس البرجوازي. كانت هذه العائدات بشكل واضح غير مُؤمن عليها، وكان حلمي أن اجمع عشرة آلاف فرنك ليس من دخلي الثابت ولكن كأجر غير ثابت تمنح ٣ بالمائة منها كسندات للدولة(تأمين) واطمح لجمع ٣٠٠ ألف فرنك في العاصمة. ومثل هذا المبلغ يمكن أن يكون لإحدى محظيات البلاط وليس لكاتب عدل نكرة.

وبينما انا بانتظار ضربة حظ، ورغم ذلك أستطيع أن أحّول نفسي من مشاهد الى مساهم فاعل في ملذات باريس. ليس لدي إهتماماًت بالمسرح، لتلك الخطابات التراجيدية المرعبة في الشعرالإكسندري، وإن أروقة المسرح تبعث في نفسي الكآبة. بيد أن باريس تقدم لي شيئاً أفضل من كل هذا – المطاعم.

وأول مكان لي أريد أن انغمس فيه هو لي غراند فيفور، في أروقة البالاس رويال. رغم إنه غالٍ جداً، وقد سمعت، أنهم يشيدون به حتى في تورين، كان فكتور هيغو يتناول فيه صدر لحم الضأن بيخنة

الفاصوليا. والمكان الآخر الذي اغراني الآن هو الكافيه انغلايز، الواقع في زاوية رو دي غرامونت وشارع دي ايطاليان. وتحول الآن الى مطعم للحوذيين والخدم والآن يقدم وجبة le tout paris، على طاولات. وهناك اكتشفت وجبات، pommes anna، écrevisses bordelaise,mousses de volaille,mauviettes en cerises,petites timbales à La pompadour, cimier de chevreuil , fonds d'artichauts à La jordiniére، وشراب الشمبانيا. وبمجرد ذكر هذه الأشياء يجعلني اشعر أنَ الحياة. تستحق العيش.

وبصرف النظر عن المطاعم، فأنا مفتون بالمرور به لأنني أقدس المرور من مطعم جوفروي، ربما لأنه يقّيم مع ثلاثة من أفضل مطاعم باريس: الدينر دي باريس، والدينر دو روشر، والدينر جوفروي. تبدو، وحتى هذا اليوم، أنَ باريس كلها مجتمعة هناك، بخاصة أيام السبت، في الرواق المغطى بالزجاج حيث يتزاحم السادة الذين اضجرتهم الحياة والسيدات المعطرات برائحة تتناسب مع ذوقي.

وربما ما يأسرني أكثر هو المرور بدي بانوراماس، إذ هناك ترى الإزدحام أكثر لشغيلة الطبقة العاملة، والبرجوازيين والقرويين، والناس الذين يبدون متلهفين للتحف التي لا يستطعون تحمَل نفقات شرائها والفتيات اللائي يخرجن من المصانع. واذا كان حقا يروق لك أن تنظر الى التنورات، فإن النساء اللائي يمررنَ من جوفروي يرتدين أفضلها، ولكن هنا، التجوال نحو الأسفل والأعلى ومشاهدة فتيات المصانع، اللائي يطلق عليهن الاتباع suiveurs،وثمة رجال متوسطو

العمر يخفون تحديقات نظراتهم خلف نظارات خضر. وأنا اشك أن كل الفتيات هن عاملات مصانع فعلا؛ لكنهن ببساطة يرتدين، قماش التول والمريلات، يعني لا شيء. أنظر بدقة الى أطراف أصابعهن. فتيات لا يقلّمن أظافرهن، ترى تلك الأظافر مخربشة فيها حروقات بسيطة تقودك الى أنهن فتيات ترف، وشكرا للفتيات الأتباع suiveurs،اللائي استطعن أن يسحرننا.

أما فتيات المصانع في الرواق فأنا لا انظر إليهن، بل انظر الى الفتيات الأتباع(من قال إنَ الفيلسوف هو الذي يشاهد المتفرجين وليس خشبة المسرح في مقهى الغناءcafé chantan) وربما ذات يوم يتحولن الى عميلات لي، او ينفعن في مجال آخر. وتبعت بعضهن الى منازلهن، ورأيت أنَ زوجة بدينة مرتدية دزينة من الثياب تحييهن. سجلت عنوانهن. إنك لن تعلم. إني استطيع تدميرهن بسهولة عن طريق رسالة مجهولة. في يوم من الأيام، إذا اقتضت الحاجة الى ذلك.

~ ~ ~

في الغالب لا أتذكر شيئاً عن مختلف مهمات لاغرانج التي اعطاني اياها في بداية السنة. وكل ما أتذكره هو الإسم آبي بولان، ولكن لا بد وأن يكون ذلك في وقت متأخر جداً، ربما تماماً قبل أو بعد الحرب(فيها شيء ما يتعلق بالحرب، أعتقد تتعلق بفوضى باريس)

وفعل شراب الأفسنتين مفعوله ، فإذا اشعلت شمعة، فإن ثمة لهباً ينفجر من ثمالتها.

(١٠)

حيرة دالا بيكولا

الثالث من نيسان / ابريل ١٨٩٧،عزيزي الكابتن سيمونيني،إستيقظت هذا الصباح ورأسي ثقيل وفي فمي طعم غريب. الله يصفح عني... إنه طعم شراب الإفسينت ! أطمئنك أنني لم اقرأ حتى حساباتك الليلة الفائتة. أنّى لي أن اعرف ما قد كنتَ قد شربت ولم اكن أنا الذي شربته؟ وكيف تأتى لكاهن أن يميز طعم شيء ممنوع أو أنه غير مألوف؟ أو ربما أن رأسي مضطرب نوعاً ما. ربما إنني كنت اكتب عن الذائقة التي شعرت بها في فمي حينما استيقظت، ولكن كنتُ اكتب بعد قراءة يومياتك، وأن ما كتبته أنت قد أثر فيّ. إنني لم اقترب من طعم الإفسينت، أنّى لي أن اعرف أن ذلك الطعم هو طعم الإفسينت؟ أنه طعم شراب آخر، الذي اغراني أنه شراب الإفسينت.

آه، يا إلهي، أن الحقيقة تبقى أني استيقظت من على فراشي، وبدا كل شيء طبيعياً، كما لو أني لم افعل شيئاً آخر طوال الشهر المنصرم. ما عدا أنني عرفت أن عليَّ أن اذهب الى شقتي. وعند وصولي الى هناك، أو الى حد ما، الى هنا، قرأت صفحات يومياتك، التي لم أرها حتى الآن. رأيت أنّ ذكرك لبولان فيه شيء من الغموض، مما خلقتَ صورة مضطربة في ذهني.

كررت الإسم بصوت عالٍ مرات عديدة، وظهر برق سريع في ذاكرتي، كما لو أن طبيبك بيورو وبورو قد لمسا قطعة معدنية ممغنطة إجتاحت جسدي، أو أن الدكتور شاركوت قد حرك - لا أعرف ماذا - أصبعاً، مفتاحاً، يداً أمام عينيّ، وقد بعث في داخلي حالة من حالات السرنمة المشرقة.

ورأيت خلال ذلك ،الكاهن يبصق في فم إمرأة ممسوسة.

(١١)
جولي

من يوميات أواخر ليلة الثالث من نيسان /ابريل ١٨٩٧،إنتهت تلك الصفحة من يوميات دالا بيكولا توَا. ربما قد سمع ضوضاءً، ربما صوت باب ينفتح في الطابق الأرضي، ولابد له أن يتلاشى. من فضلك إفهم أنَ السارد هو نفسه في حيرة من أمره. يبدو أنَ دالا بيكولا يستيقظ من جديد فقط حينما يحتاج سيمونيني الى صوت الضمير ليتهمه بالحيرة ويعيده الى الواقع. أوبعبارة أخرى، أنه سيَظْهر كثير النسيان.ولكن صريحين، اذا لم يكن في واقع الأمر أنَ تلك الصفحات تشير الى حوادث وقعت فعلاً، ومثل هذه البدائل بين نشوة فقدان الذاكرة واستحضار القلق يبدو أنهما من الممكن أن يكونا بدعة السارد.

في ربيع ١٨٦٥، إستدعى لاغرانج سيمونيني لمقابلته في أحد الصباحات في حديقة عامة في جاردن دو لوغسمبورغ ليريه كتاباً رثاً غلافه مائلاً للصفرة، يبدو أنه كان قد طُبع في تشرين أول /اكتوبر ١٨٦٤، في بروكسل، عنوانه: Dialogue aux enfers entre Machiavel et Montesquieu ; ou, la politique de Machiavel au XIXe siècle ,par un contemporain.

قال. " هنا، عن طريق المدعو موريس جولي. نعرف من هو ونكتشف أنه هذ الذي يُهرِّب نسخ الكتاب الى فرنسا. يطبعها في

الخارج ثم يوزعها سراً. ولدينا صعوبة في إلقاء القبض عليه، أو بعبارة أخرى، نحتاج الى وقت ولكن ليس ثمة صعوبة، لأنّ كثيراً من المهربين للمواد السياسية هم عملاء لنا. وستعرف أنّ الطريقة الوحيدة للسيطرة على طائفة تخريبية هي الإستيلاء على قيادتها أو في الأقل يكون زعماؤها تحت هيمنتنا المالية. إنك لم تكتشف شيئاً عن خطط اعداء الدولة عن طريق الإيحاء الديني. ربما يقول أحد ما، هذه مبالغة. فإنّ لكل عشرة اتباع من جمعية سرية ثلاثة منهم يعملون لصالحنا كوكلاء، mouchards – من فضلك، اسمح لي بهذا التعبير. ولكن هذا ما يسمونه هم عموماً – بينما يكون ستة مجانين يؤمنون كليا بما يقومون به، ورجل واحد من بينهم خطير. لكن دعنا لا نستطرد. فجولي الآن هو في السجن في سنت- بيلاغييه، وسنبقيه هناك أطول مدة ممكنة. ولكننا مهتمون بإكتشاف مصادر معلوماته التي حصل عليها."

" وما هو مضمون الكتاب؟"

" يجب أن اعترف أنني لم اقرأه حتى الآن. إنه يحتوي على خمسمائة صفحة من القطع الكبير، وهذا خطأ – ذلك أن أي عمل افترائي ينبغي أن تكون قراءته ممكنة خلال نصف ساعة. وإنّ أحد عملائنا المتخصص في مثل هذه المسائل، هو المدعو لاكروا قد هيأ لنا ملخصاً له. ولكني سأعطيك نسخة أخرى أصلية. وستجد في تلك الصفحات حواراً متخيلاً في الجحيم بين مكيافيلي ومونتيسكيو، يقترح فيه مكيافيلي رؤيا ساخرة على السلطة وداعمي شرعية مسارها الهادف

الى كبح حرية الإعلام وحرية التعبير وجميع الأشياء الأخرى التي يعتنقها الجمهوريون. وقام مكيافيلي بمثل هذه التفاصيل، وثيقة الصلة بعصرنا، وأن ابسط قاريء يرى أنَ موضوع ذلك الكتاب هو لتشويه امبراطورنا. مدعيا أنه يبحث عن إحباط سلطات الجمعية الوطنية، ويريد أن يسأل الشعب توسيع سلطة الرئيس لدورة مدتها عشر سنوات، وليحّول الجمهورية الى إمبراطورية - ".

" من فضلك اسمح لي، يا سيد لاغرانج - إننا نتحدث بثقة وأنك تدرك جيداً إخلاصي للحكومة - لكنني لا أستطيع تحمَّل ما تقوله أنَّ جولي يلمح الى قضايا أنَ الإمبراطور قد قام فعلاً بإرتكابها، لذا لا أرى سبباً في أن نسأل من أين حصل جولي على معلوماته."

" ولكن التلميحات في كتاب جولي لا تشير تماماً الى ما قامت به الحكومة ولكن تشير الى ما يمكن أن يكون اقتراحاً للقيام بتلك الأفعال. وكما لو أن جولي قادر على رؤية الأشياء ليس من الخارج بل من الداخل. وإنك كما ترى، أنَ في كل مؤسسة، وفي كل مكتب حكومي، هناك دائماً عميل مزدوج، ,asous-marin، يعرض المعلومات. و يسمح له عادة في البقاء في مكان يستطيع من خلاله تسريب معلومات كاذبة عن تلك المؤسسة التي ترغب بنشرها. ولكن احياناً يمكن أن يكون خطيراً. ويجب أن نكتشف مَن الذي يزود جولي بالمعلومات، أو، الأسوأ، مَن الذي درّبه."

تأمل سيمونيني مليّاً، الحكومات الإستبدادية، كلها تتبع منطقاً واحداً- وأنه يكفينا أن نقرأ مكيافيلي كي نفهم ماذا يفعل نابليون.

هذا التأمل قاده الى فكرة أخرى، عنّت له بينما كان لاغرانج يصف الكتاب. إنَ جولي يتبنى كلام نابليون - المكيافيلي كونه غالباً ما يردد عبارات سيمونيني ذاتها التي غرسها في أفواه اليسوعيين في الوثيقة التي ابتدعها للمخابرات السرية في بيدمونت. ومن الواضح، أن جولي كان قد تأثر بالمصدر ذاته - بعبارة أخرى، من رسالة الأب رودن الى الأب روثآن في رسالة سو ، اسرار الناس، Les mystéres du peuple.

واستمر لاغرانغج" وهكذا، أننا نقترح عليك في أن نأخذك الى سجن السنت بيلاجيه بوصفك أحد منفيي مازيني السياسيين المشكوك بإرتباطاته مع المجموعات الجمهورية الفرنسية. وثمة سجين اسمه غافيالي، كان متورطاً في هجوم تفجير أورسيني. وإنك من الطبيعي، أن تكون أحد اتباع غاريبالدي، أوالكاربوناريين، وأياً كان ذلك الشخص، حاول أن تؤسس علاقة معه. ومن خلال غافيالي فإنك ستتعرف على جولي. وستجد أحد الأتباع بين السجناء السياسيين يشعر بالتذمر. انهم الوحيدون من بين الأوغاد من كل صنف. حاول أن تدفعه للحديث - لأن نزلاء السجن أضجروه جداً."

" وما هي المدة التي سأمكث فيها هناك؟ "سأل سيمونيني وكان قلقاً حول نوع الطعام الذي سيتناوله.

" ذلك يعتمد عليك. كلما أسرعت في الحصول على المعلومات، كلما عجلت في المغادرة. وبكلمة من قاضي التحقيق ستبرئك من جميع التهم. والفضل يعود بالطبع الى مهارة محاميك."

ولم يسبق لسيمونيني أن جرب السجن. الممتلىء برائحة العرق، والبول، الكريهة، والصابون الذي يجعلك تتجشأ، أنه شيء لا يسر جداً. وشكر سيمونيني ربه، لأنه مثل بقية السجناء الذين هم في ظروف مالية محترمة، وقادرا على أن يتسلم يوميا سلة طعام.

وفناء سجن السنت بيلاجيه كان عبارة عن قاعة كبيرة يحتلها موقد رئيسي، ومقاعد حول الجدران. وأولئك الذين يتسلمون الطعام من الخارج عموماً يتناولون وجباتهم هنا. بعضهم يتناول طعامه منحنياً فوق السلال. مستخدمين أيديهم تجنباً لنظرات ابناء بلدهم، بينما يظهر الأخرون أكثر سخاء إزاء اصدقائهم أو ربما جيرانهم. وأدرك سيمونيني أنَ أرقَ السجناء هم إمَا مجرمين بالأحكام الثقيلة، طوروا تضامنهم مع اقرانهم السجناء، وإمَا سجناء سياسيين.

وخلال سنواته في تورين، وتجربته في صقلية وسنواته الأولى وفي أغلب الشوارع الخلفية سيئة السمعة في باريس، زادته نفاذ بصيرة كافية في أن يشخص السجين المجرم بالفطرة عن غيره. وإنه لا يشارك وجهة النظر المتداولة في ذلك الوقت أن المجرمين كلهم كانوا أقزاماً، أو ذوي حدب، أو شفاه مشرومة، أو ملوثين أخلاقياً، أو كما يقول فيدويك ذائع الصيت(وفيدويك هذا يعرف شيئاً واحداً أو شيئين عن المجرمين، وهو في الأقل لا يعدَ نفسه أحدهم.) أومتقوِّسي الساقين. إنَهم، قاموا، على كل حال، بتقديم الكثير من السمات المميزة للسلالات الملونة، مثل نقص الشعر في الجسم، أو ذوي الجماجم الصغيرة، أو الجبهات المرتدة للخلف، أو قُعْسي الصدور، أو

ذوي النبرات العالية، أو الفكوك الناتئة، أو ذوي الوجنات العظمية، أو ذوي العيون الحولاء، أو داكني البشرة، أو مجعدي الشعر الكثيف، أو ذوي الأذان الكبيرة، او ذوي الأسنان المفروقة، فضلا عن ذوي اللامبالات العاطفية، والشبقين، أو مدمني المتع الحسية، أوجامدي الإحساس، أوالكسالى، والمتهورين، والمبذرين، أوالمصابين بعظمة الغرور، أوالمقامرين، أوالمخرفين.

ناهيك عن ذكر الشخصيات كتلك التي تجلس الى جانبه كل يوم، كما لو أنها تستجدي لقمة من سلته، وجهها محفور تسوده ندوب عميقة شاحبة، وشفاه متورمة بفعل التآكل نتيجة النقد اللاذع، أو أنوف فطساء، ومناخير حلت محلها حفر لا شكل لها،أو أذرع طويلة، أو أيدٍ قصيرة وبدينة، وعريضة، يتدلى شعرها نحو أظافرها... ورغم ذلك، كان سيمونيني ملزماً في تغيير افكاره حول علامات الإنحراف للإجتماع بالشخص الذي إسمه أورست، الذي عرض نفسه بوصفه رجلاً معتدلاً، والذي اصبح، في نهاية الأمر بعد أن عرض سيمونيني عليه في آخر الأمر الطعام، إشفاقاً له،وفياً كوفاء الكلب لصاحبه.

وقصة أورست بإختصار شديد كما يلي: إنه شنق فتاة لم تقدِّر تقدمه إليها، وأنه الآن ينتظر الحكم. قال " أنا لا أدري لماذا هي قذرة الى هذا الحد، طلبت الزواج منها بعد كل هذا. لكنها ضحكت. كما لو أنني وحش، وأنا الآن جد حزين لأنها تركتني. لكن ماذا يفعل رجل يحترم نفسه في هذه الظروف؟ فإن نجوت من المقصلة فأعتقد أنَ

الأعمال الشاقة ليست سيئة. إنهم يقولون في الأقل لديك المزيد من الطعام."

وذات يوم أشر أورست الى رجل قائلاً لي " أنظر الى ذلك الرجل، أنه فعلاً رجل سيء. حاول أن يقتل الإمبراطور."

وهذا ما أكده سيمونيني لغافيالي، وجاء لمقابلته.

قال غافيالي، " أنت غزوت صقلية شكراً لتضحيتنا " ثم صحح ماقاله. " بعبارة أخرى. ليست تضحيتي. إنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا أي شيء ضدي ما خلا أنني قد اتصلت بأورسيني. كان أورسيني وبييري أعدما بالمقصلة. وأرسل دي روديو الى كايني. ولكن، إذا كان كل شيء على ما يرام، فإنني سأخرج حالاً. "

والجميع يعرف أورسيني، أنه مواطن إيطالي ذهب الى انجلترا وعاد بخمس متفجرات معبأة بمركَب الزئبق. وفي الرابع عشر من كانون الثاني / ديسمبر ١٨٥٨، بينما كان نابليون الثالث في طريقه الى المسرح، رمى أورسيني وإثنان من رفاقه ثلاث قنابل على عربة الإمبراطور، بيد أنهم اخطأوا هدفهم - وجرح ١٥٧ شخصاً، توفي ثمانية منهم. لكن الإمبراطور استطاع الهرب دون أن يصاب بأذى.

وقبل الذهاب الى المشنقة، كتب أورسيني، رسالة الى الإمبراطور يحثه فيها على الدفاع عن وحدة إيطاليا، وقال الكثيرون أنَ تلك الرسالة كان لها مفعول على سياسات نابليون الثالث الاخيرة.

قال غافيالي " أنا الشخص الذي يفترض به أصلاً أن يصنع القنابل، جنبا الى جنب مجموعة من الأصدقاء، والذين يمكنني أن أقول عنها،

إنها قنابل أصلية، عندما فجروها. لكن أورسيني لم يكن متأكداً. أيها الأجانب، تعرفون، أنكم دائماً أفضل منا، ومن ثم القى نظرة على رجل إنجليزي، كان هو الآخر يلقي نظرة على مكونات الزئبق. تستطيع أن تشتري المكونات من أي محل خيميائي في لندن، حيث اعتادوا أن يصنعوا ألواحاً معدنية مفضضة، وهنا في فرنسا يضعونها في ورق يستخدم في صنع ' قنابل صينية ' – وحين تفتحها، تتفرقع، وتحدث انفجاراً كبيراً، يا للتسلية. ولكن المشكلة هي أن القنبلة مع تفجيرها العنيف لم تكن مؤثرة كثيراً ما لم تنفجر باحتكاكها مع هدف. وقنبلة البارود ستولد شظايا معدنية، ستغطي مساحة نصف قطرها عشرة امتار تقريباً، وسيتحلل مركّبها الحمضي حالاً، وستقتلك إذا كنت هناك حيث تسقط القنبلة. وفي تلك اللحظة من الأفضل إستخدام الرصاص الذي ينطلق أبعد مسافة ممكنة.

إقترح سيمونيني مضيفاً " أنني أعرف صديقاً مهتماً بخدمات مجموعة من خبراء الإنفجارات الجيدين.

لم يكن السارد متأكداً لماذا يُدلي سيمونيني بهذا الطعم. هل في ذهنه شيء ما الآن، أو أنه يُدلي نتيجة الغريزة والعادة أو الحذر، لأنك لا تعرف أبداً ما الذي يمكن أن يحدث؟ وعلى كل حال، كان غافيالي متحمساً. قال " دعنا نتحدث عنها، إني اخبرتك أنك ستخرج حالاً من هنا، وكذلك أنا، تعال وقابلني في بير لوريه الكائن في شارع دي لا هاشيت. فأنا اذهب الى هناك مع اصدقائي معظم المساءات. وقد يوقفنا الجندرمة هناك لإزعاجنا – وينتهي بنا الأمر الى زجنا في

السجن، وهناك، نبدأ عملاً كثيراً. الى جانب ذلك، إنه من السهل على الجندرمة أن يدخلوا ولكن من الصعب أن يخرجوا."

ضحك سيمونيني. " ما هذا المكان. سأكون هناك. ولكن اخبرني، فقد سمعت أنَ المدعو جولي هنا هو الذي كتب اشياء مشينة عن الإمبراطور."

قال غافيالي " إنه مثالي، والكلمات لا تقتل. ولكنه من المحتمل أن يكون مشايعاً تماماً. سأقدمه لك. "

كان جولي يرتدي ملابس مكوية، وأنه وجد طريقة لحلاقة ذقنه، حينما يصل نزلاء السجن من ذوي الإمتيازات مع سلال طعامهم، فإنه على العموم يغادر القاعة والموقد، محتفظاً برفاقه الوحيدين كي لا يعانون من نظر اولئك الناس الأثرياء جداً. ويبدو أنه في عمر سيمونيني تقريباً، يملك رؤيا حادة يشوبها الحزن، ويبدو أنه يحمل تناقضات كثيرة.

قال له سيمونيني " إجلس معي، تناول شيئاً من سلتي. إنها تكفيني كثيراً، أستطيع أن أقول مباشرة إنك ليس من هذه النوع من السجناء."

شكره جولي بصمت من خلال ابتسامة ظهرت على محيّاه، من الممتع أن نقبل شريحة لحم وكسرة خبز، ولكن احتفظ بالكثير. قال سيمونيني " شكرا للكرم، إن شقيقتي لن تنساني، ليست غنية، لكنها ترعاني جيداً."

أجاب جولي " أنك محظوظ، لأنني ليس لدي شقيقة."

وتكسر الجليد بينهما. وتحدثا عن اعمال غاريبالدي الملحمية، التي كانت فرنسا تتابعها بحماس عظيم. أشار سيمونيني الى صعوباته، بداية مع حكومة بيدمونت وبعد ذلك مع الفرنسيين، وهنا يعاني من انتظار المحاكمة لتآمره ضد الدولة. قال جولي إنه كان في السجن ليس بسبب التآمر ولكن بسبب متعة الثرثرة البسيطة.

" لنتخيل أننا جزء ضروري من نظام العالم، ومن أجل أولئك القراء الجيدين امثالنا، ومن أجل الناس غير المتعلمين الذين يؤمنون بالخرافة. إنك لن تستطيع تغيير العالم من خلال الأفكار. إن الناس الذين يحملون افكاراً قليلة هم أقل احتمالاً من وقوعهم في الأخطاء؛ أنهم يتابعون ما يقوم به الناس جميعاً ولا يسببون إزعاجاً للآخرين؛ إنهم ناجحون، ويجمعون المال، ويجدون الأعمال الجيدة، يتدخلون في السياسة، ويستقبلون الشرفاء، وتحولوا الى كتّاب مشهورين؛ وأكاديميين؛ وصحافيين. ولكن هل يستطيع الناس الطيبون جداً أن يهتموا بمصالحهم، هم أغبياء حقاً؟ إذن أنا أحدهم، أحدهم الذي أراد الذهاب الى مقارعة الطواحين الهوائية. "

وعند تناولهم الوجبة الثالثة معا كان جولي مازال متردداً في الدخول في الموضوع، وهكذا حاول سيمونيني أن يدفعه قليلاً عن طريق سؤاله أي نوع هذا الكتاب الخطير الذي استطاع أن يكتبه. شرع جولي بوصف كتابه(حوار في الجحيم،Dialogue in hell)، كما فعل. جذب الكثير والكثير من السخط عن المظالم التي استعرضها

واحدة بعد الأخرى ومحللاً إياها بتفاصيل مسهبة أكثر مما فعل في كراسته.

" الطغيان، كما تفهمه، وقد تحقق وشكراً للاقتراع العام ! ونفذ الوغد انقلاباً إستبدادياً بمناشدة الغوغاء الجهلة ! وهذا تحذير لنا عن ديمقراطية الغد."

فكر سيمونيني " هذا صحيح تماماً، أنَ نابليون هو رجل عصرنا، وهو يعرف كيف يشدد قبضته على الناس الذين كانوا هائجين قبل سبعين سنة مطالبين بقطع رأس الملك. ربما يعتقد لاغرانج جيداً أن جولي يمتلك مُخبرين، ولكنه استخدم بوضوح حقائق بسيطة وكانت شفافة لكل من يرى، ويرصد جميع حركات الدكتاتور القادمة. والأكثر أهمية، أنني أريد أن اعرف ما هو النموذج الفعلي الذي سيستخدمه."

قام سيمونيني بإشارة مبطنة الى أوجين سو ورسالة الأب رودن. وارتسمت ابتسامة سريعة على وجه جولي، في الغالب كانت ابتسامة حيية، واعترف أن فكرة تصوير خطط نابليون الأثيمة كانت بإلهام من وصف سو، بعكس فكرة جولي التي كانت أكثر نفعاً لإعادة تأثيرات اليسوعية على المكيافيلية الكلاسيكية.

" حين قرأت كتاب سو أدركت أني وجدت المفتاح لأكتب شيئاً يهز هذا البلد. أية حماقة هذه. إن الكتب مستحوذ عليها، ومدمّرة، وأنت... كما لو أنك لم تفعل شيئاً. وإنني نسيت أن سو قد أُرغم على النفي لقوله أقل من الحد الأدنى."

وشعر سيمونيني أنه كان محروماً من شيء ما كان له. إنها الحقيقة فقد استنسخ خطابه اليسوعي عن سو، رغم إنه لا أحد يعرف، أنه أراد أن يستخدم هذا النموذج من المؤامرة مرة ثانية لأهداف أخرى. ومن هنا أخذها جولي منه، وحولها الى نطاق عام، ليتحدث فيها.

ومِن ثم هدأ. كان كتاب جولي قد صودر واحتفظ بنسخة من نسخ قليلة ما زالت في التداول. وسيكون جولي في السجن لعدة سنوات أخر، قام سيمونيني خلالها بإستنساخ الكتاب برمته، مستخدماً محتوياته ربما لمساعدة المؤامرة التي يقوم بها كافور، أو القنصلية البروسية. لا أحد يعرف ذلك، بما في ذلك لاغرانج، الذي كان في الغالب سيعرف أن تلك الوثيقة كانت موثوقة. وتعتقد المخابرات السرية في كل بلد حسب بما قد سمعت بها في مكان آخر وستشك في أي معلومات جديدة غير معتمدة. وسيتحرر من التوتر النفسي. كان في وضع يحسد عليه لمعرفته بما أخبره جولي. وبدون علم أي أحد آخر... بإستثناء لاكروا، الذي اعطاه لاغرانج مهمة قراءة كتاب حوار في الجحيم – الرجل الجريء الوحيد الذي قرأه من الغلاف الى الغلاف. وكل ما يستطيع فعله، بعد ذلك، هو، إستئصال لاكروا، وكان له ذلك.

في هذه الغضون، حان إطلاق سراح سيمونيني من سجن سنت بيلاجيه. وذهب ليجد جولي، كان يودعه بحرارة أخوية. وكان جولي يتحرك بحرية وقال: " ربما ستقدم لي خدمة. لديَّ صديق، رجل يدعى غيودون. ربما أنَّه لا يعرف أنني هنا. ربما يرسل لي سلَّة فيها

شيئا متواضعاً لأتناوله من حين الى آخر. وكما تعرف أن ذلك الصابون مقرف ويسبب لي مغصاً وزحاراً في المعدة.

واخبره جولي أنَّه سيجد غيودون في مكتبة في رو دي بوني، حيث تجتمع هناك مجموعة فوريرستية Fourierists، والفوريريستيون بقدر ما يعرف سيمونيني، كانوا اشتراكيين هدفهم هو إصلاحات السلالة البشرية، ولكن دون ثورة، لكن الشيوعيين والمحافظين إحتقروهم على حد سواء. و يبدو، أنَّ المكتبة، تحولت الى سماءٍ آمنة لكل الجمهوريين الذين يقفون ضد الإمبراطورية، وبإمكانهم أن يلتقوا هناك دون ازعاج لأن الشرطة تعتقد أنَّ الفوريرستيين لا يؤذون ذبابة.

وعند مغادرته السجن، أسرع سيمونيني ليكتب تقريراً الى لاغرانج. لم تكن لديه مصلحة من جعل موقف جولي موقفاً سيئاً. وبعد ذلك كله، لأنه كان يشعر في الغالب بحزن لذلك الدونكيشوتي.

قال: " أيّها السيد لاغرانج، إنَّ رَجلُنا، شخص ساذج يتمنى لحظة الشهرة، وأنَّ كل شئ قد ذهب بالإتجاه الخطأ تعلقاً به. وقد أخذت انطباعاً إذا لم يكن يُشجَّع من قبل أحد زملائك، فإنَّه لن يفكر بكتابة كراسه. وإنَّ مصدر معلوماته، يؤلمني أنْ أقول، إنَّه لاكروا عينه. إنَّك تقول إنَّه قرأ الكتاب كي يتهيأ لتلخيصه، ولكن ربما قرأه، لذا كي يتحدث، حتى قبل أنْ يكتب الكتاب. ربما هو الذي نظمه ليطبع في بروكسل. ورغم ذلك، لماذا فعل ذلك فليس لديّ أدنى فكرة.

قال لاغرانج: " ليس ثمة شك عن معلومات المخابرات السرية، ربما إنَّ البروسيين، يريدون إثارة عدم الإستقرار في فرنسا، وهذا لا يثير استغرابي."

" وجدت من الصعوبة بمكان أنْ أصدق أنَّ ثمة وكيلاً بروسياً في شقة شبيهة بشقتك؟."

تسلَّم رئيس الجاسوسية البروسية، شتيبر، تسعة ملايين طالرلتغطية الأراضي الفرنسية جميعها بالجواسيس. ويقال إنَّه أرسل خمسة آلاف مزارع بروسي وتسعة آلاف خادم محلي الى فرنسا كي يبث الجواسيس في المقاهي والمطاعم وبين العوائل، وفي كل مكان. هذا ليس صحيحاً، ألا تعتقد ذلك؟ هناك القليل من جواسيسهم هم من البروسيين، أو حتى من الإلزاسيين - وسيُشخَّصون بسرعة من خلال لهجتهم. إذ معظمهم فرنسيون جيدون يقومون بهذه المهمة من أجل الحصول على المال."

سأل سيمونيني " هل تستطيع أنْ تتعرَّف على أولئك الخونة وتعتقلهم؟ "

" لا يستحقون ذلك. إنَّهم سيعتقلون رجالنا. إنَّك لا تتعامل مع الجواسيس لتقتلهم لكن مهمتك أن تمرر المعلومات الكاذبة. ولكي تقوم بذلك، فإنَّ تزويدي بمعلوماتك عن لاكروا جديدة تماماً. يا للسماء، أي عالم نعيش. ليس ثمة أحد تثق به - يجب أنْ نتخلص منه."

" ولكن إذا قدمته للمحكمة، فإنَّه لن يعترف ولا جولي بأيِّ شيء".

" إنَّ أيَّ شخص لا يعمل لصالحنا يجب أن يظهر أمام محكمة قانونية و- اسمح لي، إذا قررت قاعدة عامة - وهذه ينطبق تماماً عليك. وسيكون لاكروا ضحية حادثة. وستتقاضى زوجته معاشاً مناسباً."

لم يذكر سيموئيني غيودون والمكتبة في رو دي بون. وفضل الإنتظار ليرى ما الذي يمكن أن يكتشفه من زيارته هناك. وقد استنفدته ايضاً الأيام القليلة التي قضاها في سجن سنت بيلاجيه.

وهكذا ذهب في أقرب فرصة الى لابيروس في-quai des Grands Augustins، ولم يهبط الى الطابق الأرضي حيث لا يقدمون فيه وجبات ostyrs وentrecötes ، كما اعتادوا، وفضّل الطابق العلوي الذي يقدمون فيه الطعام في الكابينات الخاصة، إذ بإمكانك أن تطلب، barbue sauce hollandaise, casserole au riz à la Toulouse , aspics de filets de lapereuax en chaud- froid , truffes au vénitienne , corbeile de à La champagne , pudding d'abricots fruits و compotes de peches et d anans.

ولعنة الشيطان على أولئك أرباب السوابق- والمثاليين، والقتلة، أيّا كانوا - وحسائهم. وقد وُجد السجن ليطمئن ذلك الرجل المهذب بإمكانه الذهاب الى مطعم دون أن يسبب أي ضرر.

مذكرات سيموئيني هنا، كما هي شبيهة بحالات، يتحول فيها الى حالة من الإضطراب، وأن بعض المقاطع في مذكراته غير مترابطة. وكل ما يستطيعه السارد هو الاعتماد على ما يضيفه آبي دالا بيكولا والاثنان هما عميلان الآن بكفاءة تامة وتنسيق كامل.

وبإختصار، أدرك سيمونيني كي ينال ثقة المخابرات الإمبراطورية وجب عليه أن يقدم الى لاغرانج المزيد من المعلومات. ما الذي يجعلنا نصدِّق شرطيا مخبراً حقاً؟ إكتشاف مؤامرة. لهذا، يجب عليه أن ينظِّم مؤامرة ليستطيع بعد ذلك كشفها.

إنَّه غافيالي، هو الذي اعطاه الفكرة. ذهب سيمونيني الى سنت بيلاجيه وعلم حين كان على وشك اطلاق سراحه، وتذكَّر أنه سيجده- في كابريه بيير لوريه في دي لا هوشيت.

عند نهاية الشارع، ستدخل داراً من خلال فتحة ضيقة. ورغم إنها ضيقة جداً أكثر من دو شات كوِي بيشيه، لكن في الحقيقة، أنها من الضيق جداً بحيث من الصعوبة بمكان أنْ نفهم لماذا جعلوها بهذا الضيق، وعند رؤيتها تدخل طريقاً جانبياً. وبعد صعود مجموعة سلالم، تسير عبر أروقة طويلة مبلَطة بحجر أملس، وبمداخل واطئة جداً فإنَّ من الصعوبة أن تتخيل كيف يستطيع المرء دخول الغرف. في الطابق الثاني، من خلال مدخل أكثر عملياً، تصل الى غرفة واسعة ربما تم إنشاؤها مع ثلاث شقق أو اكثر سابقاً. وهذا هو الصالون أو القاعة أو كابريه بيير لوريه، الذي لا أحد يعرفه لأنَّه كان يعتقد أنَّه قد مات قبل سنوات مبكرة.

هناك مناضد جميعها مستديرة، محتشدة بمدخني الغلايين، ولاعبي ورق lansquenet وفتيات ظهرت التجاعيد على وجوههن قبل الأوان، شاحبات الوجوه، كما لو أنَّهن دمى اطفال فقراء، كن يقمن بالاهتمام

بالزبائن فقط الذين لم ينتهوا بعد من شرابهم كي يلتمسن منهم إبقاء آخر قطرة شراب في الكأس.

كان ثمة هياج في المساء الذي وصل فيه سيمونيني - إذ طُعِن شخص، وبدت رائحة الدم تخلق توتراً عاماً. من الواضح، أنَّ رجلاً مجنوناً طعن بسكين إحدى تلك الفتيات، والقوا بمالكة الحانة الى الطابق الأرضي حين حاولت التدخل، منتقدة كل مَن يحاول إيقافه، وجلب للأسفل فقط حين حطم الساقي قنينة خلف رأسه. بعدها عاد الجميع الى ماكانوا عليه سابقاً، كما لو أنَّهم لم يفعلوا شيئاً.

وجد سيمونيني غافيالي جالساً حول طاولة مع مجموعة الأصحاب الذين بدوا أنهم يشاركونه أفكاره في قتل الملك، وفي الغالب جميعهم إيطاليون منفيون وفي الغالب ايضاً هم خبراء متفجرات، أو متحمسون لمهمتهم. وذات مرة، كان هؤلاء حول هذه الطاولة وكان عليها كمية معقولة من الشراب، وقد عقدوا الأمر من الآن فصاعداً أن يتحدثوا بإسهاب عن إخفاقات الإرهابيين في الماضي. إنَّ الآلة الجهنمية التي حاول من خلالها كادودال قتل نابليون عندما كان أول قنصل، هي مزج نترات البوتاسيوم وقنبلة عنقودية، التي ربما صُنِعت في الأزقة الخلفية الضيقة للعاصمة القديمة ولكنها غير نافعة كلياً هذه الأيام(كما كانت في الحقيقة تُصْنع في ذلك الحين). ولكي يقتل فيشي، الملك لويس فيليب، فقد أنشأ آلة تحتوي على ثمانية عشر برميلاً تُفجَّر في الوقت نفسه، وبالفعل قتلت ثمانية عشر شخصاً، ولكن الملك نجا.

قال غافيالي " المشكلة هي في مكونات المتفجرات. إنظر الى كلورات البوتاسيوم. إنَّهم قرروا أن يمزجوها بالكبريت والفحم العضوي لصنع البارود بحيث يستخدم على الأقل في صنع الفتائل التي تفجر المطلوب كله، وكي تشعلها ينبغي عليك أنْ تغطس رأس فتائل الكلورات في حامض الكبريت. وهذا ليس عملاً هيناً، حتى اخترع الألمان فتائل الفوسفور قبل ثلاثين عاماً، التي تنفجر وتتحول الى لهب نتيجة الإحتكاك.

قال آخر " ماذا عن حمض البكريك، أنَّهم يدركون أنَّه ينفجر حين يسّخن مع كلورات البوتاسيوم، وهذا يؤدي الى سلسلة من ذرات البارود، كل ذرة تخلف انفجاراً أكثر من سابقتها. وقد قُتل عدد من الخبراء وعلى إثرها تخلوا عن الفكرة. وكان من الأفضل الإتجاه نحو نترات السيليلوز – "

" بالطبع."

" إنظرالى ماذا يقول الخيميائيون القدماء. إنهم اكتشفوا أنَّ ذلك المزيج من حمض النترات وزيت التربنتية بعد أن يبقونه في مكانه مدة، ينفجر عفوياً ويتحول الى لهب. ومنذ مئة سنة ومنذ أن اكتشفوا حمض الكبريت، الذي يتشرب بالماء ويضاف الى حَمْض النتريك، يكون في الغالب متفجراً دائماً.

" وأنا أفضل حمض الزيليني، ألذي يُمزْج مع حَمْض النتريك والنشا أو خشب الفيبر –

" ويبدو كما لو أنَّك قرأت رواية كتبها فيرني حيث يستخدم حمض الزيليني لإطلاق قذيفة على رجل في القمر. ولكن في يومنا هذا ثمة اهتمام كبير في مادة النتروبنزين والنترونافاثالين. أو إذا عاملته مع ورقة فضلاً عن كارتون وحَمْض النتريك، فإنَّك ستحصل على حمض النترامين، الذي هو شبيه بحمض الزيليني."

" و هذه المنتوجات كلها هي غير مستقرة. ربما ثمة الكثير من الإهتمام بالقطن المتفجر. وقوة انفجاره تعادل ست مرات من قوة انفجارالبارود. "

" ولكنه غير جدير بالثقة."

وهكذا، استمروا في نقاشهم ست ساعات، ودائماً ما يعودون الى الفضائل، ومنفعة البارود الإيجابية. وتعلقاً بسيمونيني، يبدو أنه عاد الى صقلية، للحديث مع نينوزو.

وبعد أن قدموا لهم عدة أباريق من النبيذ، بات من السهل إثارة بعض أحاديث الكراهية ضد نابليون الثالث، الذي من المحتمل أن يعارض الآن غزو سافوي الواسع لروما. وهذا سبب توحيد إيطاليا الذي يتطلب موت الدكتاتور. وقد شعر سيمونيني أنَّ اولئك المخمورين لا يعيرون كثيراًهمية لتوحيد ايطاليا ومن المصلحة الكبيرة إستغلال قليل من القنابل الجيدة. ولكنهم كانوا من نوع المجانين الذين كان يبحث عنهم.

شرح سيمونيني " هجوم اورسين أخفق، ليس لأنَّه لم يتقن رمي القنابل جيداً، ولكن لأن صناعتها كانت رديئة. ولدينا الآن شخص

يغامر في حياته تحت المقصلة من أجل أنْ يرمي قنابل قليلة في اللحظة المناسبة، ولكن لا نملك حتى الآن فكرة واضحة عن نموذج التفجيرات التي تستخدم. وحديثي مع صديقنا غافيالي أقنعني أنَّ مجموعتكم ستكون نافعة. "

" ماذا تعني حين تقول ' نحن '؟" سأل أحد المواطنين.

وظهرت علامات التردد على سيمونيني، ثم خرج بالقصة التي طبخها لينال ثقة أحد اصدقائه الطلاب في تورين – ذلك الذي مثّل ال ALta Vendita، وكان أحد مساعدي نيبيوس المراوغ. ولكنهم لم يتمكنوا من سؤاله، لأنَّ الكاربوناريين كانوا منظمين بطريقة أنَّ كل واحد منهم لا يعرف الآن غير رئيسه. والمشكلة هي أنك لا تستطيع أن تنتج قنابل ذات تأثير فعّال ومضمون تماماً؛ ويتطلب تجربة بعد تجربة، والعمل في الغالب هو خيميائي، مزج المُركّبات الصحيحة واختبارها في فضاء ريف مفتوح. وإنه يستطيع أن يوفر لهم المكان، تماماً هناك في رو دي لا هوشيت، حيث لا أحد يستطيع ازعاجهم، فضلاً عن توفير غطاء مالي لكل النفقات. وحالما تكون القنابل جاهزة، لا تحتاج المجموعة أنْ تتورط في الهجوم، ولكن سيستخدم المبنى ايضاً لتخزين نشرات يدوية توزع عند الإعلان عن وفاة الإمبراطور وتشرح ' أهداف المهاجمين. وحال موت الإمبراطور، تتولى المجموعة توزيع تلك النشرات في مختلف اقسام المدينة وتترك بعضها خارج مكاتب الصحف الرئيسة.

" لـن تواجـه مـشكلة. إذ هنـاك شخص مـا في مكتـب عـالٍ يراقـب بطريقة أفضل الهجوم. ويعمل أحد رجالنا مدير شرطة يـسمى لا كـروا. وأنا لست متأكداً إنْ كان معتمداً تماماً، لذا، لا تحاول الإتصال به. فإن اكتشف مَن أنت، فإنَّه بإمكانه أن يكتب عليك تقريراً، فقط للحصول على ترقية. وإنك تعرف ما هم هؤلاء العملاء المزدوجين... "

وقد قبلتُ الصفقة بحماس، وتلألأت عينا غافيالي بالبهجة. واعطاهم سيمونيني مفاتيح المبنى ومبلغاً كبيراً من المال للمشتريات الأولية. وبعد أيام غيركثيرة، ذهب لزيارة المتآمرين. ويبدو أنَّ التجارب تجري بطريقة جيدة. وأخذ معه مئات عدة من النشرات اليدوية التي أنتجتها مطبعة ملتزمة، وأعطاهم مبلغا آخر من المال لتغطية مصروفاتهم. وهتف "تعيش إيطاليا المتحدة – أما روما أو الموت." وغادر.

في ذلك المساء، وبينما هو يمشي بموازاة شارع سنت سيفيرن، المهجور في تلك الساعة، كان يسمع صوت وقع أقدام خلفه. حين توقف، توقف الصوت خلفه ايضاً. سارع من خطواته، راحت وقع الأقدام تُسمع أكثر فأكثر، حتى أصبح من الواضح أنَّ هناك شخصاً وليس محض صوت اقدام، تقترب منه. وفجأة سمع لهاث شخص خلف كتفيه صُعِق بعنف واندفع بقوة الى طريق سالمبريير وهو ممر حتى أضيق من ممر شات كوي بيشيه الذي يؤدي من رو سنت سيفيرن في تلك النقطة تماماً. ويبدو أنَ متابعه، يعرف المنطقة جيداً وقد اختار تماماً اللحظة والمكان المناسبين. كانت مسطحة أمام الجدار، وكل ما يستطيع رؤيته سيمونيني لمعان نصل سكينته أمام وجهه. ملامح

مهاجِمه كان الظلام يخفيها، ولكن ليس لديه صعوبة في تمييز صوته، وبلهجته الصقلية، أصدر هسهسة " ست سنوات من عمري وأنا أحاول اصطيادك، يا آبي الطيب، والآن أنت بين يدي."

كان صوت السيد نينوزو، الذي كان سيمونيني متأكداً تماماً من أنه قد خلّف خنجره عشرين إنجا في معدته، في مخزن البارود في باغيريا

" أنا حي، كما ترى، شكراً للروح الرحيمة التي كانت تمر في تلك الأقسام تماماً بعدك وسارعتْ لإنقاذي. قضيت ثلاثة اشهر بين الحياة والموت. وثمة ندبة في معدتي تنتقل من ورك الى آخر... ولكن حالما نهضت من فراشي بدأت ببحثي، أتطلع الى أي شخص قد رأى كاهنا ملامحه كذا وكذا. ثم أتحول الى شخص آخر قد رآه في مقهى في باليرمو متحدثا الى ناتايو موسوميسي وأفكر أنه يبدو يشبه أحد رجال غاريبالدي في بيدمونت كان صديقا للكولونيل نييفو. وقد سمعت ذلك أنَّ نييفو تاه في البحر، كما لو أن سفينته قد اختفت مع الرياح وأنا اعرف كل شيءٍ جيداً كيف ولماذا إختفى، ومن فعلها. ومِن هناك كان من السهل تعقّب أثره في الجيش البيدمونتي، ومِن ثم الى تورين، ومِن ثم تحملت البرد القارس سنة كاملة في تلك المدينة مستفسرا عنك من كل واحد. وأخيراً اكتشفت ذلك أنَّ الغاريبالديين لديهم شخص بإسم سيمونيني، فتح مكتب كاتب عدل، لكنه باعه. تاركا قصاصة ورق للزبائن أنه مسافر الى باريس، وكنت لا أملك نقوداً، بعبارة أخرى – لا تسألني كيف تدبرت الأمر – ذهبت الى باريس، ورغم ذلك ليس لدي فكرة أن تلك المدينة كانت كبيرة جداً. كنت

أتجول فيها لمدة طويلة قبل أن أتعقبك. ورتبت حياتي في الشوارع مثل هذه، حاملاً سكيناً لأضعها على حنجرة أي سيد متأنق جيداً يستدير بإتجاهي خطأ - وفي يوم ما كان أن يُكتْب لي فيه حياة. كنت دائماً أتجول في هذه الأقسام، متخيلاً شخصاً يشبهك يذهب الى topis-francs، كما يسمونهم هنا، بدلاً من المكانات المتواضعة، ويمكن لك أن تطلق لحية سوداء جميلة إذا كنت تريد ألاّ تشخص بسهولة. "

كان سيمونيني في ذلك الوقت قد تنكر بلحية برجوازية المظهر، رغم إن عليه أن يعترف أنه فعل ذلك ليبعد قليلاً الى حد ما لتغطية معالمه.

وختم نينوزو كلامه " بيد أني لم أكن هنا لأخبرك القصة بكاملها ، كل ما أريده هو أن أمزق معدتك بالطريقة ذاتها التي مزقت فيها معدتي، وربما سأفعل ذلك هذا الوقت. لا أحد يمر من هنا في الليل- تماماً مثل مخزن البارود ذلك في باغيريا. "

بزغ القمر، ومن خلال ضوئه استطاع سيمونيني أن يرى أنف نينوزو الشبيه بأنف كلب البلدوغ ووجهه الشرير، وعينيه المتوهجتين.

كان لديه حضور عقلي يمكّنه من القول " نينوزو، أن ما لا تعرفه أنني فعلت ما قد فعلته طبقاً للأوامر - أوامر من جهات عليا، ومن سلطة مقدسة حد أن أنفذ ما أُمرت به دون مراعاة للمشاعر الشخصية لأي كائن كان. وفي إطاعة ذات تلك الأوامر لوجودي هنا، لأهيْء أعمالاً أخرى لدعم العرش والمذبح،".

كان سيمونيني يتحدث وهو يلهث متقطع الأنفاس، لاحظ نصل السكين يتحرك تدريجياً بعيداً عن وجهه. " إنك كرست حياتك من أجل مليكك " ثم واصل كلامه " وينبغي أن تفهم أنَّ هناك بعثات – بعثات مقدسة، بعبارة أخرى – حينما يكون ثمة مبرر لتنفيذ فعل ما ربما لن تكون بطريقة ما مرغم على تنفيذه. هل تفهم؟ "

إنَّ السيد نينوزو لم يفهم، لكنه أشار الى أنَّ ذلك الإنتقام لم يعد هدفه الوحيد. " كانت معدتي خاوية لوقت طويل جداً، وأنَّ موتك ليس كافيا. إني سئمت العيش في الظلام. منذ أن التحقت بك ورأيتك تدخل مطاعم السادة الكبار. بمعنى آخر، أني سأوفر لك حياتك مقابل مبلغ من المال شهرياً، كاف لسد نفقات الأكل والنوم مثلك وأفضل منك. "

" ياسيد نينوزو، أوعدك بأكثر من مبلغ صغير شهرياً. إنني أهيء هجوماً على امبراطور فرنسا – وتذكَّر، أن مليكك فقد العرش لأنَّ سر نابليون هوعامل مساعد لغاريبالدي. إنك تعرف أنَّ ثمة صفقة كبيرة عن البارود. ويجب أن تلتقي مجموعة الرجال الشجعان الذين يعملون معاً في ري دي لا هوشيت لتهيئة ما يمكن أن يكون حقيقة ما يسمى بالآلة الجهنمية. فإنْ ارتبطت معهم، فإنك لا تسهم حسب في فعل يسجله التاريخ، وفي وقت تبرهن فيه أنت ايضاً مقدرة إستثنائية كخبير بارود، بل – تذكّر أنَّ هذا الهجوم مدعوم من قبل أناس على مستوى عال– ستنال لقاء مشاركتك هذه مكافأة تجعلك غنياً طيلة أيام حياتك. "

وذكْر البارود كان كافياً لتهدئة الغضب الذي تقيَّح في أعماق نينوزو منذ تلك الليلة في باغيريا. وأدرك سيمونيني أنَّه كان في قبضته حينما سأل " إذن، ماالذي ينبغي عليّ القيام به؟"

" المسألة بسيطة، خلال يومين، وفي حدود الساعة السادسة، تذهب الى هذا العنوان، تطرق الباب، تدخل المستودع وتقول إنّ لا كروا أرسلك، صديقنا يتوقع مجيئك هذا. ولكن يجب أن تضع قرنفلة في عروة سترتك كي يميزونك.أما أنا سأصل حوالي الساعة السابعة- مع النقود."

قال نينوزو " سأكون هناك، ولكن تذكّر - إذا كانت خدعة، فأنا أعرف أين تسكن "

في صباح اليوم التالي. عاد سيمونيني الى غافيالي وحذره أنّ الوقت يضيق. و سيكون الجميع هناك في السادسة في مساء اليوم التالي. وسيصل أول خبير متفجرات صقلي، مرسل من سيمونيني لترتيب اجراءاتهم. وسيظهر بعد فترة قصيرة، وبعد ذلك، سيأتي السيد لاكروا ذاته، ليعطي الضمانات الضرورية كافة.

ثم بعد ذلك ذهب الى لاغرانج وأخبره أن لديه معلومات عن مؤامرة لقتل الإمبراطور. إنه يعرف أن المتآمرين سيلتقون في السادسة من اليوم التالي في ريو دي لا هوشيت ليسلموا المتفجرات الى الأشخاص الذين يعملون لهذه الغرض.

قال سيمونيني " ولكن إحذر، إنك ذات مرة اخبرتني أنّ كل عشر جمعيات سرية، ثلاث منها تعمل لصالحنا، ست مجانين أحدهم خطير.

حسنا، أنك ستجد عميلاً واحداً حسب هناك، هو أنا. ثمانية منهم مجانين، وأحدهم خطيراً فعلاً يضع قرنفلة في عروة سترته. ولأنه خطير عليّ ايضاً، فأنا أريد قليلاً من التشويش لأتقدم، وأن هذا الشخص يجب أن لا يعتقل بل يقتل في الموقع. وصدقني، أنها الطريقة التي تجعلك تتأكد أن هذا العمل يسبب اضطراباً قدر الإمكان. وستساعدنا السماء اذا شرع بالكلام، حتى الى أحدكم."

قال لاغرانج " أنا أقبل ما تقوله، يا سيمونيني، أن الرجل سيُمْسح من الوجود."

وصل نينوزو الى رو دي لا هوشيت في الساعة السادسة واضعاً قرنفلة بعروة سترته. وعرض عليه غافيالي والآخرون بكل فخر قنابلهم، وصل سيمونيني بعد نصف ساعة معلناً وصول لاكروا. وفي السادسة والخامسة والأربعين هاجمهم البوليس. صرخ سيمونيني كانوا خونة ووجه مسدسه بإتجاه الشرطة، لكنه هدَّف للأعلى. رد عليه الشرطة وصوبوا نحو صدر نينوزو. ومنذ أن كان كل شيء قد تم، فإنهم قتلوا متآمرا آخر. كان نينوزو يتدحرج نحو الأرض، متلفظاً شتائم صقليّة متنوعة، وتظاهر سيمونيني، أنه يهّدف بإتجاه الشرطة، واستقبل رصاصة الرحمة coup de grace .

وقبض لاغرانج ورجاله على غافيالي وآخرين من ذوي القمصان الحمر مع النماذج الأولية للقنابل التي وصلت مراحل صنعها الى النصف فضلا عن طريق عدد من النشرات اليدوية التي تشرح كيفية صنع هذه القنابل. خلال سخونة الإستجواب. أعطى غافيالي

ومجموعته إسم لاكروا الغامض الذي خانهم - أو هذا ما يعتقدونه. وثمة أكثر من سبب يدفع لانغرانج في التخلص منه. ويفصّل تقرير الشرطة أنه كان متورطا بإعتقال المتآمرين وانه قتل رمياً بالرصاص من قبل احد الأوغاد. توصية شرف.

وتعلقا بالمتآمرين، يبدو من غير المجدي لفت الإنتباه الى الإعلان عن المحاكمة. وهناك إشاعة تتردد عن هجوم على الإمبراطور في ذلك الوقت، كما شرح لاغرانج لسيمونيني، ويعتقد أنّ كثيراً من هذه القصص ليس لها أصل وكانت تنتشر بمكر من وكلاء الجمهوريين لتشجيع الأوهام لمتابعة الدعوى.

من العبث نشر الفكرة التي تهاجم حياة نابليون الثالث التي تحولت الى تسلية شعبية. على هذا الأساس أبحر المتآمرون الى كايين حيث سيموتون بحمى الملاريا.

إنقاذ حياة الإمبراطور كانت مفيدة. واستحقت مهمة جولي عشرة آلاف فرنكاً، وكَشْف سيمويني للمتآمرين جلب له ثلاثين ألف فرنكاً. واستئجار المستودع ومشتريات مواد صنع القنبلة كلفه خمسة آلاف فرنكاً مخلفة له ٣٥ ألف فرنكاً - وأكثر من عِشْر ال 000 ,300،ألف فرنك يتأمل أن يكون رصيده.

ورغم ما يَسرّ بما حدث لنينوزو، فإنه شعر الى حد ما بالحزن على غافيالي. كان، بعد ذلك كلّه، أنه من الصنف الجيد الذي قد وضع ثقته فيه. لكن أي شخص أسهم في المؤامرة، عليه أن يقبل المخاطرة، وألاّ يثق بأي أحد.

كان ثمة خجل من لاكروا، بعد كل ما فعله لا يعد خطأ. بيد أن ارملته ستحصل على راتب تقاعدي جيد.

(١٢)

ليلة في براغ

الرابع من نيسان / ابريل ١٨٩٧، كل ما تبقى لي للوصول الى غويدون، هو ما تحدث به الرجل جولي. كانت تديرالمكتبة في رو دي بيوني العانس الذاوية، بيوك، التي ترتدي دائماً تنورة صوفية سوداء عريضة، وتعتمر قبعة، تغطي نصف وجهها – ما يجعلها شبيهة بالفارسة الصغيرة الحمراء، وتقوم بأعمال صغيرة جيداً ايضاً.

شاءت الصدف أن التقي بغويدون سريعاً، أنه رجل شكوكي، ينظر الى العالم من حوله بسخرية. أنا أحب الكفار. رد التماس جولي حالاً وبطريقة مناسبة على كلامه، قائلاً إنه سيرسل له الطعام وقليلاً من النقود. ومن ثم سخر من الصديق الذي كان على وشك أن يقدم له مساعدة. لماذا نؤلف كتاباً ونغامر بالسجن حين يقرأه أولئك قراء الكتب الذين يتحولون بطريقة لا شعورية الى جمهوريين، وأولئك الفلاحين الأميين الذين يؤيدون الدكتاتور والذين كانوا يعطون اصواتهم له بالتصويت العام على بركة الله.

الفوريرستيون؟ إنهم أناس طيبون، ولكن كيف تؤمن بنبي يعلن أنّ عالما برتقالياً جديداً سيزدهر في وارشو، وتتحول مياه البحار الى عصير ليمون، ويتحوّل الرجال الى ذيول والى سفاحي القربى والى مِثْليين ويُعترف بهم أنهم النبضات الإنسانية الأكثر طبيعية.

وسألته: " إذن لماذا تختلط بهم؟"

أجـاب " لأنهـم مـا يزالـون النـاس الـصادقين الـذين يقفـون ضـد دكتاتورية نابليون الشهير. "

" ألا ترى تلك السيدة الجميلة هناك؟ أنها جوليت لامازين، إحدى أكثر النساء تأثيراً في صالون Countess d'Agoult، كانـت تحـاول عن طريق نقود زوجها تأسيس صالونها الخاص في ريو دي ريفولي، انها امـراة سـاحرة، ذكيـة، وكاتبـة موهوبـة ومحترمـة. والـدعوة الى بيتهـا لهاطعمها الخاص حقاً.

واشـار غويـدون الى شخـصية أخـرى مهيبـة، وطويلـة، وأنيقـة. "إنـه توسينيل، المؤلف الشهير لكتاب روح الأميين، L'Esprit des bètes، أنـه اشتراكي، وجمهوري وفيّ، أحب جوليت بجنـون، التـي فضلت أن لا تنظر إليه. مع أنه العقل الأكثر ذكاءً هنا."

" وتحدث توسينيل إليّ عن الرأسمالية، التي قال عنها كانت تـسمم المجتمع الحديث.

" ومَن هم الرأسماليون؟ إنهم اليهود، وحكام عـصرنا. والثـورة الـتي قطعت رأس لويس كابيت في أواخـر القرن. وثـورة القرن الـتي يجـب أن تقطع رأس موسى. سأكتب كتاباً عنها. ومَن هم اليهود؟ أنهم جميع أولئـك الـذين يمتـصون دمـاء الـذين لا حـول لهـم ولاقـوة. إنهـم البروتستانت، والماسونيون، وبالطبع شعب يهوذا."

وغامرت بالسؤال " ولكن البروتستانت ليسوا يهوداً؟ "

قال توسينيل " البروتستانت واليهود هم من طينة واحدة، والمنهجيون Methodisis الإنجليز، والورعون الألمان، السويسريون والهولنديون جميعهم تعلموا قراءة وصية الله من الكتاب نفسه الذي تعلم منه اليهود – الكتاب المقدس، وقصة سفاح ذوي القربى والحروب البربرية والمجازر، هي الطريقة الوحيدة التي يربحون من خلالها الغدر والخداع. حين يُقتل رجال الملك لا يتوانون من أخذ نسائهم، والنساء اللائي يُطلقن على أنفسهن القديسات يدخلن الى فراش الجنرالات الأعداء ويقطعن رؤوسهم. وقطع كرامويل رأس ملكه بينما كان يقتبس من الكتاب المقدس. ومالثوس الذي أنكر حق الأطفال الفقراء في الحياة كان منغمساً في قراءة الكتاب المقدس ايضاً. إنها سلالة أنفقت وقتها بإستحضار عبوديتها، وكانت دائماً ما تستسلم الى عبودية العجل الذهبي متجاهلة كل إشارات عقاب الإله. والمعركة ضد اليهود ينبغي أن تكون الهدف الرئيس لكل اشتراكي يستحق الإحترام. إنني لا أتحدث عن الشيوعيين – مؤسسهم يهودي. إذ المشكلة هي فضح مؤامرة الأموال. لماذا يكون سعر التفاحة الواحدة في مطعم باريس مئات اضعاف سعرها في نورماندي؟ وهناك سلالات لا ضمائر لها تعتاش على دماء الآخرين، سلالات التجار مثل الفينيقيين القدماء والقرطاجيين. واليوم سلالة الإنجليز واليهود."

" إذن، أنَّ الإنجليز واليهود كما تعتقد هما من عيِّنة واحدة؟."

" في الغالب. ينبغي أن تقرأ ماذا كتب القائد الإنجليزي السياسي - المدعو دزرائيلي، اليهودي الشرقي الذي اعتنق المسيحية في روايته Coningsby. فقد تجرأ وكتب أن اليهود سيحتلون العالم. "

في اليوم التالي، جلب لي توسينيل كتاباً ألفه دزرائيلي يشدد في جميع فقراته. " إنك لن تلاحظ حركة ثقافية في أوربا دون أن يسهم فيها اليهود العظام. واليسوعيون الأوائل كانوا يهوداً. والدبلوماسية الروسية الغامضة التي حذرت أوربا الغربية مَنْ يسِّيرها؟ اليهود ! من الذي يسيطر على معظم أستاذية الكراسي في المانيا؟

لاحظ أنَّ دزرائيلي ليس جاسوساً، كي يدين شعبه، وعلى العكس من ذلك، فإنه أشاد بفضائلهم. وكتب تماماً وبخجل أن وزير مالية روسيا الكونت كونكرن الإبن اليهودي لليتوانيا، وفي الطريقة ذاتها أن الوزير الأسباني مينديزابيل هو ابن معتنق اليهودية آراغون. أما سولت، مدير التشريفات الإمبراطورية في باريس، فهو ابن يهودي فرنسي، وماسينا هو ايضاً ابن يهودي، كان اسمه بالأصل مانيسيه... وهناك ايضاً، مَن يتآمر على الثورة العظيمة في هذه اللحظة في المانيا، من الذي وراءها؟ اليهود. إنظر الى كارل ماركس واتباعه من الشيوعيين."

لم أكن متأكداً إن كان توسينيل محقاً، بيد أنَّ خطبه الفيليبينية النارية تشير كيف أن معظم الدوائر الثورية كانت تعتقد، كما منحتني كثيراً من الأفكار... أنني كنت أشك أن تلك الوثائق ضد اليسوعيين ستكون رائجة السوق. ربما بين الماسونيين، ولكن ما زلت لا أملك

حلقة اتصال مع عالمهم. والكتابة ضد الماسونية ربما فيها فائدة لليسوعيين، ولكنني عاجز عن تقديم أي شيء حتى الآن. ضد نابليون؟ بالتأكيد أن تلك الوثائق لا تباع للحكومة. وكان الجمهوريون سوقاً قوياً جداً لها، ولكن بعد ان كتب سو وجولي، فهنالك الكثير من الذي يجب أن يقال. ضد الجمهوريين؟ وهنا مرة أخرى، يبدو كما لو أن الحكومة بحاجة لها. وإذا عرضت معلومات لاغرانج على الفيوريرستيين، فإنه سيضحك – من يعرف كم عدد مخبريه الذين زاروا فعلاً المكتبة في رو دي بيون.

من بقي؟ اليهود، يا للسماء ! فكرت بعمق، أنَّ جدي كان الرجل الوحيد الذي كانت الأفكار تستحوذ عليه، ولكن بعد الإصغاء الى توسينيل أدركت أنَّ هناك سوقاً مناهضاً لليهودية تماماً ليس بين جميع أولئك سليلي آبيّ بارويل(وكان هناك القليل منهم)، ولكن بين الثوريين ايضاً، والجمهوريين، والإشتراكيين. كان اليهود أعداء المذبح، وكذلك أعداء الناس البسطاء، الذين يمصون دماءهم، وكانوا ايضاً أعداء العرش الملكي، ودائماً ما يعتمدون على مَن يحكم. يجب عليّ أن اتناول اليهود في عملي.

أدركتُ أن المهمة ليست سهلة، وربما تتأثر بعض الدوائر الكنسية بإعادة انتاج مادة بارويل، مع اليهود بإتحادهم مع الماسونيين وفرسان الهيكل لينجزوا الثورة الفرنسية، ولكن ليس من مصلحة الإشتراكيين أمثال توسينيل. وإنني بحاجة أن أقول شيئاً ما أكثر

تحديداً عن الربط بين اليهود وتراكم رأس المال والمؤامرة مع الإنجليز.

وبدأت اندم أنني لا أرغب أبداً في لقاء يهودي واحد في حياتي. وأدركت أنَّ هناك الكثير جداً لا أعرفه عن موضوع اشمئزازي الذي تحول أكثر فأكثر قسوة واستياءً.

كنت أتنازع مع هذه الأفكار حينما قدّم لي لاغرانج فرصة. كان لاغرانج، كما لاحظت يرتب دائماً لقاءً في مكانات غير محتملة، وهذه المرة يجب أنْ يكون في بير أكيز. كانت هذه فكرة جيدة. وهنا، بعد كل ذلك، ربما نكون خاطئين بحق أقارب يبحثون عن قبر فقيد راحل، أو لزيارة رومانطيقية الحنين للماضي. في هذه المناسبة كنا نقف إجلالاً الى جانب ضريح أبيلارد وهيلويز Abélard and Hélios، وهو مكان لحج الفنانين، والفلاسفة والعشاق، الذين يظهرون مثل أشباح وسط اشباح.

قال لاغرانج " سيمونيني، أريد أنْ أرتب لك لقاءً مع الكولونيل ديمتري – ذلك هو الإسم الوحيد الذي يُعرف في أوساط دوائرنا. إنه يعمل في القسم الثالث في المستشارية الإمبراطورية الروسية. فإذا ذهبت الى سنت بطرسبورغ وسألت عن القسم الثالث، فسينظر الجميع إليك بإنشداه، لأنَّ مثل هذا اللقاء ليس رسمياً، وتعين وكلاء هذا القسم لحراسة المجاميع الثورية – وستكون هناك المشكلة أكثر سوءً من هنا. إذ يجب عليهم أنْ يراقبوا أولئك الذين احتلوا مكان الديسمبريين، والأنعداميين والساخطين الذين يطلق عليهم الفلاحون

المُحرَّرون. وقد ألغى القيصر القنانة قبل سنوات عديدة، ويوجد الآن ما يقارب العشرين مليون فلاح حر الذين من المفترض أن يدفعوا ريعاً الى أسيادهم القدماء لتقسيم الأرض الى قطع أراض صغيرة جداً، لمنحهم لقمة العيش، وقد غزى عدد كبير منهم المدن بحثا عن عمل. "

" ماذا يريد مني الكولونيل ديمتري؟"

" إنه يجمع وثائق عن مشاكل اليهود، نستطيع أن نقول بعبارة أخرى، شبهاتهم. ثمة عدد كبير من اليهود في روسيا أكثر من هنا، في القرى يشكلون تهديداً للفلاحين الروس، منذ أن استطاعوا أن يقرؤوا، ويكتبوا، وفوق ذلك كلّه يعرفون الحساب. بغض النظر عن المدن، حيث كان الكثير منها يُعتقد أنها للطوائف التخريبية. زملائي الروس لديهم مهمتان، أولا، يبحثون إنْ كان اليهود يشكلون خطراً حقيقياً، وثانياً، أنْ يستثمروا استياء الفلاحين ضدهم. سيشرح ديمتري لك كل شيء. يجب أن لا نقلق. لأنَّ حكومتنا تحتفظ بعلاقات طيبة مع رجال المال اليهود في فرنسا وليس من المصلحة أن نثير الإستياء ضدهم. كل ما نريده هو أن نكون في خدمة روسيا، في عملنا، ياسيمونيني، أنه موضوع ' تشيُّلني وأشيُّلك ' ونحن مسروورون جداً أن نقدمك للكولونيل ديمتري – رغم إنك من الناحية الرسمية، بالطبع، لاشيء تقوم به معنا، ونسيت أن اذكر: قبل أن يصل ديمتري، ربما ترغب في التعرف على منظمة حلفاء اسرائيل في العالم Alliance Israélite Universelle، التي تأسست قبل ستة أعوام في باريس. وأعضاؤها أطباء، وصحافيون، ومحامون، ورجال أعمال، ونخبة المجتمع

الباريسي - بعبارة أخرى، أصحاب الرأي الليبرالي المقنع، بالتأكيد يشكل الجمهوريون نسبة أكثر من البونابرتيين. وهدفهم الواضح هو مساعدة ضحايا الإضطهاد من كل دين ومن كل بلد تحت إسم حقوق الإنسان. حتى يثبت العكس، فهم مواطنون يتمتعون بكرامة تامة، لكن من الصعوبة على مخبرينا إختراقهم، لأن اليهود يعرفون ويميز بعضهم بعضاً، ويشم أحدهم عجيزة الآخر كالكلاب، لكن سأضعك في تماس مع شخص استطاع أن ينال ثقة بعض أعضاء الحلفاء، أسمه جاكوب برافمان، وهو يهودي إعتنق مذهب الكنيسة الارثوذوكسية وأصبح أستاذ اللغة العبرية في معهد ثيولوجي في منسك. وهو الآن في باريس لأمد قصير، يعمل لصالح ديمتري وقسمه الثالث، لأنّ من المعتقد أن برافمان سيكون عضواً في الدين نفسه، وأنه من السهولة عليه الإتصال مع منظمة الحلفاء الإسرائيليين في العالم، وأن بإمكانه أن يخبرك بعض الأشياء عنهم. "

" إسمح لي أيها السيد دي لاغرانج. إذا كان هذا برافمان هو مخبر الكولونيل ديمتري، فيجب عليه أن يخبر حالاً ديمتري بكل ما يعرفه. ليس لدي موضوعاً أخبره به عند ذهابي إليه مرة ثانية. "

" لا تكن ساذجاً، يا سيمونيني. بالطبع هناك موضوع. فإذا أنت اعطيت ديمتري المعلومات ذاتها التي سمعها من برافمان، فإنه يعدُّ اخبارك غير معتمدة، ومنذ أن تأكد ما قد عرفه فعلا."

برافمان. إنني توقعت من حكايات جدي أن التقي شخصاً ما وجهه يشبه وجه النسر، غليظ الشفتين ، جفناه أقل انفتاحاً من اجفان

السلالات الأخر، شعره مجعد ومتموج، أذناه ملتصقتان وبارزتان...، والرجل الذي سألتقي وإيّاه، هو رهباني المظهر، يملك لحية رمادية جميلة، له حاجبان كثّان، وخصلات تشبه خصلات أحد الشياطين السبعة في كل زاوية رأيتها بين الروس والبولونيين، والإعتناق الديني يتحول بشكل واضح ليس في الروح حسب ولكن في ملامح الوجه ايضاً.

لديه ولع خاص بالطعام الجيد. برغم إنه يظهر شراهة قروية فهو يحاول من خلالها أن يجرب كل شيء، لكنه لا يملك أي فكرة في اختيار قائمة الطعام بطريقة مناسبة. تناولنا العشاء في مطعم روشر دي كانكالي في رو مونتورغويل الذي اعتاد تقديم اجمل طعام المحار في باريس. وقد اغلق هذا المكان قبل عشرين عاماً ثم أعيد افتتاحه من قبل مالك جديد: لم يُستخدم كما يراد له، لكنه بقي يقدم طعام المحار. ما يتعلق باليهودي الروسي فكان جيداً بما فيه الكفاية. بدأ برافمان مع دزينة قليلة من وجبة belons، ثم بعد ذلك طلب bisque d'écrevisses.

أخبرني برافمان " ومثل هذه السلالة المزدهرة التي عاشت أربعين قرناً، يجب أن تؤسس حكومة منفردة في كل بلد حيثما كانت تعيش – دولة داخل دولة – التي حافظت عليها منذ ذلك الحين، عندما كان شعبها مشتتا لآلاف السنين. وأكتشفت وثائق تبرهن على وجود هذه الدولة، هذا القانون: الكاهال. Kahal.

وسألت "وما هو هذا الكاهال؟ "

" يعود تاريخ المؤسسة الى زمن موسى. منذ سِفر الهجرة الجماعية الثانية إذ لم يعد العمل مفتوحاً ولكنه كان مقتصراً على الكنس اليهودية. فقد وُجدت وثيقة للكاهال في منسك يُحدِّد تاريخها من ١٧٩٤ الى ١٨٣٠. كل شيء مدون فيها، وكل التفاصيل مسجلة. "

وبسط مخطوطات متنوعة مكتوبة برموز لم استطع فك مغاليقها.

" إنَّ كل مجتمع يهودي محكوم بكاهال، خاضع لمحكمة ذات استقلال ذاتي تسمى beit Din. إن هذه الوثائق هي مُجتزأة من كاهال واحد، بيد أنها لا تختلف تماماً عن تلك الكاهالات المنتشرة في كل مكان. إنها تخبرنا كيف يطيع اعضاء الجمعية محكمتهم الخاصة وليس تلك الدولة المُضِّيفة لهم، وكيف يجب أن تُراقب المهرجانات الدينية وكيف يجب أن تذبح الحيوانات وتُهيَّأ(ثم فصل اللحم النجس والفاسد وبيعه الى المسيحيين)، وما هي الطريقة التي يتبعها كل يهودي لإمكانية الحصول على مسيحي في الكاهال يستطيع أن يستغله من خلال الربا الى أن يصل الى الإستحواذ على كل ثروته، وليس لأي يهودي آخر الحق على هذا المسيحي. وطبقاً لهذا الكاهال، فلا تشكل جرائم على افتقارالطبقات المتدنية للرحمة، ولا لإستغلال الرجل الفقير من الرجل الغني، إنما العكس صحيح، تشكل فضائل عليهم حينما يمارسها إبن اسرائيل. البعض يقول، إنَّ اولئك اليهود هم فقراء، وبخاصة فقراء روسيا. وهذه حقيقة. ذلك أن عددا كبيرا من اليهود هم ضحايا حكومات سرية يسيرها أغنياء يهود. أنا لست ضد اليهود – فأنا، بعد كل ذلك، ولدت يهودياً – لكنني ضد

مثالية اليهودي الذي يريد أن يستبدلها بالمسيحية. أنا أحب اليهود... يا يسوع، من هم الذين اغتالوك؟ كن شاهدي... "

واسترد برافمان أنفاسه وطلب وجبة طعام aspic de filets mignons de perdreaux، لكنه سرعان ما عاد في الغالب الى لفائف مخطوطاته، التي تَعامل معها بودّ. " كما ترى، أنها كلها أصلية. ويدلُّ عليها عمر ورقها، وتماثل خط اليد حينما يرسم الكاتب مختلف الوثائق، كما تدل تطابق التواقيع في مختلف التواريخ. "

قام برافمان الآن بترجمة الوثائق الى الفرنسية والألمانية. كان قد اخبره لاغرانج أنه بإمكاني انتاج وثائق أصلية، وطلب مني أن أقدم له وثيقة النسخة الفرنسية التي ستبدو أنها مؤرخة في حقبة الوثائق الأصلية ذاتها. وإنه احتاج ايضاً هذه النسخ باللغات الأخر، لُيظهِر للمخابرات الروسية كيف أنَّ نموذج الكاهال كان متبعاً في مختلف البلدان الأوربية وبشكل خاص من قبل جمعية التحالف الاسرائيلي الباريسي Parisian Alliance Israélite.

وسألت كيف يمكننا من خلال وثائق مُنتَجة من قبل جمعية أوربية شرقية سحيقة في التاريخ أن نشرح وجود كاهال عالمي. رد برافمان أنني لست قلقاً حول هذا الموضوع. ستكون هذه الوثائق مفيدة كأدلة داعمة، مبرهناً على ذلك أن ما قد قاله لم يكن محض ابداع، في كل الأحوال سيكون كتابه مقنعاً بما فيه الكفاية في إدانته للكاهال الحقيقي، لذلك الأخطبوط العظيم الذي يوسع مجساته عبر جميع العالم المتحضر.

كان تعبيره جاسٍ، وافترض أن الشبيه بالنسر سيتخلى عن كونه يهودياً، الذي سيكون بعد كل ذلك ليس إلاّ يهوديا.

" إنَّ المشاعرالجوهرية أنعشت الروح التلمودية وطموح الغرور للسيطرة على العالم، والروح الشرهة للإستحواذ على جميع أولئك الأغنياء الذين لم يكونوا يهوداً وإثارة الضغينة ضد المسيحيين وضد يوسف المسيح. حتى يحين الوقت ليعتنق المسيحيون اليهودية، وأن مثل تلك البلدان التي عرضت على مثل هذا الشعب وطناً سيكون محط احترام دائم من قبلهم، وليقتبسوا من التلمود، مثل بحيرة مفتوحة يستطيع كل يهودي الصيد فيها بحرية."

واستنفدته هذه الخطبة العصماء من الإتهامات، فطلب برافمان طبقا من .escalopes de poularde au velouté ولكنه لم يناسب ذوقه وطلب طبقا غيره .filets de poularde piqués aux truffes ثم اخرج ساعة فضية من جيب صديريته وقال. " أوه، ياإلهي، تأخرنا كثيراً، أن المطبخ الفرنسي رائع، لكن الخدمة فيه متدنية. لدي اجتماع عاجل ويجب أن اذهب. دعني أعرف، أيها الكابتن سيمونيني، إن كان بإمكانك أن تجد الورق والحبر المناسبين. "

وانتهى الآن برافمان تماماً من وجبة vanilla soufflé، أنا أتوقع من ذلك اليهودي، رغم إنه تحول عن دينه، سيدعني أدفع قائمة الطعام. على العكس من ذلك، وبإشارة نبيلة، أصر برافمان على أن يدفع وجبتينا الخفيفتين، كما وصفهما عرضياً. مما لا شك فيه أن المخابرات الروسية تسمح له بدفع النفقات بسخاء.

عاودتني المشاعر المحيرة. من الصعوبة أن توضح وثيقة أُنتِجت قبل خمسين عاما في منسك، بتعليمات مفصلة عن منَ يُدعى أوْلا يُدعى الى الأعياد الدينية، ومن الصعوبة ايضاً أن تُعبِّر مثل هذه القواعد وتُطبَّق ايضاً على أفعال الصيرفيين الكبار في باريس أو برلين. وما هو أكثر من ذلك، فلا يجب على المرء أن يعمل، أبداً،أبداً، أبداً، بوثائق أصلية أو نصف أصلية ! فإن وجدت حالياً، فإن المرء يبحث عنها ليبرهن على أنها ليست صحيحة... فإذا كانت الوثيقة مقنعة، فيجب أن تكون مبتكرة من ex novo. لكن أين الممكن، فالأصلية يجب ألاّ تكون مرئية لكن نتحدث عنها حسب، دون الإشارة الى أي مصدر دقيق كما حدث مع الملوك الثلاثة، الذين ُذكِر من بينهم ماثيو في بيتين من الشعر، لا أحد قال مَنْ هم، وما هو عددهم، أو هل كانوا ملوكاً فعلاً، وأن كل البقية عبارة عن حكايات مرويّة. لذلك فإن الناس يعتقدون أنها حقيقية كما قصة يوسف ومريم، وأنا أعرف جثامينهم المبجلة في مكان ما أو آخر. والآيات يجب أن تكون خارج الأشياء المألوفة، أوالأشياء الصادمة أوالمتخيلة ! ويجب أن تكون قابلة للتصديق وإثارة السخط. فهل أن الفلاح في حقل نشاطه في صناعة الشمبانيا يهتم إن كان اليهود يجعلون من أتباعهم اليهود أن يفعلوا كذا وكذا في احتفالات زواج بناتهم؟ وهل هذا يبرهن أن اليهود يحاولون أن ينشلوا ثمن الشامبانيا من جيوبه؟

بعد ذلك أدركت أنني املك حالياً الوثيقة التي أحتاجها، على الأقل الإطار العام المقنع لها – أفضل بكثير من فاوست غونود، الذي

جعل الباريسيين يهذون للسنوات القليلة الماضية تقريباً. كل ما استطيع فعله هو أن أجد المحتويات الصحيحة، كنت بالطبع، أفكر في اجتماع الماسونيين في جبل الرعد وفي خطة جوزيف بالمو وليلة اليسوعيين في مقبرة براغ.

أين ستبدأ الخطة اليهودية لغزو العالم؟ بالتأكيد، خلال امتلاكهم لذهبه، كما قال توسينيل. إنَّ غزو العالم، يخيف الملوك والحكومات؛ فضلاً عن امتلاك ذهبه، وإرضاء الإشتراكيين، والعدميين، والثوريين؛ وتدمير مباديء المسيحية الصحية، واقلاق البابا، والأساقفة ورجال الدين الآخرين. وتقديم القليل، لجولي البونابارتي الكلبي الذي استخدم جيداً، وما تعلمناه أنا وجولي عن النفاق اليسوعي فقد أخذناه أصلاً من اوجين سو.

عدت الى المكتبة، لكنني هذه المرة كنت في باريس، أين استطيع ان اجد أكثر مما وجدته في تورين، هنا وجدت الكثير من صور مقبرة براغ. كانت هناك منذ العصور الوسطى. لم تكن المقبرة تتسع أكثر مما مسموح لها من الأرض، وبتقادم القرون أُضيف لها الكثير من القبور، أحدهم فوق الآخر، حتى وصل عدد الجثامين ربما مئات الآلاف، وتزايد عدد الشواهد، حتى لامس إحداها الأخرى، مغطاة بالسعف القديم دون أي صور لتزيينها، منذ أن شعر اليهود برعب الصور. وبسحر موقعها، الذي ربما بالغوا في النقوش وفي تصويرهم للحجارة، وانحنى فوقها الفِطْرالنابت في الأرض، كما تنحني شجيرات المستنقعات نتيجة هبوب الريح – يبدو أنَّ الفضاء يشبه فماً فاغراً كفم

ساحرة عجوز أسنانها غير منتظمة. لكن الفضل يعود لمخيال بعض النقاشين الذين صوروا ذلك تحت ضوء القمر، وسنحت لي الآن فرصة تمكنني من أن اصنع من تلك الأجواء غير الأرضية، مكاناً - بين الحجارة التي تبدو شبيهة بألواح مبلطة مقاومة نتيجة الإضطربات الجوفية - لأشكال بشرية منحنية ترتدي جبباً وأقنعة حاخامات، لحاهم رمادية تشبه لحى المعزى، وبتآمر مقصود، ينحنون قرب الشواهد، ويشكلون غابة من اشباح ذاوية في ظلام الليل. في الوسط ينتصب ضريح الحاخام لووي، الذي كان قد خلق غوليم في القرن السادس عشر، وهومخلوق وحش كان من المفترض أن يثأر لكل اليهود.

أفضل من دوماس وافضل من اليسوعيين.

ويجب أن تَظْهر وثيقتي، بالطبع، بصيغة شهادة شفوية لشاهد تلك الليلة المزعجة - ولكن الشاهد أرغمه الألم ومات مجهولاً. ولا بد وإنْ كان قادراً على دخول المقبرة ليلاً، مرتدياً مسوح حاخام، وقبل أن تبدأ المراسم، إختفى خلف كومة من الأحجار كانت تشكل قبر الحاخام لوف. وأكثردقة في منتصف الليل - كما لو أنَّ مسافة الناقوس البعيد لكنيسة مسيحية أستدعى تألُه التجمع اليهودي - وثمة إثنا عشر هيكلا لُفْت في عباءات دكن ستصل. ثمة صوت، يبدو أنه يرتفع من اعماق ضريح، سيرحب بها روشيه بوتيه آفوس وقادة اثنتي عشرة قبيلة إسرائيلية، وكل واحد منهم سيجيب " تحياتنا لك، يا آبن الملعون."

هذا هو المشهد. تماماً في جبل الرعد، وسألهم الصوت الذي استدعاهم: " مائة عام قد مضت منذ اجتماعنا الماضي، مِن أين أتيتم وتمثلون مَنْ؟ " أجابت الأصوات بالتتابع: الحاخام يودا من أمستردام، والحاخام بنجامين من توليدو، والحاخام ليفي من وورمز، والحاخام ماناسيه من بيست، والحاخام غاد من كراكوف، والحاخام سيميون من روما، والحاخام سيبولون من لسبن، والحاخام ريوبين من باريس، والحاخام دان من القسطنطينية، والحاخام اسير من لندن، والحاخام اسيشير من برلين، والحاخام نافتالي من براغ. ومن ثم نادى العضو الثالث عشر للتجمع أن يعلن كلاً منهم ثروة جمعيته وأن يحسب ثروة روتشيلدز وكبار الصيارفة اليهود في أنحاء العالم. بهذه الطريقة، سيصل الى الرقم ستمائة فرنك لكل ثلاثة ملايين ونصف مليون يهودي يعيشون في أوربا – بعبارة أخرى، مئتا بليون فرنك. " ومازال هذا ليس كافيا لتدمير مئتين وخمسة وستين مليون مسيحي " قال الصوت الثالث عشر. " ولكنه يكفي للإنطلاقة."

مازال عليّ أن اتخذ قراراً ماذا سيقولون، ولكن عليّ أن ارسم النهاية. فالصوت الثالث عشر ناشد روح الحاخام لوف؛ فأشرق ضوء خافت من ضريحه، وراح يزداد سطوعاً وإبهاراً؛ وراح الإثنا عشر المجتمعون يرمون حجراً على الضريح ثم أخذ الضوء يتضاءل تدريجياً. وشرع الإثنا عشر بالتواري بإتجهات مختلفة، يبتلعهم(كما يقولون) الظلام، و المقبرة الى شبحيتها، الى كآبة لا حياة فيها.

وهكذا كان، دوماس، وسو، وجولي، هم الشيء الوحيد المفقود، بصرف النظر عن البراعة الفائقة للأب باروِيل، مُرْشِدي الروحي في الخطة كلها، كانت وجهة نظر كاثوليكية متحمسة. في وقت قريب، حين كان لاغرانج يحثني بالإسراع للإتصال مع الحلف الإسرائيلي، تحدث لي عن كوغينوت موسى. أعرف بعض الأشياء عنه. كان صحافياً ملكياً كاثوليكاً، كان يهتم بالسحر، والممارسات الشيطانية، والجمعيات السرية والماسونية.

قال لاغرانج " كما نعرف حتى الآن، كان على وشك أن ينجز كتاباً عن اليهود وتهويد الأمم المسيحية، إن كنت تتابع قصدي. إنك ستجد من المفيد أنْ تلتقي به، وتجمع معلومات تحتاجها لتقدمها لأصدقائنا الروس. وسيكون من المفيد لنا أن نعرف المزيد ماذا ينوي القيام به – أننا لا ننوي القيام بأي أذى يؤثرعلى العلاقات الجيدة بين حكومتينا، الكنيسة واليهود هما عصب رأسمال العالم. تستطيع أن تَعدّ نفسك خبيراً في الشؤون اليهودية وتعتد بها. ثمة شخص ما يقدمك هو رجل دين، يسمى آبي دالا بيكولا، الذي أنجز لنا تماماً خدمات قليلة وقلت " ولكنني لا أعرف كلمة واحدة في اللغة العبرية،" ومن قال أنَّ كوغينوت يعرفها؟ كي تكره إنساناً ما، يجب أن لا تنطق لغته."

والآن(فجأة !) تذكرت لقائي الأول مع آبي دالا بيكولا. وأراه كما لو أنه واقف هنا أمامي، وفي الحقيقة. في حضرته، أني أدرك أنه ليس مُزدَوَجي، وفي الحقيقة ايضاً، أنه لا يشبهني، لأنه يبدو أنه في الستين من عمره على الأقل وفي الغالب أحدب، وأحول العينين، وبارز

الأسنان(آبي كواسيمودو، أعتقد، أنني أراه الآن)، والأكثر من ذلك، يتحدث بلهجة ألمانية، أتذكر دالا بيكولا يهمس بإذني إنها فكرة جيدة لنحترس ليس من اليهود حسب ولكن من الماسونيين ايضاً، لأنهم كلهم يقومون بالموامرة ذاتها. وشعرت أنه من الأفضل أن لا نفتح جبهتين في آن واحد ولكن من خلال تعليقات آبي المختلفة أدركت أنّ اليسوعيين لهم مصلحة في المعلومات عن الطوائف الماسونية، بينما تهئ الكنيسة هجوماً عنيفاً جداً ضد الطاعون الماسوني.

قال دالا بيكولا " على كل حال، حينما يحين الوقت للإتصال مع مثل هذه المجاميع، دعني أعرف، فأنا أخ في محفل في باريس ولي اتصالات جيدة مع هذه الدوائر."

قلت " هل أنت قس؟ "

إبتسم دالا بيكولا " اذا عرفت كم عدد القساوسة هم ماسونيون..."

في الوقت المحدد، رتبت مقابلة مع جيفاليير كوغينوت موسى، أنه في السبعينيات تقريباً، معنوياته الروحية حالياً ضعيفة، لكنني متأكد أنه يملك أفكاراً قليلة، وأنه مهتم فقط في البرهان على وجود الشيطان عن طريق السحر والسحرة، والروحانيين، والمنوِّمين المغناطيسيين، واليهود، والكهنة الوثنيين، و " الكهربائيين " الذين يؤمنون ببعض أنواع القوى الحيوية.

تحدث بسلاسة، وبدأ من البداية تماماً، أصغيت بصبر الى افكار الرجل العجوز عن موسى، وعن الفرّيسيين و(المجلس السامي لليهود)

Grand Sandhedrin، والتلمـود. وبينمـا هـو يتحـدث، عـرض علـيّ كوغونـوت كـأس كونيـاك رائعـاً، وتـرك دون قـصد قنينـة الكونيـاك علـى الطاولة الصغيرة أمامه، ورحت أصغي إليه بإنتباه.

اخبرني عن نسبة عالية من النـساء سيئات الـسمعة بـين اليهـود أكثـر من المسيحيين(واعتقد أننا نجهل هذه النسبة، وجاء في الإنجيـل، أنّ المـسيح قابـل كـثيراً مـن النـساء الـساقطات أينمـا ولى وجهـه)، واسـتمر يشرح أنّ التعـاليم في التلمـود لا يـرد ذكـر لهـا للجـيران، ولا تقـديم أي واجبات إزاءهم، الذي يوضح ويبرر بطريقته الخاصة، قسوة اليهـود في تدمير العوائل، وإغراء الفتيات الشابات ورمي الأرامـل وكبـار الـسن في الـشارع بعـد اسـتنزاف نقـودهم. كـان عـدد المجـرمين، فـضلاً عـن العـاهرات يتـصاعد بـين اليهـود أكثـر ممـا هـو بـين المـسيحيين. قـال كيغونـت " هـل تعـرف أنّ احـدى عـشرة قـضية سـرقة مـن اثـنتي عـشرة تحـال الى المحـاكم في ليبـزك تقـترف مـن قبـل اليهـود؟ " ثـم أضـاف بإبتـسامة خبيثـة " في الحقيقـة، حـدثت جريمتـان قـرب تمثـال الـسيد المسيح، قام بهما رجل واحد حسب. وعلى العمـوم، أنّ الجـرائم الـتي يرتكبهـا اليهـود هـي الأكثـر بـشاعة، مثـل الخـداع، والتزويـر، و الربـا، والإحتيـال، والإفـلاس، والتهريـب، وتزييـف النقـود، والإبتـزاز، والغـش التجاري... ويصعب عليّ ذكر المزيد. "

بعـد سـاعة تقريبـاً مـن الخـوض في الحـديث عـن الربـا، وصـل الى الجزء الأكثر توهجاً، عن الوأد، وآكلي لحوم البشر، وقبـل الإنتهـاء مـن حديثه أكد، في الغالـب عـن طريـق تبـاين هـذه الممارسـات الظلاميـة،

لوصفه هذه المادة،أنها كانت واضحة وضوح النهار: إن التأثيرات المضرة للأموال اليهودية على الإقتصاد العام ،نتيجة ضعف الحكومات الفرنسية في مكافحتها وعقوباتها.

وماهو مثيرأكثر للجميع، رغم قلة تأثيره فيَّ، حينما استدعى كوغينوت قادة الفكراليهود عبر بلدان المسيحيين، كما لو أنه كان على الغالب يهودياً ايضاً، مقتبساً تأكيدات دزرائيلي،التي سمعتها من توسينيل. من الواضح هنا، أنَّ الاشتراكيين، والفوريرستيين والملكيين الكاثولوكيين يشتركون في وجهة النظر ذاتها للتهويد ويبدو أنهم ينبذون وجهة النظر العامة في التقزيم واضعاف اليهود. صحيح، أنَّ اليهود لديهم ضعفاً، ودساتيرهم هشة، ولا يمرنون أجسادهم أو يمارسون الفنون العسكرية(وهم بهذا، لا يماثلون الإغريق، الذين ينمازون بمنافسة جسدية قيمة)، لكنهم يُعمِّرون، وهم قوم ذوو خِصْبِ(في شبقهم الجنسي) ومحصنين بمناعة ضد كثير من الأمراض التي أبتليت بها بقية الأجناس البشرية، وهذا يخلق منهم أكثر خطورة في غزو العالم.

قال كوغينوت " أشرح لك أكثر، لماذا أنَّ اليهود لا يصابون بأمراض الكوليرا، حتى وإن كانوا يعيشون في مكانات من المدينة رطبة وغير صحية. في عام ١٣٤٦، إنتشر وباء مرض الطاعون، وتذكر تلك الحقبة التاريخية إنَّ اليهود ولسبب غامض لم يصبهم ذلك الوباء في أي بلد في العالم؛ وأخبرنا فراسكاتور، كان اليهود هم الوحيدون الناجون من وباء التيفوئيد الذي اجتاح العالم سنة ١٥٠٥، وقد أظهر

لنا داغوير أنّ اليهود هم الوحيدون الذين نجوا ايضاً من وباء الزحار في نجميغين في سنة ١٧٣٦؛ وبرهن فاوروش أنّ الدودة الشريطية ليس لها وجود بين سكان اليهود في المانيا. ماذا تقول؟ كيف يمكن ذلك، إذا كان هؤلاء أقذر الناس في العالم، الذين لا يتزوجون من سلالات غير سلالتهم؟ هذا شئ منافي للطبيعة. هل ما زال نظام غذائهم غامضاً؟ أو ما زالوا يمارسون عادة الخِتان؟ ما هو السر الذي يجعلهم أقوى منا حتى وإن بدوا ضعفاء؟ أنّ مثل هذا العدو المخادع القوي، أقول، يجب أن يُدمَّر بأي وسيلة كانت. إنك تعرف حينما وصلوا الأرض الموعودة كان عددهم لا يتجاوز ستمائة ألف رجل. فإن حسبت أن كل رجل يعادل أربعة رجال من البالغين، فإنك ستحصل على العدد المطلوب وهو مليونين ونصف المليون، وفي زمن سليمان كان عدد جنوده من اليهود مليون وثلثمائة ألف، وبعد ذلك ازداد عددهم الى خمسة ملايين، بمعنى أنهم تضاعفوا. واليوم؟ من الصعوبة بمكان أن نحسب كم هو العدد، أنهم منتشرون في كل قارة، ولكن، من الحكمة أن نقيّمهم بحدود العشرة ملايين، أنهم يتكاثرون، ويتكاثرون... "

ويبدو أنه كان مجهداً وممتعضاً وشعرت بالإغراء لأقدم له كأس كونياك من قنينته. بيد أنه انتعش، وفي الوقت الذي وصل الى عقدة الخلاص المسيحية وكابالا Kabbalah اليهود(وكان على وشك الشروع بوصف كتبه عن السحر والأعمال الشيطانية)، وسقطتُ في اغفاءة خفيفة، واستطعتُ بمعجزة أن انهض وعند ذاك شكرته وغادرت.

فكرت، بأشياء كثيرة جيدة. فإذا وضعت هذا كله في وثيقة واحدة للناس أمثال لاغرانج، سأُعرِّض نفسي الى خطر يؤدي بي الى(مجاملة المخابرات السرية) الزنزانة، ربما فيChateaut dIf، بينما يليق هذا بالمتعصب دوماس، ربما سآخذ بكتاب كوغينوت الأكثر جدية، لأنني الآن وكما أكتب، أنني سأستحضر Le judaise et La judaisation des La Juif :charétiens peoples، الذي طبع في عام ١٨٦٩ – الذي يحتوي على ستمائة صفحة من القطع الصغير تقريباً – ونال على إشادة البابا بيوس التاسع وتهليل كبير عام. ولكن الحقيقة أنّ عدداً كبيراً من الكراسات ضد اليهود كانت قد طبعت في كل زاوية من العالم قد شجعتني على الإنتقاء.

وفي مقبرة براغ إيّاي يجب على الخامات أن يقولوا شيئاً بسيطاً مفهوماً، يجذب الخيال الشعبي ويكون بطريقة ما جديدا. وليس مثل طقوس قتل الطفل الذي بقي الناس يتحدثون عنها لقرون عدة؛ أنهم يعتقدون في ذلك بقدر الذين يعتقدون بساحرات، وكان ذلك كاف لمنع اطفالهم من اللعب حول الغيتو.

هكذا عدت لكتابة تقريري عن الصفقات الظلامية لتلك الليلة المصيرية. فتكلم الصوت الثالث عشر أولاً: " خطط أسلافنا تقول، ينبغي على الزعماء الإسرائيليين أن يجتمعوا مرة واحدة في كل قرن حول ضريح حاخامنا المبارك، سيميون بن يهودا. وقد انصرم ثمانية عشرقرناً منذ أن تعهد بتسليم السلطة الى إبراهام الذي اختطفها منا الصليب. وقد سُحِق الشعب الإسرائيلي، وذُلّ من أعدائه، تحت تهديد

ثابت بالموت والإغتصاب، لكنه قاوم. فإذا انتشروا في جميع أنحاء الكرة الأرضيية فهذا يعني أن الكرة الأرضية يجب أن تعود لهم. إن العجل الذهبي هو عجلنا منذ أيام هارون.

قال الحاخام إساشير: " نعم، حينما نكون المالكين الوحيدين لذهب كل الكرة الأرضية، ستكون السلطة الحقيقة بين أيادينا."

وعلّق الصوت الثالث عشر، هذه المناسبة العاشرة، بعد مرور ألف سنة من العنف والحروب اللانهائية مع خصومنا، إجتمع زعماء الشعب الإسرائيلي في كل جيل في هذه المقبرة، حول ضريح حاخامنا سيميون بن يهودا، ولكن لم يستطع أسلافنا في أي قرن من القرون أن يجمعوا كمية كبيرة بين أيادينا، لذلك، فإن السلطة بقيت بيد، باريس، ولندن، وفينا، وبون، وأمستردام، وهامبورغ، وروما، ونابولي، ومن خلال رجال روتشيلد سيطر الإسرائيلون على الشؤون المالية. تكلم يا روبين، إنك تعرف الوضع في باريس."

قال روبين: " في عهود الأباطرة كلها، ملوكاً وأمراءَ، تطغى عليها ديون تكبدوها معنا لِيُبقوا جيوشهم لدعم عروشهم المتهاوية. وعلى هذا الأساس، يجب أن نشجع المزيد من القروض ولضمان رأس المال فإننا نجهز البلدان، ويجب ايضاً أن نُحكِم السيطرة على سككهم الحديد، ومناجمهم، وغاباتهم، ومؤسسات مصانعهم، والثروات الأخر، فضلاً عن جمع الضرائب. "

قال سيمون من روما " لا تنس الزراعة، أنها الثروة العظيمة لكل بلد. ومالكو العقارات الضخمة ما زالت بعيدة المنال عن أيادينا، بيد

اننا إنْ تدبرنا امر اقناع الحكومات إلغاء عقود مالكي الأراضي، فإنه من السهولة بمكان بعد ذلك الحصول على تلك الأراضي."

ثم قال الحاخام يودا من أمستردام " لكن كثيراً من إخواننا في إسرائيل إعتنقواالمسيحية وقبلوا بالتعميد."

رد الصوت الثالث عشر " هذا لا يهم، أنَّ اولئك الذين تعمدوا يمكن أن يخدمونا بطريقة أفضل، ورغم تعميد أجسادهم، وأرواحهم، ونفوسهم، فإنهم سيبقون مخلصين لإسرائيل. من خلال مئات الأعوام لم يتحول طفل إسرائيلي واحد الى الدين المسيحي، بيد أنَّ كثيراً من المسيحيين يبحثون عن الإنضمام لإيماننا المقدس. وستعيدهم إسرائيل بإحتقار."

قال الحاخام ليفي " ولكن قبل كل شيء، دعنا نعد الكنيسة المسيحية بوصفها عدونا الكبير. ويجب أن ننشر مباديء حرية الفكر، وبث الشكوك بين المسيحيين، يجب أن نطيح بكهنة هذا الدين."

قال الحاخام " مناسي " دعونا ننشر فكرة التقدم، التي تفضي الى مساواة جميع الأديان، دعونا نحارب لوقف دروس الدين المسيحي في مناهج التعليم، من خلال مهارة وتعليم الإسرائيليين، فإننا لن نجد صعوبة تذكر لعرقلة التعليم في المدارس المسيحية، وسيهبط التعليم الديني بين العوائل، لأنَّ معظم العوائل ليس لديها وقت لتكرس نفسها لهذا الصنف من التعليم، وستتضاءل المشاعر الدينية تدريجيا."

وجاء الآن دور الحاخام دان من اسطنبول " وفوق كل ما ذُكر، يجب أن لا تفلت رؤوس الأموال ومضاربة رؤوس الأموال من أيادينا.

يجب أن نستحوذ على تجارة الكحول، والزبد، والخبز، والنبيذ. وبهذه الطريقة، فإننا نستكمل سيطرتنا على الزراعة وعلى جميع مرافق الاقتصاد. "

وقال الحاخام نافتالي من براغ " يجب علينا أن نراقب القضاء والمهنية القانونية. لماذا لم يستوزرالإسرائيلون في التعليم لدى الحكومة وبخاصة حينما يتولُّون كثيراً إدارات الشأن المالي.؟"

أخيراً، تحدث الحاخام بنجامين من توليدو " يجب علينا أن لا نكون غرباء عن أي حرفة مهنية: الفلسفة، والطب، والقانون، والموسيقى، والإقتصاد... وبإختصار، في جميع حقول العلم، والفنون والآداب وهما حقلان واسعان يجب أن نبرهن على جدأرتنا ونظهر مقدرتنا. في مقدمة كل هذا هو الطب! والطبيب هو على اطلاع على أسرار العائلة الخاصة، ومسؤول عن حياة الكنيسة وصحتها. ويجب أن نشجع الزواج بين الإسرائيليين والمسيحيين - وضخ كمية ضئيلة من الدم النجس الى سلالتنا، ينتقيها الرب، لا يمكن أن تلوث تلك السلالة، وحصول ابنائنا وبناتنا على قرابة دم بين العوائل المسيحية الذين يتولون مناصب في السلطة. "

قال الصوت الثالث عشر " دعونا ننهي اجتماعنا، إذا كان الذهب يشكل السلطة الأولى في العالم، فالسلطة الثانية هي الصحافة. ويجب أن نستحوذ على توجيه الصحف اليومية في كل بلد. وذات مرة، كنا مسيطرين على الصحافة تماماً، وكنا نستطيع أن نغير الأفكار العامة عن الشرف، والكرامة والفضيلة، وننفذ أول هجوم على الإسرة بوصفها

مؤسسة المجتمع، ودعونا نظهر حرصنا على القضايا الإجتماعية في الوضع الراهن. ويجب أن نحقق السيطرة على الطبقة البروليتايرية، ونكون دعاة التحريض بين الحركات الإجتماعية وبهذا نستطيع أن نثير المشاكل حينما نريد ذلك، وندفع بالعمال الى المتاريس، الى الثورة. وكل كارثة من هذا الكوارث تقربنا من أهدافنا، للوصول الى السيطرة على العالم، كما أقسمنا الى أبينا ابراهام، وستتضاعف قوتنا مثل شجرة عملاقة، تحمل اغصانها أثمار الثروة، والسعادة، والسرور والسلطة، كتعويض عن الحالة الحقيرة التي كان فيها القدر الوحيد للشعب الإسرائيلي عبر قرون طويلة."

كيف انتهى هذا التقرير عن مقبرة براغ، إن كنت أتذكر تماماً.

في الختام، وبعد إعادة صياغة اللغة شعرت بالإنهاك، وربما خلال ذلك تناولت شيئاً من النبيذ الذي صحبني خلال هذه الساعات من الكتابة المحمومة، ليعطيني قوة جسدية ويقوي معنوياتي. لكن منذ يوم أمس فقدت كل شهية للطعام، وذكر الطعام هذه المرة يثير فيَّ الغثيان. إستيقظت وتقيأت، ربما أرهقني العمل أكثر مما ينبغي. أو ربما أنني أشعر بالإختناق لأنَّ الكراهية تستنفدني. في هذه المسافة الزمنية أعدت النظر في الصفحات التي كتبتها عن مقبرة براغ، وأنا أستنتج كيف أن تلك التجربة، القوية، وإعادة بناء أرضية الإقناع بمؤامرة يهودية، والإشمئزاز في طفولتي وبداية شبابي لم يكن أكثر من(كيف أقول) تخيِّل، في رأسي، مثل أصوات التعليم الديني الشفاهي الذي غرسه جدي في رأسي، تحول الى طبيعة بشرية. حينما نجحت حسب

في استعادة ذكرى استيائي في تلك الليلة المزعجة، ونفوري من خيانة اليهودي، تحولت من محض فكرة الى انفعالات لايمكن كبحها. الله، يجب أن يكون في تلك الليلة في مقبرة براغ - أو في الأقل، من خلال قراءتي لحساباتي في تلك الحادثة - قد جعلتني أفهم كيف أنَّ تلك السلالة اللعينة لا يمكن أن يسمح لها بإفساد حياتنا !

وبعد قراءة وإعادة قراءة الوثيقة فقط، فهمت تماماً أنَّ تلك كانت مهمتي. يجب أن أبيع تقريري الى شخص ما، ولكن إذا هو دفع ما يعادل وزنه ذهبا سيكون معقولاً له، ويمكن أنْ يساعد على تصديقه.

لكن من الأفضل لي أن اتوقف عن الكتابة في هذا المساء. هذه الكراهية(أو ذكرياتها فقط) تفتل في رأسي تماماً. يداي الآن ترتعشان، وعلي الذهاب لأنام، وأنام، وأنام، وأنام.

(١٣)

دالا بيكولا ينكر دالا بيكولا

الخامس من نيسان /ابريل ١٨٩٧،إستيقظت هذا الصباح في فراشي وارتديت ملابسي، أضفت لمسات من التجميل التي تتطلبها شخصيتي. ثم ذهبت لقراءة مذكراتك، حيث قلت إنك قابلت آبي دالا بيكولا، وإنك وصفته تماماً أنه كان أكبر مني، وأكثر من ذلك، أحدب. وذهبتُ لأتمرأى في المرآة في غرفتك. - لأن غرفتي ليس فيها مرآة، كما هو مناسب لكاهن - وبدون رغبة الإنغماس في الخيلاء، استطيع أن اقول إن ملامحي حسب منتظمة، وأنا بالتأكيد ليس أحور العينين، وأسناني ليست ناتئة. وأرطن بلهجة فرنسية إلاّ إذا عارض تصريف أحد الأفعال باللغة الإيطالية.

إذن َمنْ هو بعد ذلك الحين ألـ آبي الذي قابلته أنت يحمل اسمي؟ وفي هذه المناسبة منّ أنا؟

(١٤)

بياريتز

آخر صباح الخامس من نيسان / ابريل ١٨٩٧، إستيقظت متأخراً ووجدت ملاحظتك الموجزة عن يومياتي. إنك ناهض مبكراً. جيد، جيد أيها السيد آبي - دعني افترض، أنك تقرأ هذه السطور خلال الأيام القليلة القادمة(أو الليالي) - ومن أنت بعد ذلك؟ أنني أتذكر، في هذه اللحظة بالذات، أنني قتلتك مرة ثانية قبل الحرب ! أنّى لي أن أتحدث الى شبح؟

هل أنني قتلتك؟ ولماذا أنني متأكد تماماً مِن ذلك؟ دعنا نحاول أنْ نتذكر. لكن أولاً يجب أن أتناول طعامي. يا للغرابة، يوم أمس فكرت بالذات بالطعام الذي أثار اشمئزازي. والآن التهم أي شيء أمامي. إذا تمكنت من الخروج، يجب أن أزور طبيباً.

أنجزت تقريري عن ليلة اجتماع براغ، كنت مستعداً للقاء الكولونيل ديمتري. أتذكر كم استمتع برافمان بالطعام الفرنسي ودعوت ديمتري الى المكان نفسه، في روشر دي كانكال، ولكن يبدو أنه لم يكن مستسيغاً لطعامه وراح يلتقط من طبق طعامي. له عينان منحرفتان، وبؤبؤآن صغيران حادان مما دفع بي أن افكر بعينْي ابن عرس، رغم ذلك اعترف أنني لم ار ابدا ذلك الحيوان(ومع ذلك

أكره ابن عرس بقدر ما أكره اليهود). يبدو ديمتري، أنه يملك تأثيراً خاصاً يجعل المرء يتحدث ليشعره بعدم الإرتياح.

" قرأ تقريري بدقة،

قال " رائع جداً، كم؟ "

من المفرح أن نتعامل مع شخص مثله، وحددت المبلغ ربما كان مِفرطاً - خمسين ألف فرنكاً-وشرحت كم كلفني ذلك من مخبرين مساعدين لي.

قال ديمتري " غال جداً، أو بعبارة أخرى، غال، لا استطيع دفعه. دعنا نحاول تقسيم الكلفة. إننا نحتفظ بعلاقات طيبة مع المخابرات البروسية. هم الآخرون لديهم مشاكل مع اليهود، سأدفع لك خمسة وعشرين ألف فرنكاً ذهباً وأخوّلك بتمرير نسخة من الوثيقة الى البروسيين، وهم الذين يعطونك النصف الثاني من المبلغ. إنني سأخبرهم، أنهم يطلبون النسخة الأصلية، بالطبع- كما أعطيتنياها- ولكن كما أخبرني لاغرانج أنك كنت متمكناً تماماً من استنساخ الأصل. والشخص الذي سيتصل بك إسمه شتيبر.

هذا كل ما قاله. واعتذر بلباقة عن شرب الكونياك، وانحنى مجاملة، على الطريقة الألمانية أكثر منها روسية، وبإستقامة جسمه وانحناء رأسه شكّل في الغالب زاوية مستقيمة، وغادر. وتركني ادفع القائمة.

تساءلت عن لقاء مع لاغرانج، الذي كان قد تحدث حالياً معي عن شتيبر، رئيس المخابرات البروسية. إنه متخصص بجمع المواد ما وراء الحدود، بيد أنه كان قادراً ايضاً على اختراق الطوائف والحركات

التي تتوصل الى تسوية مع الدولة. ولعب دوراً مفيداً قبل عشر سنوات للحصول على معلومات عن ذلك الرجل ماركس، الذي كان قد سبب قلقاً للألمان والإنجليز على حد سواء. ويبدو أنَّ لاغرانج أو وكيله كراوس، الذي عمل تحت الإسم المفترض فلوري، تدبر أن يدخل منزل ماركس في لندن متنكراً بوصفه طبيباً، ثم غادره متسللا مع قائمة من الأسماء لجميع مؤيدي عصبة الشيوعيين. ويُعدُّ هذا العمل إنقلاباً، قال لي لاغرانج، وأدى الى اعتقال عدد كبير من الشخصيات الخطيرة. قلت إنَّ الوقاية غير مجدية؛ وكان أولئك الشيوعيين أغبياء الى حد ما ينخدعون بتلك الطريقة ولم يبتعدوا جداً. لكن لاغرانج قال إنك لا تعرف. إنَّ الوقاية هي الأفضل- من الأفضل أن تُعاقَب أولاً، لإستباق حدوث الجرائم.

" ثمة وكيل سري جيد فُقِد حين كان يتعامل مع شيء قد حدث فعلاً. وعملُنا هو استباقي قبل كل شيء. وكنا ننفق مبلغاً معتبراً من المال لتنظيم أعمال شغب في الجادات. لا يستغرق كثيراً: فقط دزينة قليلة من أرباب السوابق، ومجموعة من الشرطة السرية. يقومون بتحطيم عدد قليل من المطاعم، وزوجان من بيوت الدعارة في وقت تصدح فيه أغنية La Marseillaise، وسيقومون ايضاً بحرق بعض الدكاكين، بعدها تصل شرطتنا بزيها الرسمي وتعتقل جميع الذين أسهموا بما يشبه معركة.

" ولأي غرض؟ "

لنضمن أنَّ المواطنين الكرام يبقون في حالة من الخوف في بلدهم، ولنقنع الجميع أن التدابير الصارمة مطلوبة. إذا ثبتنا الشعب الحقيقي المُنظم فإننا بحق السماء لا نعرف كيف نتدبر التعامل معه بسهولة تماماً. لكن دعنا نرجع الى شتيبر. حينما اصبح رئيس المخابرات البروسية قام بسفرات الى القرى حول أوربا الشرقية مرتدياً زي بهلوان متجول، مسجلاً كل شيء ومؤسساً شبكة من المخبرين عبر الطريق الذي سيمر به يوماً ما الجيش البروسي من برلين الى براغ. وقام بالعمل ذاته في فرنسا، للتهيئة للحرب التي ستحدث ذات يوم حتماً. "

" ألم يكن من الأفضل، بعد ذلك، تحاشيه؟"

" كلا. يجب أن نراقبه. ومن الأفضل لإولئك الذين يعملون معه أن يعملوا معنا ايضاً، ومهما يكن من أمر، يجب عليك أن تتحدث معه عن قضية تورط اليهود، التي لا مصلحة لنا فيها. وهكذا، فإن تعاونك معه لن يسبب أي ضرر لحكومتنا."

وبعد اسبوع، تسلمت ملاحظة من شتيبر. يسأل فيها إن كان من المناسب لي أن اذهب الى ميونيخ لأقابل مراسل اتصالاته غوْيدشي، الذي سأسلم له التقرير. في الواقع كان هذا غير مناسب لي، ولكن لم أكن مهتماً كثيراً للنصف الآخر من الدفع.

وسألت لاغرانج إن كان يعرف غوْيدشي، قال، كان غوْيدشي، موظف بريد ومخبراً يعمل داعية لإثارة المشاعر لصالح المخابرات البروسية. وبعد اضطرابات سنة ١٨٤٨، زوَّر رسائل لإدانة زعيم

الديمقراطيين، التي ظهر من خلالها أن ذلك الزعيم ينوي اغتيال الملك. كان من الواضح أنّ ثمة قضاة إمبراطوريين غادروا الى برلين. وكان أحدهم قد تمكن من اثبات صحة تزوير الرسائل. كان غوْيدشي متورطاً في فضيحة وعليه أن يترك عمله في مكتب البريد. لكنه ايضاً دمر مصداقيته مع المخابرات السرية، الذي سمح لك بتزوير الوثائق ولكن ليس أثناء قيامك في التزوير. وقد غير اسمه الى السير جون راتكليف، كاتب روايات من الدرجة الثانية واستمر في العمل لصالح صحيفة Kreuzzeitung، مناهضة للسلالة الساميّة. وبقيت الإستخبارات تستخدمها لنشر الأخبار، إن كانت صحيحة أو زائفة عن اليهود.

وفكرت، هذا هو الرجل الذي يخدم قضيتي. كان لاغرانج يشرح ذلك لأنه ربما، إذا كانوا يستخدمونه لهذا الغرض، فإن السبب يعود الى أن البروسيين لم يهتموا بشكل خاص بتقريري و عينوا شخصاً آخر دون المستوى ليلقوا نظرة عليه كي يريحوا ضميرهم، ومن ثم يتخلصون مني.

قلت " كلا، ذلك ليس صحيحاً، إن تقريري مهم للألمان. وقد وعدوني حاليا بمبلغ محترم."

سأل لاغرانج " مَنْ وعدك؟ وابتسم حين أجبته، أنه ديمتري. " إنهم الروس. ياسيمونيني. هل أحتاج الى أن أقول أكثر؟ ماذا سيفقد الروس لو أنه أقسم لك بشيء ما بإسم الألمان؟ ولكن مع ذلك إذهب الى ميونيخ – أننا مهتمون في معرفة ماذا يعملون. ولا تنس أن غوْيدشي مخادع مارق. وإلاّ فإنه لم يقبل بهذا العمل."

لم يكن لاغرانج رجلاً نبيلاً تماماً، ولكن ربما كان هناك وغد من الصنف الأفضل، الذي كان واحداً منهم. وطالما أنهم يدفعون لي جيداً فليس لدي مشكلة.

أعتقد أنني قد وصفت الآن في هذه اليوميات إنطباعي عن تلك الحانة الهائلة في ميونيخ، المكتظة بالبافارانيين الجالسين على مقاعد ذات طاولات شعبية طويلة وملتصقين كوعاً الى كوع، يسلّون أنفسهم بنقانق دهنية ويكرعون البيرة في أباريق كبيرة، نساءً ورجالاً، النساء أكثر صخباً، وأكثر شغباً وابتذالاً من الرجال - ولكنهن تحديدا في سباق أقل شأناً. وبعد رحلة، متعبة بذاتها، وجدت أن قضاء يومين على تربة تيوتونيك هو جهد كبير.

كان في مثل تلك الحانة قد رتب غوْيدشي مقابلتنا، وكنت مضطراً للإستنتاج أن جاسوسي الألماني يبدو أنه ولد هنا ليجمع المال في مثل هذه المكانات: يرتدي ملابس نحاسية أنيقة غير كافية لإخفاء ذكاء هذا الثعلب الذي عاش على دهائه.

بفرنسية رديئة وجّه إليَّ بعض الأسئلة عن مصادري. تهربت منها، متحدثاً عن قضايا أخرى وذكرت موضوع استغلالي من قبل رجال غاريبالدي. إندهش بفرح، قال، بينما كان يكتب رواية عن الأحداث في إيطاليا في سنة ١٨٦٠. في الغالب انتهت، وسيكون عنوانها بياريتز **Biarritz**، تتألف من عدة أجزاء. لم تكن جميع احداثها وقعت في إيطاليا - إنها تتحرك من سيبريا الى وارشو الى بياريتز(بالطبع) وهكذا. تحدث عنها بحماس وبصلف واضحين، زاعما أنه على وشك

أن يكمل رواية سستاين شامبل التاريخية. إنني لا أفهم الربط بين مختلف الأحداث التي كان يسردها، ولكن يبدو أن الرواية تدور حول التهديد المستمر من ثلاث قوى شيطانية إستحوذت على العالم بطريقة خفية – الماسونية، والكاثوليك،(بخاصة اليسوعيين منهم) واليهود الذين إنسلوا بين أول قوتين لتقويض طهارة سلالة التيوتونيك البروتستانت.

أُستهلت احداث الرواية بمؤامرات الماسونيين المازينيين، ثم انتقلت الى أحداث وارشو، حيث كان الماسونيون يتآمرون ضد روسيا، الى جانب النهليستينيين – ذرّية ملعونة كما لُعنت ذرّية السلاف التي استطاعت أن تنتج رغم إن الذريتين(الهلنستية والسلافية) كانتا في الغالب يهوديتين... ومن المهم أن نلاحظ أنّ نظام تجنيدهم يُشبه نظام المتنورين البافاريين وآلتا فينديتا الكاربوناريين، الذي يفرض على كل عضو أن يُجند تسعة آخرين، ويجب أن لا يعرف واحدهم الآخر. ثم عادت القصة تسرد أحداث ايطاليا وتابعت التقدم بإتجاه بيدمونت جنوباً الى مملكة الصقليتين، حيث فوضى العنف، والخيانة، واغتصاب النساء النبيلات، والإستغلال الدراماتيكي، والملك الآيرلندي الشجاع المتهور، والرسائل المخفية تحت ذيول الخيول، والأمير الحقير الكاربوناري، وكاراكشولو و، الذي يتحرش بالفتاة الشابة(الآيرلندية الملكية) واكتشاف الخواتم السحرية المطعمة بالذهب الأخضرالمؤكسد والمرصعة بالثعابين المتشابكة يتوسطها المرجان، ومحاولة اختطاف نجل نابليون الثالث، ودراما

كاستلفيدارادو حيث المعركة تكتسي بدم القوات الألمانية الموالية للبابا، وإدانة ال welsche Feigheit – قالها غوْيدشي بالألمانية، ربما كي لا يؤذيني، بيد أنني درست قليلاً الألمانية وفهمت أنه يشير الى ذلك النموذج من التصرف الجبان للسلالات اللاتينية. وفي أحداث ذلك الموضوع أصبحت أحداث القصة مضطربة أكثر فأكثر، وما زلنا لم نصل نهاية الجزء الأول.

وبينما هو يتحدث، راحت عينا غوْيدشي الخنزيريتين الغامضتين تومضان تدريجياً وهو يغمغم ويضحك بقناعة لنكاته التي أحكم روعتها. ويبدو أنه يأمل ثرثرة من الدرجة الأولى عن سيالديني ولارمامورا، وجنرالات البيدمونتيين الآخرين، وبالطبع، غاريبالدي ورجاله. لكن منذ أن أحبه الناس راحوا يبيعون معلوماتهم له. ولا أعتقد أن من المناسب أن يعطونه حكايات مجاناً. على كل حال، من الأفضل لي أن التزم الهدوء بما أعرف ما لدي.

هذا الرجل، كما أعتقد، يسير في الإتجاه الخاطيء. إنك لن تسبب خطراً لشخص يملك آلاف الوجوه المتلونة – والخطر هو أحد هذه الوجوه حسب، وإلاّ اصبح الناس في حيرة من أمرهم. إذا أردت أن تفضح اليهود، فتحدث عن اليهود، وليس عن الآيرلنديين، أو النابوليين الملكيين، أو الجنرالات البيدمونتيين، أو الهلنستيين الروس أوالمواطنين البولنديين. مع كمية كبيرة من الحديد في النار. كيف يتسنى للمرء أن يكون عدمياً؟ والأكثر إدهاشاً، حينما يتضمن ذلك الجزء من روايته، يبدو أن غويدشي ركز تماماً على اليهود – وهذا

أفضل لي بكثير، منذ أن جئت لهذا الغرض تماماً لعرضي إياه الوثيقة الخاصة باليهود.

قال، إنه لم يكتب روايته من أجل المال أو آمال المجد في الحياة، ولكن من أجل تحرير سلالة الألمان من فخ اليهود.

يجب أن نعود الى كلمات لوثر، حينما قال إنّ اليهود هم الشر، هم الطائفة السامة والشيطانية اللتين تكمنان في جذورهم وأنهم طاعوننا ووباؤنا عبر القرون، ومازالوا حتى عصره. كما لا يزالون يستعملون كلماته " غادِر، وحاقد، وأفاعٍ عاضة، وقتلة وأطفال الشياطين، الذين يلدغون ويخبئون رؤوسهم، لأنهم لا يستطعون القيام بها بطريقة مكشوفة." وكي تتعامل معهم، فالعلاج الممكن هو scharfe Barmherzigkeit، الذي لايمكن له أن يترجمه، ولكن، كما أفهمه، يعني " الرحمة القاسية " والتي يعني بها لوثر لا رحمة على الإطلاق. " يجب أن يحرق كنيسهم، وإذا لم يحرق لأي سبب كان فيجب أن يُطمر بحيث يمسي أثرا بعد عين؛ ويجب أن يُدفع بهم من منازلهم الى حضائر الماشية مثل الغجر؛ ويجب أن تُمحى نصوص تلمودهم، الذي لا يعلِّم غير الأكاذيب، واللعنات والشتائم؛ ويجب أن يُحرَّم عليهم ممارسة الربا؛ و نقودهم، وذهبهم، وجواهرهم يجب أن تستلب منهم، ويجب أن يُسلَّم شبابهم الفؤوس والرفوش، والنساء القطن والمغازل. قال غويدشي، وإن السبب في ذلك، هو الإحتقار والإزدراء " macht arbeit frei، والعمل يحررك. وقرار لوثر الأخير، هو أن نسوقهم خارج المانيا كالكلاب المسعورة.

واستمر غوْيدشي، " لا أحد أصغى الى لوثر، على الأقل ليس الآن، وبالرغم من أن الحقيقة هي، ومنذ الأزمنة القديمة، ليس ثمة شعوب أوربية تعتبر كقاعدة – أنظر الى الزنجي، الذي يُعدَ اليوم تماماً حيواناً – وليس هناك اعتبارات مضمونة نميز فيها السلالات السامية. بيد أننا نعرف اليوم أن المستوى الأكثر تطوراً للإنسانية هو البشرة البيضاء، وأكثر هذه النماذج نمواً للسلالة البيضاء هم الألمان. وحضور اليهود يشكل تهديداً ثابتا للتهجين العنصري. إنظر الى التمثال الإغريقي: إنظر الى ملامحه النقية، وبنيته الراقية، وليس ثمة ما يثير الإدهاش أن ذلك الجمال يحمل خصال الفضيلة، وكي تكون جميلاً يجب أن تكون شجاعاً، كما نرى نحن خيولنا العظيمة في الميثولوجيا التيوتونيكية. وتخيل الآن، أبولو بسماته الساميِّة، وبشرته السمراء، وعينيه العميقتين، وأنفه المعقوف، وجسمه المائل، وانظر كيف وصف هوميروس بنية ثيرسايتس والتجسيد الدقيق للقاعدة. مازالت الأسطورة المسيحية تتأثر بقوة باليهود(كان، بعد كل ذلك، بدأها بول، واليهود الآسيويين، الذين نطلق عليهم اليوم اليهود الترك)، أنه يقنعنا أن السلالات كلها انحدرت من آدم – كلا، للإنفصال من الوحش الأصلي، فإن الإنسانية اتبعت منعطفات مختلفة. يجب علينا أن نعود الى ذلك الموضوع الذي افترقت فيه منعطفاتنا، ومن ثم نعود الى الأصول الوطنية الحقيقية لشعبنا، بدلاً من ذلك الهذيان الفرنسي lumiéres،مع كونيتهم égalité، والإخوَّة العالمية ! وهذه هي روح أزمتنا المعاصرة، وما يُدعى اليوم بالقومية هو صرخة من اجل نقاء السلالة الأصلية.

باستثناء تلك الحقبة – الهدف- أنها صالحة حسب، من اجل السلالة الألمانية. ومن العبث أن نتخيل عودة ايطاليا الى الجمال الماضي الذي يمكن أن يتمثل بغاريبالدي المتقوس الساقين، ومليكك قصير الساقين وذلك القزم كافور. ورغم ذلك، ينحدرالرومانيون الى سلالة سامَيِّة. "

" الرومان؟"

" ألم تقرأ فيرجل؟ أنهم يتحدَّرون من طروادة، ومن ثم من القارة الآسيوية. هذه الهجرة الساميِّة دمرت روح الشعب الإيطالي العريق. انظر ماذا حدث للسلتيين: بعد أن تروَّموا، تفرنسو، ومن ثمة تحولوا الى اللاتينية ايضاً. الألمان هم الوحيدون الذين تمكنوا من أن يبقوا أنقياء، ولم يتلوثوا، وكسروا شكيمة سلطة روما. وتفوُّق السلالة الآرية ودونيّة اليهود(واللاتينيون حتماً) يمكن مشاهدته في أروع الفنون المختلفة. لا ايطاليا ولا فرنسا انجبتا باخ أو موزارت أو بتهوفن أو فاغنر."

لا يُشبه غويدشي بالضبط نموذج البطل الآري الذي كان يشيد به. في الواقع، وكي نقول الحقيقة،(رغم ذلك لماذا يجب أن نكون قلقين دائماً حول الحقيقة؟) يبدو أنه يملك مظهراً يهودياً شرهاً وفاسقاً. وفي نهاية الأمر، على كل حال، يجب أن اقبل ماذا قال، أعرف أنه كان يعمل لصالح المخابرات وعليه أن يدفع لي خمسة وعشرين ألف فرنكاً وهو ما تبقى بذمته.

لكنني لا استطيع مقاومة إهزوءة صغيرة. سألت إن كان قد فكّر أنه كان مِثالاً جيداً للسمو، من السلالة الأبولونية. حدق بي وقال إنه يتحدّر الى سلالة ليس من الناحية الجسدية حسب، ولكن قبل كل شيء الى سلالة روحية. واليهودي يبقى يهودياً، حتى لو أنجبته الطبيعة رجلاً أشقر الشعر، وبعينين زرقاوين، وبالطريقة ذاتها التي يولد فيها أطفال بأصابع ستة، وبقدرة النساء على القيام بعملية الضرب. والآري هو الآري وإن كان يعيش روح شعبه، حتى وإن كان شعره أسود.

سؤالي خفف من حماسته. هدأ، ومسح العرق من على حاجبيه بمنديل أحمر كبير وطلب أن يرى الوثيقة التي رتّب الإجتماع من أجلها. سلمته إياها. بعد كل ما جرى، كنت اعتقد أنها ستبعث في داخله مشاعر نشوة الطرب. اذا ارادت حكومته أن تتخلص من اليهود على وفق تهمة لوثر، فإن قصتي عن مقبرة براغ تبدو طريقة مثالية لتنبيه بروسيا الى طبيعة المؤامرة اليهودية. وبدلاً من ذلك راقبته، بين جرعة من الجعة وأخرى، تجهّم مرات عدة وقطب عينيه الى أن بدأ في الغالب يشبه انساناً منغولياً، أخيراً قال: " إنني حقاً لست متأكداً من أن هذه المعلومات لها أي فائدة تذكر. إنها تتضمن ما قد نعرفه دائماً عن مؤامرات اليهود. إن ما تقوله بالتأكيد جيداً، وإن كانت مُختلقة، فإنهاأُختلقت بإتقان.

" رجاءً، أيَها الهير،(الهير Herr، بالالمانية تعني السيد.. المترجم(أنني هنا لست كي أبيعك مادة مُختلقة."

" ليس لدي سبب لأفكر بذلك، ولكن لدي تماماً التزامات مع أولئك الذين يدفعون. والوثيقة الأصلية ما زالت قيد التجربة. ويجب أن اعرضها على الهير شتيبر في مكتبه. إتركها معي، إذا رغبت، وعد الى باريس. وسيأتيك جواب في غضون أسابيع قليلة. "

" ولكن الكولونيل ديمتري أخبرني أنه قد وافق الآن."

" أبداً، ليس الآن، على الأقل. كما قلت، دع الوثيقة معي."

" سأكون صريحاً معك، أيها الهير غوْيدشي. ما تحمله الآن هو وثيقة أصلية – وثيقة أصلية، هل فهمت؟ أنها تحتوي على معلومات ثمينة، ولكن أكثر من ذلك، والحقيقة أن تلك المعلومات تظهر في تقرير أصلي، كتب في براغ بعد اللقاء المذكور، لن أدع الوثيقة تخرج من يدي، أو على الأقل، قبل أن أتسلم المبلغ الذي وُعدت به. "

" إبعد الشك عنك تماماً. حسن إذن. أطلب كأساً آخر أو كأسين من البيرة، وأمهلني مدة ساعة كي أستنسخها. وقلت بلسانك :أن تلك المعلومات تحتوي على قيمة، ما هي القيمة، وإذا أردت أن أخدعك، فكل ما استطيع القيام به هو أن احتفظ بها في ذاكرتي، لأنني، وأطمئنك، أستطيع أن اتذكر ما أقرأ الى حد ما كلمة بكلمة. بيد أنني أرغب في أن تعرض الوثيقة على الهير شتيبر. لذلك، إسمح لي بإستنساخها، خاصة وأنك تحتفظ بالنسخة الأصلية معك وستبقى معك."

" لا اعتراض على ذلك. وطفقت أهين ذائقتي بعدد من تلك النقانق التيوتونيكية المثيرة للإشمئزاز فضلاً عن كمية كبيرة من تناول

الجعة، ومع هذا فأنا أقول إن الجعة الألمانية تكون احياناً بجودة الجعة الفرنسية. إنتظرت بينما راح غويدشي يستنسخها بإعتناء.

كان انصرافنا يشوبه البرود. إقترح غويدشي أن نقسم ثمن قائمة المطعم بيننا بالتناصف، فعلت ذلك، مع أنني شربت أكثر مما شرب. ووعدني بأخبارٍ خلال أسابيع قليلة وافترقنا، وتركني أغلي من الغضب طيلة فترة رحلة لا طائل منها قمت بها على نفقتي الخاصة دون أن أتسلم أي تالر من الدفعة التي اتفقت بها حالياً مع ديمتري.

فكرت، كم أنا غبي. فديمتري يعرف انّ شتيبر لن يدفع ولكن ضمنت نصف المبلغ. كان لاغرانج مصيباً حين قال: يجب أن لا أثق بالروس. وربما سألت كثيراً وكنت مقتنعاً بالنصف الذي سأتسلمه.

كنت مقتنعا إنني لن أتلقى جوابا من الألمان، وفي الحقيقة مضت أسابيع عدة دون أن اسمع أي اخبار. ولاغرانج، الذي إئتمنته مخاوفي، إبتسم بدلأل قائلاً " هذه مخاطر تجارتنا، أننا لا نتعامل مع قديسين."

كنت منزعجاً جداً من هذه العملية برمتها. كانت قصتي مع مقبرة براغ قد بُنيت بحيث تتيح لي الذهاب الى التربة السيبيرية. بإمكاني أن أبيعها لليسوعيين. لذلك، فأولى الإتهامات الحقيقية ضد اليهود وأولى اقتراحاتهم عن مؤامرتهم العالمية جاءت مِن باروبل، ويجب أن تجذب رسالة جدي إنتباه الشخصيات الأخر في المحفل.

والموضوع الوحيد الممكن للإتصال بالمحفل كان دالا بيكولا. ولاغرانج، هو الذي كلفني بالإتصال معه، الذي أبحث عنه الآن.

وأخبرني لاغرانج، أنه سيعلمه أنني أبحث عنه. بعد مضي بعض الوقت، جاء دالا بيكولا الى محلي. وأريته سلعي، كما يقال في المصطلح التجاري العالمي، وبدا أنه مهتم بذلك.

قال " بالطبع، سأفحص وثيقتك وأحيلها الى شخص في الجمعية. لأن اولئك الناس لن يشتروا شيئاً ما لم يروه. أرجو أن تثق بي لأيام غير كثيرة. إنها لن تخرج من يدي.

شعرت بالإطمئنان أنني يمكن أن أثق بكاهن.

عاد دالا بيكولا الى المحل بعد إسبوع. دعوته لزيارة محلي وعرضت عليه أن نحتسي قليلاً من الشراب، ولكن مزاجه يبدو كان بعيدا عن مشاعر الود.

قال " سيمونيني، من الواضح أنك تقودني الى حماقة، وتجعل آباء الجمعية اليسوعية يعتقدون أنني كنت مزوراً ومدمراً شبكة العلاقات الجيدة التي بنيتها عبر سنوات طويلة."

" يا مسيو آبي، ليس لدي فكرة عماذا تتحدث."

" توقف عن اللعب معي. أنت أعطيتني هذه الوثيقة، التي يجب أن تكون من المفترض سرية،" ثم رمى تقريري عن مقبرة براغ على الطاولة. " وكنت على وشك أن أسأل عن مبلغ المال المحترم مقابلها، حينما حدَّق اليسوعي، بوجهي كما لو أنني مخادع، أخبرني تماماً أن وثيقتي المعتمدة جداً قد ظهرت الآن مادة خيالية في الرواية التي تسمى بياريتز، التي كتبها جون ريتكلف. ومطابقة لها تماماً، كلمة بكلمة. " ثم رمى الكتاب على الطاولة. " إنك من الواضح تفهم اللغة

الألمانيـة، ويجـب أن تقـرأ الكتـاب حالمـا يـصدر. وسـتجد فيـه قـصة الإجتماع الليلي في مقبرة براغ، سيعجبك، ولن تستطيع مقاومة اغراء بيع الخيال للواقع. فمـن أيـن لـك هـذه الوقاحـة والجـرأة، كما يفعل المنتحلون، إذ ليس هنا من يرطن الألمانية على ضفة نهر الراين. "

" من فضلك اسمع، أنا افهم – "

" إنـك تفهـم القليـل. بإمكـاني أن اقـذف هـذه الورقـة في نفايـات مخـزن الفحـم وأقـول لـك إذهـب الى الـشيطان، بيـد أنـني عنيـد وانتقـامي، أنـني أحـذرك، وأنـا متأكـد أن اصـدقاءك في المخـابرات السرية يعرفون من أنـت وكـم يثقـون بمعلوماتـك. ولكـن، لمـاذا جئـت لأخبرك سلفاً؟ ليس بـدافع الوفـاء –لأن شخـصاً مثلـك لا يـستحق هـذا الوفـاء – ولكـن إذا قـررت المخـابرات أنـك تـستحق طعنـة في ظهـرك، عندها ستعرف مَنْ وراء تلك الطعنـة. لـيس هنـاك دافـع لقتـل انـسان مـا دون انتقام مالم يعرف أنك الشخص الذي أردت قتله، أليس كذلك؟"

كـان الأمـر واضـحاً تمامـاً. إن ذلـك الوغـد غويدشـي،(وأخبرنـي لاغـرانج أنـه طبـع حلقـات feuilletons، تحـت اسـم ريتكلـف) وأنـه لم يرسـل وثـيقتي الى شـتيبر. وأدرك أن القـصة متطابقـة مـع الروايـة الـتي كانت على وشك أن ينتهـي منهـا، واسـتأنف فيها هيجانـه ضد اليهـود، وبهـذا أخـذ الكتـاب الحقيقـي(أو في الأقـل لابـد وأن يفكـر بـذلك) وجعـل منـه قطعـة مـن الروايـة – روايتـه الخاصـة. حـذرني لاغـرانج أن ذلـك المنتحـل المعروف حالياً هـو مزيِّف الوثـائق، والحقيقـة هـي أن سذاجتي أسقطتني تماماً ضحية مزوِّر أثار غضبي.

لكن كان غضبي صاحبه خوف. حينما تحدث دالا بيكولا عن تعرضه للطعن من الخلف، ربما كان يتحدث بلغة إستعارية، بيد أن لاغرانج كان واضحاً تماماً. في المخابرات السرية، حين دخل شخص في الممر، لم يعر احد له انتباها. تخيله حسب مخبراً غير موثوق به يعرض للبيع علانية قمامة وهمية على أنها معلومات سرية و، ماهو أكثر، أظهر رجال المخابرات السرية أنهم حمقى بنظر الجمعية اليسوعية. ومنْ الذي أراده أن يكون هناك؟ طعنة سريعة بسكين وينتهي مصيره بالطفو في نهر السين.

هذا ما وعدني به آبي دالا بيكولا، ومن العبث إخباره الحقيقة – وليس ثمة من سبب يجب أن يصدقني. إنه لم يعرف أنني قد عرضت وثيقتي على غويدشي قبل أن ينتهي الوغد من كتابه؛ وكل ما يعرفه هو أنني أعطيته إياه(دالا بيكولا) بعد أن ظهر كتاب غويدشي.

ولا يبدو أن هناك مَخْرجاً.

وبصرف النظر عن توقف دالا بيكولا عن الحديث. غالباً ما تصرفت بطريقة لا غريزية. ودائماً ما يكون في مكتبي شمعداناً من الحديد المطاوع الثقيل. قبضته بيدي ودفعت دالا بيكولا نحو الجدار. نظرإليّ، كانت عيناه مفتوحتين على سعتيهما، وراح يدمدم " إنك لا تريد قتلي... "

أجبت " أنا آسف، اريد قتلك."

كنت حقاً متأسفاً، ولكن احياناً تتحول الفضيلة الى ضرورة. كانت الطعنة الأولى. سقط آبي، وتدفق الدم نهراً من خلال اسنانه المفروقة.

نظرت الى الجثة ولم اشعر بأدنى ذنب. إنه هو الذي جنى على نفسه كبراقش.

والآن كل ما استطيع القيام به هو التخلص من الجثة المزعجة.

حينما اشتريت الدكان والشقة في الطابق الأعلى، فقد أراني المالك لهما بابا أفقياً يؤدي الى القبو.

قال: " ستجد هناك مدرجات عدة ، لا تخاطر بالنزول في المدرج الأول لأن ثمة نتانة إن شممتها سيغمى عليك. لكن احياناً ترغم على النزول من ذلك المدرج. وبما أنك اجنبي لهذا لا تعرف القصة كلها. ففي إحدى المرات رمى سكان المبنى قذاراتهم كلها في الشوارع. وتم تمرير قانون يفرض عليك أن تنادي الى الأسفل " إحذر، الماء !" قبل أن تقذف بغائطك خارج النافذة. كان هذ إزعاجاً كبيراً جداً – لأنك أفرغت وعاء مبولتك، وسببت إزعاجاً كبيراً للآخرين الى أبعد حد في الأسفل، وبعد ذلك، تُفتح المزاريب التي تأسست بموازاة الشوارع، التي في نهاية المطاف، تم تغطيتها. ثم تأسست ايضاً مجاري الصرف الصحي، وقد أسس بارون هاوسمان أخيراً، شبكة صرف صحي جيدة في باريس، لكنها صُممت لتصريف مياه الأمطار حسب، و(حينما تكون الأنابيب تحت مرحاضك لا تحاصر الصرف) فإن الغائط في هذه الحالة ينصرف بطريقة ذاتية، الى حفرة تفرّغ ليلاً وتساق القذارات الأخرى الى حاويات النفايات. وثمة نقاش يجري الآن فيما إذا كان، في نهاية الأمر، يستخدم نظام أل tout- a- L'égout ، حيث تصرف المجاري ليس الماء حسب، بل أنواع النفايات الأخرى كلها .

لهذا السبب صدر مرسوم قبل عشر سنوات يلزم المالكين ربط مجاري بيوتاتهم بالمجاري العامة عن طريق نفق لا تقل سعة عرضه عن متر واحد، وهذا ما ستجده هناك في الأسفل، عدا ذلك(من الصعوبة بمكان أن أقول) إنه أضيق وأوطأ مما يتطلبه القانون. هذه القوانين وضعت للجادات الرئيسة وليس للممرات ذات النهايات المغلوقة التي ليس لها أية أهمية لأي إنسان. ليس هناك منْ يأتي ويفحص إن كنت فعلاً تحمل نفاياتك هناك كما ينبغي عليك. حينما لا تقاوم تنفيذ فكرة سحق تلك القذارات كلها، في هذه الحالة عليك أن ترمي قداراتك أسفل السلالم، ويمكنك أن تتأكد حينما تمطر فإن مياه الأمطار ستجرف معها تلك النفايات بعيداً من هنا. ومن ثم، فإن هذا الممر داخل المجاري له فوائده. ويتحول في نهاية الأمر، بعد كل عقد،أو حين تكون ثمة ثورة أو شغب في باريس، فهناك قبو مناسب للهروب، وهناك ومثل أي باريسي، فإنه بإمكانك أن تقرأ رواية المزعجون Les Miserables، التي صدرت مؤخراً، حيث يهرب بطلنا خلال أنفاق المجاري وهو يحمل صديقه الجريح على كتفيه، وهكذا، تفهم ما أعنيه.

بوصفي قارئاً نهماً لحلقات feuilletons، فإنني متآلف مع قصة هوغو. وبالتأكيد ليس لدي رغبة لتكرار التجربة، ليس على الأقل، لأنني لا أملك فكرة كيف أن هذه الشخصية استطاعت أن تتدبر أمرها وتغور بعيداً في هذه الأنفاق. ربما أن صرف الأنفاق في الأقسام الأخرى في باريس هي أعلى وأعرض، ولكن الصرف تحت شارع موبير غير النافد

لا بد وأن يكون عمره بضعة قرون. إنه الآن ليس من السهولة بمكان كي يحمل جثة دالا بيكولا في الطابق السفلي ومن ثم الى القبو – يا لسوء الحظ أن القزم الصغير أنحنى وكان نحيفاً تماماً الى الحد الذي يجعله خفيفاً وكي نصل نحو أسفل السلالم من الباب الأفقي، عليّ أن أدحرجه. ثم هبطت للأسفل، وبإنحناء، سحبته الى مسافة أمتار قليلة لأتأكد من أنه لم يكن متعفناً تماماً أسفل بيتي. وبيد واحدة سحبته ايضاً من كاحله وباليد الأخرى حملت مصباحاً – ولسوء الحظ لم تكن لدي يد ثالثة لأحكّ بها أنفي.

هذه أول مرة أتصرف بجثة انسان قتلته. أما مع نييفو ونينوزو فقد تم تسوية الأمر دون أن ينتابني أي قلق(رغم إن الأمر مع نينوزو كان أكثر اعتناء، على الأقل، كان ذلك أول مرة في صقلية). وأدركت أن اغلب مظاهر انزعاج القتل هو اخفاء الجثة ولهذا السبب أن الكهنة يخبرونا ألاّ نعمد للقتل، ما خلا القتل في المعركة بالطبع، حيث تترك الجثث فريسة للنسور.

سحبت ضحيتي آبي لمسافة عشرة امتار أو هكذا، ولم تكن تجربة تسرني أن أجر جثة كاهن خلال الغائط(ليس أنا حسب، ولكن أهل الخير قبلي يعرفون ذلك أكثر مني)، والأسوأ منه، أن تصف ذلك للضحية نفسها – يا إلهي، ماذا أكتب الآن؟ ولكن في نهاية المطاف، وبعد أن يساق الغائط الى أوعية المجاري، تمكنت من على مسافة رؤية بريق ضوء، يؤشر الى غطاء بالوعة في الشارع في مدخل الزقاق.

فقد خططت أصلا أن اسحب الجثة بقدر ما استطيع الى المجاري الرئيسة وأتركها الى رحمة فيض مياهها. لكن فكرت بعد ذلك، ربما أن هذه المياه تحمل الجثة الى مكان لا يعلمه إلا الله، ربما الى نهر السين، وربما يتعرف عليها شخص ما، هذا صحيح تماماً، لأنني الآن، وبينما أنا أكتب، إكتشفت مستودعات نفايات أسفل في كليشي وُجِد فيها في الآونة الأخيرة، خلال ستة أشهر، ٤٠٠٠ كلب، و ٥ عجول، و٢٠ نعجة، و٧ معزاة، و٧ خنازير، و٨٠ دجاجة، و٦٩ قطة، و٩٥٠ أرنب، وقرداً وأفعى العاصرة، لكن الأرقام لا تذكر شيئاً عن الكهنة، لكنني استطيع أن اجعل منهم أكثر سخرية، بترك ضحيتي الكاهن في المكان، وهي فرصة جيدة في ألاّ تتحرك.

بين الجدار والقناة الطبيعية – الذي هو اكبر عمراً من قناة بارون هاوسمان – ثمة زقاق ضيق، وهناك تركت الجثة. وحسبت أنها ستتحلل بسرعة وبوضوح في ذلك الخانق وفي تلك الرطوبة، ولم أترك أكثر من حفرة عظام غير معلومة. وايضاً، يجب أن أضع في حسباني طبيعة ذلك الزقاق، ويبدو من غير المحتمل أن يكون ذلك المكان جديراً بالصيانة، أو بإمكان أي أحد أن يجرؤ كثيراً، حتى وإن وجد بقايا بشرية هناك، فليس ثمة دليل عن مصدر قدومهم: فبإمكان أي أحد أن ينزل من خلال فتحة البالوعة في الشارع الذي أتوا منه.

عدت الى مكتبي وفتحت رواية غويدشي في مكان حيث ترك دالا بيكولا إشارة بين صفحاتها. كانت لغتي الألمانية شبه منسية بيد أنني أستطيع متابعة أحداث الرواية، لكن دون التفاصيل. ومن المؤكد أن

اجتماع حاخاماتي في مقبرة براغ، بإستثناء غوْيدشي(وبوضوح أنه شخص يملك خيالاً مسرحياً) قد وسَّع من وصفي للمقبرة في الليل وقدم لي صيرفياً، هو روزنبيرغ، الذي كان أول من وصل هناك، مصحوباً بكاهن بولندي يرتدي قلنسوة، له جدائل تنسرح حول صدغيه، لكي يهمس الى راع بمقطع يتكون من سبع كلمات كابالية.

والثاني الذي يجب أن يصل كان الشخص الذي هو أحد اتباعي من المخبرين الأصليين. قدمه لاسالي، الذي أقسم أن يدعه يراقب ذلك الإجتماع الذي ينعقد في كل مائة عام. كانوا متنكرين بلحى زائفة، وقبعات عريضة الحافات، واستمرت القصة نوعاً ما كما سردتها، متضمنة النهاية التي وضعتها إياها، ومع ظهور ضوء مائل للزرقة من الضريح وملامح الكهنة السائرين، الذين يبتلعهم ظلام الليل.

كان ذلك الحقير الذي استخدم تقريري الموجز يمارس مشاهد من الدراما العظيمة. كان مهيئاً ليفعل أي شيء مقابل عدد قليل من التالر. الى أين وصل بنا هذا العالم؟

تماماً هذا ما يريده اليهود أن يصل إليه هذا العالم.

حان الآن وقت النوم. وقد انحرفت عن عادتي المعتدلة في تذوق الطعام ولم أتناول شرب النبيذ بإستثناء الإسراف من كميات شراب الكالفادو(والإسراف جعل رأسي في دوران) – وشعرت أنني أكرر نفسي) ويبدو أني أنهض كما ينهض آبي دالا بيكولا فقط حينما يغرق في نوم عميق ليس فيه أحلام. ولكن أنىّ لي أن استيقظ مرة ثانية وأنا مازلت في أحذية رجل ميت، كنت سبباً وشاهداً على موته.

(١٥)

دالا بيكولا يُبعثُ حياً

فجرالسادس من نيسان/ ابريل ١٨٩٧، الكابتن سيمونيني، أنا لا اعرف إن كنتُ خلال نومك(غير المعتدل أوالمفرط) قد استيقظتُ واستطعتُ أن اقرأ يومياتك. مع تبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

بعد قراءتها ربما فكّرتُ، لسبب غامض، أنك كنتَ تكذب(إذ ليس من الصعوبة أن استنتج من خلال مسيرة حياتك، كما أشرتَ إليها صراحة، أنك احياناً تكذب). إذا كان هناك مَنْ يعرف بالتأكيد أنك لم تقم بقتلي، فإنني أنا الذي قَتلَتني. أريد أن أتحقق. فقد أزحتُ، لبوسي الكهنوتي، وبقيت عارياً كما خلقني الله، وهبطتُ إزاء القبو، وفتحت الباب المتحرك. في المدخل الذي يفضي الى ممر الرائحة الكريهة تلك التي وصفتها أنت بدقة، تراجعتُ للخلف بسبب تلك الرائحة التي أزكمت أنفي. تساءلت مع نفسي أن ما أريده هو أن اكتشف: إن كان ما يزال ثمة القليل من عظام تلك الجثة التي ذكرتَ أنك تركتها هناك قبل خمسة وعشرين عاماً. فهل عليَّ النزول الى تلك الرائحة النتنة لأتأكد إن كانت تلك العظام هي عظام جثة غيري؟ فإذا سمحت لي بذلك، فإنني سأكون مستعداً، وبذلك قبلتُ ما تقوله – إنك قتلت عمدا آبي دالا بيكولا.

إذن مَنْ أنا؟ أنا ليس آبي دالا بيكولا الذي قتلتَ(ومهما يكن الأمر أنه لا يشبهني تماماً) ولكن أنىّ لي أن يكون هناك إثنان مِن آبي دالا بيكولا؟

في الحقيقة، ربما أنا مجنون. لم أتجرأ على مغادرة الدار. مع ذلك، يجب أن اخرج لشراء الخبز، منذ أن حال لبوسي الكاهن دون زيارتي الحانات. ولم أتناول طعام الدجاج الشهي كما تفعل أنت – ورغم ذلك، كي أكون صادقاً، لم أكن أقل شراهة منك.

إستحوذت عليَّ رغبة ملحة لا تقاوم لقتل نفسي، ولكن اعرف أنها غواية الشيطان.

بعد ذلك، لماذا أقتل نفسي، إذا أنت فعلتها بدلاً مني؟ أنها مضيعة للوقت.

السابع من نيسان /ابريل،

عزيزي آبي، يكفي هذا.

لا أتذكر ماذا فعلت يوم أمس، وجدت ملاحظتك هذا الصباح. توقف عن تعذيبي. ألا تتذكر ايضاً؟ إفعل كما أفعل أنا– تأمل في سرَّتك (التأمل في السرَّة نوع من الصوفية أو العرفانية يمارسه بعض الرهبان في الهند وغيرها من الدول الآسيوية.. المترجم(ثم انطلق في الكتابة، ودع يدك تفكر عنك. لماذا أنا الذي يجب أن يتذكر كل شيء، وأنت لا تتذكر إلاّ أشياء قليلة أريدُ نسيانها؟

في هذه اللحظة، تداهمني ذكريات أخرى من كل جانب. إنني قتلت تماماً دالا بيكولا حينما تسلمت اشعاراً من لاغرانج. وهذه المرة يريد أن يلتقي إياي في دي فورستينبيرغ، في منتصف الليل، حينما يكون المكان شبحياً الى حدما. وأنا، كما يقول الناس الذين يخشون الله، أشعر بالذنب، عندما قتلت إنسانا، وأخشى،(بلا عقلانية) أن لاغرانج يعرف الآن. بيد أن من الواضح لديه شيئاً آخر يريد الحديث عنه.

قال " يا كابتن سيمونيني، نحتاجك لمراقبة شخصية غريبة، هو كاهن... كيف أعبِّر لك عن ذلك... إبليس. "

" أين سأجده بحق الجحيم؟ "

" أنا لا أسخر. إنه تماماً المدعو آبي بولان، الذي جاء قبل سنوات مضت ليتعرف على المدعوة آديل شيفاليه، وهي راهبة في دير سنت دوماس – دي – فيلينيوف في سوْيسون. وقد انتشرت إشاعات غريبة حولها. يقال إنها كانت تعالج العمى وافتعلت لنفسها نبوأت. وبدأ الدير يغص بالأتباع، مما أثار قلق رؤوسائها في الدير، ما اضطر الأسقف الى إبعادها عن مدينة سوْيسون، وفجأة إختارت راهبتنا المدعو بولان مرشداً روحياً لها، ولا شك أنهما أصبحا صنونين. وبهذا قررا أن يؤسسا جمعية لتحضير الأرواح – بعبارة أخرى، كرَّسا نفسيهما لربنا ليس من خلال الصلاة ولكن من خلال شتى أنواع التكفير الجسدي، ليحوِّلا أعمال الشر تلك التي يقترفها المذنبون الى أعمال خير."

" وبعد تأمل، قلت لا ضير في ذلك."

" وبإستثناء ذلك شرعا بالوعظ، كي تحرر نفسك من إثم عليك أن تقترفه، ذلك أن البشرية كانت قد حطّت من قيمتها حين زنا آدم مع ليليث، وحواء مع صاموئيل(لا تسألني مّنْ هؤلاء الناس – ففي كنيستي علموني عن آدم وحواء فقط) وما عليك إلا أن تتعلم أشياء محددة لم تكن حتى الآن واضحة تماماً. بيد أن آبي، والسيدة الشابة وكثيراً من أتباعهما كانوا ورطوا أنفسهم بشكل واضح مع حشد، كان، إذا جاز لنا القول، غير محتشم، يسيء بعضهم بعضاً. وأشيع أن آبي الطيب تخلص بتكتم من عواقب علاقته غير الشرعية مع آديلي. ربما تقول، إن الأشياء كلها، هي موضع إهتمام مدير الشرطة أكثر من اهتمامنا. ما عدا مرور فترة من الوقت إنضم فيها عدد من النساء المحترمات الى ذلك الحشد. زوجات موظفين كبار، بينهم وزير في الحكومة، واستغل باولان هذا الموقف ليكسب عن طريق التملق مبلغاً من المال من أولاء السيدات التقيات. وهنا،، تحوّل هذا العمل الى شؤون دولة. ينبغي علينا أن نستحوذ عليه. واعتقل كلاهما وحكم عليهما بالسجن لمدة ثلاث سنوات للإحتيال والتصرف غير اللائق، وأطلق سراحهما في ٦٤' بعد ذلك فُقد أي أثر لآبي ويُعتقد أنه قلب صفحة جديدة في حياته. بيد أنه سرعان ما ظهر في باريس، وحصل في نهاية الأمر، على براءة من محاكم التفتيش بعد العديد من أعمال الندم، لكنه عاد الى ممارسة معتقداته التي تعلن أن الناس يمكن أن يصلحوا ذنوب الآخرين من خلال تهذيبهم ذاتياً، فإذا شرع كل واحد منهم بالتفكير بهذه الطريقة فإن تلك الأعمال جميعها، لا تعد دينية

بقدر ما هي سياسية. هل تفهم؟ وبدأت الكنيسة تقلق كثيراً، وحرَّم رئيس أساقفة باريس فعلياً على بولان ممارسة الواجبات الكنيسية. في هذا التزامن من الوقت تقريباً، أريد أن أقول، إنّ استجابة بولان دفعت به للإتصال برجل كهنوتي لديه ميول هرطقية، يدعى فنتراس. وهنا في هذا الملف ستجد كل ما تريد أن تعرفه عنه، أو بمعنى آخر، كل ما نريد أن نعرفه نحن. راقبه واكتشف ما هو هذا الرجل."

" وبما أنني لست سيدة تقيّة تبحث عن معترف للإفادة منها، فأنىّ لي الوصول إليه؟

" لا تفكر. تلبّس لبوس الكاهن، أعتقد أنك تستطيع أن تتجاوز ذاتك بوصفك أحد جنرالات غاريبالدي، او اي شيء من هذا النوع،."

وهذا ما خطر ببالي الآن تماماً. ولكن يا عزيزي آبي، اترك الأمر لي."

(١٦)

بولان

الثامن من نيسان /ابريل،يا كابتن سيمونيني، بعد أن قرأت ملاحظتك الساخطة، الليلة الفائتة، عزمت أن اتبع مثالك واستقريت على الكتابة آلياً تقريباً(بغض النظر عن عدم التركيزعلى سرّتي)، داعياً يدي أن تسجل ما قد ينساه عقلي. ولم يكن الدكتور فرويد، دكتورك في هذا مجنوناً.

بولان... أستطيع أن أراني أسير معه أمام كنيسة على حافة باريس، أوهل كنت أسير في طريق سيفر Sévres الشيطان؟ وأتذكره يقول لي: " إقتراف الذنوب ضد ربنا تعني تحمل مسؤولية تلك الذنوب. ويمكن أن يكون الذنب عبئاً غامضاً، وأثقله هو الأفضل، وهكذا بإمكاننا أن نخفف ذلك الجورالذي أوقعه الشيطان على الإنسانية وأن نحررعبء ذنوب اخواننا الضعفاء الذين لم يكن بمقدورهم أن يطردوا القوى الشريرة التي استعبدتهم. هل سبق لك وأن رأيت الذبابة الطائرة papier tuemouches، التي أُبتدعت حالياً في ألمانيا؟ شيء يستخدمه الحلوانيون. إنهم يُغطّون قطعة شريط دبس السكر ويعلقونه على النافذة فوق كعكهم. سينجذب الذباب للدبس ويُصطادُ بمادة صلبة على الشريط ويموت خنقاً، أو يغرق بسحب الشريط مع الحشرات ويرمى في المزاريب. حسن، أن هذا المثل ينطبق على المصلح

المخلص الذي يجب أن يكون مثل مصيدة الذباب هذه: ويجب ايضاً أن يجذب كل خزي إليه ليتحول بعد ذلك الى بوتقة طاهرة.

شاهدته في كنيسة، حينما كان أمام مذبحها، كان لا بد وأن "يُطهِّر " تلك المتعصبة للدين من ذنوبها، المرأة، المُتلبِّسة، التي تتلوى على الأرض، وتتلفظ أقذع السباب وتردد أسماء الشياطين: أبيغور، ابراكاس، ادراميليش، هابوريم، ميلكوم، زيبوس.

يرتدي بولان ثيابَ أرجوانية فوقها مِدْرعة كهنوتية حمراء اللون. يقف فوقها ويطفق بتلفظ كلام ما يبدو تعويذة لطرد الأرواح الشريرة، لكنه(إن كان صحيحا ما سمعته) يقول العكس " Crux sacra non sit mihi lux, sed draco sit mihi dux,veni Satanas , veni!" إنحنى فوق المذنبة وبصق في فيها ثلاث مرات، ثم رفع ثيابه الأرجوانية للأعلى، وبال في كاس الغفران، وقدمه للمرأة المسكينة. ثم تناول كمية معقولة من مادة البراز الأصلية(بيديه الإثنتين) وكشف عن صدر المرأة التي تتلبسها الأرواح، ومسح به صدرها. راحت المرأة تتقلب على الأرض، وأخذت تلهث وتصدر الآهات، ثم بدأت تهدأ تدريجياً الى أن سقطت في نوم كما لو أنها نوِّمت مغناطيسياً.

دخل بولان الى غرفة الموهِف غرفة المقدسات غسل يديه على نحو خاطف. ثم خرج معي الى مقدمة الساحة، كان يتنهد كما لو أنه أنجز مهمة صعبة. قال تم الانتهاء من الأمر" ", Consummatum east "

تذكرت أخباره أنني انتحلت إسم شخص ما رغب في أن يبقى اسمه مجهولاً لأنه أراد أن يمارس طقوساً تُكّرس لخبز القربان حيث تطلب الأمر.

إبتسم بولان بازدراء. " القداس الأسود؟" ولكن إذا أسهم كاهن، فإنه يكرِّس لخبز القربان هنا وهناك، وسيكون كل شيء شرعياً حتى إذا كان راهبا مخلوعاً.

وشرحت " لا أعتقد أن الشخص الذي أشيرُ اليه يبحث عن كاهن يتولى مهام القداس الأسود. إنك ربما تعرف أنه ممارسة في بعض المحافل لإقحام خبز القربان للوصول الى القسم. "

" هذا صحيح، أنني سمعت أن هناك تاجر خِرقٍ عتيقة في مكان ما قرب ساحة موبير يبيع ايضاً خبز القربان المقدس. تستطيع أن تجربه."

هل كانت تلك المناسبة أن يلتقي كلانا فيها أول مرة؟

(١٧)
أيام الكومونة

التاسـع مـن نيـسان/أبريـل ١٨٩٧،قتلـتُ دالا بيكـولا في أيلـول/ سبتمبر ١٨٦٩. وفي تـشرين أول /أكتـوبر تـسلمت اشعاراً مـن لاغـرانج، يدعوني فيه، في هذا الوقت، الى لقاء في رصيف a quai نهرالسين

أي خِدع يمكن أن يلعبها العقل. ربما إنـني انـسى حقـائق الوقـائع الحيوية، بيد أنني أتذكر الإثارة التي أحسست بها ذلك المـساء حينمـا، كنت في طريقي، الى بونـت رويـال، وأنـا مـستمتع برؤيـة سـطوع ضـوء ليلة مفـاجيء. كنـت امـام موقـع مكاتـب جريـدة Journal Officiel de L'Empire Francais الـتي كانـت مـضاءة بالكهربـاء في الليـل للإسـراع في إنجاز العمل. وفي وسط غابة من الحزم والسقالات الخشبية، وأشـعة قوية تسلط ضوؤها على مجموعة من المباني.

ضوء الكهرباء... خلل تلك السنين، كان البعض من الغبـاء الى حـد لا يمكنـه تـصور المـستقبل. بُنيـت القنـاة في مـصرلتربط البحـر الأبـيض المتوسط بالبحر الأحمر. لهذا ليس هناك حاجة أن تـسافر حـول أفريقيـا للوصول الى آسيا(لذلك أُلحق الضرر بكثير من شركات النقل البحريـة النزيهة) كما أُفتتح معرض كبير، وانطلاقـاً مـن هندسـته المعماريـة، كـان مـن الواضـح أن مـا قـد قـام بـه هاوسمـان كـان البدايـة لتـدمير بـاريس؛ وأكمل الأميركان خط سكك الحديد الذي يعبر قارتهم من الشرق الى

الغرب، ومنذ أن تحرر العبيد السود من العبودية وحصولهم على حريتهم، كان بإمكانهم الآن أن يغزوا كل الأمة، واغرقوها بنصف الدماء، ويُعدّون هؤلاء أسوأ من اليهود. ظهرت الزوارق في الحرب الأميركية بين الشمال والجنوب، حيث لم يعد البحارة يموتون غرقاً ولكنهم يموتون خنقاً، وجرى استبدال سيجار آبائنا الجميل بخرطوشة تافهة تلك التي تحترق بدقيقة، مدمرة بذلك متعة المدخن؛ كما راح جنودنا يتناولون اللحوم الفاسدة المحفوظة بصفائح معدنية. ويقال إن الأميركان إخترعوا قمرة مغلقة بإحكام تنقل الناس الى الطوابق العليا من البنايات بواسطة استخدام المكابس المائية – وذات مرة انكسرت بعض هذه المكابس في أحد المساءات وقد التصق الناس داخل صندوق إحدى القمرات لمدة ليلتين دون هواء، ناهيك عن الماء أو الطعام، وفي أحد الأيام ايضاً وجدوا عدداً من الناس امواتاً.

ورغم ذلك، أحب الناس وعد الحياة الميّسرة، إذ بآلة واحدة تُمكِنهم من التحدث بعضهم بعضاً عبر المسافات؛ وبأخرى بالكتابة عليها دون الحاجة للقلم. فهل أبقت لنا الوثائق الأصلية ما يمكن تزويره؟

ويحدق الناس بإندهاش خلل نوافذ باعة العطور الذين يحتفون بكميات التنشيط المعجزة المعمول بنسغ الخس البري للجلد، ومجدد الشعر الذي يحتوي على مادة الكينين، وكريم بومبادو الممزوج بعصير الموز، وحليب الكاكاو، وطحين الرز المخلوط ببنفسج البارما، وكل هذه الإبتكارات صنعت من أجل النساء الجذابات الفاسقات، ولكن

الآن توفرت حتى للخيّاطات اللائي اقتصرت عليهن تلك المهنة، الى أن ظهرت شركات الخياطة لإنتاج آلات الخياطة لتغزو عملهن.

والإختراع المهم في أزماننا الحاضرة كان بدعة الخزف التي تسمح لنا بالتغوط جلوساً. وأنا أحد الذين لا يؤمنون بذلك، رغم إنني أدركت أن ذلك الشيء المثير والواضح قد يؤشر نهاية الإمبراطورية. وفي المعرض العالمي، لألفريد كروب، قد عُرض مدفع زنته خمسين طناً، وهذا النوع من المدافع لم يسبق لي أن رأيته، شحنته الإنفجارية مئات الباونات لكل شظية، وكان الإمبراطور مفتوناً به مما حدى به الأمر الى مكافأة كروب بجائزة الشرف Legion d'honneur ، ولكن حينما أرسل كروب قائمة الأسلحة كان متهيئاً لإرسالها الى دولة أوربية، والى القائد الفرنسي الأعلى، والذين لديهم اسماء تجار السلاح المفضلين، أقنعوا الإمبراطور أن يرفض العرض، ومن الجانب الآخر، إشترت بروسيا السلاح دون تردد.

لم يكن بإمكان نابليون أن يقدم سبباً واضحاً كما اعتاد: لأن حصيّات كليته منعته عن الأكل والنوم، ناهيك عن ركوب حصانه؛ وقبل نصيحة المحافظين كما زوجته. الذين كانوا مقتنعين أن الجيش الفرنسي كان أفضل جيش في العالم، في حين(كما تحوّل أخيراً) لا يُعد أكثر من مئة ألف جندي مقابل أربعمائة ألف جندي بروسي، وأرسل شتيبر بالفعل تقارير الى برلين حول chassepots؛ التي إعتقد الفرنسيون أنها الكلمة الأخيرة هي للبنادق، بيد أنها تحولت الآن عملياً الى قطع توضع في المتاحف. وأكثر من ذلك، كان شتيبر

مـسروراً لإخفـاق الفرنـسيين في تحـشيد جهـاز مخـابرات يعـادل جهـاز مخابراتهم.

لكن دعنا ندخل في الموضوع. إنـني التقيت لاغرانج في المكـان المتفق عليه.

" يـا كـابتن سـيمونيني، مـاذا تعـرف عـن آبـي دالا بيكـولا؟ " قـال متجاهلاً كل الشكليات.

" لا شيء، لماذا؟"

" إنه اختفى، تماماً حينما كان يـؤدي لنـا عمـلاً بـسيطاً، أعتقـد أنـك آخـر شـخص قـد رآه: إذ سـبق لـك وأن سـألتني إن كنـت تـستطيع أن تتحدث معه، وأنا بعثته، وبعد ذلك،؟"

" وبعد ذلك سلمته التقرير الـذي اعطيتـه للـروس، لهـذا يـستطيع أن يعرضه على بعض السلطات الإكليركية."

" يا سيمونيني، تسلمت إشعاراً من آبي قبل شهر، يقول فيه الى حد ما، يجب ،أن أراك بأسرع ما يمكن. لدي شيء هام أريد أن أخـبرك بـه عن سيمونيني ' ومـن نغمـة رسـالته، مهمـا يريـد أن يقـول فيهـا عنـك لم يكن بإمكانه إغراءك. إذن، ماذا يجري بينك وبين آبي؟"

" لا أعرف مـا الـذي يريـد أن يخـبرك إيّـاه، ربمـا اعتقـد أنـه مـن غـير الصحيح ما يوافقني أن اعرض عليه الوثيقة تلك(أنه فكر) التي زورتهـا من اجلك. من الواضح، أنه لم يعرف بترتيباتنا. لم يقـل لـي أي شـيء. ولم أعد أراه، وفي الحقيقة أنني أتساءل ماذا حل باقتراحي؟"

استقرت نظرات لاغرانج في وجهي للحظة، ومن ثم قال، " سنتحدث بالتفاصيل حول هذا الموضوع." وغادر.

ثمة الكثير من الحديث حول هذا الموضوع. فلاغرانج سيتابع كل نأمة أقوم بها، وإذا كان لديه شكاً واضحاً، فإن الطعنة في الظهر هي في طريقها إليّ، حتى وإن أغلقت فم آبي.

إنني بحاجة الى الحذر، ذهبت الى صانع أسلحة في ريو دي لابي لأسأله إن كان لديه سيف مصنوعا من الخيزران. كان لديه واحد، بيد أن صناعته كانت رديئة. بعد ذلك تذكرت وأنا ذاهب بموازاة نافذة بائع الخيزران في مروري المفضل من شارع جيفري، وهناك، وجدت نموذجاً رائعاً مقبضه مصنوعاً من عاج على شكل أفعى ورمح من خشب الأبنوس - أنيقاً بقدر ما هو قوي. والمقبض غير قابل للإنحناء إذا كانت إحدى ساقيك ليست على ما يرام لأنه الى حدما منحن،إنه عمودي أكثر منه أفقياً؛ لكنه يؤدي عمله بصورة صحيحة إن كان هذا الخيزران يستخدم لصناعة السيوف.

إن هذا السيف سلاح جميل حتى وإن واجهتَ به رجلاً يحمل مسدساً: تظاهر بالخوف، تراجع للخلف وحدد هدف السيف، ويُفضَّل أن يكون بيدك المرتجفة. في هذه الحالة سيبدأ منافسك بالضحك وسيسحب مسدسه عليك، وفي هذه الأثناء تكون لديك فرصة لإشهار سيفك الذي يؤشر بإتجاهه بحدّه المميت، هنا سينذهل، ويتساءل مع نفسه ماذا يحمل بيده، وبسرعة البرق وببراعة تظهر بوجهه نصل السيف وسرعان ما يستسلم لك دون بذل جهد رغماً عنه، ثم تشرع بطرحه

أرضاً وتأخذ بتمزيق منخريه، إذا لم ترغب بقلع عينه، وسيشخب دمه من جبهته حتى تنعدم رؤيته، أنها مفاجأة كبيرة، وفي تلك اللحظة يكون منافسك قد انتهى.

وإذا كنت تستهين بخصمك إسحب رمحك وارحل. واتركه مشوها طيلة بقية حياته. لكن إذا كان أكثر خطورة، فإنك من الطعنة الأولى عليك أن تتبع حركة ذراعك ووجه له طعنة أفقية واحدث جرحاً بليغاً في بلعومه – وبتلك الطريقة فإنه لن يقلق كثيراً على نُدبِه.

وبغض النظرعن مظهرالإحترام والعمل الجلل الذي قمت به وأنت تسير وتحمل هذا النوع من السيوف – أنك بذلت جهداً باهضاً ولكنك تستحقه، وفي بعض الحالات يكون الجهد لا يقدر بثمن.

في عودتي للمنزل في أحد المساءات، قابلت لاغرانج أمام المحل. حركت سيفي حركة خفيفة، بيد أنني أدركت أن المخابرات السرية من الصعوبة بمكان أن تعطي شخصاً مثله مهمة التخلص من شخص ما من أمثالي. وهكذا هيأت نفسي لما يقوله. قال " سيف رائع"

" ماذا؟"

" السيف الخيزران. ذو الرمانة من ذلك النوع الذي لا يمكن أن يكون غير شيء آخر، هل أنك قلق من شخص ما؟"

" إخبرني، يا مسيو لاغرانج."

" أعرف، أنك قلق علينا، أنك تعرف أنك بتّ مشكوكاً فيه. وعلى أي حال، إسمح لي أن أوجز، قبل مدة طويلة كانت تجري حرب بين فرنسا وبروسيا، وملأ صديقنا شتيبر باريس بعملائه."

" هل تعرفهم؟ "

" ليس كلهم، ولا ذلك المكان الذي أتيتَ منه. عرض شتيبر تقريرك عن اليهود، وأعدّك شخصاً، إذا جاز لي التعبير، يمكن شراؤه... حسناً إذن، فقد وصل أحد رجاله الى باريس - ذلك التابع غوْيدشي، الذي كما اعتقد أنك التقيت به حالياً. ونعتقد أنه يبحث عنك. وستكون جاسوساً في بروسيا. "

" ضد بلدي؟"

" لا تكن منافقاً. إنه ليس بلدك. وإذا كان الأمر يقلقك، بإمكانك أن تفعل ذلك من أجل فرنسا. وستقوم بتحويل معلومات زائفة منقولة عنا الى بروسيا."

" ألا يبدو هذا عملاً شاقاً."

" على العكس من ذلك، أنه خطير جداً. فإذا أُكتشفتَ في باريس، فإننا سنتظاهر بأننا لا نعرفك، وهذا يعني أن مصيرك الإعدام رميا بالرصاص، وإذا اكتشف البروسيون أنك عميلاً مزدوجاً فإنهم سيقتلونك، رغم إن ذلك يعني أقل عقوبة قانونية، وفي كل هذه العملية فإنك، دعني أقول، ستكون أمامك فرصة خمسين بالمائة لتنجو بجلدك. "

" وإذا لم أقبل؟"

" أمامك فرصة واحد بالمائة."

" ولماذا لا تقول صفراً."

" لأن سيفك الخيزران... ولكن لا تعول عليه كثيراً جداً."

" عرفت أن لدي أصدقاء مخلصون في المخابرات. شكرا على جميع اعتباراتك إياي. جيد جداً، أنا اقبل، وهكذا سأعمل بكل حرية وبإخلاص وطني."

" إنك بطل، ياكابتن سيمونيني. من فضلك انتظر المزيد من الأوامر."

وبعد اسبوع، ظهرغوْيدشي في محلي، يبدو أنه يتنزّى عرقاً أكثر من المعتاد، أنه من الصعوبة مقاومة اغراء كبته.

قلت " كما تعرف إنني أقدرك كسارق أعمال أدبية وكمزوِّر."

قال الألماني بإبتسامة متملقة " ليس أكثر منك. هل تتخيل أنني لن أكتشف في نهاية الأمر أن قصتك عن مقبرة براغ تعتمد على كتاب ألفه جولي، الذي انتهي به الأمر الى السجن؟ واكتشفت هذا الأمر بنفسي، دون مساعدة منك. إنك فقط جعلت من المهمة أمراً يسيراً."

" هل تعرف أيها السيد غوْيدشي، أنك ومنذ أن كنت أجنبياً على التراب الفرنسي، أن كل ما قمتَ به هو أن اعرِّفك على بعض المعارف وأن حياتك لا تستحق أكثر من بنس واحد؟"

" وهل تعتقد أن حياتك لا تستحق أكثر من هذا، إذا اعتقلت ذات يوم، فإنني سأذكر اسمك ايضاً،؟ لذا يجب أن نعلن السلام بيننا. إنني أحاول أن أبيع هذا الفصل من كتابي كي اضمن المشترين في حقيقة الأمر. وسيكون المردود مناصفة بيننا. ودعنا نشرع بالعمل معاً من الآن فصاعداً."

وبعد أيام قليلة من اشتعال الحرب، قادني غويدشي الى سطح منزل الى جانب كاتدرائية نوتردام حيث ثمة رجل يحتفظ بعدد من أبراج الحمام.

" هذا مكان جيد لإطلاق الحمام، لأن هناك المئات منه حول الكاتدرائية ولا أحد يلاحظ ذلك. وفي كل وقت تحصل فيه على معلومات مفيدة، أكتب رسالة وسيرسل الرجل العجوز إحدى هذه الحمامات، وبالمقابل، عليك أن تمر من هنا كل صباح لتجد إن كان ثمة معلومات تخصك."

" أي نوع من المعلومات تريدها؟"

" لا نعرف حتى الآن ما هو المفيد لنا في باريس. لكن في هذه اللحظة علينا أن نراقب المناطق في الجبهة. لكن إن ربحنا،عاجلاً أو آجلاً، ستكون لنا مصلحة في باريس. وبعد ذلك، نريد أخباراً عن تحركات القوات، عن حضور أوغياب العائلة الإمبراطورية، وعن معنويات المواطنين - بعبارة أخرى، عن كل شيء ولا شيء. والأمر يعود لك في عرض المبادرة، ربما نحتاج الى خرائط طوبوغرافية، ولا شك أنك تريد أن تعرف كيف نتدبر الأمر لوضع مثل هذه الخرائط حول رقبة الحمامة، تعال معي الى الطابق السفلي. "

وفي الطابق السفلي ثمة رجل في غرفة تصوير مظلمة. وغرفة أخرى جدارها مدهون بدهان أبيض وكانت إحدى آلات التصوير في تلك الغرفة يُطلق عليها الفوانيس السحرية، التي تضيء الصور على الجدران أو على قطع قماش قطنية كبيرة.

" هذا الشخص سيأخذ رسائلك، مهما كانت طويلة، ومهما كان عدد صفحاتها. سيصورها ويعيد إنتاجها على قطعة لاصقة، وسترسل بوساطة الحمام. حينما تصلك الرسالة ستُكبَّر بوساطة الضوء على الجدار. وهذا ينطبق في حال تسلمك رسائل طويلة. بيد أن ليس ثمة أمن هنا في بروسيا – أنني سأغادر باريس هذه الليلة. سنبقى على اتصال بتبادل الرسائل على أجنحة الحمام مثل عشيقين.

اشعرتني الفكرة بالقرف، لكنني ارتبطت معه، اللعنة عليه، والسبب يعود لأنني قتلت كاهناً، على أي حال، وماذا عن اولئك الجنرالات الذين يقتلون آلاف الرجال؟ "

وهكذا وجدنا نفسينا في حرب. ومرر لاغرانج لي حزمة أخبار غريبة من تلك الأخبار التي تُرسل بين الحين والآخر الى العدو، ولكن كما قال غوْيدشي، إن البروسيين لم يستفيدوا في باريس بصورة خاصة وكانوا أكثر قلقاً حول اكتشاف عدد الجنود الفرنسيين في الزاس، وفي سانت – بريفيت، وفي بيمونت، وفي سيدان.

وفي الأيام التي سبقت الحصار، كان البروسيون مازالوا يعيشون حالة الإبتهاج. في أيلول / سبتمبر تقررغلق قاعات الترفيه جميعها، تضامنا مع محنة الجنود في المعركة فضلاً عن إرسال رجال الإطفاء الى الجبهة، ولكن لم يمض أكثر من شهر حتى سُمح ل Comedie-Francaise بالإستمرار بأداء الفعاليات لعوائل الجنود الذين قتلوا في الحرب وإن على نطاق محدود دون تدفئة وعلى ضوء الشموع بدلاً

من الإضاءة الغازية. وبعد ذلك،إستؤنفت مختلف النتاجات في امبغيو، وبورت سان – مارتن وشاتيليه وأثينيه.

بيد أن شهر ايلول / سبتمبر ألمح الى بدايات الأزمنة الصعبة مع التراجيديا في سيدان، وحالما أُقتيد نابليون الثالث الى السجن من قبل العدو ، سقطت الإمبراطورية كما سقطت فرنسا في الغالب(في الغالب على ذلك المسرح) الى حالة من الثورة، وأعلنت الجمهورية ولكن على نفس مستويات الجمهوريات بقدر ما افهم، اذ هناك قوتان متصارعتان: إحداهما أرادت أن تستغل الإندحار فرصة سانحة للخروج على الثورة، بينما كانت الأخرى مستعدة لتوقع معاهدة سلام مع بروسيا كي لا تستسلم لتلك الإصلاحات التي يقال،إنها تؤدي الى الثورة الشيوعية.

وفي منتصف ايلول/سبتمبر وصل البروسيون الى بوابات باريس، واحتلوا الحصون التي يجب أن تحمي المدينة، من قصف الأعداء. وعاشت باريس خمسة أشهر في حصار رهيب، وكادت المجاعة أن تصل الى العدو الرئيس.

وكان فهمي قليلاً اواقل اهتماماً بمكائد السياسة والمسيرات الجماهيرية في مختلف عموم المدينة، وشعرت أنَّ في مثل هذا الوقت من الأفضل لي أن أتوارى عن المشهد كثيراً. بيد أن موضوع الطعام قد اقلقني، وبقيت وأصحاب المحلات في المنطقة على اطلاع على مايمكن أن نتوقعه. حينما كنت أتنزه في المتنزهات العامة مثل متنزه غاردن دو لوكسمبورغ، بدت لي لأول وهلة كما لو أن المدينة

اجتاحتها الماشية، مثل الأغنام، والأبقار التي ترعى داخل جدران المدينة. لكن في شهر تشرين أول /اكتوبر، يقال، إنه لم يتبق أكثر من خمسة وعشرين ألف ثوراً، ومائة ألف كبش، وهذا العدد ليس كافٍ لإطعام المدن.

وبدأت ربات البيوت تدريجياً بترشيد قلي الأسماك الذهبية، وراحت الأمراض تنهش الخيول التي هي خارج حماية الجيش كل يوم، واصبح بوشل البطاطا يكلف ثلاثين فرنكاً، أما البقال بويسير فكان يبيع صندوق العدس بخمسة وعشرين فرنكاً. كما أن الأرانب توارت عن الأنظار، لم يتردد القصابون من عرض القطط الجميلة المنفوخة، ومن بعدها الكلاب. كانت جميع الحيوانات المجلوبة الى متنزه غاردن دي بلانتس تُقتل لأجل الطعام، وفي ليلة عيد رأس السنة، تعلقاً بالذين لديهم سيولة نقدية في الإنفاق، فكان مطعم فوزين يعرض وجبات طعام باذخة لهم، تحتوي على طعام الفيلة ولحم الجِمال المشوي ال a l'anglaise، ناهيك عن الكنغر المطهي، وشرائح لحم وصلصة فلفل، وطبق لحم الظباء مع الكمأ والمقبِّلات، ولم تختفِ العصافير من على سطوح المنازل حسب، فإن الجرذان والفئران هي الأخرى إختفت من المجاري الصحية.

لحم الجمل كان مقبولاً، ولم يكن طعمه رديئاً، بيد أن الفئران، بعكس ذلك. حتى في أزمنة الحصار كان ثمة مهربون وتجار الأسواق السوداء، وأنا أتذكر إحدى الوجبات(الغالية جداً) تناولْتها ليس في المطاعم الفخمة ولكن في مطعم متواضع gargote، في الغالب يقع

على حافة المدينة، مع قليل من الضيوف الأثرياء(لا ينتمي جميعهم الى المجتمع الباريسي، ولكن في هذا الوقت كانت الفوارق الطبقية قد نُسيت) واستطيع أن اتذوق لحم طير الدرّاج واللحم الطازج.

في كانون الثاني / يناير وقُعت هدنة مع الألمان. سمحت لهم رمزياً بإحتلال العاصمة في شهر اذار/ مارس، وعليّ أن أقول، إن هذه الهدنة كانت مُذلّة حتى بالنسبة لي وأنا أراقب الجنود وهم يتقاطرون بموازاة ميديا الأليزية Champs- Elysées، وهم يرتدون خوذهم العالية. ويتخذون لهم مواقع شرق شمال المدينة، تاركين للحكومة السيطرة على الجانب الشرقي الجنوبي منها - بعبارة أخرى، حصون العاج، ومونتروجيه، وفانفيز، وإيزا وحصون أخرى ، بما فيها المعقل المحصّن جداً مونت فاليرين Monte-Valérien، الذي يمكن من خلال الجزء الغربي من العاصمة القصف بسهولة(كما أظهر البروسيون.)

غادر البروسيون باريس بعد ذلك، وتشكلت الحكومة الفرنسية التي كانت تحت قيادة تيرز Thiers. بيد أن الحرس الوطني واجه صعوبة الآن للسيطرة على الموقف، لكنه سيطر بالفعل على مدافع تم ابتياعها عن طريق الإكتتاب العام وقد أخفاها في مونمارتر، وارسل تيرز الجنرال ليكومتيه لإستردادها. ففي البداية أمر ليكومتيه رجاله بإطلاق النار على الحرس الوطني وبعد ذلك على الحشد، بيد أن جنوده إنضموا الى المتمردين، ثم احتجزه رجاله والقي به في السجن. في هذه الغضون، شخّص رجل ما، في مكان ما، جنرالاً آخر، هو الجنرال

توماس، الذي لم يتذكره أحد جيداً منذ سنة القمع ١٨٤٨. وكان في زي مدني، ربما بسبب التوجه الى العمل، بيد أن الجميع راح يعلن أنه كان يتجسس على المتمردين. واُقتيد الى حيث كان ليكومتيه ينتظره واطلقت النار على كليهما.

وانسحب تيرز وبقية الحكومة الى فرساي، وفي متمم آذار /مارس اُعلنت كومونة باريس. والآن، كانت الحكومة الفرنسية(في فيرساي) هي المحاصرة وتقصف باريس من حصون مونت فاليرين، بينما دعا البروسيون الجميع الى التقدم. وكانوا الى حدما متساهلين مع الناس للسماح لهم لعبور خطوطهم، وهكذا، كانت باريس تحصل على المزيد من الطعام خلال الحصار الثاني أكثر مما حصلت عليه في الحصار الأول: ورغم المجاعة التي سببها لهم مواطنوهم، فإنهم كانوا يُزودون بالطعام بشكل مباشر من قبل اعدائهم. وقارن أحد الأشخاص الأمان مع حكومة تيرز، قائلا أن آكلي الكرنب كانوا مسيحيين طيبين قبل كل شيء.

بينما كانت الأخبار تصل عن انسحاب الحكومة الفرنسية الى فيرساي، تلقيت اشعاراً من غوْيدشي يخبرني أن البروسيين ليسوا مرتاحين مما يجري في باريس لذا أطلقنا الحمام عالياً وستفكك غرفة التصوير. بيد أنه في اليوم ذاته زارني لاغرانج الذي يبدو أنه يخمن ماذا يكتب غوْيدشي.

قال، " عزيزي سيمونيني، يجب أن تعمل لصالحنا مثلما كنت تعمل لصالح البروسيين، ونبقى على اتصال دائم. فأنا لدي فقط ذينك

التعيسين حينما كنت تعمل مع المعتقلين. فقد عاد الحمام من حيث كان يتدرب على المكان الذي يرسل إليه، بيد أن بإمكاننا استعمال مواد غرفة التصوير. ولدينا خط اتصالنا الساخن للمعلومات العسكرية بين حصن إسي وغرفة في أحد السطوح في منطقة نوتردام. وستقوم بإرسال معلوماتك لنا من هناك."

" ترسل ' لنا ' - مَنْ لنا؟ " كنتَ، كيف أُعّبر لك، عضو الشرطة الإمبراطورية. ينبغي أن تذهب مع امبراطورك. والآن يبدو أنك تتحدث كما لو أنك مبعوث حكومة تيرز."

" ياكابتن سيمونيني، أنا أحد اولئك الذين يبقون حتى لو ذهبت الحكومات. إنني انتمي الى حكومتي في فرساي - فإن بقيت هنا، فإنني سأنتهي كما انتهى ليكومتيه وتوماس. او أولئك المجانين الذين سرعان ما يطلقون النار، بيد أننا نستطيع أن نرد بما لدينا من قوة تماماً. حينما نحتاج معرفة شئ محدد فإنك ستسقبل أوامر تفصيلية أكثر."

" شئ محدد... كلام أسهل من فعله، إعط تلك الأشياء المختلفة حينما تذهب الى أجزاء مختلفة من المدينة - كانت فصائل الحرس الوطني تتقاطر رافعة الأعلام والورود الحمر على ماسورات بنادقهم في عين المناطق حيث استقرت العوائل المحترمة في بيوتها بإنتظارعودة الحكومة الشرعية. ومن بين أولئك الذين أُنتخبوا للكوميون، من المستحيل فهمه، سواء ما تقوله الصحف أوما تتناقله الأحاديث في الأسواق، مَنْ كان مع تلك الجهة، ومنذ أن احتوت

الكومون العمال، والأطباء، والصحافيين، والجمهوريين المعتدلين، والإشتراكيين المتطرفين، واليعاقبة المتشددين الذين يحلمون ليس بعودة كومونة ١٧٨٩ حسب، ولكن العودة الى رعب ' ٩٣' بيد أن الجو في الشوارع كان يفيض بفرح غامر، ولم يكن فيه أولئك الذين يرتدون الزي الرسمي، وعليك أن تتخيل احتفالات شعبية كبيرة. ماذا كان يلعب الجنود في تورين، تعودنا أن نسميه sussi، وهنا يسمونه au bouchon،بينما يحتفل الضباط حول وأمام الفتيات.

تذكرت هذا الصباح أن من بين محتوياتي القديمة صندوقاً كبيراً مملوءً بالقصاصات تعود الى تلك الفترة، التي وقعت في متناول اليد لإعادة الكتابة بيد أن ذاكرتي لا تسعفني. ومن مختلف الصحف ذات النزعات المتباينة: La Rappel , La Revéil du Peuple , La Marseillaise , Le Bonnet Rouge , Paris Librre , Le Moniteur du Peuple وأخريات. لا اعرف من يقرأها – ربما أولئك الذين يحررونها حسب. وقد ابتعتها لأرى إن كانت تحتوي على حقائق أو آراء قد تكون مفيدة للاغرانج.

كان الجو مضطرباً حينما قابلت موريس جولي ذات يوم وسط حشد مضطرب أيضاً بموازاة مظاهرة مضطربة هي الأخرى ، وقلما يستطيع أحد التعرف عليّ لأنني اطلقت لحية، وبعد ذلك، تذكرت أنني كنت كاربونارياً أو شيئاً من هذا القبيل، مفترضاً أنني كنت مؤيداً للكومونة. كنتُ بالنسبة له رقيقاً وكريماً في زمن صعب. أخذني من

ذراعي، وقادني الى داره(كانت شقة متواضعة تقع على رصيف فولتير) قدم لي كأساً من الشراب الأخضر المائل للصفرة.

قال جولي " ياسيمونيني، بعد العمل في سيدان أسهمتُ في أول الثورات الجمهورية. واتجهتُ الى دعم ديمومة الحرب، بيد أنني أدركت أن هؤلاء المتعصبين يطلبون اكثر مما ينبغي. وخلال الثورة، أنقذت الكومونة فرنسا من الغزو، بيد أن مثل هذه المعجزات التاريخية لا تحدث مرتين. وإن الثورة لا تُعلن بمرسوم، إنها تولد من رحم الشعب. وثمة آفة أخلاقية في هذا البلد منذ عشرين سنة؛ لا يمكن علاجها في غضون يومين. وفرنسا قادرة حسب على إضعاف خيرة نسلها، وأنا كابدت سنتين سجناً لمعارضة بونابرت، وحين غادرت السجن لم استطع إيجاد ناشر يطبع كتبي الجديدة. وأنت كما ترى مازال النظام الإمبراطوري قائماً. وحين تُسقِط الإمبراطورية هذه الحكومة الجمهورية يوجه لي إتهام الإشتراك في الغزو السلمي لفندق دي فيل Hotel de Ville في نهاية تشرين أول/ اكتوبر. حسناً. فقد بُرِّئتُ، كما أنهم لم يستطيعوا أن يبرهنوا أنني استخدم العنف، بيد أن هذه مكافأة لأولئك الذين حاربوا ضد الإمراطورية و الهدنة الحقيرة. والآن يبدو أن باريس كلها تنعم في مدينة الكومونة الفاضلة، لكن ليس لديك فكرة عن عدد الذين يغادرون المدينة ليتجنبوا الخدمة العسكرية. ويقال، إنهم بصدد حملة تجنيد الرجال بين الثامنة عشرة والأربعين من العمر جميعهم، لكن إنظر كم هو عدد الشباب الذين يتجولون في الشوارع بصفاقة ولا يستطيع الحرس الوطني في

المناطق أن يتدخل، فضلاً عن أن كثيراً من الناس لا يريدون أن يُقتلوا من أجل الثورة. كم هو محزن هذا. "

ويبدو أن جولي مثالي متصلب لا يقتنع بالأشياء كما هي، رغم إنني يجب أن أقول أشياء تبدو دائماً له في الإتجاه الخطأ. وكنت قلقاً حول إشارته الى حملة التجنيد وحان الوقت كي اصبغ لحيتي وشعر رأسي باللون الأبيض، وابدو مثل شيخ جليل بلغ من العمر ستين سنة.

وجدت في الميادين والمحلات أناساً كثيرين على عكس جولي، مِن الذين يدعمون القوانين الجديدة، القوانين التي تلغي زيادة الإيجار التي فرضها أصحاب العقارات اثناء الحصار، وعودة وسائل العمل جميعها التي تعهّد بها العمال لرهن المحلات خلال ذات الفترة ومنح معاشاة لزيجات وأطفال الحرس الوطني الذين قتلوا في الواجب وتأجيل الإلتزامات على الديون التجارية. هذه الأشياء الجميلة جميعها إستنزفت خزائن الكومونة واستفاد منها الرعاع.

بيد أن الرعاع أنفسهم(كما كان واضحاً من خلال نقاشات في ساحة موبير وفي الصديريات المحلية) أدانوا، بينما هم يصفقون لإلغاء مقصلة الإعدام،أدانوا(بالطبع) القانون الذي حرم البغاء، مما حدا بإنحدار كثير من النساء الى شوارع المدن. وهكذا، هاجرت كل عاهرات باريس الى فرساي، وليس لدي فكرة أين سيذهب رجال الحرس الوطني لإطفاء رغباتهم الجنسية.

ومن ثم، وللإنتقال الى مرحلة البرجوازية، ثمة قوانين مناهضة للإكليركية، مثل فصل الكنيسة عن الدولة ومصادرة أموالها الكنيسة، وانتشرت الإشاعات عن اعتقال الكهنة والرهبان.

في منتصف نيسان / ابريل تقدم الحرس من فرساي مخترقاً الضواحي الشمالية الغربية قرب نوفشاتيل، ويرمي جميع الفدراليين fédéré، الذين يستطيعون القاء القبض عليهم. وقصف قوس النصر من مونتي فاليرين، وبعد بضعة أيام عشت أصعب فترات الحصار التي لا تصدق: موكب الماسونيين. لا أعتقد أن الماسونيين سيتحولون الى كوميونيين، بيد أنهم كانوا هناك بمسيراتهم ومآزرهم، يطلبون من الحكومة في فرساي الموافقة على هدنة كي يُخلى الجرحى من الضواحي التي قُصفت. ووصلوا ابعد مسافة عن قوس النصر حيث التقوا هناك في هذه المناسبة دون قصف المدافع. وكما هو واضح أن أغلب اخوانهم كانوا خارج المدينة مع الملكيين. بإختصار، رغم إنهم يكونون شرفاء بين اللصوص، ورغم إن الماسونيين في فرساي عملوا للحصول على هدنة لمدة يوم واحد، توقفت الإتفاقية هناك ووقف الماسونيون في باريس مع الكومونة.

إذا اتذكر شيئاً قليلاً حول ما حدث على السطح خلال ايام الكومونة، ذلك لأنني كنت أتنقّل في باريس في أنفاق تحت الأرض. وصلتني رسالة من لاغرانج يعلمني فيها ما يريد أن يعرفه القائد الأعلى للجيش، ومن المعلوم، أن باريس مثقوبة من خلال نظام تصريف المياه، وهكذا، كثيراً ما يصفها الروائيون، من خلال شبكة من الصرف

الصحي، تمتد على مسافة تخومها الخارجية ووراءها، متاهة من حجر جيري، وكهوف طباشيرية، وسرداب مقبرة قديم. وكثيراً من هذه الأشياء معروفة، ولكن قليلاً منها لا أحد يعرفها. يعرف الجيش عن حلقة الأنفاق التي تربطها بالحصون خارج مركز باريس، وحينما وصل البروسيون أغلقوا بسرعة كثيراً من المداخل كي يمنعون العدو من تنظيم المفاجئآت غير المرحب بها. وعلى كل حال، أن البروسيين لم يأخذوا بعين الإعتبار دخول تلك المتاهة من الأنفاق، حتى وإن توفرت الفرصة خشية عدم الخروج منها أو فقدان طريقهم في حقل الألغام.

في الحقيقة، ثمة قليل من يعرف شيئاً عن الأنفاق وسراديب الموت، بإستثناء المجرمين الذين يستخدمون هذه المتاهات لتهريب بضائع من خلف مقرات كمارك المدينة، كي يهربوا من الإعتقالات. وواجبي هو أن اسأل عدداً كبيراً من الأوغاد قدر الإمكان، وهكذا كي اعرف طريقي حول هذه المسالك.

وأتذكرايضاً، حين تسلمت أوامري، لم يكن بإمكاني مقاومة السؤال: " هل أن الجيش يملك عملياً خرائط تفصيلية؟" الذي أجاب عنه لاغرانج " لا توجه اسئلة غبية، ففي مستهل الحرب كان قادة جيشنا متأكدين من النصر حد أنهم وزعوا خرائط الألمان حسب دون الفرنسيين."

وفي زمن شح فيه الطعام والنبيذ، كان من السهولة بمكان أن نجدد معرفتنا مع الناس الذين التقيت وإياهم في tapis-francs،لنأخذهم

الى الحانة الأكثر شهرة حيث بإمكاني أن ادعوهم الى وجبة دجاج والـذّ النبيـذ. لم يتكلمـوا حـسب، بـل يأخـذونني الى بعـض أجمـل الـرحلات الجوفيـة. إنـه مـسألة سـؤال للإستفـسار عـن مـصابيح جيـدة ولملاحظة ملامح الطريق المختلفة كي نتذكر متى نستدير نحو اليمين ومتى نستدير نحـو الـشمال، مثـل الخطـوط العريـضة للمقـصلة، أوعلامـة قديمة، أو تخطيطات بالفحم، أو إسماً، ربمـا رسمهـا شـخص مـا لم يغـادر ذلك المكـان ابـداً.إن مَعظَمَـة المـوتى ومنـذ اتبـاع التسلـسل الـصحيح للجماجم لن تردعك، فإنك ستصل الى السلّم نفسه الـذي يقـودك الى القبو الذي يفضي بك الى مكـان تظهـر فيـه لـترى النجـوم فوقـك مـرة ثانية.

إن بعـض هـذه المكانـات سـتفتح عـاجلاً للـزوار، بيـد أن الأخـرى كانت معروفة في ذلك الوقت لدى عملائي حسب.

وبإختـصار، بـين أواخـر اذار /مـارس ونهايـة مـايس إكتـسبت خـبرة محـددة وأرسـلت تخطيطـات الى لاغـرانج اشـير فيهـا الى عـدد مـن المسالك المتاحة. بعد ذلـك أدركـت أن رسـائلي كانـت تـستخدم بقلـة نـادرة، منـذ أن كانـت القـوات الحكوميـة تـدخل الآن بـاريس دون استخدام مـسالك الأنفـاق الأرضـية. وتملـك فرسـاي خمـسة فيـالق في ذلك الحين، كان جنودها متدربين جيداً وبطريقـة مكثفـة علـى هـدف واحـد، كمـا توضـح بـسرعة: لا تطلقـوا الـسجناء – ويجـب أن يقتـل كـل اتحادي fédéré يلقى القبض عليه. وقد صدرت أوامر، رأيتها بأم عيني، تقـول، حينمـا يـزداد عـدد مجموعـة سـجناء عـن عـشرة، يجـب أن يـتم

اعدامهم رمياً بالرصاص بدلاً من اعدامهم بالرشاش. وكان الجنود النظاميون يعزّزون مع البراساردبين brassardries– متهمين أو سيئي الأخلاق – بوضع شارات حمر على أذرعهم ذات ثلاثة الوان، وكانوا أكثر قسوة من القوات النظامية.

وفي يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر مايس الساعة الثانية عصراً، إجتمع ثمانية آلاف شخص في احتفال موسيقي لعزف كونشرتو في ساحة Jardin des Tuileries خُصص ريعها لأرامل وأيتام الحرس الوطني، ولا أحد حتى الآن يعرف ذلك العدد من التعساء سيستفيد منه وكان يزداد بسرعة تنذر بالخطر. في الساعة الرابعة والنصف بينما كانت الكونشرتو مستمرة في العزف(رغم إن هذا قد اكتشف مؤخراً) دخلت قوات الحكومة باريس عن طريق بوابة المدينة في سان كلود، واحتلت أوتيويل و باسي Auteuil and Pasy، وأطلقت النار على كل من أُلقي القبض عليه من الحرس الوطني. ويقال، إنه في حلول الساعة السابعة في ذلك المساء كان على الأقل عشرون الف فرسايي في المدينة، ولكن السماء وحدها تعرف ماذا كان يفعل قادة الكومونة. كل شيء يظِهر أن ذلك التنظيم للثورة يتطلب رجالاً متدربين تدريباً جيداً. بيد أن مثل هؤلاء الناس لا يريدون زج أنفسهم في مثل هذه الأعمال، ويفضلون البقاء الى جانب السلطة. إنني لا أرى سببا له(أعني به ليس ثمة سببا كافياً) لإنضاج ثورة.

في صباح يوم الإثنين نصب الرجال من فرساي مدافعهم في قوس النصر، ويبدو أن ثمة رجلاً أعطى أوامر للكوميونيين للتخلي عن

الدفاع المنسق عن المدينة وعلى كل فرقة أن تمترس نفسها في مدينتها. وإن كان هذا صحيحاً، فإن غباء قادة الفدراليين يمكن أن يتألق مرة ثانية.

وشُيدت المتاريس في كل مكان، وبمساعدة السكان المتحمسين بصورة جلية، حتى في أغلب المدن المعادية للكوميونيين، مثل الأوبرا، و فابوري سانت- جيرمان، حيث ساق الحرس الوطني النساء الرائعات خارج منازلهن، وإرغامهن على إخراج أثاثهن الجميلة من المنازل ورميها في الشوارع. ومدوا حبلاً عبر الشارع ليؤشر خطاً للمتراس القادم، وشرع الجميع بخلع البلاطات من الأرصفة أو وضع أكياس الرمل هناك؛ الكراسي، وخزانات الأدراج، والمقاعد والفرشات، رميت جميعها من خلال النوافذ، واحياناً بموافقة ساكنيها، واحياناً أخرى مع مالكيها الذين راحوا ينحبون عليها، واحياناً أخرى يرتعدون خلف غرفة الشقة التي أمست شاغرة وأشر ضابط الى رجاله في العمل، وهو يقول لي: " بإمكانك ايضاً أن تمد يد المساعدة، أيها المواطن. إننا هنا نموت من أجل تحريرك ايضاً."

تظاهرتُ بالإنضمام، وتقدمت كما لو أنني أريد أن أرفع كرسياً في أقصى زاوية في الشارع، وأخذت استدير حول الزاوية.

في الحقيقة، كان الباريسيون يستمتعون ببناء المتاريس منذ قرن على الأقل، ومن ثم تفككت بعد أول قذيفة مدفع، وتبدو تماماً أنها غير مترابطة: فقد بُنيت خارج مشاعر البطولة، رغم إنني أردت أن اتساءل كم عدد اولئك الذين بنوا تلك المتاريس مازال حياً يرزق.

إنهم سيتبعون طريقتي، والأغبياء وحدهم سيُتركون للدفاع عنها، وسيواجهون وابل الرصاص حيث يقفون.

الطريقة الوحيدة لفهم مجريات الأحداث في باريس هي مراقبتها من خلال بالون فضائي. إذ ثمة إشاعات إنتشرت حول المدرسة العسكرية، التي تحتفظ بمدافع الحرس الوطني، قد أُحتلت، وحارب الآخرون في منطقة كليشيه Clichy، بينما الإشاعات الأخرى زعمت أن الألمان سمحوا لقوات الحكومة للدخول من جهة الشمال. وسيطروا على مونمارتر يوم الثلاثاء واقتيد أربعون رجلاً وثلاث نساء وأربعة أطفال الى المكان الذي أطلق الكوماندیون الرصاص فيه على ليكومتيه وتوماس، وأرغموهما على الركوع، وأطلقوا الرصاص عليهم واحداً بعد الآخر.

في يوم الأربعاء شاهدت بنايات عامة تلتهمها النيران بما فيها بناية القصر Tuileries Palace، بعضهم قال إن الكوميونيين أشعلواالنار في الحديقة لإيقاف تقدم قوات الحكومة، وفي الحقيقة كان اليعاقبة المجانين Les Petroleuses الذين ينتشرون وهم يحملون دلو الكيروسين لإشعال النيران، الآخرون أقسموا أن النيران سببها قذائف مدافع الهاوتزر؛ الآخرون لاموا البونابورتيين القدماء الذين يستفيدون من الموقف لتدمير أرشيف المساومة ، في بداية الأمر فكرت ماذا سأفعل إذا كنت في مكان لاغرانج، بيد أنه خطر ببالي أن وكيل المخابرات السرية الرجل الطيب عليه أن يخفي المعلومات شريطة أنّ لا يدمرها، لأنه من المحتمل أن يأتي يوم تستخدم ضد شخص ما.

وبعيداً عن تجاوزالإحراجات، وتجنباً لمخاوف كثيرة ربما أجد نفسي فيها في خضم المعركة، ذهبت آخر مرة الى برج الحمام، حيث وجدت رسالة من لاغرانج. يخبرني فيها أن ليس ثمة حاجة لنقل الرسائل عن طريق الحمام، وزودني بعنوان في اللوفر، يرزح تحت الإحتلال الآن، وكلمة سر لعبور حواجز الطرق.

في الوقت ذاته سمعت أن قوات الحكومة قد اقتربت من مونمارتر. تذكرت كيف كنت اقضي في مونمارتر زيارات في القبو الشتائي. من هناك يمكنك الدخول الى دهليز نفق أرضي يفضي بك الى rue dAssa ، ويوصلك الى du Cherche – midi، ثم تظهر في مخزن مهجور في بناية تطل على ساحة مقر الهلال الأحمر، حيث ما زالت تقاطعات الطرق يحتلها بكثافة الكوميونيون. ورأيت أن بحثي في النفق الأرضي حتى الآن لا فائدة منه، وينبغي علي أن احصل على نتائح كي اكسب ما يُدفع لي. وذهبت الى لاغرانج.

ليس من الصعوبة الوصول الى اللوفر من Ile de La Cité، بيد أنّ خلف سانت- جيرمان لا اكسيرو، رأيت مشهداً يجب أن اعترف تماماً أنه خلق لديّ انطباعاً مؤلماً. إذ كان ثمة رجل وإمرأة ومعهما طفل كانا يمران بالقرب مني، ولم يبدوعليهما أنهما هاربان من قذائف المتاريس، بيد أن هناك عصبة سكارى من البراساردييين، من الواضح، أنهم كانوا يحتفلون لمناسبة الإستيلاء على اللوفر، وحاولوا أن يسحبوا الرجل من بين ذراعي زوجته، التي حاولت الإمساك به وهي تصرخ، بيد أنهم دفعوا الثلاثة بإتجاه الجداًر ومزقوهم بالرصاص.

وتأكدت أنني مررت من خلال خطوط الجنود النظاميين الذين سأعطيهم كلمة السر فقط، وبعد ذلك، اُقتدت الى غرفة كان فيها عدد من الناس كانوا يؤشرون على خارطة كبيرة للمدينة معلقة بدبابيس ملونة. لم اتمكن من رؤية لاغرانج، واستفسرت عنه. وثمة رجل متوسط العمر وجهه طبيعي بشكل مفرط(أعني إن كان عليّ أن أصف وجهه فليس بإمكاني أن أوضح الملامح البارزة فيه) إستدار وحياني بأدب، لكنه لم يصافحني.

" يا كابتن سيموني، وأفترِض. إسما آخر لي. أنا اسمي هيبوتيرن. من الآن فصاعداً، مهما عملتَ مع المسيو لاغرانج يجب أن تعمل معي. وإنك تدرك أن هذا التغيير ضروري، حتى في خدمات الدولة بخاصة بعد الحرب. ويستحق لاغرانج تقاعداً مشرفاً، وربما إنه الآن يصيد سمك ال a la ligne، في مكان أو آخر. بعيداً عن هذا الإرتباك غير المقبول. "

لم تكن هذه اللحظة مناسبة لطرح اسئلة. وأخبرته عن ممر النفق الأرضي ء إ rue d'Assas من الى الصليب الأحمر، وعلق هيبوتيرن، أن عملية في الصليب الأحمر ستكون مفيدة جداً، وحينما تسلَّم الأخبار مِن أن الكوميونيين باتوا يكدسون عدداً ضخماً من القوات هناك، بإنتظار وصول قوات الحكومة من الجنوب. لهذا السبب أمرني بالذهاب الى محل الخمّارة، الذي زودت بعنوانه، وانتظر هناك، مجيء فرقة البراساردين.

كنت أفكرفي أن اسلك الطريق من نهر السين الى مونمارتر ببطء لأوفر مزيدا من الوقت لمراسل هيبوتيرن كي يصل قبلي، حينما رأيت، هناك على الرصيف على الضفة اليمنى، عشرين جثة، أُسجيت بطريقة متوازية. لابد وأن اطلق عليها الرصاص، وبدت بمختلف أعمارها وطبقاتها الإجتماعية. هناك شاب يبدو أنه اشبه بعامل، فاغر الفم. الى جانبه رجل عجوز، محترم جداً، شعره مجعد، شارباه محددان بطريقة أنيقة، يداه متقاطعتان بهدوء فوق سترة طويلة مجعدة. الى جانبه ثمة رجل له وجه فنان، وآخر تبدو ملامحه في الغالب غير مميزة، وثمة ثقب اسود في عينه اليسرى، رأسه مشدود بمنشفة، كما لو أن روحاً مصطنعة، أو شخصاً قلبه ُقدّ من حجر، كان قد بحث عن ربط رأسه الذي تفجر الى أجزاء من قبل شخص يعرف كم عدد الطلقات التي اخترقت رأسه. وثمة امراة ايضاً ربما كانت في شبابها جميلة.

أُسجيت الجثث في أواخر مايس /آيار، وهّم الذباب الموسمي يئز حولها، تجذبه رائحة الوليمة، وبدت الجثث على نحو أختيرت عشوائياً واُطلق الرصاص عليها لتكون نموذجا، وأُسجِيت بطريقة متوازية على الرصيف لمسح شارع فصيل جنود الحكومة الذين يجتازون الشارع في تلك اللحظة، يجرون خلفهم مدفعاً. وما أصعقني من تلك الوجوه... يصعب علي التعبير عنها... هل كان استهتارهم: في نومهم يبدو أنهم يظهرون قبولاً لقدرهم العام.

حينما وصلت نهاية الطابور صُدمتُ لرؤية جثمان آخر لرجل اُعدم، وابتعدت قليلاً عن الآخرين، كما لو أنني اُضفت الى آخر مجموعة. كان جزءً من الوجه مكسواً بالدم، ولكن ليس ثمة صعوبة في تمييز لاغرانج. إن المتغيرات بالتأكيد ستبقى سراً لدى أجهزة المخابرات.

ليس لدي مشاعر أنثوية، وكنت قادراً تماماً على سحب جثة الكاهن الى اسفل تصريف مجاري النفايات، بيد أن هذا المشهد أزعجني، ليس بدافع الشفقة، لكنني أدركت أنني افعل ذلك بدافع الإضطرار. وكل ما هو مطلوب مني أن التقي بشخص ما في طريق مونمارتر الذي عرفني كأحد رجال لاغرانج - ومن الأفضل لي تماماً أن أكون مواطناً فرسايياً أو كوميونياً. وكلا الجانبين لا يثقان بي - وعدم الثقة في تلك الأيام، تعني الموت.

قررت عبور نهرالسين لمتابعة مسيري في شارع دو باك، فوق سطح الأرض بقدر ما أصل الهلال الأحمر مفترضاً أن في تلك المناطق ثمة بنايات مازالت تشبُّ فيها النار ومن غير المحتمل أن اجد أي كوميونياً، وأن قوات الحكومة لم تكن حتى الآن في الدورية. من هناك استطيع الذهاب مباشرة الى المخزن المهجور ومن ثم أتخذ مسير ما تبقى من الشارع في نفق تحت الأرض.

واخشى أن دفاعات الصليب الأحمر ستمنعني من وصول البناية، ولكنهم لم يفعلوا ذلك. فالمجموعات المسلحة تقف في مداخل مختلف البيوت، بإنتظار الأوامر. كانت المعلومات المتضاربة منتشرة - وأنه ليس من الواضح أن المعلومات المتضاربة من أي اتجاه ستصل

القوات الحكومية، وكان ثمة شخص يبذل جهداً واضحاً في تفكيك المتاريس، مغيّراً مدخل الطريق طبقاً لآخر إشاعة. كانت وحدة كبيرة من الحرس الوطني قد وصلت، وكان كثير من الناس يعيشون في تلك الضاحية المحترمة حاولوا إقناع الجنود أن لا يقوموا بأعمال عبثية في اظهارالبطولة. بعد ذلك كلّه، قالوا، إن الرجال من فرساي كانوا مواطنين، وأكثر من ذلك، جمهوريين، وأقسم تيرز على إصدار العفو عن جميع الكوميونيين الذين سيسلمون أنفسهم.

وجدت باب بنايتي مواربا، دخلت، أغلقت الباب بإحكام خلفي، هبطت الى المخزن في الأسفل، ومن ثم الى أسفل رواق نفق تحت الأرض، ثم تبينت طريقي الى مونمارتر دون صعوبة تذكر.وهناك التقيت ثلاثين أو هكذا من البراسارديريين الذين تبعوني عبر الطريق نفسه. ومن المخزن، صعد الرجال الى الشقق المختلفة فوق الطابق الأرضي، إستعداداً لدحر المحتلين، بيد أن أناساً انيقين رحبوا بهم بإرتياح وهم يؤشرون من خارج النوافذ الى قيادة أفضل المواقع عبر تقاطع الطرق. في تلك اللحظة، وصل ضابط يمتطي حصاناً عن طريق شارع التنيّن حاملاً إنذاراً. من الواضح، كان الإنذار في ان يهيئوا أنفسهم لهجوم من شارع سيفر أو من شارع Cherche- Midi ومن زاوية الشارعين قلع الكوميونيون بلاطات الرصيف ليبنوا عليها متاريس.

بينما كان البراساردريين يتأهبون تحت نوافذ شقق المحتلين، فكرت أنه ليس من المناسب البقاء في مكان حيث سينطلق رصاص الكوميونيين، عاجلاً أو آجلاً، يجب أن اهرب، وهكذا،عدت الى

الطوابق السفلى بينما كان في الأسفل حيث هناك هياج كثير، وعرفت اتجاه النار من خلال نوافذ البناية. وتموضعتُ في زاوية شارع فيو كولمبير، وهكذا تمكنت من الإفلات من مخالب الخطر. كدّس معظم الكوميونيين أسلحتهم على ركائز وواصلوا عملهم، وهكذا، شرع الرمي الذي لم يكونوا مهيئين له من خلال النوافذ، حتى وإن كانوا يردون عليهم، فليس لديهم فكرة من أي اتجاه تأتي النيران، شرعوا يرمون بإتجاه زاوية شارع غرونيل وشارع أربعة – عليَّ أن أتراجع للخلف، خشية أن يصل اطلاق النار ايضاً الى شارع فيو كولمبير. وأخيراً، شخَّص أحدهم أن عدوهم يوجه نيرانه من الأعلى، وكان هناك تبادل اطلاق النار بين تقاطع الطرق ونوافذ المنازل، بإستثناء تلك الفترة تمكن جنود الحكومة من معرفة مْن الذي يوجه النار إليهم، واتجاه اطلاق النار نحو الرعاع والكوميونيين ما زال غير مؤكد الى أي النوافذ هي المستهدفة. وبإختصار، كانت مذبحة سهلة. في هذه الغضون، ثمة شخص كان يصرخ في تقاطع الطرق أنهم قد خُدعوا. وهذا غالباً ما يحدث. حين تخفق في شيء ما، فإنك تلوم شخصاً آخر لعجزك. لكن ما هي الخدعة؟ فكرت – أنك ببساطة ليس لديك فكرة كيف تحارب. وتسمى هذا فعل ثورة !

في نهاية الأمر تمكن شخص من تشخيص البناية التي كانت تحتلها قوات الحكومة، وحاول الناجون كسر الأبواب. وتخيّلتُ بعد حين، أن البراسارديين قد عادوا فعلاً الى النفق تحت الأرض ووجد الكوميونيون المنازل شاغرة، بيد أنني قررت الإنتظار لأكتشف

المناطق التي جرى فيها اطلاق النار. في نهاية المطاف إكتشفت، أن قوات الحكومة كانت في الحقيقة تقترب من شارع Charche – Midi، وبأعداد كبيرة، وهكذا فإن آخر المدافعين عن الصليب الأحمر لا بد وأن يكونوا قد مُسِحوا من على وجه الأرض بسهولة.

عدت الى زقاقي خلف الشارع، متجنباً تلك الإتجاهات التي اسمع من خلالها جلبة نيران البنادق، وعلى امتداد الجدران شاهدت شعارات، قد الصقت حديثاً، من لجنة السلامة العامة، تحث فيها المواطنين الى اتخاذ آخر موقف " L'ennemi est dans nos murs !

pas d'h Aux barricades dehesitationspa

في حانة البراسيري في ميدان موبير تسلمت آخر الأخبار: قُتل سبعمائة كوميوني بالرصاص في شارع سانت – جاك، إنفجار برميل بارود في لوكسمبرغ، وانتقاماً من الكوميونيين أُختطف رهائن من سجن La Roquette، من ضمنهم رئيس أساقفة باريس، وصفّوهم على الجدار. وتنفيذ حكم الإعدام يؤشر نقطة اللاعودة. وهذا يعني ان عودة حمام الدم هو الوضع الطبيعي.

بمجرد ما وُصفت لي هذه الحوادث، وصلت مجموعة من النساء يصرخن ابتهاجاً لعودة زبائن أخر، عدن من براسيريتهن ! وتحريم الدعارة من قبل الكوميونيين قد أعادتها قوات الحكومة في مدينة فرساي، وسمحت بإنتشارها في المدينة، كما لو أنهم يريدون أن يقولوا إن كل شيء عاد الى طبيعته.

لا أستطيع المكوث هناك بين الرعاع. إنهم لا يفعلون شيئاً واحداً حسناً قد انجزه الكوميونيون.

في الأيام القليلة القادمة وصل الكوميونيون الى نهاية القتال بالأيدي في مقبرة بير لاشيس، ويقال إن ١٤٧ من الناجين قد ألقي القبض عليهم وأعدموا رمياً بالرصاص في منطقة المقبرة.

وبهذه الطريقة، تعلموا أن لا يدسوا أنوفهم في شؤون الآخرين.

(١٨)

البروتوكولات

من يوميات العاشر والحادي عشر من نيسان / ابريل ١٨٩٧،مع انتهاء الحرب، إستأنف سيمونيني عمله الطبيعي. يتزامن هذا لحسن الحظ مع كل الموتى، ومشاكل الميراث ومع حدث كل يوم يمر. كان عدد كبير من الشباب يُقتلون على أو في مقدمة المتاريس وكانوا لا يملكون فكرة عن ترك وصية لهم، وكان سيمونيني منغمراً في العمل – الذي يدر عليه ربحا ملائماً. كم هو رائع أن يعيش بسلام، حتى وإن كان من أول قربان للضحية.

تحمل يومياته اشارات قليلة لروتين القانون للسنوات التالية وتشير حسب الى أمله، الذي لم يتخلَ عنه خلال تلك الفترة ابداً في ايجاد اتصالات جديدة لبيع وثيقته عن مقبرة براغ. ولا يملك فكرة ماذا فعل غويدشي في هذا الوقت بالذات، بيد أنه يجب أن يستبقه، ليس على الأقل أن اليهود بدوا أنهم اختفوا بطريقة ما خلال كل زمن الكومونة تقريباً. هل كانوا متآمرين عنيدين، ويستخدمون نفوذهم سراً في الكومونة؟ أو كانوا، على العكس من ذلك، او هم يدّخرون رؤوس الأموال خفية في فرساي بإنتظار انتهاء الحرب؟ لا شك أنهم كانوا خلف الماسونيين، الذين كانوا الى جانب الكومونة في باريس، أو

لأن الكوميونيين أعدموا رئيس الأساقفة. إن اليهود لا بد وأن يكونوا متورطين بطريقة ما. إنهم قتلوا الأطفال. ولكن قتل الأساقفة قلما يشكل مشكلة.

في احد الأيام من عام ١٨٧٦، وبينما كان سيمونيني يتأمل هذه المسألة، سمع جرساً في الطابق السفلي. كان ثمة رجل عجوز مرتدياً جلباب كاهن واقفا في الباب. في بداية الأمر اعتقد أنه كان القس الشيطان العادي اتى لبيع القداس المكرّس، ولكن، بعد ذلك، تفحصه عن قرب أكثر، تحت تلك الكتلة الرمادية، أنه الأب بيرغاماشي، الذي كان شعره ما زال مجعداً. كان في الغالب في الثلاثين من عمره منذ أن رآه اول مرة.

وما يتعلق باليسوعي أنه من الصعوبة التأكد أن ذلك الشخص الذي أمامه الآن كان في الحقيقة هوالسيمونيني الذي كان معروفاً بمراهقته، وبشكل رئيس بسبب لحيته(التي صارت بعد عودة السلام، سوداء اللون، مع لمسات رمادية، لتلائم عمر رجل في وسط الأربعينيات من عمره.) ومن ثم، كانت عيناه تبرقان، قال، وهو يبتسم، " لكن بالطبع، ياسيمونيني، أنك أنت، يا فتاي، أليس كذلك؟ لماذا تبقيني واقفاً في الباب؟ "

كان يبتسم، رغم إننا من الصعوبة بمكان أن نتجرأ ونقول إنها ابتسامة نمر، من الأفضل أن نقول ابتسامة قط. ودعاه سيمونيني الى الطابق العلوي وسأل " كيف تمكنت من اكتشافي؟"

قال بيرغاماشي " آه، يا فتاي، ألا تعرف نحن اليسوعيين بيننا وبين الشيطان دائماً خطوة واحدة؟ رغم إن البيدمونتيين قد طردونا خارج تورين، تمكنت من إدامة سلسلة جيدة من الإتصالات. وقد اكتشفت قبل كل شيء، أنك كنت تعمل في مكتب كاتب عدل، وأنك تزوِّر الوصايا، ومن بعد ذلك، يا للأسف، أنك بعثت تقريراً الى جهاز المخابرات البيدمونتية الذي أظهرتني فيه انني مستشار نابليون الثالث، وكان من المفترض أن أكون متآمرا ضد فرنسا ومملكة بيدمونت في مقبرة براغ. إبداع رائع، لا أحد ينكره، بيد أنني عرفت أنك استنسخت كل شيء من ذلك الوثني سو. حاولت أن أجدك لكنني علمت أنك كنت في صقلية مع غاريبالدي ومن ثم غادرت إيطاليا. ما زال الجنرال نغري دي سانت- فرونت على علاقة طيبة بمباديء الجمعية وأرشدني الى باريس، حيث هناك أخي يحتفظ بعلاقات جيدة مع المخابرات الإمبراطورية. بذلك إكتشفت أنك على اتصال مع الروس وأن تقريرك حول مقبرة براغ قد تحول الى تقرير عن اليهود. لكن في الوقت ذاته علمت أنك كنت تتجسس على المدعو جولي. وكنتُ مقتدراً سرياً على حصولي على نسخة من كتابه، متروكاً في مكتب شخص ما يدعى لاكروا، الذي مات موتة بطولية في جيش في مواجهة القنابل الكاربونارية، وأستطيع أن أؤكد، على الرغم من أن جولي أخذ افكاره من سو، فإنك استنسخت عن جولي. في نهاية الأمراعلمني أخي الألماني أن غويدشي قد كتب عن مراسم مقبرة براغ، مرة اخرى، حيث قال اليهود الأشياء نفسها

الى حد ما كالتي كتبتها أنت في تقريرك الى الروس، وبإستثناء ذلك عرفت أن الطبعة الأولى، تُورُّطنا نحن اليسوعيين، كان ذلك بسبب تقريرك، وأعمال غويدشي الفنية التي سبقت ذلك عدة سنوات.

" وفي آخر الأمر أريد مَنْ يعطيني استحقاقي."

" دعني انتهي من كلامي. بعد ذلك، ماذا عن الحرب، والحصار وأيام الكومونة، كانت باريس هي الأفضل في أن يتجنبها رجل مثلي يرتدي جلباب كاهن. قررت المجيء والبحث عنك لأن تلك القصة ذاتها عن اليهود في مقبرة براغ ظهرت في كتيب طبع في سانت بيترسبورغ. لكنه اجتزيء بوصفه مقطعاً من رواية تعتمد على حقائق واقعية، وبالتالي أصَلها غويدشي. الآن، وفي هذا العام، قد ظهر الى حد ما النص نفسه في كراسة في موسكو. بإختصار، إن كان الأمر هنا(أو هناك، كيفما شاء لك الأمر في تأويله) فإن قضية اليهود برمتها تحولت الى قضية دولة. واصبحوا يشكلون تهديداً، ليس على الدولة، ولكن تهديداً علينا ايضاً. ومن يختفي خلف هذا الحلف الإسرائيلي هم الماسونيون، وقداسته قد قرر الآن الشروع بحملة شاملة ضد أعداء الكنيسة. هنا، نعود إليك، يا سيمونيني، مَن الذي يبحث عن مغفرة لخدعتك التي لعبتها عليَ مع البيدمونتيين، بعد الإفتراء على جمعيتنا، وأنت الآن هو المَدين بشيء ما بالمقابل "

يا للجحيم، هؤلاء اليسوعيون كانوا أذكى من هيبوتيرن، ولاغرانج، وسانت- فرونت. إنهم يعرفون كل شيء عن الجميع. إنهم ليسوا بحاجة الى مساعدة من المخابرات السرية لأنهم هم مخابرات

سرية؛ ولديهم إخوّة في كل جزء من العالم وأنهم يتابعون ما يقال في كل لغة منذ سقوط برج بابل.

بعد سقوط الكومونة، تحول الجميع في فرنسا، بما فيهم أولئك الذين ضد الكنيسة، الى متدينين متطرفين. وكان ثمة حديث عن إقامة حرم في مونمارتر، وكفارة عامة لتلك التراجيديا التي سببها الكفار. إذا كان ثمة مناخ للإحياء، وكان لذلك لا يقل أهمية عن المحيي. قال سيمونيني" حسنا، أيها الأب، أخبرني ماذا تريد."

" دعنا نستمر بالإتجاه نفسه، وقبل كل شيء، إنظر الى غويدشي الذي يبيع ، خطابات الحاخامات باسمه ' يجب أن نطبع نسخة تكون مفصلة أكثر ومروعة في الوقت نفسه. ومن ثم ينبغي أن نضع غويدشي في موقع لا يستطيع الإستمرار في توزيع روايته."

"وكيف أستطيع إيقاف تلك الخدعة؟"

" سأخبر الإخوَّة الألمان أن يراقبوه ، وإذا كان ضروريا، نتقدم خطوة في التعامل معه. ومما نعرفه عنه، انه يستطيع الإبتزاز بكل الطرق الممكنة. لكن الآن عليك أن تحوِّل "خطب الحاخامات الى وثيقة أخرى "، وبمراجع أكثر عن الأحداث السياسية الحالية. انظر الى هجاء جولي، يجب أن تُظهِر – كيف أعبر عن ذلك؟– الشخصية الميكيافيلية لليهود وما تملك من خطط لإفساد الحكومات. "

أضاف بيرغاماشي كي نجعل 'خطب الحاخامات أكثر صدقا ، يجب اعادة النظر بما كتبه الحاخام آبي مرة أخرى، فضلا عن جميع رسائل

جْد سيمونيني التي بعثها إليه. ربما إنه يحتفظ بنسخة منها، ومن الممكن أن تكون النسخة الأصلية التي أُرسلت الى بارويل؟

ووجد سيمونيني نسخة الرسالة في أسفل الخزانة في علبة الجواهر الصغيرة الأصلية، وافق على مبلغ مع الأب بيرغاماشي كدفعة لمثل هذه الوثيقة الثمينة. كان اليسوعيون جشعين، بيد أنهم ملزمون بالتعاون. لذلك طَبعت صحيفة المعاصر La Contemporain، في شهر تموز/يوليو عام ١٨٧٨ مذكرات الأب غريفيل، كان واثقاً لمرة واحدة ببارويل، وحصل سيمونيني على معلومات أكثر إستقاها من مصدر آخر، ومن رسالة جده " ستتابع مقبرة براغ الرسالة فيما بعد،" قال الأب بيرغاماشي " إذا فتحت القصة المثيرة حالاً، فإن الناس سينسونها بعد تأثيرها الأول. بدلاً من ذلك، عليك أن ترزمها، وأن كل قطعة جديدة فيها ستعيد للذاكرة القصة بأكملها. "

~~~

وبينما هو يكتب، وجد سيمونيني قناعة كبيرة في مشروع المعلومات repéchage، في رسالة جده ومع رعشة من الإستقامة الأخلاقية، أقنع نفسه أن ما كان يقوم به هو تعزيز لإلتزام واضح.

وانطلق للعمل بطاقة جديدة لتوسيع 'خطابات الحاخامات. وبإعادة قراءة رواية جولي ، لاحظ أن هجومه يعتمد أقل على يوجين سو أكثر مما كان تخيل في القراءة الأولى، وبذلك فإنه عزا ظلماً آخر الى ميكيافيلية نابليونه التي بدت مثالية تناسب اليهود.
~~~

وفي جمعه لهذه المادة، أدرك سيمونيني أنها كانت غنية جداً وواسعة جداً. وكي تؤثر في 'الكاثوليك' فإن خطابات الحاخامات' يجب أن تحتوي على كثير من المراجع التي تخطط لإفساد الأخلاق العامة، وربما يجب أن يستعير من Gougenot des Mousseaux، فكرة التفوق الطبيعي لليهود أو من قواعد استغلال المسيحيين من خلال الربا من برافمان. وما يتعلق بالجمهوريين، فإن المصادرستسبب لهم إزعاجاً لسيطرتهم الكبيرة على وسائل الإعلام، بينما رجال الأعمال والمستثمرون الصغار، الذين تزداد عدم ثقتهم بالمصارف على نحو مضطرد(وكان الرأي العام يعد نطاقاً حصرياً لليهود)، تشير الى الخطط اليهودية العالمية التي ستلامس وتراً حساساً.

هكذا، نمت فكرة في ذهنه تدريجياً، غير معروفة له، كانت فكرة يهودية قبلانية kabblistic. (كبلانية أوقبلانية فلسفة سرية، لدى احبار اليهود لتفسير الكتاب المقدس. المترجم(فبدلاً من كتابة مشهد واحد عن مقبرة براغ واجتماع واحد للحاخامات، عليه أن يهيء خطابات متنوعة، خطاباً للكاهن، وخطاباً للإشتراكي، وخطاباً لروسيا، وخطاباً آخر للفرنسيين. و ينبغي عليه أن لا يفبرك كل الخطابات. إنه ببساطة عليه أن يكتب أوراقاً مستقلة، ثم يجري عليها تعديلاً مغايرا لها، من شأنه أن يوفر الخطاب الأساس لأحدهم أو لآخر؛ بهذه الطريقة يستطيع أن يبيع الخطاب المناسب الى مشترٍ خاص طبقاً لمتطلبات بعضهم بعضاً. بعبارة أخرى، سيكون، كما لو أنه كاتب عدل جيد، وعلى نحو يصوغ مختلف الشهادات الخطية المتنوعة، افادات شهود، او اعترافات ستزوّد

بعد ذلك المحامين لتأهلهم للدفاع عن هذه القضية أو تلك. لذلك فإنه سيبدأ بتسويد ملاحظاته بوصفها بروتوكولات. وأن يكون حريصاً على عدم عرض كل شيء على الأب بيرغاماشي، فيما عدا الإطلاع حسب على تلك النصوص ذات الطبيعة الدينية الأكثر تحديداً. وأنهى سيمونيني وصفاً موجزاً لعمله في غضون تلك السنين بملاحظة غريبة: في نهاية سنة ١٨٧٨ أنه عرف، وبإرتياح عظيم، أن كلا من غويدشي وجولي قد مات. من المحتمل أن غويدشي قد مات خنقاً لإفراطه في شرب الجعة التي سببت له البدانة يوما بعد يوم، أما جولي فقتله اليأس المستمر، الذي أدى به الى إطلاق النار على نفسه. ربما ارتاح بسلام، لأنه لم يكن رجلاً سيئاً.

ربما، بإستحضار المرحومين الراحلْين العزيزين، أخذ كاتب اليوميات هو الآخر يسرف في الشرب. حينما كان يكتب، باتت كلماته غبشية وفي نهاية المطاف توقف عن الإستمرار بكتابة الصفحة، قائلاً أن النوم استلبه.

في اليوم التالي، إستيقظ حينما كان المساء يبعث بخيوطه، وجد سيمونيني على يومياته ملاحظة من آبي دالا بيكولا، الذي دخل مكتبه ذلك الصباح بطريقة ما، قرأ ما قد كُتبته أناه الأخرى، بنغمة أخلاقية، اسرع لإرسال السجل مباشرة.

ماذا يقول؟ إن موت غويدشي وجولي يجب أن لايكون مفاجأة لكابتننا، الذي ما لم يكن يحاول أن ينسى عمداً، فإنه من الواضح غير قادر على التذكر.

بعد ان ظهرت رسالة جدّه في صحيفة المعاصر، تسلم سيمونيني رسالة من غويدشي، كتبت بفرنسية قواعدها ركيكة بيد أنها واضحة. تقول الرسالة " عزيزي الكابتن، أنني أتخيل أن ظهور المادة في صحيفة المعاصر، هو محض اختبار لمادة أخرى تقترح طبعها، وأننا نعرف جيدا أن ذلك الجزء من الوثيقة ينتمي لي، إذا أخذنا بعين الإعتبار، أنني استطيع أن أبرهن أن(بيريتز في اليد) وأنني مؤلف العمل برمته وليس لديك ما تستطيع إثباته، حتى لو ساهمت في أصغر التفاصيل. وبناء على ذلك، اطلب منك أولا الكف والإتفاق معي على موعد، من المفضل أن يكون بحضور محام(لكن ليس من نوع وكلائك) ليقرر ملكية التقرير عن مقبرة براغ. وإن أخفقت في ذلك فإنني والحالة هذه سأنشر اخباراً عن خداعك. بعد ذلك أنني سأُعلم المسيو جولي، الذي لا يعرف في الوقت الحاضر عن القضية،فوراً، أنك قد سرقته ابداعه الأدبي. وما لم تنس أن جولي هو محام محترف، ستدرك أن هذه الوصية ستسبب لك ايضاً عقبة كأداء.

يا للمروِّع، اتصل سيمونيني حالاً بالأب بيرغاماشي قائلا " اهتم بجولي، وأنا سأتعامل مع غويدشي."

وبينما هو متردد، ماذا سيفعل مع جولي، تسلم سيمونيني اشعارا من الأب بيرغاماشي يعلمه فيه أن السيد غويدشي وافته المنية بسلام في فراش نومه وحثه على الصلاة من أجل راحته الأبدية رغم إنه كان بروتستانتياً ملعوناً.

وادرك الآن سيمونيني ماذا يعني الإهتمام بجولي. إنه لا يرغب أن يقوم بأشياء محددة، بعد كل ذلك أنه مدين له بفضل، وأنه بالكاد استطاع التوصل الى حل نتيجة نجاح خططه مع بيرغاماشي دون وازع أخلاقي، وقد رأينا تماماً كيف أن جولي أراد أن يعتمد بشكل كبير على كتاب جولي، دون أن ينتابه قلق من أي تهديد قانوني من مؤلفه.

هكذا، ذهب مرة أخرى الى شارع دي لاب، وابتاع له مسدساً صغيرا كي يحتفظ به في المنزل، ليس قوياً تماماً لكنه يتميز بضوضاء أقل. تذكّر عنوان جولي ولاحظ أن شقته رغم إنها صغيرة، لكنها مفروشة جيداً وأن معلقات جدرانها كافية لأن تمنع الأصوات العالية. مهما يكن من أمر، فمن الأفضل العمل صباحاً، وسط جلبة العربات والحافلات الصغيرة في الشارع، القادمة من البونت رويال وشارع دي باك أو صاعدة هابطة من على جسر السين.

قرع المحامي باب الشقة، وأُخِذ على حين غرة، بيد أن جولي بادره بتقديم القهوة له حالاً، وبدأ يستعيد حسابات آخر تعاساته، وفي نظر أغلب أولئك الذين قرأوا الأخبار – الكذوبة دائماً(قراؤها ومحرروها على حد سواء) – رغم رفضها العنف والحركات الثورية، أنه ما يزال يعد نفسه كوميونياً. واعتقد أنه من حقه معارضة الطموحات السياسية لغريف، الذي تهيأ كمرشح رئاسي للجمهورية ووجه له بيانا يتضمن اتهامات طبعه وأبْرَده على نفقته الخاصة. وإنه نفسه أُتهم بعد ذلك بالبونابارتية التي تتآمر ضد الجمهورية: تكلم غابيتا بإحتقار عن

الكتّاب المرتشين الذين سجلهم حافل بالجرائم " وصوره آدمون آبوت كزائف. بإختصار، هاجمته نصف الصحافة الفرنسية، بإستثناء الفيغارو التي نشرت بيانه، في حين رفضت الصحف الأخرى طبع رسائله دفاعا عن نفسه.

قد ربح، في الحقيقة، معركته، منذ أن قرر غريف التنحي عن الترشح، بيد أن جولي كان أحد أولئك الذين لا يقتنع مطلقاً وذهب الى أبعد المسافات ليضمن قيام العدالة. بعد تحدي إثنين من متهميه للمبارزة، بدأ العمليات القانونية ضد عشرات الصحف لرفضها النشر، والقذف، والإهانة العامة.

" قدمت قضيتي شخصياً واستطيع أن أطمئنك، يا سيمونيني، وأنني أشجب كل الفضائح التي امتنعت عن ذكرها الصحف، فضلاً عن تلك التي تتحدث عنها حاليا. هل تعلم، ماذا قلت لأولئك الأوغاد، بما فيهم القضاة؟ ' أيها السادة، أنني لا أخشى الإمبراطورية، التي قمعتكم حينما كانت تمسك بالسلطة، والآن، لا أبالي مثقال ذرة بأولئك الذين يقلدونها في اسوأ مظاهرها. ' وحينما حاولوا منعي من الكلام، قلت " ايها السادة، إن الإمبراطورية حاكمتني بسبب التحريض، على الكراهية، وازدراء الحكومة وإهانة الإمبراطور، بيد أن قضاة القيصر سمحوا لي بالكلام. والآن أطالب قضاة الجمهورية منحي الحرية نفسها التي كنت أتمتع بها تحت حكم الإمبراطورية."

" وماذا حدث؟ "

" ربحت المعركة. المعركة كلها ما عدا صحيفتين مدانتين.؟"

" إذن، مالذي يزعجك؟"

" كل شيء. بما في ذلك معارضة المحامي، رغم اشادته بعملي، قال إنني سأحطم مستقبلي من خلل الإفراط العاطفي. أخبرني أن الإخفاق الذي لا هوادة فيه سيدمر كل خطوة أخطوها كعقوبة لكبريائي؛ وذلك بمهاجمة هذا وذاك لأنني لم أُنتخب كنائب في البرلمان أو أُستوزر لدي الحكومة؛ وربما إنني سأحقق نجاحا أكبر ككاتب أفضل من كوني سياسياً. بيد أن ذلك ليس صحيحاً ايضاً، لأن ما قد كتبته قد اصبح في ذاكرة النسيان، بعد أن ربحت تلك القضايا فقد تواريت عن الصالونات الراقية. وقد ربحت كثيراً في المعارك ومازلت حتي الآن فاشلاً. وسيأتي الوقت حينما ينكسر شيء ما في الداخل، وليس ثمة طاقة أو وصية. إنهم يقولون ينبغي أن تعيش، بيد أن الحياة تحولت الى عبء من المحتوم أنها ستؤدي للإنتحار. "

صدق سيمونيني أن ما كان على وشك أن يقوم به كان مبررا تماماً. وإنه سينقذ تلك الروح التعيسة من المبادرات المتطرفة والمهينة، الفعل النهائي للإخفاق. كان على وشك القيام بفعل من أفعال الخير... وسيتحرر كونه شاهد خَطَر.

طلب من جولي إن كان بإمكانه القاء نظرة سريعة على بعض الصحف التي اراد أن يبدي رأيه فيها. ناوله ملفاً كبيراً يحتوي على الصحف القديمة. وقد استغرق منه وقتاً ليستشف محتوياتها، كان جولي يجلس على كرسي ذي ذراعين، جمع مجموعات الصحف التي كانت مشدودة برباط باعتناء.

راح يقرأ، دون أن يشعر ماذا كان يجري، في هذه الأثناء إنتقل سيمونيني بهدوء الى جانبه، وضع فوهة المسدس على رأسه وسحب نابضه.

تراجع جولي للأمام وراحت قطرات دم تسيل من ثقب في صدغه وكانت ذراعاه متدليتين. ليس من الصعوبة بمكان أن يضع مسدساً بيد جولي. من حسن الحظ، حدث هذا قبل ست أو سبع سنوات قبل اكتشاف البارود المعجز الذي يجعل البصمات على السلاح إكتشافاً واضحاً. في الوقت الذي انتهى حساب سيمونيني مع جولي، فإن طرق ابتكار تشخيص بيرتلون لا زالت سارية المفعول، تعتمد على قياسات الجمجمة والعظام الخاصة بالشك. لا أحد سيشك أن موت جولي ليس أكثر من عملية انتحار.

إستعاد سيمونيني حزمة الصحف، غسل كوبي القهوة وغادر الشقة وهو في حالة جيدة. بعد مرور يومين، كما قد اكتشف بعد ذلك، أن حارس الباب، لاحظ غياب المستأجر، ذهب الى مخفر الشرطة في ضاحية سانت – توماس دي آكوين. كسر ضباط الشرطة باب الشقة ووجدوا الجثة. وطبقاً لملخص تقرير الجريدة، كان المسدس مرمياً على الأرض بشكل واضح. وقد أخفق سيمونيني أن يثبته بيد جولي، لكن ليس ثمة اختلاف. وعن طريق مصادفة لا يمكن تصديقها، كان ثمة رسالة على الطاولة معنونة الى أم جولي، وشقيقته، وشقيقه. لا أحد منهم نطق تحديداً عن الإنتحار. لكن جميعهم كانوا مخضبين بأعمق مشاعر اليأس النبيلة ويبدو أن الرسالة قد كتبت لذلك الغرض حصرياً.

لكن مَنْ كان يعرف إن كان ذلك الشخص المسكين لم يقصد حقاً الإنتحار. الذي سيؤدي الى متاعب جمّة يواجهها سيمونيني بلا سبب.

لم تكن هذه أول مرة يظهر فيها دالا بيكولا القضايا الى إنشغالات صديقه الذي ربما قد تعلم فقط الإعتراف وأن سيمونيني نفسه لا يرغب أن يتذكر. كان سيمونيني الى حدما قد تضرر وقد كتب جملة تعليقات غاضبة أسفل مذكرات دالا بيكولا.

من المؤكد، فإن أوراق كاتبك العدلي الذي يتصفحها كانت تثير دهشته، وربما تستحق الإستخدام في يوم ما كخلفية لرواية.

(١٩)

عثمان بك

الحادي عشر من مساء نيسان /ابريل ١٨٩٧،عزيزي آبي، أنني اسعى جاهداً بقدر ما استطيع من أجل إعادة بناء ماضيّي وأنك تقاطعني بإستمرار كأيٍّ معلم متحذلق، في كل وقت أقع فيه في أخطاء إملائية... إنك تحيرني. إنك تقلقني. حسن جداً، ربما أنا الذي قتل جولي فعلاً، بيد أنني أنوي الى وضع حد لتبريرتلك الوسائل الصغيرة التي كنتُ مرغماً على القيام بها. يجب أن تقتدي بالأب بيرغاماشي في فطنته السياسية، ورباطة جأشه، وتسيطر على هوس مكابرتك...

والآن لم أعد مَديناً بفضل لجولي أو غويدشي، وبإمكاني العمل على بروتوكولات براغ إيّاي(كما أسميتها). لدي إرادة لإنجاز عمل جديد، منذ أن تحولت الخلفية القديمة لمقبرة براغ الى شيء مألوف يستحق أن يكون رواية. بعد سنوات قليلة من نشر رسالة جدي "خطب الحاخامات " في صحيفة المعاصر، زاعمة فيها أنه تقرير حقيقي حققه دبلوماسي إنجليزي إسمه السير جون ريتكليف، لأن الإسم المستعار الذي استخدمه غويدشي بوصفه مؤلف روايته هو السير جون ريتكليف، وكان من الواضح هو تحديد مصدر النص. إنني فقدت عدد أوقات المشاهد في المقبرة التي تكررت من قبل مؤلفين آخرين - كما

سبق لي وأن كتبت، يبدو أنني أتذكر المدعو بورنارد قد نشر حاليا اليهود ومعاصرونLes Juifs et nos contemporiarns، حينما ظهرت "خطب الحاخامات " للمرة الثانية، مالم يكن ذلك الجون ريتكليف قد تحول هو الآخرالى حاخام. يا إلهي، كيف تكون الحياة ممكنة في عالم المزورين؟

بناء على ذلك، كنت ابحث عن مادة جديدة لأضيفها الى بروتوكولاتي، لم أكن كارهاً أخذها من الأعمال المنشورة، أنني أدرك ذلك جيداً – إنقاذاً لقضية آبي دالا بيكولا– إن عملائي المحتملين لا يبدون من ذلك الصنف من الناس الذين يقضون أوقاتهم في المكتبات العامة.

قال لي الأب بيرغاماشي ذات يوم: إن ثمة شخصاً يدعى لوتوستانسكي قد طبع كتاباً باللغة الروسية عن التلمود واليهود. سأحاول الحصول على نسخة وأترجمها عن طريق أحد الإخوان. ولكن الأكثر أهمية، ثمة شخص آخر ربما يكون مفيداً. هل سمعت بشخص إسمه عثمان بك؟ "

" تركي؟"

" ربما يكون صربياً، بيد أنه يكتب بالألمانية. قد غزا كتابه عن اليهود الذي تُرجم الى لغات عدة في العالم، بيد أنني أعتقد أنه ربما بحاجة الى معلومات أكثر، لأن حملاته ضد اليهود التي يعيش من خلالها، يقال إن البوليس السياسي الروسي قد اعطاه أربعمائة روبل بهدف المجيء الى باريس ويحقق عن الحلف الإسرائيلي العالمي،

إن كنت أتذكّر ذلك تماماً، أعتقد ان لديك معلومات عنها من صديقك برافمان."

" قليلة جداً، إن كنت صادقا معك "

" إفعل ذلك، إعرض شيئاً ما على عثمان بك وسيعطيك ما يقابل ذلك."

" كيف أجده؟"

" سيجدك."

والآن عملت قليلاً جداً لصالح هيبوتيرن، بيد أن الإتصال به مستمرفي الغالب. إننا نلتقي في المدخل الرئيس لساحة نوتردام، وطلبت معلومات عن عثمان بك، يبدو أنه معروف لدى الشرطة في نصف الكرة الأرضية.

" ربما إنه من أصل يهودي. كما هو برافمان ومتعصبون آخرون ضد اعداء سلالتهم. لديه تاريخ طويل: وقد اعتاد أن يطلق على نفسه ميلنغير او ميلنغين، ومن ثم كبريدلي- زيد، وزعم قبل وقت مضى أنه ألباني. كان قد نُفي من بلدان عدة لأغراض تعاملات مشبوهة، على العموم كانت إحتيالات؛ وفي أشياء أخرى قضى عدة اشهر في السجن. إنه مستمتع بقضية اليهود لأنه يحس أنها قضية مربحة. وفي ميلان، بين الفينة والأخرى، يتراجع عموماً عن كل شيء كتبه عن اليهود، ومن ثم طبع كراسات ضد اليهود في سويسرا وأخذ يبيعها من باب الى باب في مصر. بيد أن نجاحه الحقيقي كان في روسيا، حينما شرع بكتابة قصص عن قتلة الأطفال المسيحيين. الآن هو مهتم

بالحلف الإسرائيلي. لهذا السبب نريد ابعاده عن فرنسا - كما ذكرت آنفا، أننا لا نريد أن نبدأ نزاعاً مع أولئك الناس. إذ أنّ ذلك ليس من مصلحتنا، على الأقل في الوقت الراهن.

" بيد أنه في طريقه الى باريس، ربما يكون هنا فعلاً."

" أرى أنه من الأفضل أن تبلغه شخصياً. حسن، إذا رغبت بمراقبته، سنكون أكثر التزاماً، كما هو دائماً."

هكذا، لدي سببين وجيهين لمقابلة عثمان بك: الأول، أن أبيعه ما استطيع من معلومات عن اليهود، والثاني لأتواصل بإعلام هيبوتيرن عن تحركاته. وبعد مرور اسبوع طفق عثمان بك بالتواصل معي، تاركاً ملاحظة تحت عتبة باب محلي مشفوعة بعنوان المثوى في مارياس.

تخيّلت أنه ربما يستذوق الطعام، أريد أن ادعوه الى مطعم Le Grand Véfour لأجعله يستطعم

Les mayonnaises de volaille، و Fricassée de poulet Marengo

ولكن في حالة تبادل الرسائل فإنه يرفض أي نوع من أنواع الدعوات هذه وأبلغني أن أقابله ذلك المساء في زاوية ساحة موبير و ريو ميتريه – البير. ورأيت عربة الأجرة الصغيرة إقتربت، دنوت منها ثم عرّفت بنفسي.

حينما توقفت العربة في ركن الميدان فإن ظهور وجه ذلك الشخص الذي لم أكن راغباً في مقابلته في ليلة مظلمة في شوارع منطقتي: شعره طويل أشعث، وأنفه معكوف، وملامحه عجينية، وعيناه كعيني صقر، وعَرّة في عينه اليسرى، نحيفاً كبهلوان.

قال لي فوراً " مساء الخير، أيها الكابتن سيمونيني، في باريس للجدران آذان، كما يقولون. الطريقة الوحيدة التي نستطيع أن نتحادث فيها بهدوء هي أن نقوم بجولة في العربة حول المدينة. وهذا الحوذي لا يستطيع سماعنا، حتى وإن استطاع، فإنه أصم كسارية. "

هكذا عُقد أول حديث لنا حينما أسدل المساء ظلاله على المدينة وتكاثف رذاذ خفيف من خلال ضباب كثيف، تقدم بتكاسل حتى غشي أرصفة الشوارع. ويبدو كما لو أن الحوذي قد تسلم تعليمات للسير بإتجاهات في ضواح مهجورة عبر ممرات داكنة. إستطعنا أن نتحادث دون ازعاجات حتى في جادات كابوشين، بيد أن عثمان بك كان من الواضح يتمتع بالisem en scéne.

" تبدو باريس مهجورة. أنظر الى المارة ،" قال عثمان بك، وثمة ابتسامة تضيء ملامح وجهه كشمعة تضيء جمجمة(رغم وجهه المخرّب، وكبر أسنانه). " إنها تتحرك كما لو أنها اشباح ربما في أول ضياء من النهار لتسارع بالعودة الى مقابرها."

كان صبري ينفد. " إنني معجب بإسلوبك، أنه يذكرني بإسلوب بانسون دو تيريل الرائع، بيد أننا ربما نستطيع أن نتحدث أكثر عن قضايا واقعية جداً. على سبيل المثال، ما الذي بإمكانك أن تحدثني عن هيبوليت لوتوستانسكي؟ "

" إنه جاسوس مشعوذ. كان كاهناً كاثوليكياً، راهباً مجرداً من سلطته، إذا جاز لنا التعبير، أن نقول، أشياء لا ينبغي أن يفعلها مع الشباب – وهذه بحد ذاتها فضيلة لأن السموات هي العليا، والإنسان هو الأضعف، كما نعرف، لكن إن كنت كاهنا فإن واجبك هو الحفاظ على الكرامة. في الواقع، تحول الى ناسك آرثوذوكسي... وأنا أعرف ما فيه الكفاية عن قداسة البابا الروسي لأقول إن تلك الأديرة نأت عن مهمتها في العالم، أما النساك الكبار والمبتدؤون فبينهم التزام متبادل – كيف أعبر عن ذلك؟- عاطفة أخوية. بيد أنني لست ناقل أقاويل وليس لي مصلحة في شؤون الآخرين. كل ما أعرفه هو أن لوتوستانسكي قد أخذ مبالغ ضخمة من الحكومة الروسية لكتابة روايات عن القرابين الإنسانية التي اقترفها اليهود بحقها، وهي القصة الحقيقية لطقوس قتل الأطفال المسيحيين. وكما لو أنه قد تعامل مع الأطفال كما لو أنه تعامل على نحو أفضل مع نفسه. هناك ايضاً شائعات تقول إنه تلقى رشاوى مالية من مجموعات يهودية كثيرة لتراجعه عن كل شيء نشره. قلما تتخيل أن اليهود يدفعون دانقاً واحداً دون مقابل. كلا، أنه شخص لا يمكن الوثوق به أبداً."

وأضاف " نسيت أن أقول... إنه مريض بالسفلس."

واعرف أن كثيراً من الروائيين الكبار دائماً ما يصورون ذواتهم من خلل شخصياتهم.

وأصغى عثمان بك بأناة بما سأخبره به، مبتسما لمعرفة وصفي الحي لمقبرة براغ، ثم قاطعني: " ياكابتن سيمونيني، أن هذا يبدو تماماً شبيه بالأدب، وبقدر ما كنتَ توحي به إياي. كل ما أبحث عنه هو الوضوح في العلاقات بين الحلف الإسرائيلي والماسونية و- إن كان ليس ممكناً أن ننبش الماضي بإستثناء إحتمالات المستقبل - والعلاقات بين اليهود الفرنسيين والنمساويين. والحلفاء هم قوة يرمون شبكة من الذهب حول العالم كي يربحوا كل شيء وكل شخص، هذا ما ينبغي برهنته وكشفه. وقوى مثل الحلفاء موجودة منذ قرون، حتى قبل الإمبراطورية الرومانية. وهذا ما يدفعهم للعمل؛ أنهم موجودون أكثر من ثلاثة آلاف سنة. فكر فقط أنهم استولوا على فرنسا من خلال اليهودي تيرز."

" وهل كان تيرز يهودياً؟ "

" ومَنْ غيره؟ أنهم دائماً حولنا، يراقبوننا، يسيطرون على إستثماراتنا، يوجهون جيوشنا، يؤثرون على كنائسنا وحكوماتنا. فقد رشوت شخصاً ما يعمل لصالح الحلفاء - الفرنسيون كلهم فاسدون - وحصلت على رسائل مزورة وأرسلتها الى مختلف لجان اليهود في البلدان المتاخمة لروسيا. وقد توسعت تلك اللجان عبر تلك الحدودجميعها، وفي الوقت الذي تراقب فيه الشرطة الطرق الرئيسية، فإن مراسليهم يسافرون عبر الحقول والأهوار والممرات المائية. إنهم

شبكة أحادية. وقد أعلمت قيصر بالمؤامرة وأنقذ قداسة البابا في روسيا. أنا الوحيد. الذي يحب السلام. أنا أحب أن يحكم العالم اناس معتدلون، بينما كلمة " عنف " ليس لها معنى. إذا تحرر العالم من اليهود، الذين يوظفون اموالهم لتجار السلاح فإننا سنعيش مئات السنين سعداء."

" وهكذا؟"

" وهكذا في يوم ما سنحاول تجريب الحل المعقول، الحل النهائي- إبادة اليهود جميعاً. بما في ذلك الأطفال؟ نعم، حتى الأطفال. أنا اعرف أنها تبدو فكرة هيرودية، ولكن حينما تكون البذور سيئة فليس ثمة من سبب لحصادها - يجب أن نقضي عليها. إذا أردت أن تتخلص من البعوض فعليك القضاء على يرقاته. والتركيز على الحلفاء يجب أن يكون الخطوة الأولى. والحلفاء يمكن تدميرهم فقط من خلال إزالة سلالتهم.

في نهاية تلك الرحلة من خلل شوارع باريس المهجورة، إقترح عثمان بك:

" أيها الكابتن، إن ما تعرضه عليَّ هو شيئاً قليلاً، أنك لا تتوقع مني أن أزودك بمعلومات هامة عن الحلفاء، الذين سأعرف عنهم حالا كل شيء. بيد أنني اقترح عليك حلفاً: إنني قادر على إستجواب يهود الحلفاء، ولكني لست قادراً على استجواب الماسونيين، المنحدرين

من الصوفية، ومن الآرثوذوكس الروس وبدون أي تعارف خاص في هذه المدينة المالية وفي الدوائر الثقافية، ولا أستطيع الإنضمام الى الماسونيين. إنهم يستولون على الناس من أمثالك، أنهم يراقبونك من خلال ساعات موضوعة في جيوب صدرياتهم. وليس ثمة صعوبة تذكر في أن تجد طريقك من بينهم. وقد علمت أنك تزعم في أحد حملات غاريبالدي - أنك ماسونياً اذا كان ثمة ماسوني هنا. وهكذا، إخبرني عن الماسونيين وسأخبرك عن الحلفاء "

" إتفاقية جنتلمان ليس أكثر من ذلك؟"

" بين الرجال النبلاء ليس ثمة حاجة لإتفاقية مكتوبة."

(٢٠)
الروس

الثاني عشر من نيسان /ابريل، التاسعة صباحاً ١٨٩٧، عزيزي آبي، نحن شخصاًن مختلفان قطعاً. وإنني برهنت على ذلك.

في هذا الصباح، حوالي الساعة الثامنة، إستيقظت(من سريري)، ذهبت الى مكتبي، وأنا مازلت مرتدياً ملابس نومي، لمحت شكلاً بشرياً أسود اللون ينساب بعيداً عن الطابق السفلي. ولاحظت فوراً أن شخصاً ما عبث في أوراقي. قبضت على سيفي الخيزران، الذي كان من حسن الحظ في متناول اليد بسهولة، هبطت الى المحل. رأيت ظلاً أسود اللون يشبه طيرسوء الطالع يسير في الشارع. تابعته و- إما لسوء حظ محض، وإما لأن المتطفل قد خطط لهروبه بإعتناء - تعثرت بغائط لم يكن هناك اصلاً.

اندفعت وأنا اعرج في الرواق حاملاً سيفي الخيزران غير المسلول، لكن يا للأسف، لم أر أحداً. فقد اختفي زائري. لكنه كان أنتَ، إنني أقسم بالله، وفي الواقع، عدت الى شقتك ورأيت أن فراشك كان خالٍ

الثاني عشر من نيسان / ابريل، منتصف النهار
الكابتن سيموניني،

أجيب على رسالتك بعد أن استيقظت تماماً(مِن على سريري). أقسم لك أنني لم أكن في شقتك هذا الصباح، بينما أنا نائم. لكن كما كنتُ مستيقظاً، حوالي الساعة الحادية عشرة، كنت خائفاً من مشهد ذلك المجرم - إنك أنت لا ريب في ذلك - يتوارى عبر الرواق حيث كانت الأزياء معلقة. تابعتك وأنا في ملابس نومي بقدر ما تبعد عني شقتك لاحظتك تنحدر كشبح في محل خردواتك وانسللتَ خلسة من الباب. تعثرت في الغائط، في الوقت الذي وصلت فيه شارع موبير غير النافد ليس ثمة أثر لصورة ذلك المجرم. بيد أنني استطيع أن اقسم أنك أنتَ. أخبرني فيما إذا كنت أنا مصيباً، أنني أتوسل إليك.

الثاني عشر من نيسان في المساء الباكر.
عزيزي آبي

ماالذي يحدث لي؟ أنني مريض تماماً. ثمة لحظات حين ابدو فيها أنني على وشك الإغماء ثم استعيد وعيي لأجدك تكتب في مذكراتي. هل إن كلانا شخص واحد؟ فكر للحظة، من خلال احساساتك الجيدة بدلاً من التفكير المنطقي، إذا كان كلتا مواجهتينا تحدثان في آن واحد، فإنه من الممكن أن يتخيل كلانا أن شخصاً واحداً كان أنا والآخر كان أنت. لكن ما يمر به أحدنا من تجربة تحدث في أوقات متباينة عن الآخر، وبالتأكيد، فإذا وصلت أنا المنزل ورأيت رجلاً يجري، فإنني سأكون متأكداً أن ذلك الرجل ليس أنا، بيد أن الفكرة

التي يجب أن تكون أنت تعتمد على الإيمان مع القليل من الأساس لها. ففي ذلك الصباح كان كلانا فقط في هذا المنزل.

إذا كان كلانا، وثمة شيء ليس صحيحاً. فقد كنت تفتش في محتويات أشيائي في الساعة الثامنة من ذلك الصباح وكنت اتابعك. ومن ثم ذهبت بدوري للبحث في محتويات اشيائك في الساعة الحادية عشرة وكنت تتابعني ولكن لماذا يتذكر أحدنا الآخر الزمن واللحظة حين يجد المتطفل في بيته وليس الزمن واللحظة حين يدخل هو بيت الآخر؟

بإمكاننا، بالطبع، أن ننسى، أو نتناسى، أو بالإمكان أن نركن للصمت عن الموضوع لسبب معين. بيد أنني، على سبيل المثال، متأكد تماماً أنني أتمتع بالهدوء، وبصدق مطلق، أنني لم أكن تماماً انزع الى الهدوء عن أي شيء. مرة أخرى، دعني أكون صادقاً، أن فكرة الشخصين لهما الرغبة عينها في الوقت ذاته لإخفاء حقيقة بعينها عن الآخر، تبدو الى حد ما وهمية، حتى Montépin سيكون حالماً في مثل هذه القصة.

من المحتمل جداً أن ثلاثة أشخاص متورطون، فلغز المسيو غامض Mystére، الذي اعتقدتُ أنه أنت، دخلتَ شقتي في الصباح الباكر. في الساعة الحادية عشرة ،ذات لغز المسيو Mystére، الذي تعتقد أنه أنا، دخل الى مكانك، هل يبدو ذلك شيء لا يصدق ابداً، مع وجود جميع الجواسيس من حولنا؟

لكن ذلك لا يؤكد كلانا شخصين مختلفين. فبإمكان الشخص ذاته كما يتذكر سيمونيني زيارة Mystére في الثامنة، ومن ثم فقد ذاكرته، كما يتذكر، دالا بيكولا زيارة Mystére في الساعة الحادية عشرة ليلاً.

لذلك، فإن القصة برمتها، لا تجيب عن مشكلة هويتنا. إنها ببساطة، عقّدت حياتينا نحن الإثنين(أو حياة ذلك الشخص الذي هو كلانا) وبإقحام شخص ثالث يتمكن من دخول شقتينا متى يشاء.

ومــاذا إذاً، الى حــد مــا نكــون أكثــر مــن ثلاثتنــا، أو نكــون أربعة؟ Mystére 1 يدخل مكاني الساعة الثامنة Mystére 2 يدخل مكانك الساعة الحادية عشرة. وما هي العلاقة بين Mystére 1 و Mystére 2 ؟

مرة أخرى، بإمكاننا أن نكون متأكدين أن ذلك الشخص الذي تابع Mystére إيّاك كان أنت وليس أنا؟ هذا سؤال رائع، يجب أن تعترف.

في كل الأحوال، دعني أحذرك، فلدي سيف خيزران. فحالما أرى شخصاً آخر في داري، فسرعان ما سأوجه له ضربة ولا يهمني كائنا مَنْ كان، ومن غير المحتمل أن أكون أنا، وبذلك أكون قد قتلتني. وربما أقتل مسيو Mystére(إن كان ١ أو ٢). أو اقتلك ربما، لذا أحذرك.

مساء الثاني عشر من نيسان /ابريل،

كلماتك، التي قرأتها حين استيقظت بعد هجوع طويل، أزعجتني وكما، لو أنها حلم، صورة دخلت في ذهن الدكتور باتايلي(ولكن من

هـو؟) في أوتيويل، الـذي كـان الى حـد مـا مخمـوراً، أعطـاني مـسدساً صغيراً، قال " إنـني خـائف، إننـا تماديـنا كـثيراً، الماسـونيون يريـدوننا ميّتْين، من الأفضل لك أن تتسلح." كنت خائفاً من المسدس أكثر مـن خـوفي مـن التهديـد، منـذ أن عرفـت(كيـف؟) بإمكـانـي أن احـذر مـن الماسونيين. في اليوم التالي تركـت المـسدس في أحـد المجـرات هنـا في الشقة في ريو ميتري – البير.

في هذا المساء أفزعْتني، لذا أعـدت المـسدس الى مكانـه، تغـالبني مشاعر غريبة، على نحو أكرر شيئاً ما قمـت بـه الآن، بيـد أنـني تراجعـت نحو الوراء. كفى أحلاماً. في الـساعة الـسادسة من هذا المـساء خـاطرت بحـذر بالـذهاب الى شـقتك، وعـبر الممـر حيـث تُعلـق الأزيـاء. رأيـت هيكلا بشرياً أسود قادماً بإتجاهي، كان رجلاً منحنياً نحو الأمام، يحمـل فقط شمعة صغيرة، ربمـا كـان أنـت، آه يـا إلهـي، أنـني فقـدت صـوابي. أطلقت عليه النار فخر صريعاً تحت قدميٍّ، جثة هامدة.

ومات، برصاصة واحدة في قلبه، إستخدمت المسدس للمرة الأولى في حياتي، وأتمنى أن تكون الأخيرة. يا للفعلة المروعة.

نقبـت في جيوبـه. كـان كـل مـا فيهـا حزمـة رسـائل كتبـت باللغـة الروسية. تطلعت في وجهه، ورأيت وجنات خده البارزة وعيون كالملك Kalmyk المنحرفة، ناهيك عن شقرة شعر رأسه المائلة للبياض. كان دون شك سلافياً. ماذا يريد مني؟

لا يمكنني أن اترك الجثة في الـدار. حملتهـا الى سـردابك، فتحـت الباب المتحرك الذي يفضي الى صرف المياه وفي هذا الوقت وجـدت

في نفسي الجرأة أن اهبط السلالم نحو الأسفل. وأنا اسحب الجثة خلفي بصعوبة بالغة، خاطرت وأنا أجتاز الجو الخانق، سحبتها الى مكان حيث استطيع فيه أن افكر أين أجد عظام دالا بيكولا الأخرى، بدلاً من ذلك فوجئت بشيئين،أولهما، ذلك البخار وتلك العفونة التي تحت الأرض المتأتية نتيجة معجزة خيميائية، ساعدت علوم عصرنا، على الحفاظ لعقود ما ينبغي أن تكون بقايا ضحيتي، التي تناقصت بحيث لم يبق غير هيكلها العظمي مع بقايا مادة شبيهة بالجلد، هكذا كي تحافظ على شكلها البشري. رغم عدم تحنيطها. والمفاجأة الثانية هي أنني وجدت الى جانب الجثة المفترضة لدالا بيكولا جثتين أخريين، إحداهما كانت لرجل كاهن، والأخرى لإمراة نصف عارية، وكلتاهما في حالة تفسخ. بيد أن إحداهما بدأت مألوفة جداً. لِمَنْ هاتان الجثتان اللتان وضعتاني في حالة من الإضطراب وملأتا رأسي بمثل هذه الصور غير الناطقة؟ أنا لا أعرف. ولا أريد أن اكتشف. بيد أن قصتينا كانتا اكثر تعقيداً مما تبدوان.

لا تخبرني الآن أن شيئاً شبيهاً قد حدث لك. أنا لا استطيع أن اتحمل عبء هذه اللعبة المزدوجة والمتزامنة.

ليلة الحادية عشرة من نيسان / ابريل،

عزيزي آبي.

إنني لا ابحث عن قتل، على الأقل دون سبب. بيد أنني هبطت هناك لألقي نظرة على مجرى التصريف، حيث لم أشاهده منذ سنوات. يا إلهي ! ثمة اربع جثث. احداها تركتها أنا هناك لمدة

طويلة، والأخرى، جثتك أنت هناك هذا المساء، لكن ماذا عن الأخريين؟

مْن الذي يزور تصريف مياهي وإغراق الجثث فيها؟ الروس؟ ماذا يريد الروس مني – منك – منا–

أوه، يالها مِنْ قصة !

Oh, quelle histoire!

(٢١)

تاكسيل

من يوميات الثالث عشر من نيسان/ابريل، ١٨٩٧،كان سيمونيني متلهفا أن يعرف مَنْ الذي دخل منزله - ومنزل دالا بيكولا. عاد بتفكيره الى السنوات المبكرة لثمانينيات القرن التاسع عشر حينما اعتاد زيارة صالون جولييت آدم(التي التقى بها على أنها مدام لامازين في المكتبة العامة في ريو دي بيون). وهناك تعرف على يوليانا ديميتريفنا غلنكا. ومن خلالها قابل ريشكوفسكي. وإن كان ثمة مَنْ كسر باب شقته(أو شقة دالا بيكولا) ودخلها، فإنه دون ريب كان قد أُرسل من قبل ذينك الإثنين اللذين يبدو انه يتذكرهما أنهما كانا صيادين متنافسين على الكنز نفسه. لكن مضت خمس عشرة سنة منذ ذلك الحين، التي حدثت خلالها أشياء كثيرة. فكم مِن الوقت كان الروس يتابعونه؟

او بالأحرى الفريماسونيون؟ لابد وأنه قام بشيء ما لإزعاجهم. ربما كانوا يبحثون عن اوراق مساومة. والعودة الى ذلك الزمن الذي كان قد حاول فيه أن يقيم اتصالات مع الفريماسونيين لإقناع عثمان بك، فضلاً عن الأب بيرغاماشي الذي كان يتنفس من اسفل رقبته لأن روما على وشك أن تشن هجوماً على نطاق شامل على الفريماسونيين(وعلى اليهود، الذين كانوا يدعمونهم) الذين هم

بحاجة الى مادة منعشة – لأنهم يملكون اعداداً قليلة من الصحيفة اليسوعية Civilta Cattolica،التي قد أرغمت على إعادة نشر رسالة جد سيمونيني الى بارويل، مع أنها نُشرت فعلاً قبل ثلاث سنوات في صحيفة المعاصر.

وأعاد التفكير مرة ثانية: في وقت لم يكن فيه متأكداً إن كان لديه فكرة جيدة لينضم الى أحد المحافل. وسيخضع لقواعد طاعة محددة، وعليه أن يحضر اجتماعات ولا يمكنه رفض امتياز الإخوّة. هذه الأشياء كلها ستحد من حرية تنقله. فضلاً عن، أنه لا يستطيع استبعاد احتمالات المحفل، قبل قبوله، ينبغي أن يحققوا في سيرة حياته حاضراً وماضياً، وهذا شيء لا يسمح به. لكن ربما من المحتمل ابتزاز أحد الماسونيين واستخدامه كمخبر له. وكاتب عدل يصوغ كثيراً من وصايا زائفة(مواريث ذات قيم معتبرة) يجب أن تكون بالتأكيد من خلال ماسوني رفيع المقام أو آخر.

مرة أخرى، لا يريد أن يخلق تهديدات صريحة للإبتزاز. شعر سيمونيني لبعض الوقت أن انتقاله من مخبر الى جاسوس عالمي سيدر عليه الربح. لكن لم يبرهن بما فيه الكفاية لإشباع طموحاته. كيما يكون جاسوساً يلزمه أن يعيش في الغالب حياة سرية، وكلما كبر شعر أنه بحاجة ماسة الى مكافأة أكبر وحياة اجتماعية محترمة. هذا ما رأى في مهنة المحاماة الحقيقية: لا أن يكون جاسوساً حسب، لكن يجب أن يعتقد الجميع أنه جاسوس، وأنه أحد اولئك الذين يلعبون

على الحبال جميعها ، لذلك لا أحد كان متأكداً تماماً لمَنْ كان يجمع المعلومات، وكم مِن هذه المعلومات يمكن أن تكون بحوزته.

وفكرة أنه جاسوس لابد وأن يكون هذا العمل مربحاً جداً، كما كان الجميع يحاول الحصول منه على ما يعتقدون أنه لا يقدر بثمن، وكانوا متهيئين لعقد صفقة كبيرة معه. لكن لأنهم لا يريدون أن يكونوا مفتوحين عليها، فإنهم يستخدمون مهنة محاماته كذريعة، يدفعون قوائم باهظة بلا رفة جفن، وفي الحقيقة، ليس أن يدفعوا حسب من أجل خدمات مشروعة تافهة ومفرطة ولكن لأنهم يقومون بذلك دون تسلم أية معلومة. إنهم يعتقدون ببساطة أنهم دفعوا رشوتهم وأنهم ينتظرون بنفاد صبر بعض الأخبار.

يشعر السارد أن سيمونيني كان سابق زمانه: في الواقع، ومع انتشار الصحافة الحرة والطرق الجديدة للإتصالات، ووشوك البث الإذاعي والإرسال التلغرافي، كانت المعلومات السرية تتزايد بشكل نادر، وهذا ربما يقود الى صعوبات في مهمة الوكيل السري. ومن الأفضل أن لا تحصل على أي معلومة سرية. بل يجب أن تجعل الناس يعتقدون أنك تملك تلك المعلومات. وهذا شبيه بالعيش على دخل خاص أوالتمتع بأرباح حقوق براءة اختراع - أنك تتمتع بحياة باذخة بينا الآخرون يتبجحون بتلقي إيحاءات مغرية منك، ومن شهرتك المتصاعدة، ستغدق الأموال عليك بإشارة من بنانك.

مع مّنْ يستطيع الإتصال؟ ومَن الذي ربما يخشى التعرض للإبتزاز دون أن يحدث أي ابتزاز حقيقي؟ كان أول اسم تبادر في الذهن هو

تاكسيل. وقد تذكر اللقاء معه حين زوَّر بعض الرسائل(مِنْ مَنْ والى مَنْ)، وبذلك تحدث تاكسيل مع ذلك المعتد بنفسه، عن عضويته في محفل يسمى اصدقاء شرف معبد فرانسسكو La Temple des Amis de l'honneur Francisco. هل كان تاكسيل الرجل المناسب؟ أنه لايريد أن يقوم بعاطفة زائفة ويبحث عن نصيحة من هيبوتيرن. واتصاله الجديد، لا يشبه اتصاله مع غرانج، الذي لم يغير مكان اجتماعه: أنه دائماً موقع خلف الصحن المركزي في نوتردام.

سأل سيمونيني هيبوتيرن فيما إن كانت المخابرات عرفت معلومات عن تاكسيل. وأخذ هيبوتيرن بالضحك. " عادة نحن الذين نسألك عن المعلومات، وليس العكس صحيحاً. لكن سأفكر ما هي الطريقة التي استطيع فيها إبداء المساعدة. ثمة شخص على طرف لساني، لكنه لا يتعامل مع المخابرات السرية. الموضوع يتعلق بالشرطة. سأخبرك في غضون أيام قليلة جداً. "

وصل التقرير في نهاية الإسبوع وكان مفيداً جداً. ذكر أن ماري جوزيف غابرييل انطوني يوغاند- بيجي، الإسم المستعار لليو تاكسيل، المولود في مرسيليا سنة ١٨٥٤، تلقى تعليمه على يد اليسوعيين، وحين بلغ الثامنة عشرة من العمر، كما سنرى النتيجة واضحة، بدأ العمل مع الصحف المناهضة للإكليركية. وقد اختلط في مارسيليا مع نساء سيئات السمعة، بما فيهن امرأة عاهرة حُكمت أخيرا بالأشغال الشاقة إثنتي عشرة سنة لقتلها سيدتها، وأُعتقلت في قضية أخرى لمحاولتها قتل عشيقها. ربما كانت الشرطة قاسية في تذرعها بعلاقات

عرضية أخرى، وكان هذا الأمر غريباً، منذ أن اتضح أن تاكسيل يعمل لصالحهم ايضاً، عن طريق تزويدهم بمعلومات عن تعاطيه مع الدوائر الجمهورية. لكن ربما أن الشرطة وجدته ايضاً عائقاً حينما حكم عليه بنشره إعلانا عن حبوب Bonbon du Serial المنشطة للجنس، في سنة ١٨٧٣، ومرة أخرى في مرسيليا، بعث برسائل الى صحف محلية مزورة التواقيع عن صيادي السمك، محذراً إياهم من اقترابهم من مياه الساحل الملوثة بأسماك القرش، مما أثار فزعاً كبيراً لديهم. أخيراً، حين أُدين بكتابة مواضيع مسيئة للدين، هرب الى جنيف، وهناك بدأ بنشر قصص عن وجود آثار لمدينة روما مغمورة تحت بحيرة جنيف، مما جذبت جحافل من السواح. ثم طرد من التراب السويسري لنشره أكاذيب ومعلومات مضللة ثم انتقل بداية الى مونت بيلير ومنها الى باريس، هناك فتح مكتبة لمناهضة الإكليركية في ريو دي إيكوليس. وقد انضم الآن الى محفل ماسوني لكنه سرعان ما طرد لسلوك غير لائق. يبدو أن نشاطه ضد الإكليركية لم يعد مربحاً كما كان، واثقلته الديون.

تذكر سيمونيني الآن كل شيء عن تاكسيل، أنتج سلسلة من الكتب، كانت ايضاً مناهضة للإكليركية، فضلاً عن تمييزها بين الأديان، مثل حكايات تُحكى من خلال توضيحات غير لائقة للغاية عن حياة المسيح(على سبيل المثال، وصف العلاقات بين مريم العذراء وحمامة الروح القدس). وقد كتب رواية سوقية، إبن اليسوع، التي تبرهن أن المؤلف كان مشعوذاً، وتكرس الإخلاص في صفحتها الأولى لغيوسبي

غاريبالدي(" الذي أُحبه مثل أبي ") حتى الآن جيد جداً. بيد أن عنوان الصفحة الأولى وهي " تقديم " واعدٌ كتبه غاريبالدي. عنوان التقديم كان " أفكار مناهضة للإكليركية " الذي اتخذ صيغة التقريع العنيف المسهب(" حينما أرى كاهناً أمامي، وبخاصة إذا كان يسوعياً نموذجياً فإن مشهد طبيعة انحطاطه يصعقني الى حد أشعر بالمرض والقشعريرة ") لكن لم يكن ثمة تعريف للعمل الذي كتب بوضوح – ومن الجلي أن تاكسيل أخذ هذا النص الذي كتبه غاريبالدي من مصدر آخر وقدمه على أنه كُتب لعمله.

لم يرغب سيمونيني القيام بأي مخاطر مع شخص مثل هذا. قرر أن يقدم نفسه كاتب العدل فورنير، وارتدى زياً وفوقه عباءة أنيقة وعلى جزء منها لون غامض يميل الى اللون الكستنائي. ثم تنكر بشاربين طويلين باللون ذاته كشفرتي مقص ذهبي، مسّدهما بمرهم مناسب لإطالة وجهه الى حدما. وقف أمام المرآة، حاول أن يرسم ابتسامة خالية من أي تعبير، والفضل يعود الى كلية طب الأسنان التي مكنته من تغطية اسنانه الطبيعية. وطقم الأسنان هذا شوه كلامه وبهذا تغير صوته ايضاً.

أرسل مظروفاً أزرق صغيراً عن طريق البريد الى سيده في ريو دي ايكولس يدعوه فيه الى مقهى ريشيهCafé Riche، في اليوم التالي. كانت هذه طريقة جيدة لتقديم نفسه، لأن عدداً كبيراً من الناس اللامعين يمرون من أمام هذا المطعم حديث النعمة ويميلون الى

التفاخر وكان من الصعوبة بمكان مقاومة طعم سمك موسى أو دجاج الريشيه.

يملك ليو تاكسيل وجهاً زيتياً، ممتلئاً، يزينه شاربان أنيقان. وجبهة عريضة ورأس أصلع ودائماً ما يمسح عرقه الناضح، له أناقة مفرطة، ويتحدث بصوت عال، بلهجة مارسيلية لا تطاق.

لم يعرف الأسباب الدقيقة وراء رغبة كاتب العدل هذا للحديث معه، بيد أنه بدأ تدريجياً يطري نفسه بأن متري فورنير كان ملاحظاً دقيقاً لطبيعة الإنسان، مثل كثير من أولئك روائيي العصر الذين يوصفون بـ " الفلاسفة " وكان مستمتعاً في مجادلاته المناهضة للإكليركية وتجاربه الذاتية. لذلك نراه يسلي ضيفه بقصص عن مزاحاته اليافعة، تحدث وهو يتناول طعامه: " حينما نشرت القصة عن سمك القرش في مرسيليا،، بقيت المنتجعات كلها إبتداء من بلاج كاتالانس الى برادو شاغرة لأسابيع. وذكر المحافظ أن جميع اسماك القرش جاءت حصرياً من ساحل كورسيكا، تتبع سفينة كانت ترمي العفونة المتبقية من اللحوم المحترقة في البحر. وسألتْ بعثة البلدية شركة chassepots، لإرسال إشارة اشعار لزورق السحب، وصل المئات منها فعلاً الى مقرات اسبيفنت العامة ! وما هي قصة بحيرة جنيف؟ وصل صحافيون من كل أنحاء أوربا ! بعبارة واحدة تقول إن مدينة بُنيت تحت الماء خلال عهد القيصر دي بيلو غاليتو، حينما كانت البحيرة ضيقة الى حد أن نهر الرون يمكن أن يقطعها دون أن تندمج مياههما معا. قام اصحاب الزوارق بعمل مستحسن بنقل السواح الى

وسط البحيرة، وصبوا الزيت على الماء كي تكون الرؤية واضحة أمامهم... وأرسل عالم آثار بولندي شهير مادة وصفها بأنها توضّح تقاطع الطرق من موقع تمثال الفروسية على قاع البحيرة ! وسمة الأنسان الأساسية استعداده لتصديق أي شيء. وإلاّ، كيف تفسر بقاء الكنيسة اكثر من ألفي سنة في غياب سذاجة العالم.

طلب سيمونيني معلومات عن اصدقاء شرف معبد فرانسسكو

" هل ثمة صعوبة في الإنضمام الى محفل؟"

" كل ما تحتاجه هو أن تكون ميسور الحال ولديك استعداد لدفع الإستحقاقات الدورية، وهي الى حد ما مرهقة. وأن تبرهن أن لديك رغبة في الإمتثال لتنفيذ قواعد الرعاية المشتركة بين الإخوّة. فضلاً عن توفرعنصرالأخلاقية التي يتحدثون عنها بروح عالية، ولكن حتى في السنة الأخيرة فإن الناطق بإسم المعهد العالي للمناسك كان يملك ماخوراً في Chaussée d'Antin، وأنه أحد الثالث والثلاثين محفلاً الأكثر نفوذاً بين الإخوّة في باريس كان جاسوساً، أو بالأحرى، رئيس المخابرات السرية، وهي المخابرات ذاتها التي يعمل فيها هيبوتيرن.

" لكن ماذ ينبغي عليك كي يعترفون بك؟"

" ثمة عدد من الطقوس – إذا كنت تعرفها فقط ! وليس لدي فكرة إن كانوا حقاً يؤمنون بالمهندس العظيم للكون الذي يتحدثون عنه دائماً، بيد أنهم بالتأكيد يمارسون شعائرهم بجدية. إنك لم تخمن مطلقاً ماذا ينبغي عليّ القيام به كي أكون مبتدئاً."

هنا بدأ تاكسيل يحكي بعض القصص المثيرة.

تساءل سيمونيني إن كان تاكسيل، رجلاً كذوباً، ومن المحتمل أنه لم يكن يبتدع أكاذيبه. ألم يكن هو الذي يُظهر الأشياء أكثر من ماهر يجب عليه الإحتراز؟ ألم يكن هو الذي وصف كل طقس بطريقة ساخرة الى حدما؟ ورد تاكسيل بطريقة عرضية: "آخ، كما تعرف، أنني لم أعد مرتبطاً بأي التزام. هذه البلاهات قد نفتني. "

يبدو أن له يداً في صحيفة جديدة، Le Midi Républicain، في مونت بيلير التي اصدرت في طبعتها الأولى رسائل التشجيع والتضامن من مختلف الناس المهمين، بما فيهم فكتور هيغو ولويس بلان. ومن ثم، وفجأة، أرسل هؤلاء أصحاب التواقيع الوهمية جميعهم، رسائل الى صحف أخرى ذات ميول ماسونية متبرئين من مساعدتهم وشكاواهم المريرة ومستهجنين الطريقة التي إستُخِدمت بها أسماؤهم. تبع ذلك مجموعة شعائر ماسونية، ومن خلال ذلك تألف دفاع تاكسيل، أولا، في تقديم أصول تلك الرسائل، وثانياً، في مساهمة تصرف هوغو إزاء رجل عجوز خرف كان لامعاً – مما ألحق ضرراً بأول جدل له مع إهانة لا تطاق لرجل موقر من قبل الأمة والماسونية على حد سواء.

تذكرسيمونيني الآن هذه اللحظة، بوصفه سيمونيني ،انه قد زور رسالتين لهوغو وبلان. وقد نسي تاكسيل بشكل واضح هذه الحادثة. كان معتاداً على الكذب، حتى على نفسه، لذلك كان قادراً على وصف الرسائل بتألق واضح وتعبر عيناه عن ذلك بصدق، وكما لو أن تينك

الرسالتين أصليتين. هكذا ربما إنه تذكر بغموض كاتب العدل الذي يسمى سيمونيني، ولم يكن متمكنا بالربط بينه وبين ميتري فورنير.

ما يهم هو أن تاكسيل أعلن كراهيته العميقة لأولائك الذين كانوا أعضاء في محفله.

وأدرك ذلك سيمونيني فوراً، عن طريق تشجيع قصص تاكسيل التي تروى بمهارة. بإمكانه أن يجمع بعض المواد المثيرة عن عثمان بك. بيد أن ثمة فكرة أخرى تشكلت في خياله الخصب، بداية كانت مجرد انطباع، وتربة لحدس، ومن ثمة تشكلت خطة كانت تقريباً كاملة في كل تفاصيلها.

بعد اللقاء الأول، حين كان تاكسيل يتناول طعامه بنهم وحماسة بالغتين، دعاه الزائف ميتري فورنير الى Pére Lithuile، وهو مطعم شعبي صغير في باري دي كليشي، حيث بإمكان المرء تناول وجبة دجاج مشوي، وكذلك وجبة الطعام الشهيرة tripes a la mode de Caen– ناهيك عن خمرها المعتَّق – بين نكهة على الشفاه وأخرى، يسأل إن كان الدفع غالياً، وربما كان تاكسيل يهيء كتابة يوميات بوصفه ماسونياً سابقاً لأحد الناشرين، وعلى ذكر الدفع، أشار تاكسيل أن الفكرة كانت تغريه، ورتب سيمونيني موعداً آخر وذهب مباشرة ليرى الأب بيرغاماشي.

قال، " ضع في بالك، أيها الأب، أننا نتعامل هنا مع عدو متشدد للكنيسة، الذي لم تعد كتبه المناهضة للإكليركية تجلب نتيجة كما كانت سابقاً. وتعرَّف جيداً على العالم الماسوني ضد ذلك الذي يحمل

ضغينة شديدة. كل مايحتاجه تاكسيل هو أن يهتدي الى الكاثوليكية ليرتدَّ عن كتبه اللادينية كلّها ويفضح اسرار الماسونية جميعها. وأنتم أيها اليسوعيون سيكون لديكم داعية لا يكل تحت خدمتكم."

" بيد أن الإنسان لا يغير دينه مجرد أن تطلبوا منه ذلك."

" اما مع تاكسيل، أعتقد أنها مسألة نقود حسب. كل ما تحتاج القيام به هو مداعبة خياله لنشر معلوماته الزائفة، وتتركه في خياله منذ الصفحة الأولى، وسرعان ما يغيِّر ولاءه. ما إسم ذلك الإغريقي الذي أحرق معبد ديانا في آفسوس لا لشيء إلاّ كي يتكلم الجميع عنه؟"

قال بيرغاماتشي متأملاً، " هيروستراتوس. نعم، بالطبع. حتى الآن، أن طرق الرب لا نهاية لها... "

" كم نمنحه لحوار صريح معه؟"

" حوار حر، يجب أن يكون مجاناً المجد لله ad majorem Dei gloriam، بعبارة أخرى، لا يجب أن نكون متعجلين جداً. ولا نعرض عليه أكثر من خمسين ألف فرنكاً. سيقول إن هذا قليل جداً، لكن علينا أن نوضح له أولا، أنه مقابل هذا المبلغ سيوفر حياته، التي لا تقدر بثمن، وثانياً، إنْ هو كتب ضد الماسونية فإنه سيتمتع بفائدة نظام توزيعنا، الذي يعني مئات آلالاف من النسخ."

لم يكن سيمونيني متأكداً أنه قادر على ضمان الصفقة، وهكذا إتخذ الإحتياطات بذهابه الى هيبوتيرن واخبره أن هناك مؤامرة يسوعية لإقناع تاكسيل لينقلب ضد الماسونيين.

قال هيبوتيرن " إذا كان ذلك حقيقة فقط، فإنّ آرائي ستتزامن في آونة مع أولئك اليسوعيين. وأنك ترى، ياسيمونيني، أنني تكلمت معك بوصفي شخصاً رفيع المقام لا يقلل من أهميته في المحفل الأعظم في الشرق، وهوالنظام الماسوني الحقيقي الوحيد، الذي يراهن على النظام الجمهوري، ورغم مناهضة الإكليركية، وليس اللاديني، منذ اعتراف المهندس الأعظم في الكون - الذي يتيح الحرية لكل شخص الإعتراف به بإعتباره رب المسيحية أو بوصفه قوة كونية غير مشخصة. حضور ذلك الوغد تاكسيل مازال يسبب لنا إحراجا، مع أنه كان منفياً. فضلاً عن ذلك، لا نريد ازعاجاً إذا كان ثمة مرتد شرع بقول أشياء عن الماسونية تلك التي كانت مزعجة الى حد لم يعُد أحد يصدقهم. إننا نتوقع هجوماً من الفاتيكان، ولا نتوقع من البابا أن يكون رجلا نبيلاً بشكل خاص. إن العالم الماسوني عالم ملوث بتنوع اعترافاته، وقبل سنوات، منذ الآن، نظم الكاتب راغون، قائمة بخمسة وسبعين صنفاً من الماسونية، واثنتين وخمسين شعيرة، وأربعة وثلاثين نظاماً(بما في ذلك ستة وعشرين نظاماً خنثوياً) وألف وأربعمائة درجة من الطقوس. واستطيع أن أخبرك عن فرسان الهيكل والماسونية الاسكتلندية، وعن طقوس هيريدوم، وطقوس سودنبورغي، وطقوس ممفيس ومسرايم(تأسست من قبل الوغد والدجال كاغليوسترو) وبعد ذلك، فيشاوبت Weishaupt, ‘رؤساء غير معروفين ‘ والشياطين، وعبدة الشياطين، أوالبالاديين palladians كما يطلق عليهم الى حدما... وهم جميعاً إغريقاً. الشعائر الشيطانية بأنواعها جلبت لنا

أسوأ سمعة، وحتى بعض إخواننا المحترمين شارك معهم. ربما لأسباب أخلاقية خاصة، غير مدركين للأذى الذي يسببونه لنا. من المحتمل أن براودون كان ماسونياً لفترة قصيرة. بيد أنه قبل أربعين سنة كتب الى لوسيفير الشيطاني، تعال، أيها الشيطان، تعال، أنت يا مفتري الشياطين والملوك ! دعني أحتضنك، وأضمك الى صدري ! وكتب ذلك الإيطالي رابيساردي، الشيطان lucifero، الذي كانت الإسطورة الحقيقية عن بروميثيوس، ولم يكن رابيساردي ماسونياً أصلاً، بيد أن غاريبالدي رفعه الى السماوات، وهكذا اتخذوه إنجيلاً. لأن الماسونيين يعبدون لوسيفير الشيطان. لم يخفق مطلقاً البابا بيوس التاسع أن يجد الشيطان خلف كل عمل يقوم به الماسونيون. بعد مضي بعض الوقت، كتب الشاعر الإيطالي كاردوشي، الذي نصفه جمهوري، ونصفه الآخر ملكي، وثرثار عظيم، ولكن يا للأسف، أنه ماسوني عظيم ايضاً، كتب، ترنيمة للشيطان، عَدَّها مضاهية لإنجاز خطوط سكك الحديد. وزعم كاردوشي أن الشيطان هوعبارة عن استعارة، بيد أنه في ذلك الوقت بدا الجميع يعتقد أن عبادة الشيطان كانت تسلية رئيسة للماسوني. بإختصار، أن اخواننا مستاؤون إذا كان ثمة شخص قد يهان فعلاً لفترة طويلة، ويطرد لسوء سمعته من الماسونية ومرتدّ وقح، حيث يبدأ نشر سلسلة من كراسات التشهير ضدنا. إنها طريقة للعودة الى الفاتيكان، الى دفع الأمور بإتجاه الجانب الإباحي. إذا اتهمت رجلاً قاتلاً، ربما ستصدق، ولكن إذا اتهمته بأكل الأطفال من أجل العشاء أو الغداء مثل غيليز رايس، لا

أحد يأخذ كلامك محمل الجد، وإذا قللت من مناهضة الماسونية الى مستوى الحلقات Feuilleton، فإنك تنقصها الى مستوى بائع الكتب الدينية، وبالتالي، نعم، نستطيع العمل مع الناس الذين دفنونا في الوحل.

مِن هنا، أنه من الواضح ان هيبوتيرن كان داهية واكثر ذكاء من سلفه لاغرانج. إنه ليس قادراً أن يقول من هنا وهناك كيف أن محفل الشرق الأكبر يمكن أن يُوظَّف في مثل هذه المغامرة، بيد أن جوابه جاء بعد أيام قليلة: " مائة ألف فرنك. لكن على شرط أن يكون نقداً تاماً."

لهذا كان سيمونيني يملك ١٥٠,٠٠٠ فرنكاً من بيع الهراء، فإذا عُرض على تاكسيل ٧٥,٠٠٠ ألف فرنكا يُقسَّم على دفعات كبيرة، سيوافق فوراً على العرض، إذا اخذنا بعين الإعتبار الوضع الذي هو فيه. ويُترَك ٧٥,٠٠٠ فرنكاً الى سيمونيني. وفائدة خمسين بالمائة ليست قليلة.

بإسم مَنْ تصرف ليقدم هذا العرض الى تاكسيل؟ هل بإسم الفاتيكان؟ بالطبع، لا يبدو على ميتري فورنير، كاتب العدل، أنه يملك مطلق الصلاحية البابوية. لكن ربما استطاع ترتيب زيارة الى شخص مثل الأب بيرغاماشي. بعد ذلك كله، هذا موضوع الكهنة كله ، وهكذا يستطيع الناس تغيير دينهم والإعتراف بمظالم ماضيهم.

لكن حين يصل الأمر الى مظالم الماضي، هل يستطيع سيمونيني أن يثق بالأب بيرغاماشي؟ ولا ينبغي أن ُيترَك تاكسيل بيد اليسوعيين.

ثمة كتّاب علمانيون باعوا مئات النسخ من الكتاب وبعد ذلك ركعوا على ركبهم أمام المذبح وسردوا قصة تجربتهم حين تحولوا عن دينهم، وازدادت مبيعاتهم الى ألفين أو ثلاثة آلاف. بعد ذلك كله ، وحين انتهى الأمر بهم الى هذا الحال، ولا يُعَّد المناهضون الإكليركيون شيئاً أمام الجمهوريين في المدينة، في حين أن الرجعيين الذين يحلمون بالأيام السعيدة القديمة للملك والكهنة، الذين عاشوا في الريف، حتى استبعدوا أولئك الذين لا يعرفون القراءة(رغم إن الكاهن سيقرأ لهم) كانوا يشكلون فيلقاً من العفاريت. ماعدا تجنب الأب بيرغاماتشي للأمر، وبإمكان تاكسيل أن يعرض صفقة عن طبعاته الجديدة ودُعي لتوقيع العقد الذي من خلاله أيا كان التعاون معه سيتقاضى منه مِن عشرة الى عشرين بالمائة عن مستقبل الطبعات الأخرى.

في عام ١٨٨٤، وجه تاكسيل طعنة نجلاء الى مشاعر الكاثولوكيين الطيبين بنشره أسرار الحب للبابا بيوس التاسع، مشهِّرا بالبابا الذي قضى الآن. في السنة ذاتها حمل لقب البابا، ليو الثالث عشر، وطبع منشوره الجنس البشريHumanum Genus،الذي كان يشكل إدانة للمذهب الفلسفي والأخلاقي للماسونية." كما وبالطريقة ذاتها حمل بشدّة ضد الآثام الوحشية للإشتراكيين، والشيوعيين في منشوره Quod Apostolici Muneris، وهذه المرة وجه هجومه الى تعاليم الماسونية، فاضحاً الأسرار، التي تجعل من معتنقيها أسرى وعرضة لكل أنواع الجريمة، لأن " المزاعم المستمرة والرغبة في البقاء في الخفاء،

والتزام الرجال هذا، يجعلهم كعبيد حقراء يخضعون الى رغبة الآخرين التعسفية، ويستخدمونهم وسائل عمياء لأي مشروع، ومهما كان نوع الشر فإن أياديهم اليمنى ستتسلح لسفك الدماء بعد تأمين الحصانة لهذه الجريمة، وهي تجاوزات تنتفض الطبيعة ضدها." ناهيك عن المذهب النسبي والطبيعي لأتباع الماسونية الذي يجعل من العقل البشري الحَكَمْ الوحيد في كل شيء. كان من الواضح تماماً أن تترتب على ذلك النتائج التالية: تَجريدَ البابا من سلطته المؤقتة، والتصميم على أبادة الكنيسة، وانتقال عقد الزواج من الكنيسة الى زواج مدني بسيط، وخرجت تربية الأطفال من يد الكهنة، الى مدرسين علمانيين، وسيكون التعليم وفق مبدأ " التعليم حق عام لكل فرد، واحترام المساواة للجميع، وليس من حق أي أحد، أن يهيمن على الآخر؛ وعدم خضوع الأفراد لطغيان أي سلطة ما لم تكن منبثقة من ذواتهم." وهكذا تعلقا بالماسونية فإن " أصل جميع الحقوق المدنية والواجبات مصدرها الناس، أو الدولة،" والدولة لا يمكن إلاّ أن تكون ملحدة حسب.

من الواضح كان " الخوف فيما مضى من الإله وقوانين التقديس الإلهي، ذهبت هذه القوانين الآن دون رجعة، ودُيسَت سلطة الحكام بالأقدام، وساد التحريض على التمرد والعصيان، وراحت العواطف الشعبية تحرض على الفوضى دون رادع ذاتي للعقوبة، وبات من الضروري اتباع الثورة والتخريب العالمي... اللتين كانتا خطة مدروسة وهدفاً مفتوحاً لكثير من الجمعيات الشيوعية والإشتراكية: مثل هذه

النوايا فإن الطائفة الماسونية ليس بإمكانها أن تعد نفسها كما ينبغي بوصفها طائفة عدائية. "

أخبار حوار تاكسيل قد وصلت بأسرع ما يمكن.

عند هذه النقطة تحولت مذكرات سيمونيني الى حالة من التشوش. وبدا أنه لم يعد قادراً على تذكر كيف تحول تاكسيل الى دين آخر، ومِن قبل مَنْ. كما لو أن مذكراته قفزت فجأة الى ذهنه، وسمحت له أن يتذكر ذلك أن تاكسيل حسب، وفي سنوات قليلة، أصبح صوتاً كاثوليكياً معبراً ضد الماسونية. بعد إعلان urbi et orbi، وعندعودته الى حضن الكنيسة، نشر Les Fréres trois points(النقاط الثلاث التي تكوّن الدرجة الماسونية الثالثة والثلاثين)، أسرار الماسونية الفرنسيةLes mysteres de la Franc-Maconerie(وبتوضيحات دراماتيكية لإبتهالات شيطانية وطقوس شائنة) نشرحالاً بعد ذلك الإخوّة الماسونية Les soeurs Maconnes ، الذي وُصف(أنه مجهول حتى هذه اللحظة) المحافل الأنثوية- وبعد سنة صدر كتاب فضح الماسونية الفرنسية La France- Maconerie devoilee. تبع ذلك الماسونية الفرنسية la France Maconique.

ابتداء مِن هذه الكتب فإن وصف استهلالها كان كافياً لجعل القراء يشعرون بالقشعريرة. واستُدعي ماكسيل لحضور محفل ماسوني في الساعة الثامنة في أحد المساءات واستُقبل في الباب من قبل أحد الإخوان. في الثامنة والنصف اُدخل الى حجرة التأمل وهي مقصورة صغيرة مصبوغة بجدران سود، وفيها رؤوس موتى، وعظام متصالبة وثمة

عبارة منقوشة هي كما يلي " إذا كان هناك مختال فضولي يجلبك الى هنا، إرحل من الآن ! " وعلى حين غرة اشتعل ضوء غاز خافت، وانزلقت لوحة زائفة نحو الخلف من خلال أخاديد مخفية في الجدران، نظر تاكسيل الى حجرة تحت الأرض مضاءة بشموع قبور. ثمة رأس بشري قُطع الآن موضوع على دكة حجرية يقطر دماً، وبينما هو ينكص رأسه برعب، طفق صوت بدا أنه يخرج من الجداًر يصرخ "إرتعش، أيها المُدَّنّس ! أنك ترى أمامك رأس أخ زائف يظهر أسرارنا!"

كانت هذه، بالطبع، خدعة، كما شاهد تاكسيل، لابد وأن يكون ذلك الرأس اضحوكة أخفي جسده في تجويف كتلة حجرية فارغة. قد نُقّعت فتائل الشموع في كحول مشبع بالكافور وامتزج مع ملح الطعام الخشن، المعروف بإستحضار مدينة المعارض الذي يطلق عليه ايضاً " التركيبة الجهنمية." التي تبعث ضوءً يميل للإخضرار ويضفي مظهراً شديد الشحوب على وجه الإنسان المتظاهر بقطع رأسه. بيد أنه سمع تلقينات أخرى خلف الجدران المصنوعة من مرايا مُجمَّدة سرعان ما يتناقص لهب فتيلة الكاز يتحرك مصباح سحري، وتظهر أشكال شبه شبحية، ورجال مقنعون يحيطون بالجثة مشكلين بذلك سلسلة وهم يمطرونها بطعنات خناجرهم. يذهب هذا كله ليظهر الوسائل المخزية التي يستخدمها المحفل لبسط سيطرتهم على انطباعات المريدين.

بعد هذا، يُحضّر ما يسمى الأخ المزعج الدنس، ينزع قبعته، ومعطفه، وحذاء رجله اليمنى، ويشمر عن فردة سروال ساقه اليمنى

الى أعلى ركبته، ويعري ذراعه وصدره من جهة قلبه، ويعصب عينيه ويدوِّره حول نفسه مرات عدة. بعد أن يجعله يتسلق نحو الأعلى ونحو الأسفل بخطوات مختلفة، يأخذه الأخ المزعج الى قاعة الخطوات المفقودة. ينفتح باب، ويستخدم الأخ الخبير آلة تتكون من نابضات متصادمة كبيرة، تحاكي صوت سلاسل ضخمة. ويُقتاد طالب الإنتماء الى حجرة حيث يمسك الخبير بمقبض سيف على صدره العاري ويسأله الخبير " أيها المُجدِّف ماذا تشعر في صدرك؟ وعلى المريد الماسوني أن يجيب " عصابة سوداء على عيني، وأنني أشعر أن نبلة سلاح في صدري." ويردف الخبير " هذه المادة المعدنية، أيها السيد، تشير دائماً الى معاقبة العاصين، وهي رمز الندم الذي يطعن قلبك إذا، كان في داخله عارك، إذا حاولت خيانة الجمعية التي ترغب الإنضمام إليها؛ والعصابة فوق عينيك هي رمز عمى الإنسان الذي تحكمه عواطفه أو انغماره في الجهل والخرافات.

بعد ذلك حمل شخص المريد الماسوني، ودوَّره حول نفسه العديد من المرات حتى شعر بالدوخان، ومن ثم دفعه أمام شاشة كبيرة مصنوعة من طبقات عدة من الورق السميك، شبيهة بالأطواق حيث تتقافز فيها خيول سباق. أمروه بدخول حانة، وكان الرجل المسكين ينطلق بقوة متناهية في طريقه قبال الشاشة، وتهشم الورق السميك، ثم وقع على مادة موضوعة على الجانب الآخر.

هناك " السلم الأبدي " الذي كان في الواقع طاحونة الدوس، حيث يجد المريد الماسوني هناك سلماً آخر يتسلقه، وتنخفض كل

درجة من هذا السلم كلما تسلقها المريد. هكذا يواصل التسلق لمدة نصف ساعة دون أن يعرف الإرتفاع الذي سيوصله، رغم إنه مازال في المستوى نفسه الذي ابتدأ منه.

تظاهروا ايضاً بإخضاع المبتدىء لإراقة الدماء وتعميده بالنار. ولإخراج الدم منه، وربط الأخ سرجون ذراعه ووخزها الى حدما بقوة برأس مسواك وقطَّر أخ آخر كمية قليلة من الماء الساخن فوق ذراع طالب الإنتماء وبهذا اعتقد أنَّ دمه هو الذي يسيل. ولإجراء تجربة على مادة معدنية حمراء ساخنة، مسح أحد الخبراء جزءً من جسد المريد بقطعة شاش جاف ومن ثم وضع قطعة من الثلج فوقها وتطاير الجزء الساخن من الشمعة، أوسخنت قاعدة الزجاج السائل مع احتراق الورق. في نهاية المطاف أخبر الخبير المريد عن علامات الأسرار والشعارات الخاصة التي يستخدمها الإخوّة لتمييز أحدهم عن الآخر.

تذكر سيمونيني الآن أعمال تاكسيل تلك، ليس كمحرض ولكن كقارىء. مع ذلك، أنه تذكر ذلك كل عمل جديد لتاكسيل قبل أن يصدر، وأنه سيذهب(كي يقرأه مقدماً) ويصف مضمونه الى عثمان بك على نحو إيحاءات إستثنائية. كان حقيقة، في مناسبة تالية سيوضح عثمان بك كل شيء أخبره به سيمونيني في مناسبة سابقة ظهر في عمل لتاكسيل. الى هنا كان كل شيء سهلاً تعلقاً بسيمونيني للإجابة، بنعم، وكان تاكسيل مخبره، ومن الصعوبة أن يكون قد وقع في خطأ بعد أن كشف له أسرار الماسونية. يبحث تاكسيل عن الربح

المادي كي يطبع تلك الأسرار. وإلاّ فإن سيمونيني يجب أن يوقفه عن طبع تجاربه - بهذا المعنى، وجه نظرات حادة لعثمان بك. بيد أن الأخير أجاب أن ذلك المال سينفق على إقناع ذلك المهذار للحفاظ على الهدوء بسبب إهداره أمواله. لماذا ينبغي على ماكسيل أن يلتزم الصمت عن الأسرار الجديدة التي قد كشفها الآن؟ و من المفهوم أنه مشكوك في أمره. لم يعرض عثمان بك على سيمونيني كشوفاته فيما يتعلق بالتبادل بما قد يعرفه عن الحلف الإسرائيلي.

الى هنا توقف سيمونيني عن تمرير المعلومات له. ولكن حينما كان يكتب مذكراته، تأمل سيمونيني هذه المشكلة: لماذا أتذكر تمرير المعلومات الى عثمان بك، التي أتسلمها من تاكسيل، ولا شيء في تعاملي مع تاكسيل؟"

تساؤل جيد. إذا تذكر كل شيء، فإنه لن يكتب هنا ما كان قد يتفكك تدريجياً معاً. ماهو الموضوع !.Quelle ! histoire

مع هذا التعليق الحكيم، ذهب سيمونيني الى فراشه، ثم استيقظ مرة أخرى بما كان يعتقد أنه اليوم التالي، كان ينزُّ عرقاً، أخذ حماماً، بعد ليلة من الكوابيس الرديئة وشعور بالعسر، لكنه عاد الى مكتبه، واكتشف أنه استيقظ، ليس في اليوم التالي، ولكن بعد يومين. لم يكن يوماً لكنها ليلتان من النوم القلق. آبي دالا بيكولا لم يكن راضياً بالقاء الجثث في تصريف مياه مجاري سيمونيني الشخصية، وبذل المستحيل من اجل ذلك، واصفاً الأحداث التي لا يعرف الكابتن عنها شيئاً واضحاً.

(٢٢)

الشيطان في القرن التاسع عشر

الرابع عشر من نيسان / ابريل١٨٩٧،عزيزي الكابتن سيمونيني،مرة أخرى، أفكارك مشوشة، مذكراتي أكثر وضوحاً.

إنني أتذكر اللقاء مع المسيو هيبوتيرن ومن ثم الأب بيرغاماشي كما لو انه جرى هذا اليوم. ما زلت اتسلم بإسمك النقود التي يجب أن اعطيها(أو ينبغي أن تعطى) الى ليو تاكسيل. بعد ذلك زرت تاكسيل، هذه المرة بإسم كاتب العدل، ميتري فورنير.

" أقول، " يا مسيو تاكسيل، ليس لدي رغبة بإستخدام ملابسي الكهنوتية كخدعة لإقناعك للإعتراف بربنا يسوع المسيح الذي تسخر منه. سواء ذهبت الى الجحيم أولا تذهب فأنا لا أبالي مطلقا لهذه المسألة. هنا لا أعرض عليك وعداً لحياة أبدية، ولكن الى حدما أخبرك أن سلسلة المنشورات التي تدين الجرائم الماسونية ستجد لها جمهوراً من القراء ذوي الرأي الحصيف، ليس لدي تردد في وصفها بإسهاب. ربما ليس لديك فكرة ما يستحقه كتاب يلقى الدعم من كل دير، ومن كل كنيسة وأبرشية، ومن كل أسقفية، ليس في فرنسا حسب، بل وفي أقصى زاوية من العالم. وكدليل على ذلك، أنني هنا ليس كي أحوّلك عن دينك بل لأساعدك على جمع المال، وأريد أن اخبرك مباشرة ما

هـو اقتراحـي المتواضـع. كـل مـا عليـك عملـه هـو أن توقـع أوراقـاً تطمئنني فيهـا(أو الى حـدما تطمـئن التجمـع الـديني الـذي أمثلـه) بمنحي عشرين في المائة من حقوق الطبع في المـستقبل، وسأقدمك الى أحدما يعرف أكثر منك أسرار الفريماسونية."

أنا أتخيَّل، يا كابتن سيمونيني، أن الـذي اتفقنا علـى نـسبة عـشرين في المائة المعلنة من مردودات حقوق طبع أعمال تاكسيل تـوزع بيننا مناصفة. بعد ذلك قدمت له أكثر من عـرض: ثمـة خمـسة وسـبعون ألـف فرنكـاً تـدخل في جيبـك ايـضاً – ولا تـسأل مِـن أيـن تـأتي، رغـم إن ملابـسي الكهنوتيـة ربمـا تـشير الى مفتـاح اللغـز. خمـسة وسـبعون ألـف فرنكا، وديعة، قبل التوقيع، ولكن على شرط: إعتباراً من يـوم غـد تعلـن تحولك علـى المـلأ علانيـة. عـن هـذه الخمـسة والـسبعين فرنكـاً– قلـت خمـسة وسـبعين فرنكـاً – لا تـدفع عليهـا نـسبة مئويـة. ذلـك لأنـك حـين تتعامل مع أناس من أمثالي ومـن امثـال أولئـك الـذين بعثـوني، فإنـك تتعامـل مـع أنـاس امـوالهم هـي خـراء الـشيطان. عـدها: إنهـا خمـسة وسبعون فرنكا."

ما زلت أتخيّل المشهد، كما لو أنني كنت أنظر الى ألواح فضية.

وانتابتني مشاعرأن تاكسيل لم يكن مرتاحاً كثيراً للخمـسة والـسبعين فرنكاً والقَسَمْ بحقوق المـستقبل(حتـى وإن وضـع المبلـغ علـى الطاولـة فـإن عينيـه سـتتلألآن.) كمـا هـي فكـرة التنفيـذ علـى الوجـه الأكمـل، ويتحـول مـن منـاهض إكليريكـي متـشدد،الى كـاثوليكي مـتحمس. إستساغ الفكرة التي صدمت الآخرين وقرأ الأخبار الـتي تحـدثت عنـه

في وسائل الإعلام. هذا أكثر بكثير من اختراع مدينة رومانية في قاع بحيرة جنيف.

ضحك من اعماق قلبه، وراح يخطط عملياً لأعماله المستقبلية، المتضمنة افكاراً توضيحية.

" قال، نعم، أستطيع أن أرى فعلا كتاباً كاملاً، أكثر مما أتخيله رواية، عن اسرار الفريماسونية، وأرى بافوميت المجنح المحمي بغلاف سري، والعقل الصارم الذي يوحي بطقوس شيطانية الفرسان... ياإلهي،(اسمح لي بهذا التعبير، يا مسيو آبي.) إنها أخبار اليوم، ورغم، كل ما قالته كتبي الشريرة تلك ، في أن أكون كاثوليكاً، ومؤمناً، وعلى علاقة متبادلة جيدة مع رجال الدين، وقطع الروابط الدينية، التي من خلالها أحظى بكثير من الإحترام، حتى بين عائلتي والجيران، الذين غالباً ما ينظرون على نحو أنا الذي صلب ربنا المسيح، ولكن مَنْ الذي سيساعدني كما قلت لي؟ "

" سأقدمك الى مستشار روحي، وهو مخلوق، حين يُنوّمَ مغناطيسياً، يسرد عليك قصصاً لا تصدق عن طقوس البالاديين. "

~~~

هذا المستشار الروحي لابد وأن يكون ديانا فوغان. يبدو أنني اعرف كل شيء عنها. وأتذكر أنني ذهبت الى فينسين، كما لو أنني عرفت الآن عنوان الدكتور موريي الذي تتألف عيادته الطبية من بيت متواضع الأبعاد، فيه حديقة صغيرة لكنها جميلة، يجلس العديد من
~~~

المرضى في غرفة الإنتظار بهدوء ظاهري، يتمتعون بحرارة الشمس متجاهلاً واحدهم الآخر بوضوح.

قدمت نفسي الى دو موريي، مذكراً إيّاه أنه تكلم عني. ذكرت بغموض جمعيات السيدات الخيرية اللائي يعتنين بالنساء الشابات اللائي يعانين من اضطرابات عقلية، ويبدو أنه شعر بإرتياح كبير.

قال " يجب أن أحذرك، إن ديانا هذا اليوم فيما أسميه أنا هي في نوبة حالتها الطبيعية. سيخبرك الكابتن سيمونيني عن قصتها. في هذه الحالة لدينا ديانا المنحرفة، وهكذا نتحدث، الى من يعتقد أنها مريدة للطائفة الماسونية الغامضة. هكذا ودون أن نحذرها، فإنني سأقدمك كأخ ماسوني... متمنياً لك عدم ازدراء أي رجل دين."

قادني الى غرفة كانت ببساطة مفروشة بخزانة للثياب وسرير نوم، وثمة كرسي ذو ذراعين مغطى بقطعة قماش بيضاء اللون، جلست عليه إمراة ذات ملامح رقيقة متناسقة، شعر رأسها كستنائي ناعم مرفوع الى أعلى رأسها، تحديقتها متغطرسة، فمها حسن الشكل. تجعدت شفتاها بإحتقار حين قالت " هل يريد الدكتور موريي أن يرميني بين احضان أمومة الكنيسة؟"

قال دو موريي، كلا، يا ديانا، رغم إنه يرتدي رداء كاهن، فهو أحد اخواننا."

وسألت ديانا فوراً " لمن يطيع؟"

تهربت من سؤالها، دمدمت بتردد " غير مسموح لي بالإجابة. ربما تعرفين لماذا."

يبدو أن رد فعل ديانا كان مناسباً، قالت " أعرف، إن الأستاذ الكبير لشارلستون قد أرسلك. أنا مسرورة أنك تستطيع أن تعطيه نسخة من روايتي. اللقاء جرى في ريو دي لاكروا نيفرت، وتحديداً في ليس كورس يونيس في محفل غير قابل للتجزئة. إنني متأكدة أنك تعرفه، وكنتُ من المؤمل أن أكون قيّمة في معبد فرسان الهيكل، وقدمت نفسي بكل ما يمكنني من تواضع لأقدس الرب الأحد، لوسيفير، وأن امقت رب الشر، أدوناي، رب أب الكاثوليكيين. إقتربت من مذبح بافوميت، وصدقني، وأنا مفعمة بالحماس، حيث كانت تنتظرني صوفيا صافو. شرعت تسألني عن عقائد البالاديين، وأجبتها، مرة أخرى، وبكل تواضع:" ماهي واجبات قِّيمة المعبد؟ أن ألعن المسيح، وألعن آدوناي، وأبجل لوسيفير، وهل كل هذا لا يرضي الأستاذ الكبير؟ وللإجابة عن هذا، مسكت ديانا يديّ. أجبتها بحذر،" أنه بالتأكيد يرضيه ذلك."

" وتلفظتُ خطاباً شعائرياً: تعال، تعال، أوه، أيها العظيم لوسيفير، أوه، أيها العظيم، الذي يذمك الكهنة والملوك ! أنني أرتعش من الإنفعال، حين يجتمع الكل، وكل واحد منهم يرفع خنجرا، ويصيح ' "نيكام، آدوناي، نيكام ! " ولكن حينما كنت اخطو تماماً بإتجاه المذبح، أعطتني صوفيا صافو براءة من ذلك النوع الذي أرى من خلاله نوافذ محلات بيع البضائع الدينية التي لا ترى بالعين المجردة حسب، وبينما كنت أتجول، ما تفعل هذه الممتلكات الشخصية النسائية الفضيعة التي يرجع تأريخها الى زمن العبادة الرومانية هناك،

شرحت لي السيدة الكبرى Grand Mistress أنه، منذ أن خان يسوع الرب الحقيقي وقع على ال Tabor، حلف الشر مع آدوناي وخرب نظام الأشياء عن طريق تحويل الخبز الى جسده، فإن واجبنا أن نطعن في خبز قربان التجديف الذي يردده الكهنة كل يوم خيانة المسيح. أخبرني، يا مسيو، هل يريد رئيس المحفل الماسوني الأكبر هذا العمل كي يبني جزءً من شعيرة؟"

قلت " ليس من الملائم لي أن أقول، إنه من الأفضل لك إعلامي ماذا فعلت."

قال " رفضت بالطبع. أن تطعن بالقربان المقدس، يعني الإيمان بأنك تطعن بجسد اليسوع حقيقة، بينما يجب أن يرفض البالاديين أن يصدقوا هذه الكذبة. وطعن القربان المقدس هو شعيرة كاثوليكية للمؤمنين الكاثوليكيين !"

" أعتقد أنك على صواب. سأنقل تبريراتك هذه الى الأستاذ الكبير."

قالت ديانا " شكرا لك أيها الاخ،" وقبلت يديَّ. ومن ثم، ودون تفكير، فتحت الجزء الأعلى من بلوزتها، وأظهرت كتفاً أبيض كالرخام، ونظرت إليَّ بتحديقة دعوة. لكنها سرعان ما جلست على الكرسي، على نحو صُعقت بهجمة متشنجة. نادى الدكتور دو موريي إحدى الممرضات، ونقلنا معا الفتاة الى سرير. قال الدكتور " حين يأتيها هذا النوع من النوبات، أنها عموماً تنتقل من نوبة الى أخرى. لكنها لم

تفقد وعيها حتى الآن - لديها تقلص في الفك واللسان. كل هذا يتطلب ضغطاً خفيفاً للمِبيْض..."

بعد فترة وجيزة تدلى فكها نحو الأسفل، وانثنى الى الجهة اليسرى، وتشوه الفم، وبقي مفتوحاً الى حد يمكن رؤية لسانها في الخلف. إنبعج مشكّلاً شبه دائرة، ثم استرخى لسانها، ما لبث أن امتد وبرز طرفه من فمها، وطفق يتحرك للأمام وللخلف، كما لو أنه يخرج من فم أفعى. في نهاية المطاف عاد اللسان والفك الى حالتيهما الطبيعية، وتلفظت المريضة بكلمات قليلة " لساني... فمي المتقرح... ثمة عنكبوت في أذني..."

بعد توقف سريع، كان هناك ضغط آخر على فك ولسان المريضة. هدأت مرة أخرى مع ضغط المبيضّ، ولكن بعد فترة قصيرة جداً راحت تتنفس بصعوبة بالغة، ثم تلفظت بعبارات مفككة، وتجمد نظرها، وتحلق بؤبؤا عينيها في أعلى السقف، وتصلب جسمها كله. تقلصت ذراعاها، وقاما بحركة دائرية، والتفّ معصماها خلف ظهرها، وامتدت أطرافها السفلى للخارج...

علق الدكتور دو موريي " تعادل القدمين يعني بداية مرحلة الصرع. إنها مسألة طبيعية ! يجب أن نرى ما يعقب مرحلة ما يشبه دور المهرج."

أخذ وجهها يتقلص تدريجياً، ينفتح فمها وينغلق، وراح فمها يزبد فقاعات بيض، وكانت المريضة تئن وتعوي "آه، آه " وبدأ التشنج يسيطر على جانب وجهها، وجفناها يرتجفان، وتقوس جسمها ليشكل

صورة لاعب اكروباتيك وتقوم بحركة تكون فيها قدماها ورأسها نحو الأسفل وبقية جسمها يرتفع نحو الأعلى بهذا يشكل جسمها قوساً.

هذا مشهد السيرك الرهيب لدمية مفككة بدت لا وزن لها وواظبت لعديد من الثواني، بعدها إنهارت المريضة على السرير ويفترض من الدكتور ديو موريي أن يتحمل هذا الموقف الذي وُصف " بالعاطفي " في البداية كان في الغالب تهديداً، وعلى نحو كانت فيه تحاول محاربة معتدٍ، ومن ثم تحولت الى مخلوق طفولي، وكما لو أنها تغمز لأحد ما، وسرعان ما تبنت تعبيراً بذيئاً لإغواء فريستها بحركات فاحشة يطلقها لسانها، ومن ثم افترضت استعراضاً غرامياً متوسلاً،عيناها مخضلتان، ذراعاها معقودتان، شفتاها جاحظتان، تدعوانك للتقبيل، وفي نهاية الأمر، تلصصت نحو الأعلى الى حد لا يرى منها سوى بياض العينين، ووقعت في اغماء مثير. " آه، يا إلهي." قالت ذلك بخشونة." آه، أيتها الأفعى المحبوبة، أيها الصل المقدس... أنا كليوباترتك... تعال هنا الى صدري...سأرضعك...آه، ياحبي، أدخل، كلك، في داخلي..."

" رأت ديانا أفعى مقدسة اخترقتها. ورأى الآخرون القلب المقدس يندمج بهم. بهستيريا " قال دو موريي" أنظروا شكل قضيب العبادة، أو صورة العضو المتسلط المعادل الموضوعي لمشهد الرجل الذي يغتصبها كطفلة، ربما رأيتم نقوش القديسة تيريزا Bernini's Saint Teresa: إنكم لم تشاهدوا اختلافاً بينها وبين هذه الفتاة التعيسة. والصوفي هو الهستيري الذي استقبل اعترافها قبل أن ترى طبيبها. "

في هذه الغضون تمددت ديانا في شكل صليب وقد دخلت في نوبة جديدة، راحت تتلفظ كلمات غريبة موجهة الى أحد ما ومن ثم اعلنت عن ايحاءات مرعبة وهي تتدحرج بعنف من على سريرها.

قال الدكتور دو موريي " دعونا نتركها ترتاح، حينما تستيقظ من جديد، فإنها ستدخل في نوبتها الثانية وستنقلب على اشياء مزعجة وستتذكر ما قالته لك. ينبغي إخبار جمعية سيداتك الخيرية أن لا يرتعبن إذا وقعت مثل هذه المعضلة لهن. كل ما عليهن أن يقمن به هو أن يمسكن بها بقوة ويضعن منديلا في فمها لكي لا تعض لسانها. لا بأس أن يرضعنها قطرات قليلة من مادة الصبغة التي سأزودكم بها.

ثم أضاف " والحقيقة، أن هذا المخلوق ينبغي أن يُعزل عن الآخرين. ولا استطيع الحفاظ بها هنا. لأن عيادتي ليست سجناً، إنها مصح. الناس فيها يتجولون، ومن المفيد، أو بالأحرى، من الضروري لعلاجهم أن يتحدث بعضهم بعضاً وأن تكون لديهم فكرة أنهم يعيشون حياة طبيعية، حياة سعيدة، فمرضاي ليسوا مجانين. إنهم ببساطة بشر فرقتهم النرفزة. وهجمات ديانا يجب أن لا يسمح بها للتأثير على المرضى الآخرين، والقصص الحميمة التي تحكيها خلال حالتها "السيئة " إن كانت حقيقية أو زائفة، تقلق الجميع، وآمل ان تكون جمعية سيداتك الخيرية قادرات على الحفاظ على عزلها.

الإنطباع الأول من هذا اللقاء هو أن الدكتور كان متلهفا لتحرير نفسه من ديانا. إنه كان يطلب أن تبقى عملياً قيد الحبس، وكان قلقاً حول اتصالاتها مع الآخرين. زد على ذلك، أنه بدا قلقاً ربما إن ثمة

شخصاً ما قد يأخذ ما تقوله مأخذ الجد، لذلك، كان يقي نفسه من البقاء عن طريق الإيحاء السريع بسبب هذيان امرأة مجنونة.

~~~

إستأجرت بيتاً في أوتيويل قبل أيام قليلة، أنه لا يحتوي على أشياء خاصة، لكنه مريح بإعتدال. والداخل اليه يرى غرفة استقبال عائلة برجوازية، تحتوي على ديوان من خشب شجرة الماهوغاني يغطيها مخمل ناعم، وستائر دمشقية حمر، وساعة معدنية فوق موقد النار بين مزهريتين من الزهور تحت قباب زجاجية، وطاولة أرغن أسفلها مرآة، وأرضية من القرميد حسنة الصقل. أمامها كانت غرفة للنوم، التي هيأتُها الى ديانا. على الجدران عُلِّقت لؤلؤة رمادية تموج في نسيج من القماش، وفُرشت الأرضية بسجاد سميك مطعم بورود حمر كبيرة؛ وكانت ستائر نوافذ غرفة سرير النوم والنوافذ الأخرى من اللون نفسه، حُيكت بخطوط بنفسجية عريضة لتكسر رتابة الألوان الأخرى. فوق السرير عُلقت صورة حجرية ملونة تصور عشيقين رعويين، وعلى منضدة الأرغن ساعة بندولية صغيرة مرصعة بأحجار كريمة صناعية، وفي الجانب الآخر ملاكان يحملان باقتي ورود ليلك رُتبت لتشكل شمعداناً زيتياً متشعباً.

في الطابق الأعلى ثمة غرفتا نوم. إحداهما وُضعت جانباً لإمراة عجوز نصف صماء ونصف مولعة بقنينة لم تكن جديرة أن تجلب من منطقة محلية وكانت ترغب بالقيام بأي شيء لتجني فيها المال. لا
~~~

اتذكر من الذي أمرها، ولكن يبدو أنها امرأة مثالية تعنى بديانا حينما لم يكن ثمة أحد منْ يفعل ذلك، وتقوم بتهدئتها حينما تأتيها النوبات.

ظهر لي، بينما أنا اكتب، أن تلك السيدة العجوز يجب ألاّ تستقبل أخباري لمدة شهر. ربما إنني تركت لها كثيراً من النقود لتحصل عليها، ولكن الى متى؟ يجب ان أغادر الى اوتيويل حالاً، لكن أدركت أنني لم استطع أن اتذكر العنوان. أين في اوتيويل؟ وكنت نادرا ما أتجول في المنطقة كلها قارعاً الأبواب أسأل إن كان ثمة بالاديني هستيري مصاب بالفصام الشخصي يعيش هنا.

~~~

صرح تاكسيل علانية عن محادثته في نيسان / ابريل، وكتابه الأول، قضية ثلاثة اشقاءLes frères trois-points، الذي سيصدر في شهر تشرين الثاني /نوفمبرالقادم، يحتوي على إيحاءات مثيرة عن الماسونية. قدته لمشاهدة ديانا في ذلك الوقت تقريباً. لم أخف عنه نوباتها المزدوجة، وعليَّ أن أوضح له أنها كانت مفيدة لنا ليس في نوبتها بوصفها عزباء تخشى الله، بل لكونها بالادينية غير نادمة.

درست الفتاة باهتمام في غضون الأشهر المنصرمة، كما حافظت على متغيرات ظروفها تحت السيطرة، وتسكينها بصبغة الدكتور دو موريي. بيد أنني تداركت أنه كان انتظاراً مضنياً لها لا يمكن التنبؤ بمعضلاتها. ويجب أن نكتشف طريقة لتغيير حالة ديانا عن طريق السيطرة عليها – وهذا، بعد كل شيء، هو ما يبدو أن الدكتور شاركوت سينفذه عن طريق ممارسة هستيرياته.
~~~

إنني لا اعرف قوة شاركوت المغناطية، لذا، توجهت الى المكتبة العامة للبحث عن العلاجات التقليدية، مثل، De la cause du sommeil lucide، المستحضرة من قبل الشيخ العجوز و(الأصيل) آبي فاريا. وبإتباع تلك الوصفات في ذلك الكتاب وكتب عديدة، قررت أن اعصر ركبتي الفتاة بين ركبتيّ، وأضع ابهاميها بين اصبعيّ وأحدق في عينيها، وبعد ما لا يقل عن خمس دقائق، أسحب يديّ، وأضعهما على كتفيها، وأحركهما الى أسفل ذراعيها ثم الى أطراف اصابعها لمدة خمس أو ست دقائق، ومن ثم أضعهما فوق رأسها وتدريجيا أنزلهما الى وجهها، وأباعد بينهما مساحة خمس أو ست سنتيمترات، ثم اهبط بهما الى بطنها، وأضع اصابعي على أضلاعها، وفي نهاية الأمر أدع اصابعي بالمرور بإستمرار أسفل جسمها وصولا الى ركبتيها أو الى طرفي ابهاميْ قدميها.

ومن وجهة نظر الآداب، كانت هذه مقدمة الى ديانا " الطيبة " ففي البداية كانت تبدو أنها على وشك ان تصرخ، كما لو(الله يغفرلي).كنت اعتدي على عذريتها، ولكن من المؤثر أنها هدأت حالاً تقريباً، ثم نامت لدقائق قليلة واستيقظت من جديد في نوبتها الجديدة. كان من السهل أن نعيدها الى نوبتها الثانية لأن ديانا " السيئة " أظهرت متعة فائقة نتيجة لحالة اللمس التي قمت بها، حاولت إطالة معالجتي لها، مصحوبة بحركات غير لائقة لجسمها ولآهات الإختناق. من حسن الحظ، قبل فترة طويلة، لم تعد قادرة على تجنب تأثيرات نومها المغناطيسي، ومرة أخرى عادت للنوم، والى

حدما كان من الصعوبة عليّ بمكان إطالة الإحتكاك، الذي ازعجني، والسيطرة على شهوتها المثيرة للإشمئزاز.

~~~

اعتقد أن أي رجل سيُعِد ديانا مخلوقاً ساحراً فريداً، على الأقل بقدر ما استطيع أن احكم، لكوني أحد أولئك الذين، وعن طريق التنظيم والمهنة، أبقى بعيداً عن تعاسة الجنس؛ بينما كان من الواضح أن تاكسيل هو رجل الشهوانيات المفعمة.

حين سلمني الدكتور دو موريي المريضة، قد سلمني ايضاً حقيبة مليئة بالملابس الأنيقة التي جلبتها ديانا معها عندما وصلت الى مكان المصح - فضلا عن وصفات أدوية جاءت من عائلة قريبة ميسورة الحال. وبغنج واضح إرتدت ملابس أنيقة. في اليوم الذي أخبرتها فيه أنها ستستقبل زيارة من تاكسيل. رغم إنها بدت خالية من التعبير في كلتا النوبتين، كانت تقريباً منتبهة الى تلك التفاصيل الأنثوية الصغيرة.

كان تاكسيل مسحوراً الآن بـ (" إمرأة جميلة " قال لي، وهو يتلمظ) وأخيرا، حين حاول أن يقلد عملية التنويم المغناطيسي، ومال لإطالة تلمسه حتى بعد أن نامت المريضة، كان، علي أن أتدخل بلطف " أعتقد أن هذا يكفي الآن."

وقد ارتبتُ ،ذلك أنني اذا تركته وحده مع ديانا وهي في نوبتها البدائية، سيكون من المتاح له أن يتصرف لإشباع رغباته، وستسمح له. على هذا، تأكد لي أن أحاديثنا مع الفتاة كانت دائماً ما تحدث حينما يكون ثلاثتنا حاضرين. في الواقع، احياناً نكون أربعة. لأن تحفيز
~~~

ذكريات وطاقات ديانا الشيطانية واللوسيفيرية(وامزجتها اللوسيفيرية) أعتقد أنه من المناسب لها أن تلتقي آبي بولان.

~~~

آبي بولان. بعد حجره من قبل بابا باريس، إنتقل الى ليون لينضم الى كنيسة كرملية أسسها فنتراس، الحالم الذي يرتدي زيا رسميا هوعبارة عن ثوب أبيض فضفاض مطرز بصليب أحمر مقلوب، وتاج مصنوع من قماش يرمز لقضيب الذكورة الهندي. يسبّح فنتراس حينما يصلي، ويبعث لدى اتباعه حالة من الوجد الصوفي. خلال ابتهالاته ينزُّ خبز القربان المقدس دماً، ثمة إشاعة تسري عن ممارسات الجنس المِثليّة، وسيامة حب الكاهنات، والخلاص، من خلال تعبير حر للإحساسات – بمعنى آخر، لكل هذه الأشياء، التي ينزع إليها بولان. هكذا، حين قضى فنتراس، وتسمّى بإسم سلفه.

يأتي بولان الى باريس مرة واحدة في الشهر. مغتنما الفرصة ليحلل مخلوقاً مثل ديانا من وجهة نظر شيطانية demonological تبدو جيدة لتكون حقيقية.(كي يطرد الأرواح الشريرة بفاعلية أكثر، وزعم، رغم إنني حالياً اعرف كيف أنه يذهب لطرد أرواحه الشريرة.) يبلغ من العمر أكثر من ستين سنة، بيد أنه مازال حيوياً، واستطيع أن أصف تحديق نظراته بالنظرات المغناطيسية.

أصغى بولان الى ما كانت قد قالته ديانا – وما لاحظه تاكسيل على أنه كلام ديانا – بيد أنه بدا يعني أهدافاً أخرى، واحياناً، خارج سمعنا، همس بكلمات تحريض أو نصيحة للفتاة. مع ذلك، كان مفيداً لنا.
~~~

يجب أن تكشف اسرار الماسونية بما فيها الطعن في خبز القربان المقدس وانواع القداس الأسود. الذي لبولان سلطة عليه. تسلم تاكسيل ملاحظات عن أنواع الشعائر الشيطانية، وبينما كانت كتبه تصدر تدريجياً، ركز أكثر فأكثر على تلك الصلوات التي مارسها ماسونيوّه أينما أتيحت لهم الفرصة.

~~~

بعد نشر كتب عدة، واحداً بعد الآخر، إستنزف تاكسيل تقريباً القليل مما يعرفه عن الماسونية. وما لبثت تأتيه الأفكار فقط من ديانا " السيئة" التي بدت تحت تأثير التنويم المغناطيسي، بعينين مفتوحتين على سعتيهما، ووصفت المشاهد التي ربما شاهدتها، أو ربما سمعت كلاما عنها في أميركا، أو ربما ببساطة كانت تتخيلها. كانت قصصا تتركنا مذهولين، وعليّ أن أقول ذلك مع أنني(أعتقد) رجل تجربة، مُروِّعا. فمثلاً، في يوم من الأيام، بدأت ديانا الحديث عن تلقين عدوتها، صوفي والدير، أو بالأحرى، ما يطلق عليها، صوفيا صافو. لم أكن متأكدا إن كانت تدرك شخصية سفاح ذوي القربى في المشهد كله. بوضوح لم تصفه بأي نغمة تدل على عدم الإستحسان ولكن الى حد ما بتهييج أحد ما كان له شرف مشاهدته.

قالت ديانا بهدوء " إنه والدها " " الذي جعلها تنام، ومرر آلة حديدية حمراء ساخنة على شفتيها... ليتأكد أن جسمها قد انفصل عن أي كمين قد يأتي من الخارج. هنا، حركها والدها، فتح سلة تخرج منها أفعى، وضعها هنا على بطنها... إنه شيء جميل، يبدو أنها ترقص
~~~

وهي تنساب بإتجاه رقبة صوفيا وتلتف حولها كما القلادة... ولما تسلقت الى أعلى وجهها، اندفع لسانها، بحركة سريعة بإتجاه شفتيها راحت تهس، قبّلتها هنا، كيف... بحركة مذهلة... حركة لزجة... تستيقظ الآن صوفيا، فمها مزبد. نهضت وبقيت واقفة، متصلبة كتمثال، حل والدها الشداد، كاشفا عن صدرها العاري ! كان يحمل بيده خيزران، رسم علامة استفهام فوق صدرها، وظهرت رسائل مكتوبة بحبر أحمر على جلدها، أما الأفعى التي بدت أنها نائمة، إستيقظت وراحت تهس وتحرك ذنبها لترسم الإجابة، مرة ثانية على جسم ديانا العاري."

سألتها " كيف تعرفين هذه الأشياء، يا ديانا."

" عرفتها منذ أن كنت صغيرة في أميركا... لقنني إياها والدي باللغة البالادمية. من بعدها ذهبت الى باريس. ربما أرادوا أن يبعدوني... في باريس التقيت بصوفيا صافو. كانت دائماً عدوتي. حينما رفضت ما أرادته مني، أرسلتني الى الدكتور دو موريي. وأخبرته أنني مجنونة."

~~~

ذهبت الى الدكتور دو موريي لأكتشف المزيد عن ديانا: يجب أن تفهم، يا دكتور، أن اخواني لا يستطيعون مساعدة هذه الفتاة ما لم نعرف من أين قَدِمتْ، ومن هما أبواها؟"

نظر الدكتور دو موريي إليّ بإنشداه " لا أعرف أي شيء، وقد اخبرتك. وقد عُهِدت إليّ عن طريق أحد أقاربها الذي قضى."

" ما هو عنوان هذا القريب؟"
~~~

" يبدو أنه غريب، لم احتفظ به. وشب حريق في مكتبي قبل سنة وضاعت أوراقي كلها. لا أعرف أي شيء عن ماضيها."

" هل جاءت من أميركا؟"

" ربما، بيد أنها تنطق الفرنسية دون لهجة. إسأل جمعية سيداتك الخيرية ألاَّ يقلقن أنفسهن كثيراً، لأن من المستحيل تماماً لفتاة مثلها أن تهرب وتعيش حياة عادية. يجب أن يعالجنها بلطف، ويسمحن لها لتنهي أيامها بسلام – واخبرك، أنها لن تعيش طويلاً جداً وهي في مثل هذه المرحلة المتقدمة من الهستيريا. قبل مدة طويلة كان لديها التهاب شديد في الرحم والعلم الطبي عاجز أن يقدم لها علاجا."

كنت مقتنعاً أنه يكذب. ربما إنه بالدياني(وهذا يعني الكثير للأستاذ الشرقي) وقد وافق أن يتعامل مع عدو الطائفة، متمنين لها الحياة. لكن هذه الأشياء كانت محض تخمينات. إنها مضيعة للوقت في الحديث مع ديو موريي.

وسألت ديانا، عن كلتا حالتيها الأولى والثانية. بدت أنها لا تتذكر شيئاً. تضع حول رقبتها سلسلة ذهبية فيها مدالية لصورة امرأة تشبهها تماماً. لاحظت أن المدالية يمكن أن تنفتح، وسألتها مرات عديدة أن تريني ما في داخلها. بيد أنها رفضت بإصرار، تختلجها تعابير الخوف والإصرار العنيد. " أعطتني إياها أمي." هذا كل ما تقوله كل مرة.

~ ~ ~

لا بد وأن يكون قد مضى أربعة اعوام منذ أن شرع تاكسيل حملته ضد الماسونية. كان رد الفعل من العالَمْ الكاثوليكي قد ابتعد كثيراً عن

توقعاتنا: ففي عام ١٨٨٧، أُستُدعي تاكسيل من قبل الكاردينال رامبولا لحضور خاص مع البابا ليو الثالث عشر. إستحسن البابا رسمياً معركته، والبداية للنجاح العظيم للنشر، فضلا عن نجاح إقتصادي.

في حوالي ذلك الوقت تسلمت ملاحظة مقتضبة بيد أنها بليغة:"آبي، يبدو أن تلك المسائل تسير على ما يرام عبر ما قد أعددنا. الرجاء التعامل مع الموقف. هيبوتيرن"

لا عودة للوراء. أنا لا أتحدث هنا عن مردودات المؤلف، التي يستمر فيضها، لكن عن النوايا والتحالفات التي تأسست مع العالمْ الكاثوليكي. تاكسيل الآن هو بطل المعركة ضد الشيطانية، وأنه لا يريد أن يتنازل عن عرش ذلك الموقع.

في هذه الغضون، وصلت ملاحظة أخرى، من الأب بيرغاماشي: "كل شيء يسير على ما يرام. بإستثناء اليهود؟ "

بدأ الأب بيرغاماشي يحث حالياً على وجوب أن تكون إيحاءات تاكسيل الفاضحة ليس ضد الماسونية حسب، بل ضد اليهود ايضاً. حتى الآن مازالت ديانا وتاكسيل كلاهما صامتين عن الهدف. لم أكن متفاجئا لحالة ديانا. إذ من المحتمل أن هناك ثلة من اليهود في أميركا انحدرت منهم أكثر مما كانوا هنا، بذلك، فإن المشكلة بدت غير ذات صلة. لكن كانت الماسونية مليئة باليهود، وقد أوضحتُ هذا الى تاكسيل.

أجاب، " الآن ماذا سأفعل؟ أنني لم التقِ باليهود الماسونيين، أو على الأقل لست على معرفة بهم. فأنا لم أقابل مطلقاً حاخاماً في أي محفل."

" إنهم لا يذهبون هناك وهم يرتدون جلابيب الحاخامات، بيد أن أباً يسوعياً معروفاً جيداً كما أخبرني مونسيرون ميورن لم يكن قساً لكنه رئيس أساقفة، برهن على صدور كتاب يَعُّد طقوس الماسونية أنها كابالية في الأصل، وأن الكابالية اليهودية هي التي تقود الى عبادة الشيطان." " الآن دعونا نترك الأمر لمونسنيور ليتحدث. ويكفينا الحديد في النار."

ممانعة تاكسيل أدهشتني(هل هو يهودي؟ أنني اتساءل حسب)، الى أن اكتشفت من خلال مسار مشاريعه الصحفية وبيع الكتب وموضوع إحالته الى المحاكم في مناسبات كثيرة لإتهامه بالقذف أو الفحش وقد حكم عليه بدفع بعض الغرامات. لهذا كان مثقلاً بالديون من دائنين يهود كثيرين، في نهاية الأمر لم يستطع أن يحررنفسه(ليس على الأقل أنه ينفق بحرية أرباحاً مادية لنشاطه الجديد ضد الماسونية، بل أنه يخشى أن أولئك اليهود، الذين كانوا مرتاحين حتى هذه اللحظة، ربما يرسلونه الى سجن المَدينين إذا هم شعروا أنهم كانوا تحت الهجوم.

رغم ذلك، هل كان الموضوع موضوع نقود حسب؟ كان تاكسيل وغداً، لكن لديه مشاعره الخاصة؛ فعلى سبيل المثال، كان متعلقاً جداً بعائلته. ولسبب ما فإنه يشعر بالعطف على اليهود، ضحايا الإضطهاد. قد

اعتاد أن يقول أن البابوات قد حموا اليهود في الغيتو، إذ كانوا مواطنين من الدرجة الثانية.

دخلت فكرة النجاح في رأسه: فإنه يعتقد في نفسه أنه الرسول الملكي الكاثوليكي والمناهض لفكرة الماسونية، وقرر تاكسيل العودة الى السياسة. لم أستطع متابعته من خلال كل مكائده، بيد أنه ترشح لمجلس مقاطعة في باريس ووجد نفسه في صراع المنافسة، والنزاع، مع صحافي مهم يسمى درومونت، الذي كان متورطاً في حملة عنيفة ضد اليهود والماسونية. يملك درومونت متابعة مهمة بين أوساط الناس في الكنيسة، وبدأت تتسلل أقوال أن تاكسيل كان متآمراً – وربما أن كلمة " تسلل " ضعيفة جداً هنا.

في سنة ١٨٨٩، ألّف تاكسيل كراساً ضد درومونت، ولا يعرف ما هي الإتهامات التي يوجهها(فكلاهما يدينان الماسونية) ووصف درومونت فوبيا اليهود كصيغة اغتراب ذهني. وقام بحملة اتهامات عن المذابح الروسية.

وُلد درومونت مجادلاً ورد على هجوم ساخر ضد اولئك الذين نصَّبوا أنفسهم أبطالاً للكنيسة، وأحد الذين يستقبل الترحيبات والمباركات من الأساقفة والكاردينالات حتى بعد أن كتب بعد سنوات مبكرة عن القذارة الفاحشة عن البابا والإكليركيين، ناهيك عن اليسوع ومريم العذراء. لكن كان هذا هو الأسوأ.

كنت قد زرت تاكسيل مرات عديدة في منزله، فهو يملك في الطابق الأرضي مكتبة شخصية تحتوي على كتب مناهضة للإكليركية،

وغالباً ما تقاطع أحاديثنا زوجته، التي تأتي وتهمس في أذنه. كما اكتشفت مؤخراً، أن كثيراً من المناهضين للإكليركية باتوا غير نادمين في الذهاب الى ذلك العنوان للبحث عن اعمال مناهضة للكاثوليكية، وعن بعض النسخ، التي مازال تاكسيل ورعاً فيها. مازالت كميات كبيرة في مخزن منزله التي لم يستطع تدميرها بسهولة. لذلك، وبحذر شديد استمر بإستغلال هذا الإتجاه الرائع في العمل. ودائماً ما يرسل زوجته للخارج، ولا يظهر هو شخصياً. لا أخفي أوهاماً مطلقاً عن صدقه في حديثه: إن المبدأ الفلسفي الوحيد الذي التزمت به كان هو pecunia non olet.

بإستثناء ما اكتشفه درومونت عن هذا، وهكذا هاجم منافسه المارسيلي ليس لأنه مرتبط بطريقة ما مع اليهود حسب، ولكن، ايضاً لأنه مازال الكيركياً غير نادم. وهذا ما يكفي لرفع الظنون الكبيرة بين العديد من قرائنا الذي يخشون ربهم.

وحان الوقت لنعيد الضربة.

قلت " يا تاكسيل، أنا لست قلقاً عن السبب الذي لا تريد فيه أن تكون شخصياً متورطاً ضد اليهود، لكن ليس من المستحيل أن تجلب أحداً ما بإمكانه التعامل مع الموضوع."

أجاب تاكسيل " مقدماً، أنني لم أكن متورطاً بشكل مباشر. وأضاف، في الواقع، أن فضحي إياهم لم يعد كافياً، ولا حتى الهراء الذي اخبرتنا به ديانا. إننا خلقنا قراءً يطمعون الى المزيد. ربما لم يعودوا يقرؤون أعمالي ليتعلموا عن المؤامرات التي يحوكها أعداء الصليب،

لكن بصدق وببساطة هم خارج حب القصة الجيدة، كما في روايات المكائد حيث ينجذب القاريء الى جانب الجريمة. "

~~~

بهذه الطريقة وُلد الدكتور باتايلي ايضاً.

إكتشف تاكسيل، اوأعاد اكتشاف، صديقاً قديماً، طبيباً بحرياً، كان قد سافر على نحو واسع الى بلدان غريبة، يتشمم هنا، وهناك بين المعابد في مختلف الإجتماعات الدينية السرية، فضلاً عن ذلك أنه يملك معلومات لا حدود لها عندما وصل الى قصص المغامرات، بما فيها كتب باوسينار والسرديات الخيالية لجاكوليو مثل Le spiritsme dans monde and Voyge aux pays mystérieux وبرهنتُ تماماً على الفكرة المقبولة للبحث عن مواضيع قليلة في عالم الرواية(ومن مذكراتك أنك لاحظت شخصياً تأثرك الكثير بدوماس و سو.) لا شك أن القراء نهمون لمغامرات الرحلات وقصص الجريمة. إنهم يطالعون من أجل المتعة البسيطة، ومن ثم سرعان ما ينسون ماقد تعلموه، وحينما يذكّرهم شخص عن شيء قد قرأوه في رواية كما لو أنها كانت حقيقية، فستكون ذاكرتهم ضبابية لما قد سمعوه من إشارات وتبقى أفكارهم ثابتة.

الرجل الذي اكتشفه تاكسيل من جديد هو الدكتور جارلز هاكز الذي كان متخصصاً بالولادة القيصرية والذي طبع كتب عديدة عن التجارة البحرية، بيد أنه لم يستغل موهبته ككاتب قصة قصيرة. وبدا أنه يعاني من نوبات كحولية خطيرة وكان من الواضح أنه مفلس. ومما
~~~

أخبرنا به تاكسيل، أنه كان على وشك أن يطبع كتاباً ينطوي على هجوم مهم على الأديان ومنها الدين المسيحي، التي وصفها "بالهستيريا الصليبية " وحين قدمه مع عرض تاكسيل كان على استعداد أن يكتب ألف صفحة ضد عبدة الشيطان، وعن الدفاع عن الكنيسة ومجدها.

وأتذكر أننا في عام ١٨٩٢ شرعنا بعمل ضخم، هو سلسلة تحتوي على ٢٤٠ حلقة تطبع خلال ثلاثين شهراً تقريباً، تحت عنوان الشيطان في القرن التاسع عشر،Le diable au xixe siècle. تتضمن إحتقاراً لصورة لوسيفير الكبير على الغلاف، بجناحي خفاش الليل وذيل تنّين، فضلاً عن عناوين ثانوية، الأسرار الشيطانية الحديثة، والمغناطيسية الغامضة والأساليب اللوسيفيرية الغامضة، وبعد قرن من الكابالا fin – de –slécle kabbalah وسحر الورد الصليبي Rosicrucian magic، و ممتلكات الدولة المستترة possessions in latent state، والتبشير ضد المسيح – The precursos of the Anti christ. كل هذه المفردات تسهم في غموض الدكتور باتايلي.

لا يحتوي العمل على أي شيء لم يكن قد كُتب في مكان آخر، كما هو المراد منه: وقد نهب تاكسيل أو باتايلي جميع الأدب السابق وبنيا خليطاً من العبادات السرية، وأشباحاً شيطانية، وطقوساً محورية تقشعر لها الأبدان، وكثيراً من معابد الصلوات التي تميزها البافوميت Baphomet، وهكذا دواليك. وقد أُستنسخت هذه السرديات من كتب أخرى في علم السحر، التي أستنسخت تلك السرديات من خلاله.

بقيت الصور السابقة دون طبع في حين كانت التخطيطات لكبار الماسونيين، تشبه تلك البوسترات في مروج بلدان اميركية تظهر الخارجين على القانون الذين يجب أن يُقتفى أثرهم ويسلمون الى العدالة، أحياءً أو أمواتاً.

~~~

تقدم العمل بخطوات سريعة مسعورة. وصف باتايلي، بعد جرعات سخية من شراب مسكر وصف اختراعاته الى تاكسيل، الذي كتبها ونمّقها، او ان باتايلي أشغل نفسه بالتفاصيل الدقيقة فيما يتعلق بعلم الطب، وفن التسميم ووصف المدن والشعائر المقصورة على طائفة محددة كان قد رآها فعلاً. في هذه الغضون، طرز تاكسايل آخر أوهام ديانا.

شرع باتايلي، على سبيل المثال، بتصوير صخرة جبل طارق Gibraltarبوصفها كتلة إسفنجية متقاطعة مع الممرات والتجاويف والكهوف الجوفية حيث نجد أغلب الطوائف التجديفية تحتفل بشعائرها، واصفا سلوك الماسونية الغريب للطوائف الهندية واشباح اسموديوس، بينما سلم تاكسيل صورة صوفيا صافو. وعند قراءته القاموس الشيطاني تأليف: كولن دي بلانسي Dictionnaire plancy infermal by Collin de، أوحى أن صوفيا قد كشفت عن وجود 6,666 فيلقاً، وكل فيلق يحتوي على 6,666 شيطاناً. رغم إنه كان مخموراً في هذا الوقت، إستطاع بيتايلي أن يستنبط الرقم الإجمالي للشياطين والشيطانات هو 44,435,556، وقد فحصنا حسبته، ونعترف بالمفاجأة
~~~

أن الرقم كان صحيحاً، وضرب بقبضة يده على الطاولة صارخاً، " كما ترون، أنني لست مخموراً." كان مسروراً الى حد أنه إنزلق أسفل الطاولة.

كنت مفتوناً وأنا أتخيل مختبر علم سموم الماسونية في نابولي، حيث كانت السموم تُحضَّر لتستخدم ضد أعداء المحافل الماسونية. كانت رائعة باتايلي تخترع شيئاً ما، ليس لسبب خيميائي معين مهما كان هذا السبب، وأطلق عليها إسم المنّ والسلوى: وضع علجوماً في إبريق، ملأه بالأفاعي والصلال؛ وبطيور الغارقون السامة، وأُضيف إليها شراب زهر الديجيتالس وشراب الشوكران؛ وتُركت الحيوانات تتصارع، تبخرت أجسامها مع رغوة مسحوق الكرستال المقطر؛ ووضع كل شيء ليستقر، كانت الرطوبة تترشح، ورماد الأجسام ينفصل عن مساحيق غير قابلة للإحتراق، ونتيجة الإختبار لا تعطينا عنصراً واحداً من هذا المستحضر بل عنصرين، الأول سائل والآخر مسحوقاً. متطابقان في تأثيرهما المهلك.

" أستطيع فعلاً أن أتخيل كم عدد الأساقفة الذين سترسل لهم هذه الصفحات التي ستبعث فيهم النشوة." قال تاكسيل، وهو يحك فخذه بتكلف، وفعل هذا في لحظات قناعة عظيمة. قال هذا ولأسباب وجيهة، منذ ومع كل دفعة من صحيفة الشيطان Le diable، تأتي رسالة من أسقف يشكره عن توضيحاته الجريئة، التي كانت تفتح عيون كثير من الأتباع المخلصين.

تأتي ديانا بين الحين والآخر. بإمكانها حسب أن تُلفِّق arcula mystica عن الزعيم الأكبر للماسونية لشارلستون. بأنه يملك خزانة صغيرة وهي إحدى النماذج السبعة في العالم. عند فتحك غطائها سترى مكبر صوت فضي، مثل ناقوس قرن الصيد لكن أصغر منه؛ من الجهة اليسرى ثمة جلباب خفيف منسوج من خيوط فضة متشابكة مثبت في إحدى نهايته، وفي النهاية الأخرى مثبت بجهاز غريب بإمكانك أن تضعه في أذنك كي تستطيع أن تسمع صوت الشخص الذي يتحدث من إحدى الخزنات الست. من الجهة اليمنى علجوم آخر قرمزي اللون يبعث لهباً صغيراً من فمه المفتوح، هو علامة على أن الإتصال قد تفعَّل الآن، وثمة سبعة تماثيل ذهبية اللون تمثل سبعة كرادلة فضلاء من سلم البالاديين فضلاً عن سبعة مستشارين ماسونيين رئيسيين. بهذه الطريقة يضغط الأستاذ الكبير على تمثال منصوب على قاعدة ويجري اتصاله في برلين أو نابولي، وإذا كانت الإتصالات لا تصل في الجهاز الذي في أذنه في هذه اللحظة، فإنه سيحس بنسيم دافيء على وجهه ويهمس، على سبيل المثال، " سأكون جاهزاً خلال ساعة " وعلى طاولة الأستاذ الكبير سيقوم العلجوم بصوت عال "خلال ساعة ".

نتساءل بداية فيما إذا كانت القصة غير معقولة الى حدما،لأسباب ليس أقلها حصول ميوكسي على براءة اختراع telectophone، التلفون كما يسمى الآن خلال السنوات المبكرة. بيد أن مثل هذه الإختراعات يملكها الأغنياء حسب، وليس من المحتمل أن يعرف قراءنا أي شيء

عنها. في كل الاحوال، أن مثل هذه الإختراعات الإستثنائية كجهاز arcula، كان مرتبطاً بالإيحاءات الشيطانية.

كنا نلتقي احياناً في منزل تاكسيل، واحياناً أخرى في أوتيويل، وبين الحين والآخر حاولنا العمل في حفرة فارة باتايلي، لكن الرائحة المنتشره السائدة هناك (الكحول الرخيصة، والملابس الوسخة وفضلات الطعام المتعفنة) دفعتنا أن نتجنب المبنى.

~~~

إن احدى المشاكل التي نعاني منها كانت تصف الجنرال بايك الأستاذ الكبير للماسونية العالمية، الذي يقود مصير العالم من شارلستون، ولكن لا شيء أكثر أصالة مما هو مطبوع فعلاً الآن.

شرعنا تماماً بإصدار طبعاتنا من صحيفة الشيطان، حينما ظهر كنيس الشيطان الماسوني La Franc Maçonnerie synagogue de satan،وهو كتاب الإنتظار الطويل تأليف مونسنيور ميورين، رئيس أساقفة بورت – لويس(أين كان ذلك الشيطان؟) الدكتور باتايلي الذي كان يعرف الإنجليزية معرفة سطحية، التقط كتاباً أثناء سفراته عنوانه الجمعيات السرية The Secret Societies، مطبوع في شيكاغو في عام ١٨٧٣ تأليف الجنرال جون فيلبز، العدو المعلن للمحافل الماسونية. وكل ما نريد القيام به كان إعادة استخدام ما قد وجدناه في تلك الكتب لبناء صورة كاملة لهذا الأستاذ الشيخ العجوز، والكاهن الأعلى للبالادمية العالمية، ربما أسس الكو كلوكس كلانKu Klux Klan، الذي شارك في المؤامرة التي قادت الى قتل ابراهام لنكولن. قررنا أن يحمل
~~~

الأستاذ الكبير للمجلس السامي في شارلستون القاب الأخ الأكبر ايضاً، القائد العام، والزعيم الماهر للمحفل الرمزي الكبير، وحافظ الأسرار، وسيد الكمال، والسكرتير الحميم، والعمدة والقاضي، وزعيم التسعة المختارين، والمختاراللامع من بين الخمسة عشر، والفارس السامي المنتقى، أو السيف، وأمير القدس، وفارس الشرق والغرب، والزعيم الأكبر للأسرار، وأمير لبنان وخيمة الهيكل، وفارس الصل النحاسي، وفارس المعبد، وفارس الشمس، والفارس الماهر، ورئيس القبائل الإثنا عشر، والمهندس الأستاذ الكبير، والفارس الأسكوتلندي للقديس اندرو، والفارس المنتخب السامي، والملقن التام، ومفتش التحقيق السامي، والأمير السامي للسر الملكي، والوجه المقدس، والماسوني السامي التام، وفارس الشرق، أو فارس السيف، والأمير الأعلى لروز كروا، والبابا الأكبر، والأستاذ الموقر ل ad vitam، للمحافل الرمزية جميعها، والفارس النوحي، أو فارس بروسيا، والأستاذ الكبير للسر، والفارس القائد لفارس معبد الشمس، والأمير الماهر، والفارس السكوتلندي للقديس اندرو، والفارس المنتخب، والأستاذ الفارس المنتخب لكادوش، والاستاذ المفتش المحقق، والأمير السامي الناصح للسر الملكي، والثالث والثلاثون، لقوة القائد السيادي والأستاذ الكبير الحافظ للبالاديين المقدسين والبابا المستقل للماسونية العالمية.

واقتبسنا رسالته هذه التي تدين تجاوزات بعض الإخوان في ايطاليا واسبانيا، " الذين أثارتهم الكراهية المشروعة تجاه رب القسيسين " ممجدين خصمه تحت اسم الشيطان - المُخترع بخدعة

كهنوتية، الذي يجب أن لا يُلفَظْ اسمه أبداً في أي محفل. وهكذا، أدان ممارسات محفل جنوة الذي يحمل علماً في موكب شعبي كتب عليه مجد الشيطان" Gloria a satana " لكن بعد ذلك انكشف أن إدانته هذه كانت ضد الشيطنة(خرافة مسيحية) بينما الدين الماسوني ينبغي عليه أن يحافظ على طهارته بإتباع مباديء المذهب اللوسيفيري. إنهم الكهنة، بإيمانهم بالشر، خلقوا الشيطان، والشيطنة، والساحرات، والسحرة، والشعوذة، والسحر الأسود، حيث كان اللوسيفيريون أتباع السحر الأبيض، أمثال فرسان الهيكل، أساتذتهم القدماء، أما السحر الأسود فكان يمارسه اتباع أدوناي، إله الشر الذي يعبده المسيحيون الذين حولوا النفاق الى قداسة. والرذيلة الى فضيلة، والزيف الى حقيقة، والإيمان بالعبث الى علم لاهوتي، وكل مايفعله أن يشهد على قسوته، وخيانته، وكراهيته للإنسانية، وبربريته ورفضه للعلوم. ولوسيفير من الجانب الآخر، هو إله الخير الذي يعارض أدوناي، كما يعارض الضوء الظلام.

حاول بولان أن يشرح الإختلافات بين الطوائف المختلفة وبقدر ما كنا نشعر بالقلق، كان هو يركز ببساطة على الشيطان في هذا الفعل: وما يتعلق ببعض الناس أن لوسيفير هو الملاك الهابط الذي تاب الآن ويمكن أن يكون في المستقبل المسيح. ثمة طوائف، تتألف كليّاً من نساء، ويُعدّن لوسيفير مخلوقاً أنثوياً طيباً، يعارض الإله الذكوري الشرير. والأخرون يرونه شيطانا لعنه الله، لكنهم يؤمنون أن المسيح لم يحقق شيئاً كافيا للإنسانية، لهذا كرسوا نفوسهم لتقديس عدو الله – وهؤلاء

هم الشياطين الحقيقيون الذين يحتفلون بالقداس الأسود وهلمجرا. وثمة عبدة الشيطان الذين يلاحقون رغباتهم من أجل السحر envoutement، والعرّافة؛ وثمة آخرون يمارسون الشيطنة كدين طبيعي. ومن بينهم أناس يبدون مُنظِّمين لإجتماعات ثقافية، أمثال جوزيفين بيلادان، أوالذي ما زال أسوأ، ستانسلاس دي غوتيه، الذي يهذب فن التسمم، ومن ثم البالادينية، وشعيرة لعدد قليل من المُلَقنين التي من خلالها اسهم الكاربوناريون، امثال، مازيني. ويقال أن غزو غاريبالدي لصقلية من فعل البالاديين، أعداء الإله والملَكية. "

سألت بولان لماذا اتهم منافسَيْه غوتيه وبيلادان بعبدة الشياطين والسحر الأسود بينما سمعت اشاعة في باريس تقول إنهما كانا يتهمانه بعبادة الشيطنة.

قال، آه، في هذا العالم، عالم عبادة الشيطنة تكون فيه الحدود بين الخير والشر دقيقة جداً، وما هو خير لإنسان هو شر لآخرين. حتى في الأزمنة القديمة، فإن الإختلاف بين ملاك وساحر يمكن أن يكون ببساطة مسألة عصر وسحر مادي "

" وكيف يعمل هذا السحر؟"

يقولون إن الأستاذ الكبير في شارلستون إختلف مع غورغاس في بالتيمور رئيس الشعيرة الأسكوتلندية المنشق. استطاع أن يحصل على منديل غورغاس عن طريق ارشاء غسالة ملابسه. وتركها تنقع في ماء مالح، وبين فترة وأخرى يضيف إليها ملحاً ويدمدم Sagrapim melanchtebo rostromouk elias phiitig. ' وتركها لتجف أمام نار

أغصان شجرة الماغنوليا، وفي كل سبت وعلى مدى ثلاثة أسابيع يعرض ابتهالاً على مولوخ Moloch، يرفع ذراعيه وينشر المنديل فوق يديه المفتوحتين كما لو أنه في عرض أمام الشيطان. في يوم السبت الثالث، مع هبوط الغسق، يحرق المنديل بلهب الكحول، ويضع الرماد في إناء برونزي ويتركه بين عشية وضحاها، وفي صباح اليوم التالي يمزج الرماد مع الشمع ويصنع منهما دمية، مخلوقاً شيطانياً يسمى، , dagyde، ويضعdagyde ، تحت قبة زجاجية متصلة بمضخة هوائية، لإفراغ القبة من الهواء ، وفي تلك اللحظة يحس منافسه بسلسلة من الآلام المزعجة لا يستطيع تشخيص أسبابها."

" هل مات؟"

ليس هذا هو الموضوع، ربما إنه لم يذهب بهدوء الى تلك المسافة. والشيء المهم هو أن عمل السحر يكون عبر مسافة، وهذا ما فعله بي غوتيه واصدقاؤه."

" ولم ينبس ببنت شفة، بيد أن ديانا، التي كانت تصغي، إتبعته بتحديقة قدسية.

~~~

في هذا الوقت المناسب، ونتيجة لإلحاحي، كرس باتايلي فصلاً جوهرياً عن اليهود في الطوائف الماسونية، عائدا للوراء الى الطوائف الباطنية في القرن الثامن عشر كاشفاً عن وجود خمسمائة يهودي ماسوني كانوا متحدين سراً معاً في المحافل الرسمية، ولا تحمل محافلهم أسماء بل أرقاماً.
~~~

كان توقيتنا رائعاً. كان الى حدما، خلال تلك الفترة التي بدأت فيها الصحف تستخدم تعبيراً جميلاً: اللاسامية. أصبحنا جزءً من تيار "رسمي " وتحولت عفوية عدم الثقة باليهود الى عقيدة، كالمسيحية والمثالية.

كانت ديانا حاضرة خلال هذه الجلسات، حينما أشرنا الى المحافل اليهودية،لفظت هذه الكلمات"Melchizede ,Melckizzedek" مرات عديدة. ماالذي كانت تتذكره " واستمرت: خلال المجلس البطريركي، شعار الماسونية اليهودية... سلسلة ذهبية تحلي رقابهم تحمل لوحات... تمثل ألواح القانون... قانون موسى."

الفكرة كانت جيدة، هنا كان يهودنا، مجتمعين في معبد ال Melchizedek يتبادلون علامات الإعتراف، وكلمات الأسرار، والتحايا وخطابات القَسَم تبدو من الواضح الى حدما أنهم يهود، مثل، Grazzin Gaizim , javan Abbadon , Bamachec Bamearchrach , Adonai Bego Galchol. كان المحفل، بالطبع، عاقد العزم على تقويض الكنيسة الرومانية المقدسة وكليّة وجود أدوناي.

بهذه الطريقة، بإمكان تاكسيل(تحت غطاء بيتايلي) أن يطمئن أولئك الذين كان يعمل معهم لصالح الكنيسة والذين بقوا سعداء، وبدون ازعاجات دائنيه اليهود. من الآن، على كل حال، بإمكانه أن يسدد ديونهم بعد ذلك كلها، طيلة السنوات الخمس القادمة، وقد جمع تاكسيل ثلثمائة ألف فرنك(صاف) أتاوات – وستون ألف فرنكاً حصتي منها.

~ ~ ~

حوالي عام ١٨٩٤، أعتقد، كانت الصحف لا تتحدث عن أي شيء، ماخلا حديثها عن كابتن عسكري، هو الفريد دريفوس، الذي باع معلومات عسكرية الى السفارة البروسية. بمحض مصادفة، كان الوغد يهودياً. إنقض درومونت على قضية دريفوس، وأنني أعتقد أن صحيفتنا الدورية، الشيطان، يجب أن تسهم بالفضائح المثيرة. بيد أن تاكسيل كان يرى من الأفضل دائماً أن لا نشوش الأذهان بكتابة قصص تحتوي على تجسّسات عسكرية.

أخيراً حسب، أدركت ماذا كان يشعر - إذ كان هناك شيء واحد يمكن الكلام به عن تورط اليهود في الماسونية، لكن مقدمة دريفوس تعني إيحاء(أو كشف) أن دريفوس، رغم كونه يهودياً، كان ايضاً ماسونياً. ليس من الحكمة أن يعطوا(منذ أن ازدهرت الماسونية بشكل جيد في صفوف الجيش) كثيراً من الضباط السامين الذين يحكمون دريفوس كانوا من المحتمل أنهم ماسونيون.

من الجانب الآخر، ليس هناك نقص في الإكتشاف في مجالات أخرى - ومن وجهة نظر جمهور القراء الذي أسسناه، فإن أوراقنا هي أفضل من أوراق درومونت.

بعد عام من صدور أول عدد لصحيفة الشيطان أعلمنا تاكسيل: أنكم تعرفون، حينما أصدرناه، فإن كل شيء ظهر في صحيفة الشيطان، هو عمل الدكتور باتايلي. لماذا يصدق الجميع بما يكتبه؟ أننا بحاجة الى مرتد بالادييني عن مذهبهم يظهر طوية أسرار سلالتهم. وما هو أكثر، هل هناك قصة جيدة لا تتضمن شخصية أنثوية؟ أننا قدمنا

صوفيا صافو بطريقة سلبية. لم تستطع إثارة عواطف القراء الكاثوليك، حتى وإن كانت على وشك التحول. إننا بحاجة الى شخص يكون محبوباً حالاً، رغم إنها بقيت شيطانية، كما لو أن وجهها أشرق بتحول وشيك، شخص بالاديني ساذج تورط بالإنضمام الى الطائفة الماسونية. وكسر قيودها تدريجياً من ذلك النير وعادت الى احضان دين اسلافها. "

" ديانا " قلتُ " ديانا هي الى حدما صورة حية لما يمكن أن تكون مذنبة متحولة. وهي معطى إما شخصية متماسكة أو شخصية أخرى تكون في الغالب سهلة الإنقياد."

وهذا يوضح كيف وصلت ديانا الى المشهد في العدد ٨٩ الصادر صحيفة، الشيطان.

ديانا كانت من نتاج باتايلي، لكن كيما يخلق من ظهورها أكثر معقولية كتب فوراً رسالة عبر فيها عن عدم رضاه بالطريقة التي أنتجها، وانتقد حتى الصورة التي طبعت، وطبقاً لإسلوب صحيفة الشيطان. يجب أنْ أقول انَّ صورتها التخطيطية كانت الى حدما مِسترْجِلة، وأننا قدمنا صورة ديانا أكثر أنوثة، زاعمين أن فناناً رسمها حين كان في زيارة لها في فندقها في باريس.

كان أول ظهور لديانا في مجلة Le Palladium Régénéré et Libre، التي تعد نفسها صوت البالاديين المنشقين التي كانت تملك الشجاعة لوصف عَبَدة لوسيفير وصولاً الى أدق التفاصيل الصغيرة والتعابير التجديفية المستعملة في طقوسهم. مازال الناس يشعرون برعب

البالادية كان من الواضح أنّ كانون موستل تحدث في مقاله Revue Catholiqe عن انشقاق ديانا البالادينية في بداية حديثه. واتصلت ديانا بموستل، وأرسلت له مائتين من فئة الألف فرنك للفقراء. ودعا موستل قراءه أن يصلوا من أجل حديث ديانا.

واقسم أنّ موستل لا يملك اختراعنا، ولم نرشه، بيد أنه تصرف بالضبط كما كنا نأمل. فضلاً على دعم مجلته من La Semaine Réligieuse بإيحاء من مونسنيور فافا أسقف غرينوبل.

كان هذا، كما أعتقد، في حزيران 95 الذي تحولت فيه ديانا. وطبعت مذكرات بالاديبني Mémoires dune ex-palladis خلال الأشهر الستة القادمة، ومرة أخرى، في التقسيط. أما أولئك الذي اشتركوا في palladian régénéré(التي بالطبع أوقفت الطبع) استطاعوا تحويل الإشتراك الى صحيفة Memoires أوارجاع المبلغ. وانطباعي هو، بغض النظر عن القلة من المتعصبين،فقد قبل القراء تغيير الإشتراك. وديانا المتحولة، بعد هذا كله ، كانت تسرد قصصاً كانت تماماً غرائبية كغرائبية ديانا المذنبة، وكانت تلك القصص هي ما يريده الجمهور. كانت هذه فكرة تاكسيل الأساسية - والحقيقة ليس ثمة اختلاف بين وصف حب الحياة الخاص للبابا بيوس التاسع والطقوس المِثلَّية للشيطنة الماسونية. والناس بالطبع يرغبون ماهو ممنوع عليهم وهذا هو الواقع.

هذا بالضبط ما أقسمت به ديانا: " سأبقى أكتب لأكتشف كل ما يحدث في المثلثات Triangles ومن خلاله أستطيع القيام بأي شيء

يمكن منعه، وكل ما أستطيع احتقاره وكل ما أستطيع عمله هو في صالح الخير. ولندع الجمهور يحكم."

أحسنتِ، يا ديانا. إننا صنعنا اسطورة. لكنها لا تعرف شيئاً عنها. وقد عاشت تحت تأثير المخدرات التي تحكمنا في تخديرها واستجابت فقط الى مداعباتنا (لا، يا إلهي، مداعباتهم).

~~~

تذكرت بصورة جلية أزمنة الإثارات العظيمة تلك. ديانا، التحول الملائكي، وإستقبال حب وإعجاب الرهبان والأساقفة، والأمهات الورعات والمذنبات التائبات. وإعادة Le Pélerin، سرد حكاية المرأة التي تسمى لويزا، والتي كانت تعاني من مرض خطير، قد أُرسلت الى حج لوردس برعاية ديانا وقد شفيت بإعجوبة. وكتب لاكروا، مرشد صحيفة الكاثوليك، " إننا قرأنا تواً مسودة الفصل الأول من مذكرات بيلاديني سابق Mémoires d'une ex – palladiste، بإختصار كي تطبعها الآنسة فوغان، للتغلب على مشاعر لا يمكن وصفها. وكم هي رائعة نعمة الله في هذه الأرواح التي تضحي بنفوسها قرباناً له." أما مونسنيور لازاريشي مبعوث الكرسي الرسولي الى اللجنة المركزية لإتحاد مناهضة الماسونية فمخول بالإحتفال لمدة ثلاثة أيام لعيد الشكر لمناسبة تحول ديانا الى كنيسة القلب الأقدس في روما، فضلاً عن ترنيمة الى جان دارك من المفترض أن تؤديها(ورغم إنه في حقيقة الأمر أن هناك نغماً من أوبرا يلحنها أحد اصدقاء تاكسيل الى سلطان
~~~

المسلمين أو الخليفة)، قد أدتها في احتفالات اللجنة المركزية لمناهضة الماسونية في عدة كاتدرائيات.

ومن بعد، كما لو أننا لفقنا كل شيء، التمست الشفاعة بإسم ديانا الراهبة الصوفية الكرملية من ليزيو، التي تُعد الآن قديسة بالرغم من صغرها. هذه الأخت تيريزا طفلة اليسوع البريئة والوجه المقدس، قد تسلمت نسخاً من مذكرات تحول ديانا، ونقلت بوساطة هذا المخلوق تلك التي ضمنتها كشخصية في مسرحيتها إنتصار التواضع The Triumph of Humility كتبت من أجل اخواتها الراهبات التي ظهرت فيها جان دارك. وأرسلت ديانا صورتها الشخصية وهي مرتدية زي جان دارك.

وقد تُرجمت مذكرات ديانا الى العديد من اللغات حياها الكاردينال فيكار باروشي على تحولها، الذي وصفه " بالإنتصارالرائع للنعمة ". كتب مونسنيور فنسينزو ساردو السكرتير الرسولي، أن العناية الإلهية قد سمحت لديانا لأن تكون جزءً من تلك الطائفة الحقيرة لذلك يمكن سحقها تماماً، وذكرت سفلتا كاتوليكا أن الآنسة ديانا فوغان " اُستدعيت من العتمة الى الليل السماوي، والآن نستخدم تجربتها في خدمة الكنيسة مع المنشورات التي لا شيء يضاهي دقتها وفائدتها.

~~~

رأيت بولان على نحو أكثر إنتظاماً في اوتيويل. ما هي علاقته بديانا؟ احياناً، يعود الى اوتيويل بطريقة غير متوقعة، وذات مرة
~~~

فاجأتهما وهما يحضن أحدهما الآخر. كانت ديانا تحدق في السقف وعلى وجهها تعابير الوجد. بيد أنها ربما دخلت في نوبتها الثانية، كانت تماماً تعترف وتتمتع بلحظة الغفران. وبدا الأمر أكثر شكوكاً بعلاقتها مع تاكسيل. عدت مرة أخرى دون تحذير، فاجأتها في العربة نصف عارية بأتصال حميمي مع وجه تاكسيل المزرّق، فكرت، جميل، لا بد من شخص ما يقنع نداءات جسد ديانا " الرديئة " ليس أنا الذي يقدمه. وفكرة الإتصال الجنسي مع امرأة رديئة بما فيها الكفاية، ولكن مع امرأة مجنونة...

حين وجدت نفسي مرة أخرى مع ديانا " الجيدة " أراحت رأسها العذري على كتفي وراحت تصرخ متوسلة بي أن اغفر لها. سببت لي حرارة رأسها على خديّ ونَفَس التوبة قشعريرة، وسرعان ما أن سحبته، ودعوتها الى الذهاب وأن تركع أمام الصورة القدسية وتصلي من أجل الغفران.

~~~

في دوائر البالاديين(هل هم موجودون فعلاً؟ تبدو العديد من الرسائل المجهولة للبرهنة على صحتها، وفي كل الأحوال، ما يكفي تماماً أن نتحدث عن شيء ما يثبت وجودهم) ثمة تهديدات سود كانت توجه الى ديانا تحمل تهمة الخيانة. في الوقت المحدد، ثمة شيء ما قد حدث جعلني اهرب. وكنت على وشك أن أقول: موت آبي بولان. وحتى الآن، ما زال لدي فكرة ضبابية عنه وعن وديانا معاً في هذه السنين.
~~~

أنا الآن مثقل بهموم الذاكرة. يجب أن آخذ قسطاً من الإسترخاء.

(٢٣)
إثنا عشر عاما قضيتها جيداً

من يوميات الخامس عشر والسادس عشر من نيسان /ابريل ١٨٩٧،في هذا الموضوع لا تكون صفحات يوميات دالا بيكولا ممتعة في الغالب حسب، بل، أود القول، إنها مسعورة مع مذكرات سيمونيني، فاحياناً كلتاهما تتحدث عن الحادثة نفسها بالرغم من وجهات نظر متباينة، ما خلا أنّ أوراق سيمونيني تصبح شاردة، على نحو كانت من الصعوبة بمكان تعلقاً به أن يتذكر الأحداث كما الشخصيات والمنظمات التي كان في تماس معها خلال السنوات الماضية. فالمدة الزمنية التي كان فيها يعيد بناء(في كثير من الأحيان خلط التواريخ، يضع أولاً في الإحتمالات كلها ما يجب أن يتحدث في آخر الأمر) ما يجري في حديث تاكسيل المفترض حتى ٩٦' أو ٩٧، – على الأقل إثنتي عشرة سنة – في سلسلة من الملاحظات السريعة، بعضها في الغالب مختزل على نحو يخشى أن ينسى شيئاً يحدث في ذهنه فجأة، يتخلله مع كثير من التفاصيل مواصفات أحاديث، وأفكار، وأحداث دراماتيكية تفصيلية.

هكذا وجد السارد، نفسه فاقد التوازن vis narrandi تماماً،الى حد يبدو فيه أن كاتب يومياتنا بحاجة الى نضج. حدد نفسه بفصل اليوميات تحت عناوين متباينة، على نحو أن الأحداث تقع واحدة بعد

الأخرى، أوأن إحداها منفصلة عن الأخرى. رغم كل الإحتمالات أنها وقعت في زمان واحد – وهكذا على سبيل المثال، فبعد محادثة مع راشكوفسكي، غادر سيمونيني للقاء غافيالي في المساء ذاته. لكن، كما يقولون، هذا هو الذي حدث.

صالون آدم

يتذكر سيمونيني، كيف انه، بعد أن حثّ تاكسيل على منعطف التحوّل(لم يعرف لماذا خرجت بعد ذلك شؤون العمل كلها من يديْ دالا بيكولا، إن جاز التعبير.) قرر، وهو لم يكن منضماً للماسونية فعلاً، أن يتحرك بين الدوائر وهو يحمل عواطف جمهورية حيث، تخيل، أنه سيجد عدداً كبيراً من الماسونيين. والفضل يعود الى المكاتب الجيدة للناس الذين التقى بهم في المكتبة العامة في ريو بي دون – وبخاصة توسينال – وحصل على سماح بدخول صالون جوليت لامازين، الآن هي مدام جوليت آدم، زوجة نائب برلماني من اليسار الجمهوري وكان مؤسس crédit Founcier، وأخيراً أصبح سيناتوراً أبد الحياة. وحظي المنزل بالمال، والسياسيين الكبار، والثقافة في جادة Poissonniére،(وأخيراً في جادة Malesherbes) ومضيّفته كانت كاتبة دوّنت بعض الملاحظات(بعد ذلك، نشرت سيرة غاريبالدي) وكانت سيرة تجذب السياسيين من امثال غامبيتا، وتيرز، وكليمانصو، وكتّاب امثال برود هوم، وفلوبير، وموباسان، وتورغنيف، وهنا قابل سيمونيني فكتور هيغو، قبل وفاته بفترة قصيرة، الذي ما لبث أن تحول الى صرح

حـي، لكنـه تحجـر بتقـادم العمـر، وحمـل لقـب سـيناتوراً بعـد النتـائج المتلكئة للسكتة الدماغية.

لم تكن هذه هي الدوائر هـي التي يتعامل معها سيمونيني. لا بـد أن يكـون في هـذا الوقـت قـد التقـى الـدكتور فرويـد في مـاغني(كما تذكّر في يومياته في الخامس والعشرين من آذار /مارس) وقد ارتسمت ابتسامة علـى وجهـه حـين قـال لـه الـدكتور أن عليـه أن يـشتري معطفاً ورباط عنـق أسـود ليذهب الى العشاء في منزل شاركوت. الآن علـى سيمونيني أن يبتـاع ايـضاً معطفـاً وربـاط عنـق، لـيس هـذا حـسب، إنمـا يشتري لحية جديدة من أفضل(وأكثر كتمانـاً) بـائع لحـى مـستعارة في باريس. رغم إن دراساته المبكرة قد خلّفت لـه قليلاً مـن التعلـيم، لكنـه طوال سنواته في باريس إستطاع أن يقرأ بتواضع ما يقع في يـده مـن كتـب، وشـعر بعـدم الإرتيـاح في خـضم أصـحاب صـالونات التـألق، والمعرفـة الواسـعة، ولباقـة الحـديث، الـذين غالبـاً مـا يكونـون في a la page. وفضّل الصمت، والإصغاء بإعتناء لما يقال والإقتصار ووصف المآثر العـسكرية البعيـدة خـلال الحملـة في صـقلية – وكـان غاريبالـدي مازال يتطلع جيداً في فرنسا.

كان سيمونيني مندهشاً جداً. وكـان متوقعـاً أن لا يـسمع حـديثاً عـن الجمهورية حسب – على الأقل مـا يتوقعـه في تلـك الفتـرة – بـل يريـد أن يسمع بدقة عن النظام الثوري. إذ حتـى الآن مازالـت جوليـت آدم تُقدّس من قبـل الـروس ذوي الميـول القيـصرية ومـن مبغـضي الإنجليـز من أمثال صديقها توسينال. ففي روايتها Nouvelle Revue الـتي نـشرت

ايضاً حملت شخصية شبيهة بشخصية ليون دوديه، الذي كان يُعدّ رجعياً بحق، ويتسم الإمتداد ذاته لوالده، الفونس، الذي كان يعدُّ ديمقراطياً أصيلاً - دعونا نقول على الرغم من سمعة مدام آدم، فكلاهما مسموح له بدخول صالونها.

ولم يكن من الواضح أن ما كان أصل الجدل ضد اليهود هوالذي كثيراً ما يحرك ذلك الجدل. هل هو ناشيء أصلاً عن كراهية الإشتراكية لرأسمالية اليهود، التي كان توسينيل ممثلاً لامعاً لها، أو من اللاسامية الباطنية التي تروّج لها يوليانا غلنكا، ذات الإرتباط الوثيق بالسحروالتنجيم الروسي الذي مازال بقايا ممارسات طقوس كاندومبل البرازيلية، التي من خلالها قد تلقت تلقينها حينما كانت فتاة شابة، وحين كان والدها يخدم في السلك الدبلوماسي البرازيلي - ومَن الذي، كان قد هُمِس بإذنه، هل هي صديقة حميمة لمدام بلافاتسكي، عرّافة باريس الكبيرة في السحر والتنجيم في ذلك الوقت؟

لم يعد سراً ثقة جوليت آدم بالجالية اليهودية، وكان سيمونيني يقدم في أحد المساءات خلال قراءته لعدة كتب للكاتب الروسي دستويفسكي الذي قد استفاد من تحليل شخصية برافمان، الذي قد التقاه سيمونيني، وكشف له عن الكاهال العظيم.

كانت جوليت تقول، " يخبرنا دستويفسكي، كيف فقد اليهود أراضيهم، واستقلالهم السياسي، وقوانينهم وإيمانهم تقريباً، عدة مرات، وكي يعيشوا دائماً، في الغالب كانوا أكثر اتحاداً من قبل، هؤلاء اليهود - الشعب الديناميكي جداً، والذي يملك قوة وحيوية

إستثنائيتين – لا يمكنه أن يقاوم دون وجود دولة داخل دول، status a in statu، التي سيحافظون عليها، في كل زمان وفي كل مكان، ونتيجة الإضطهاد الفضيع، عزلوا أنفسهم، وانفصلوا عن الناس الذين يعيشون معهم، دون أن يندمجوا بهم، وراقبوا مبدءاً جوهرياً " حتى وإن انتشرتم على وجه الكرة الأرضية، لا تخافوا، وسيكون إيمانكم بأن كل ما أقسمتم به فإنه قادم إليكم، في هذه الحالة، عليكم الإستمرار في الحياة، مستنكفين، متوحدين، ومُستَغِلين، ومنتظَرين، ومنتظِرين ،"

علّق توسينيل، " دستويفسكي هذا أستاذ بلاغة عظيم، إنظر كيف يبدأ بممارسة التفاهم، والتعاطف، واستطيع القول، إحترام اليهود: هل أنا ربما عدو لدود لليهود ايضاً؟ ربما إنني عدو لتلك السلالة التعيسة؟ على العكس من ذلك، فأنا أتحدث وأكتب عن كل شيء تطالب به الإنسانية والعدالة، وكل شيء تطالب به الإنسانية وقانون الكنيسة، هذا كله ينبغي أن ينفذ لصالح اليهود.' بداية رائعة. لكن بعد ذلك أَظهَرَ كيف أن هذه السلالة التعيسة تبحث عن تدمير العالم المسيحي. كلام عظيم. لكنه ليس جديداً – ربما إنك لم تقرأ البيان الشيوعي لماركس. إنه يبدأ بإنقلاب مسرحي لا يصدق " شبح يسكن أوربا " ومن ثم يعرض علينا وجهة نظر الصراع الطبقي إبتداءً من روما القديمة وحتى عصرنا هذا. وكُرست صفحات البيان عن البرجوازية بوصفها الطبقة الثورية rovlutionary المثيرة. وعرض ماركس علينا، هذه القوة الجديدة التي لا يمكن الوقوف بوجهها ستؤثر على الكرة الأرضية كلها، كما لوأنها كانت روح الإله الإبداعية في مستهل

سِفرالتكوين. في نهاية هذا المديح(الذي، أقسمت، أنه ملحوظ حقاً.) ستصل القوى التحتية الى المشهد متوسلة بإنتصار البراجوازية: حفارة قبورها، برزت البروليتاريا من أحشاء الرأسمالية، وأعلنت بصوت عال وواضح: "الآن نريد تدميركم ونسلب كل ما يعود إليكم." رائع. وهذا ما فعله دستويفسكي مع اليهود – ويبرر المؤامرة التي قررت وجودهم عبر التاريخ، ويشجبهم بوصفهم عدو يجب ان يُكتسح. دستويفسكي كان اشتراكياً حقيقياً."

قاطعته يوليانا غلنكا بإبتسامة. " أنه ليس اشتراكياً، أنه منّظِر، ومن خلال ذلك نعرف الحقيقة. وأنك ترى كيف أنه يحدس معظم ما يبدو أنه اعتراض معقول، بمعنى آخر، حتى وإن كانت دولة داخل دولة عبر القرون، كانت الإضطهادات هي التي قادت الى خلقها، وستختفي إذا كان اليهود يُعْطَون الحقوق ذاتها التي يتمتع بها المواطنون الآخرون. خطأ ! يحذر دستويفسكي. حتى وإن مُنِحوا الحقوق التي يتمتع بها الاخرون ذاتها ، إنهم لن يتخلوا مطلقاً عن الفكرة العنيدة التي تقول إن المسيح سيصل وسيُخضِع الأمم جميعها بسيفه. لهذا السبب، يفضل اليهود نشاطاً واحداً حسب، المتاجرة بالذهب والجواهر. وسيأتي المسيح ذات يوم، وسيشعرون عدم إرتباطهم بالأرض التي يعيشون، وبإمكانهم بسهولة حمل ممتلكاتهم معهم حيث يذهبون، أين، كما يوضح دستويفسكي شعرياً – وستلقي أشعة الفجر بوهجها وسيحمل الشعب المختار صناجته، وطبله، وبوقه، وأشياءه المقدسة والمصنوعات النحاسية الأخرى الى أرضهم القديمة. "

خلص توسينيل " أننا في فرنسا كنا متساهلين جداً معهم، وهم الآن يديرون أعمال البورصة ومراقبة الإئتمانات. لهذا السبب يجب أن تكون الإشتراكية ضد السامية... وليس مصادفة أن نجاح اليهود في فرنسا جاء تماماً عندما إنتصرت المباديء الجديدة للرأسمالية، التي جُلبت عبر القنال الإنجليزي."

قالت مدام غلنكا، " إنك تبسّط الأشياء كثيراً جداً يا مسيو توسينيل. فمن بين أولئك الذين في روسيا كانوا قد تلوثوا بالأفكار الثورية لماركس الذي أشدْت به، فثمة الكثير من اليهود. إنهم موجودون في كل مكان. "

والتفتت بإتجاه نوافذ غرفة الضيوف، كما لو أنهم كانوا ينتظرونها مع خناجرهم في ركن الشارع. وتغلب سيمونيني مرة أخرى، على كوابيس طفولته، متخيلا أن مردخاي يتسلق السلّم ليلاً.

العمل لصالح الأوكرانا

إعتبر سيمونيني دون تردد مدام غلنكا زميلة محتملة. جلس الى جانبها، غازلها بحذر، مع أنه بذل في ذلك جهداً. لم يكن سيمونيني حاكماً جيداً على السحر الأنثوي، بيد أنه دائماً ما لاحظ أن وجهها يشبه وجه ابن عرس، وعينيها قريبتين من جسر أنفها. من الجانب الآخر، لاحظ أن مدام جولييت بالرغم من أنه لم يمر وقت طويل حينما تعرف عليها أول مرة قبل عشرين سنة، مازالت سيدة تحمل مظهر الجمال المهيب.

عليه أن يتكلم قليلاً، وبدلاً من الإصغاء الى أوهام مدام غلنكا، وولع إدعاءاتها، وهي تتحدث كيف أنها في وورزبيرغ كانت لديها رؤيا عن زعيم الطائفة الدينية الهمالايينية الذي لقنها بعض الإيحاءات الصوفية. كانت شخصاً آخر، يمكن أن يكون بإمكانها أن تعرض موادا معادية لليهود تحتفظ بها نزعتها الباطنية، وأكثر من ذلك، ومنذ أن أُشيع أن يوليانا غلنكا إبنة اخت الجنرال أورشييفسكي، الشخصية المهمة جداً في الشرطة السرية الروسية. كانت من خلاله قد تجندت من قبل الأوكرانا، المخابرات السرية الإمبراطورية – ومن خلال ذلك الدور فإنها ترتبط(لم يكن من الواضح إن كانت كمستخدمة، أو متعاونة، أو متنافسة) مع بيوتر راشكوفسكي، الرئيس الجديد لكل التحقيقات الأجنبية. وأعلنت الصحيفة الراديكالية، Le Radical للجناح اليساري عن شكها أن غلنكا تغطي نفقات حياتها عن طريق كشف الإرهاب الروسي في المنفى – الذي يعني أنها لا تواصل حضورها لصالون آدم حسب، بل لدوائر أخرى لا يعرف سيمونيني شيئاً عنها.

يجب أن يُكيِّف مشهد مقبرة براغ على وفق أذواق غلنكا، والإستغناء عن المقاطع طويلة النفس في الخطط الإقتصادية والتأكيد أكثر على المظاهر المسيحية في الخطابات الحاخامية.

وأخذ سيمونيني بعض الأفكارالقليلة من غوجينو وبعض كتّاب ذلك العصر، تاركاً الحاخاميين يتخيلون العودة الى المملكة التي اختارها الله الى اسرائيل، لتمسح كل ظلم الديانات الوثنية الأخرى ضد اليهود. ومن ثم اضاف على الأقل صفحتين عن الأوهام المسيحية الى

قصة المقبرة، مثل: " مع كل القوى ورعب الشيطان فإن عهد انتصار ملك اسرائيل يقترب من عالمنا المنحط؛ فالملك وُلد من دم صهيون، والمناهض للمسيح، يقترب من عرش قوة العالم." لكن، تذكر ان الأفكار الجمهورية ضربت الخوف في عقول القيصريين، وأضاف، Hن النظام الجمهوري حسب، والتصويت الشعبي سيمكّن اليهود، من اليوم الذي سيكونون فيه الأغلبية، ليشرعوا قوانين تحقق أهدافهم. وقال الحاخاميون في المقبرة، إن الوثنيين الحمقى حسب، يعتقدون أن ثمة حرية عظيمة ستتحقق تحت ظل النظام الجمهوري اكثر من النظام الأوتوقراطي. بل العكس هو الصحيح، الرجال الحكماء يحكمون في النظام الأوتوقراطي، بينما النظام الليبرالي يديره عامة الناس الذين يتلاعب بهم بسهولة عملاء اليهود. ذلك هو النظام الجمهوري الذي سيكون قادراً على التعايش مع ريكس موندي mundi rex ، الذي بدا يسبب قلقاً: فإن قضية نابليون الثالث ما تزال هناك تبرهن للجمهوريين أن بإمكانهم أن يخلقوا أباطرة.

لكن سيمونيني، تذكر قصص جده، التي تحمل فكرة زخرفة خطابات الحاخامات ووصف طويل لإنجاز حكومة العالم السري، وستبقى تعمل. كان من الغريب، إن غلنكا لم تدرك أن المجادلات لم تكن جدالات دستويفسكي نفسها- أو ربما لديها، لذلك كانت مبتهجة أن نصاً قديماً سيؤكد ذلك. وهكذا تؤكد نفسها لتؤكد أصالتها.

وفي مقبرة براغ بناء على ذلك، قد انكشف أن اولئك اليهود الكابالين كانوا الإلهام خلف الحروب الصليبية لإعادة مكانة القدس

الى مركز العالم، والحمد لله ايضاً، أنها ذهبت دون أن تقول كلمة الى هيكل الفرسان(هنا عرف سيمونيني أنه كان يخوض في حقل معرفي غنياً جداً) يا للعار، بعد ذلك دحرالعرب الصليبيين الى البحر وواجه الفرسان هذه النهاية القذرة؛ من ناحية أخرى، لابد من انتظار العديد من القرون لإنجاح خطة لإعادة الهيكل.

على هذا الإعتبار، تذكر الحاخاميون في المقبرة أن الإنسانية، والثورة الفرنسية وحرب الإستقلال الأميركية قد ساعدت على تقويض المباديء المسيحية وإحترامات الملوك، ممهدة الطريق لغزو اليهود للعالم. ولإنجاز هذه الخطة، ينبغي على اليهود أن يبنوا مظهراً محترماً لأنفسهم. أعني الماسونية.

أعاد سيمونيني ببراعة كتابات بارويل، لم تكن غلنكا ودافعو ضرائبها من الروس يدركون هذا بوضوح. حين تسلم الجنرال أورشيفسكي تقرير غرنكا، كان في الواقع أنه فكر أنه من المناسب أن يستخدم خلاصتين، أقصرهما متناظرة نوعاً ما مع المشهد الحقيقي في مقبرة براغ، وكانت قد طبعت في المجلات الروسية المختلفة– ونسي أورشيفسكي(أو بتّ أن الجمهور قد نسي، أو في الحقيقة كان غير مدرك) أن خطاب الحاخام، مجتزأ من كتاب غويدشي، وبقي يُتداول أكثر منذ عشر سنوات في سان بطرسبيرغ وبعد ذلك ظهر في كتاب معاداة الساميةAntisemiten – Katechismus، بقلم ثيودور فرتش؛ والخلاصة الثانية كانت قد طبعت على شكل كراس تحت عنوان Tayna Yevreystva(سر اليهود)، مزينة بمقدمة لأرشيفسكي نفسه،

مشيراً الى أن ذلك النص، أُعيد اكتشافه أخيراً، وأظهر أول مرة الروابط العميقة بين الماسونية والديانة اليهودية، وكلتاهما طليعتان للهلنيستية(إتهام خطير إتخذ محمل الجد في روسيا ذلك الوقت).

واتفق أرشييفسكي مع سيمونيني لتسلم أجراً مناسباً، وقامت غلنكا بإشارة مروعة و- لعينة - بعرض جسمها بإمتنان لذلك المشروع الرائع - وهو الرعب الذي هرب منه سيمونيني عن طريق التلميح، بيديه المرتجفتين، وبكثير من التنهدات العذرية، وأن قدره لم يكن متبايناً مع أوكتاف دي ماليفير، Octave de Malivert وعن جميع قراء ستاندال الذين كانوا مضاربين طيلة عقود.

منذ تلك اللحظة فقدت غلنكا مصلحتها مع سيمونيني، والعكس صحيح. ذات يوم، ورغم، دخوله مقهى دي لا بيهCafé de la Paix، لتناول وجبة بسيطة من déjeuner a la fourchette(لحم ضلع وكلى مشوية)، ولاحظ سيمونيني جلوسها الى طاولة مع رجل بدين، ذا مظهر برجوازي مبتذل، ويبدو بوضوح أنها دخلت معه في نقاش ساخن. وقف ليحييها، كانت غلنكا ملزمة بتقديم المسيو راشكوفسكي،الذي نظر إليه بإهتمام كبير.

أخفق سيمونيني في ذلك الوقت في فهم سبب هذا الإهتمام. لكن بعد ذلك حسب، حين سمع دقة جرس محله ورأى راشكوفسكي نفسه، كان ذلك واضحاً تماماً. مشى خلال المحل وعلى وجهه إبتسامة عريضة وثقة عالية بالنفس، صعد السلم الى الطابق الأعلى ودخل المكتب، جلس بإرتياح على كرسي الى جانب المنضدة.

قال " دعنا نتحدث عن شؤون العمل من فضلك، "

أشقر كالروس، على الرغم من تناثر بعض الشيب، لرجل تجاوز الثلاثين، له شفتان غليظتان، وأنف بارز، وحاجبان سلافيان شيطانيان، وابتسامة وحشية جامحة، وصوت ينساب رقة، وهو قريب الشبه من قرد أكثر منه الى أسد. فكر سيمونيني، وتساءل ما الذي يكون أقل قلقاً: أن تُستدعى لمقابلة عثمان بك في ليلة على جسر نهر السين أو راشكوفسكي مبكراً في الصباح في السفارة الروسية في ريو دي غريندل، وفضل مقابلة عثمان بك.

بدأ راشكوفسكي " إذن، ياكابتن سيمونيني، ربما إنك لا تعرف كثيراً جداً في الغرب عما يسمى الأوكرانا بطريقة غير صحيحة حين كنت في الغرب، ويطلق المهاجرون الروس عليها إستخفافا بها أوكرانكا."

" سمعت عنها إشاعات."

" ليست إشاعات. كل شيء واضح كالنهار، أنه أوكرانيه أوتديلنيا،Ochrannye Otdelenija الذي يعني قسم الأمن العام، دائرة المخابرات السرية، قسم وزارتنا للشؤون الداخلية. كانت تأسست بعد مقتل القيصر الكسندر الثاني في سنة ١٨٨١ لحماية العائلة الإمبراطورية. لكن شيئاً فشيئاً يجب أن تتعامل مع تهديد الإرهاب الهلنيستي، ويجب ايضاً تأسيس اقسام المراقبة في الخارج حيث يزدهر المنفيون والمهاجرون، لهذا السبب أنني هنا، لمصلحة بلدي، اقولها كوضوح النهار. إن الارهابيين هم الذي يختفون. هل تفهم؟ "

" إنني أفهم. ولكن من أين أبدأ انا؟"

" دعنا نأخذ الأمر خطوة خطوة. إذا كان لديك وعن طريق المصادفة أية معلومات عن المجموعات الإرهابية، فليس هناك حاجة أن تخفيها عني. إنني أفهم أنك في وقتك أعددت تقارير الى المخابرات السرية الفرنسية عن المناهضين البونابارتيين الخطرين. الناس الوحيدون الذين بإمكانهم القيام بذلك الفعل هم اصدقاؤهم حسب، أو على الأقل أولئك الذين يعرفونهم. إنني لست خجولاً. وأنا في وقتي قمت بإتصالات مع الإرهابيين الروس. وإن كل الماء الآن تحت الجسر، ولكن كيف تسنى لي أن أتسلق السلم في مخابرات مكافحة الإرهاب، حيث أولئك هم الفعالون الذين يشقون طريقهم خلال مراتب المجموعات التخريبية. يجب عليك أن تخترق القانون قبل أن تعمل كما ينبغي. هنا في باريس لديك نموذجك فيدوك، الذي أصبح مدير الشرطة بعد خدمة في السجن حسب. واحذر الشرطة، الذين هم ايضاً، كيف اعبر لك عن ذلك، نظيفون. انهم متزمتون. لكن دعنا نعود الى موضوعنا. إننا حالياً ندرك أن عدداً من اليهود المفكرين يعملون بين الإرهابيين، وقد عُيِّنتُ من قبل عدد من الأشخاص في محكمة القيصر لأحاول ان ابرهن أن اليهود يقوضون النسيج الأخلاقي للشعب الروسي ويهددون وجوده تماماً. وإنك سمعت ما يقال إنني اعْد تحت حماية ويت، protégé of Witte، الوزير، والليبرالي المعروف الذي لا يتفق معي في مثل هذه المسائل. بيد انك يجب ان لا تخدم حسب سيدك الحاضر، وتذكر ذلك. وكن دائماً

مستعداً للسيد القادم. على كل حال، أنني لن اضيع الوقت. وقد شاهدت ما قد أعطيت مدام غلنكا. ومعظم هذا هو هراء. إنك، بالطبع، إخترت مهنة تاجر خردة كغطاء - بمعنى آخر، شخص محترف يبيع المادة المستعملة بأكثر مما تكلف المادة غير المستعملة. بيد أنك قبل سنوات عديدة، نشرت في صحيفة المعاصر La Contemporain، بعض الوثائق الهامة التي قد تسلمتها من جدك، وسأستغرب إذا لم يكن بحوزتك المزيد من هذه الوثائق. قد سمعت أنه يقال إنك تعرف صفقات كبيرة عن أشياء كثيرة " - وأنا كنت هنا يا سيمونيني لجني ثمار تجسسي ظاهرياً وليس واقعياً. " لذلك، أطلب منك مادة موثقة. إنني اعرف الإختلافات بين الحنطة والتبن. وسأدفع. لكن إذا ظهرت المادة سيئة، سأنزعج، هل هذا واضح؟"

" ماذا تريد بالضبط؟"

" وإذا عرفت ذلك، لن أدفع لك. ثمة أناس في شقتي بارعون في تحليل الوثيقة، لكنني سأعطيهم المضمون. لا أستطيع إخبار الشعب الروسي الطيب أن اليهود ينتظرون المسيح، ليس لديهم مصلحة لدى الفلاح أو مالك الأرض. فإن كانوا ينتظرون المسيح، فيجب أن يوضح الأمر بلغة ما ماذا في جيوبهم."

" ولماذا تجري وراء اليهود بشكل خاص؟"

" لأن ثمة يهوداً في روسيا. فإذا عشت أنا في تركيا، سأجري بعد الأرمن."

" إذن أنك تريد اليهود كي تدمرهم، كما يفعل عثمان بك... وإنني افترض انك تعرفه."

" من الأفضل الإبتعاد عن عثمان بك لأنه رجل متعصب. فضلاً عن أنه يهودي. إنني لا أريد تدمير اليهود، وربما أقول إن اليهود هم من أفضل حلفائي. إنني مهتم بمعنوية الشعب الروسي. إنها رغبتي(ورغبة أولئك الذين آمل أن يكونوا مسرورين لهذه الرغبة). إن اولئك الناس لا يوجهون سخطهم ضد القيصر. لذلك أننا بحاجة الى عدو. ليس هناك موضوع للبحث عن عدو بينهم، أنني لا أعرف، أن المنغوليين هم تتر، وقاموا بطغيان في التاريخ، ويجب أن نشخص العدو ونخشاه،ربما يكون في بيتك أو على عتبات باب بيتك. من الآن، هنا اليهود. ومنحتنا العناية الإلهية إياهم. هكذا، عن طريق الرب، دعنا نستخدمهم، ونصلي أن هناك دائماً بعض اليهود نخشاهم ونكرههم في آن واحد. إننا بحاجة الى عدو يعطي الناس املاً. قال سيمونيني إن الوطنية هي اللجوء الأخير للجبناء، اولئك الذين لا مبادىء أخلاقية لهم، وغالباً ما يطوون علماً حول أنفسهم، وأن الأوغاد غالباً ما يتحدثون عن نقاء السلالة، والهوية الوطنية هي المعقل الأخير للإستلاب. لكن الهوية الآن تعتمد على الكراهية، وكراهية أولئك الذين هم ليسوا من طائفتهم، الكراهية يجب أن تكون مصقولة كالآلام المدنية. والعدو هو صديق الناس. إنك دائماً تريد شخصاً ما أن يكره كي تشعر بتبرير تعاستك. والكراهية هي عاطفة بدائية. وغير الإعتيادي هو الحب، لهذا السبب صُلب المسيح: لأنه تحدث ضد الطبيعة. إنك لا تحب

شخصاً في كل حياتك – ذلك أن الأمل المستحيل هو مصدر الزني، وقتل الأم، وخيانة الأصدقاء... بيد أنك تستطيع أن تكره شخصاً طيلة حياتك، شريطة أن يكون هو دائماً هناك ليحافظ على كراهيتك وأنت حي. والكراهية تدفيء القلب."

درومونت

وجد سيمونيني المقابلة مقلقة. وبدا راشكوفسكي جاداً في كل ما كان يقوله. مالم يعط سيمونيني مادة جديدة سيكون " منزعجا " لم يكن ذلك كثيراً إن هو اختزل المادة. – في الحقيقة، أنه الّف عددا معتبراً من الوثائق لسلسلة من المسودات الأصلية – لكنه شعر أنه محتاج الى شيء ما أكثر – ليس حسب، القصص ضد المسيح، التي كانت هي جميلة للشخصيات أمثال غلنكا، لكن شيئاً أكثر صلة بالأحداث الجارية. بعد ذلك كله، أنه لا يريد بيع آخر طبعة لقصة مقبرة براغ أقل مما تستحق؛ إنما على العكس، أنه أراد رفع سعرها. لذلك فضل الإنتظار.

ذهب لزيارة الأب بيرغاماشي، الذي كان يلاحقه للحصول على المادة ضد الماسونية.

قال اليسوعي، " إنظر الى هذا الكتاب. يهود فرنسا، La France juive تأليف، إدوارد درومونت. يحتوي على مئات الصفحات. أنه الشخص الذي يعرف بوضوح عن الماسونية أكثر منك."

نفض سيمونيني الغبار على نحو سريع عن الكتاب " هذه الأشياء ذاتها التي كتبها ذلك العجوز غوجينو مضى عليها أكثر من خمسة عشر عاماً !"

" وهكذا؟ يباع الكتاب كالكعكة الساخنة. وقراؤه لا يعرفون بشكل واضح عن غوجينو. تخيل ان زميلك الروسي قد قرأ الكتاب؟ إنك أستاذ الإنتحال، أليس كذلك؟ إذهب وتشمم حولك، واكتشف ماذا يقول ويفعل رفاق درومونت."

كان الإتصال مع درومونت سهلاً. تعرف سيمونيني جيداً على الفونس دوديه، في صالون آدم، التي دعته الى الأمسيات soirées, التي كانت تقام حين لم يكن الدور لصالون آدم، في دارها في شامبروساري. واستقبلته جوليا دوديه بتحيات قلبية حارة، والتقى بشخصيات أمثال، غونكور، بيير لوتي، وإميل زولا، وفريدريك مسترال ودرومونت نفسه، الذي ضعفت شهرته بعد طبع يهود فرنسا، La France juive. وخلال السنوات القليلة القادمة أخذ يلتقي مع درومونت، بداية في عصبة مناهضة السامية La Lague Antisemitique, التي أسسها، وبعد ذلك في مكاتب جريدته، La Libre Parle.

كان شعر رأس درومونت كلبدة الأسد، ولحيته سوداء طويلة، وأنفه منحنٍ، وعيناه متقدتان، وبإمكانك أن تصفه(إنطلاقا من الرسوم التوضيحية مع تقادم الزمن) كنبي يهودي. في الحقيقة، كانت هناك مسحة من المسيحية في مناهضته لليهودية، كما لو أن القدير قد منحه مهمة خاصة لتدمير الشعب المختار. كان سيمونيني مفتوناً بخبث

دورمونت في معاداة السامية. إنه يكره اليهود، وربما تقول، بحب، وبإخلاص متفرد، - وبحماسة تُصعِّد كل رغباته الجنسية، أن معاداة دورمونت للسامية ليست فلسفية او سياسية كما هو الحال لدى توسينيل، اولاهوتية غوجينو. إنه كان يحمل رأيا إيروتيكيا للاسّامية.

كان يكفي أن نسمعه يتحدث خلال اجتماعات تحريرية طويلة متروّية.

" كانت رغبتي عارمة في أن اكتب مقدمة الى ذلك الكتاب الذي ألفه آبي دسبورتي عن لغز الدم اليهودي، الذي لم يكن ممارسات في القرون الوسطى حسب، إنما في عصرنا ايضاً، فإن تلك البارونات اليهوديات الرائعات، اللائي يقبضن على الصالونات، يضعن دم الأطفال المسيحيين في الحلوى ويقدمنه لضيوفهن. "

أو: السامي فهو مرتزق، طامع، ماكر، داهية، في حين نحن الآريين، حماسيين، وبطوليين، ونبلاء، ونزيهين، ومستقيمين، نثق الى حد السذاجة. والساميون دنيويون، لا يرون أي شيء ما وراء الحياة - هل رأيت أي ذكر للآخرة في العهد القديم؟ والآري هو مستغرق دائماً بشغف التفوق؛ إنه طفل مثالي. والإله المسيحي هو في الأعلى، وفي السماء؛ أمااليهودي فاحياناً يكون على أعلى قمة في الجبل، واحياناً فوق شجيرة تحترق، وليس في السماء. السامي احياناً تاجر، والآري مزارع، شاعر، ناسك، وفوق ذلك كله هو جندي، لأنه متحد مع الموت. والسامي لا يملك موهبة إبداعية. هل سبق لك وأن سمعت عن يهود موسيقيين، وفنانين تشكيليين، أو شعراء؟ هل عرفت

يهودياً قام بإكتشافات علمية؟ أما الآري فهو مخترع، والسامي مستغِل لإبداعات الآخرين. "

واقتَبسَ ما كتبه فاغنر: " من المستحيل أن نتخيل شخصية، سواء كانت تقليدية أو معاصرة، بطولية أو عاشقة، أنجزها يهودي دون أن يستخدم مشاعر غريزية سخيفة في هذا الأداء. وما نجده أكثر بغضا هو اللهجة الغريبة التي تميز كلام اليهودي، وغالباً ما تخدش آذاننا بحدة وهسهسة وصريف هذا النوع من الأصوات. من الطبيعي جداً، أن العقم المجدب لسلوك اليهودي يثير فينا القرف ويصل ذروته في التعبير في أغنية، وهي المشاعرالأكثر حيوية، في تعبيره الأصيل عن مشاعره الشخصية. من المحتمل أن نجد في اليهودي القدرة الفنية في أي نوع من الفن بإستثناء الغناء، الذي يبدو أن الطبيعة ذاتها تحرمه كلياً."

سأل شخص ما " لكن كيف سنشرح غزوهم للمسرح الموسيقي؟ موسيليني، ميربير، مندلسون، وغواتيدا باستا – و جميعهم يهوداً."

" ربما ذلك ليس حقيقياً، أن الموسيقى هي فن راقٍ " قال آخر. ألم يقل ذلك الفيلسوف الألماني إنها أوطأ من الفن التشكيلي والأدب لأنها تزعج أولئك الذين لا يريدون الإستماع لها؟ فإذا كان ثمة شخص بالقرب منك يعزف نغماً لا يروق لك، بل إنك مرغم على الإصغاء إليه، وبالطريقة ذاتها التي يخرج فيها شخص منديلاً مفعماً برائحة تزعجك. فإن مجد الآري هو الأدب، بيد أنه الآن في معضلة. لكن الموسيقى، فن يداعب إحساس، المخنثين والناقهين، والإنتصارات. وبعد

التمساح، فان اليهود هم الأكثر حباً للموسيقى من جميع الحيوانات. اليهود جميعهم هم موسيقيون، عازفو بيانو، وكمان، وعازفو الفيولنسيل - جميعهم من اليهود.

رد درومونت " نعم، لكنهم عازفون طفيليون ومن كبار الملحنين. وإنك ذكرت ميربير ومندلسون، وهما موسيقيان من الدرجة الثانية، بيد أن ديليب وأوفنباخ ليسا يهوديان. "

وانبثق من هذا نقاش كبير - إن كان اليهود دخيلين على الموسيقى او ان الموسيقى ذاتها كانت فناً يهودياً بإمتياز - وتباينت وجهات النظر.

بلغت ضراوة اللاسامية ذروتها مرة اخرى في الزمن الذي صُمّم فيه بناء برج إيفل، هذا اذا لم نقل إكمال بنائه. كان من عمل يهودي ألماني، واستجاب اليهود للقلب المقدس Sacré-Coeur، اوضح جاك دي بيز. ربما كان من اغلب المناضلين اللاساميين في المجموعة، التي أظهرت مسيرته نتيجة عقدة النقص اليهودية إنطلاقاً من حقيقة أنهم كانوا يكتبون عكس التيار، بما لا يحبه عامةالناس. وقال " إن نموذج البناء البابلي يوضح ان عقولهم لا تشبه عقولنا."

ثم انتقلوا الى الحديث عن الكحولية، ومن ثم عن المشكلة الكبيرة في فرنسا. ويقال إن أربعة عشر مليون لتراً استنفدت دورياً في باريس !

قال شخص " الكحول" موزع بين اليهود والماسونيين الذين اتقنوا نموذجهم التقليدي في سموم Aqua Tofana. وهم الآن

ينتجون نوع توكسين السام الذي يبدو شبيها بالماء لكنه يحتوي على الأفيون والذبابة الأسبانية التي تسبب اللامبالاة أو الجنون، ومن ثم يؤدي الى الموت. وإذا مُزج بالمشروبات الكحولية فإنه يسبب الإنتحار.

قال تيوسينيل "وماذا عن الإباحية؟(حتى الإشتراكيون يمكن أن يقولوا احياناً الحقيقة.) وكتبوا أن الخنزير هو شعار اليهود، الذين لا يخجلون من التخبط في الإنحطاط والعار، وبعد هذا كله، يقول التلمود إنه فأل خير أن تحلم بالخراء. إن المنشورات كلها التي تحتوي على الأعمال الفاحشة يقوم بطبعها اليهود. إذهب الى رو دو كروسانت، السوق الذي يبيع المجلات الإباحية. تجد ثمة العديد من أكشاك اليهود، واحداً بعد الآخر: ترى مشاهد العهر لجماع الرهبان مع الفتيات الشابات، ويجلد الكهنة النساء العاريات اللائي يغطيهن شعرهن حسب، ومشاهد عَبَدة القضيب، والمخمورين، وكهنة الخلاعة. هذا كله يحدث أمام المارة وهم يضحكون، بما في ذلك العائلات وأطفالهم ! انه انتصار الأسْت - إعذروني لهذا التعبير-. كهنة لوطيون، وأرداف الراهبات اللائي يسمحن لأنفسهن أن يجلدهن خوريون فاسقون... "

وكان ثمة موضوع آخر هو الطبيعة البدوية لليهودي.

قال درومونت " اليهودي هو بدوي، وكي تهرب من شيء ما، لا يعني هذا انك تكتشف عوالم جديدة. الآري يسافر، ويكتشف اميركا، وأمكنة مجهولة؛ والسامي ينتظر الآري ليكتشف عوالم جديدة ومن ثم يذهب ليستغلها. يتطلع الى الحكايات الشعبية. اليهودي لا يملك

خيالاً خصباً ليبدع قصة، بيد أن إخوانه الساميين، العرب، يحكون قصص ألف ليلة وليلة، التي تتحدث عن شخص يكتشف جرة فخارية من الذهب، ومغارة حرامية الماس، وقنينة تحتوي على جنّي طيب – وكل الهبات من السماء. في حكايات الآري تبحث عن الكأس المقدس، على سبيل المثال، إن كل شيء يجب أن يُنجز خلال الكفاح والتضحية."

قال أحد اصدقاء درومونت " رغم هذا كله، تمكن اليهود من التغلب على كل المحن."

قال درومونت " بالطبع " وثمة رغوة من الإمتعاض على جانبي فمه. أردف " انه من المستحيل تدميرهم. بينما هناك سلالات شعوب مهاجرة الى مكانات أخرى، لا يمكنها مقاومة تغيير المناخ ونوع الطعام، وسرعان ما يصابون بالوهن. لكن حين ينتقل اليهودي من مكان الى آخر، يصبح قوياً، كالحشرات. "

" هم كالغجر، لا يصيبهم المرض أبدا، حتى وإن تغذوا على الحيوانات النافقة. ربما آكل لحوم البشر نقل لهم عدواه، لهذا السبب نراهم يختطفون الأطفال."

" مع هذا، فأنا لست متأكداً، إن كان آكل لحوم البشر يطيل حياته. إنظر الى الأفارقة الزنوج آكلي لحوم البشر ولكن مع هذا أنهم يموتون كالذباب في قراهم."

" إذن، كيف تفسر حصانة اليهودي هذه؟ اذا عرفنا أن معدل عمره ثلاثة وخمسين سنة، بينما معدل عمر الإنسان المسيحي سبعة وثلاثين

سنة. يبدو أنهم اكثر مقاومة للأمراض من المسيحيين، ومن خلال ظاهرة سارية منذ العصور الوسطى. يبدو أن في داخلهم وباء يحميهم من امراض الطاعون العادية. "

وأوضح سيمونيني انهم كانوا يتعاملون مع هذه المناقشات عملياً عن طريق غوجينو، لكن درومونت وزمرته كانوا أقل اهتماماً بأصالة هذه الأفكار أكثر من حقيقتها.

قال درومونت " حسن، إنهم اكثر مقاومة منا للأمراض الجسدية، بيد انهم اكثرعرضة للأمراض العقلية. انهم يتعاملون بثبات في المعاملات التجارية، وفي المضاربة والمكائد التي تؤثر على الجهاز العصبي. ففي ايطاليا ثمة مخبول واحد لكل ثلثمائة وثمانية وأربعين يهودياً. ومخبول واحد لكل سبعمائة وثمانية وسبعين كاثوليكاً. ونفذ شاركوت بعض الدراسات المهمة التي اجراها على اليهود الروس – ولدينا معلومات عنهم لأنهم فقراء، في حين أن اليهود الفرنسيين أغنياء ويدفعون كمية من المال لإخفاء امراضهم في عيادة الدكتور بلانشيه. هل تعرف أن سارة بيرنهارد تحتفظ بتابوت أبيض في غرفة نومها؟"

إنهم ينجبون اطفالاً ضعف ما نحن ننجب. إن عددهم الآن في العالم أربعة ملايين."

وقد جاء في كتاب سفر الخروج: " كان أطفال اسرائيل مثمرين ويزدادون بغزارة، وباتوا اشداء وامتلأت بهم الأرض. "

" الآن هم هنا، وكانوا هنا، حتى حينما لم يكن لدينا شك انهم كانوا هنا. مَنْ هو مارات؟ كان اسمه الحقيقي مارا، مِن عائلة تنحدر

من السفارديم ُطُردوا من اسبانيا وتحولوا الى البروتستانت لإخفاء أصولهم اليهودية. مارات: رجل خربه مرض الجذام، ومات قذراً، ومريض عقلياً، وتأثر بهوس الإضطهاد، ومن ثم بالجنون القاتل، يهودي نموذجي ينتقم لنفسه من المسيحيين لإرسالهم الى المقصلة بقدر ما يستطيع. إنظر الى صورته في متحف كارنافال، وسترى أنه مصاب بالإعتلال العصبي، كما روسبيرو واليعاقبة الآخرين. وذلك هو عدم التماثل في نصفي الوجه وهذا دلالة فقدان التوازن العقلي."

والثورة كما نعلم، كانت المسبب في توسيع اليهود الى حد كبير. أما نابليون، وبكراهيته للبابا وحلفائه الماسونيين، فهل هو الآخر كان سامٍ؟"

" إذن، كان على ما يبدو هكذا. ويقال حتى دزرائيلي ايضاً. ، وفّر جزر البليار وكورسيكا لحماية اليهود المطرودين من اسبانيا. بعد ذلك تنصّروا واتخذوا لهم اسماء لوردات خدموا لديهم، أمثال أورسيني وبونابرت."

في كل مجموعة من الناس هناك ما يسمى ب gaffeur (الأخرق) هو الشخص الذي يوجه سؤالاً خاطئاً في اللحظة غير المناسبة. وبهذا تبرز القضية الماكرة: " ومن بعد ذلك، المسيح؟ كان يهودياً. نعم، ويموت شاباً. لا يهتم بالمال، ويفكر دائماً بمملكة السماء."

وجاء الرد من جاك دي بيز " سادتي، ان فكرة المسيح كان يهودياً هي اسطورة إبتدعها اناس هم كانوا أصلا يهوداً، أمثال سانت بول والمبشرين الأربعة. في الحقيقة كان المسيح من السلالة السلتية، كما

نحن الفرنسيين، الذين غزاهم الروم في وقت متأخر جداً. قبل عملية التبشير، وقبل أن يغزوهم الروم، كان السلتيون شعب غزو. فهل سمعت بالغلاطيين، الذين وصلوا الى اليونان؟ وغاليلي بهذا هو إسم للغول الذي استعمرها. ومن ثم مرة أخرى، أن أسطورة العذراء التي أنجبت إبنا هي خرافة السلتيين والدرويديين. انظر فقط الى صورنا التي اكتسبناها عن المسيح – شعره أشقر وعينان زرقاوان. وإنه يتحدث ضد التقاليد، والخرافات ورذائل اليهود. وعكس ما يتوقعه اليهود من المسيح، قال إن مملكته ليست هذه الأرض. بينما كان اليهود من المُوحَّدين، دشن المسيح فكرة الثالوث، التي استوحاها من شرك السلتيين. لهذا السبب قتلوه. وكيافوس الذي أدانه كان يهودياً... وبيتر، الذي أنكره هو الآخر، كان يهودياً... "

وفي السنة التي أسس فيها درومونت صحيفة La Libre Parole، كانت لديه فرصة سانحة، أو حدسا أن يراهن على فضيحة بنما.

شرح لسيمونيني فرديناند دي ليسبس قبل تدشين حملته " أن المسألة بسيطة تماماً. انه الرجل ذاته تماماً الذي فتح قناة السويس، عُيِّن ليفتح مضيق بنما. وارتفع رصيده الى ستمائة مليون فرنك. وأسس شركة مساهمة. بدأ العمل في سنة ١٨٨١، أعاقته مشاكل جمة. وكان ليسبس بحاجة الى رؤوس اموال كثيرة ليدشن الإكتتاب العام. بيد أنه استخدم جزءً من النقود المستلمة لإفساد الصحفيين وراح يخفي الصعوبات التي قد تبرز تدريجياً، وحقيقة الأمر، أنه في سنة ٨٧، قد حفر بالكاد نصف المضيق وأنفق مليار وأربعمائة فرنك. وسعى

ليبس لطلب مساعدة إيفل، اليهودي الذي بنى البرج القبيح، ثم استمر لجمع الموارد المالية لإستخدامها في فساد وسائل الإعلام فضلاً عن العديد من المؤسسات. بعد أربع سنوات أعلنت الشركة إفلاسها، وفقد خمسة وثمانين ألف فرنسياً من المرموقين الذين مولوا الشركة بأموالهم."

" هذا معلوم جيداً."

" لكننا الآن نرى أولئك الناس الذين قدموا مساعدتهم وحرضوا ليبس كانوا رجال اموال يهود، من ضمنهم جاك دي ريناش – حامل لقب بارون بروسي ! وغداً ستثير La Libe Parole ضجة كبيرة."

وسببت تماماً ضجة كبيرة وخلقت فضيحة تورط الإعلاميين ومسؤولي الدولة فضلاً عن وزراء سابقين. وانتحر ريناش، وزُج عدد من الشخصيات الهامة في السجن، وافلت ليبس من السجن بسبب عمره. ونجا إيفل بجلده، وانتصر درومونت على مخالفات كارثية، وفوق ذلك كله تولد نقاش في حملته ضد اليهود.

قنابل قليلة

قبل أن يتمكن من مفاتحة دريمونت، على كل حال، يبدو أن هيبوتيرن كان قد استدعى سيمونيني الى موقعه الإعتيادي في صحن أحدب نوتردام.

قال " يا كابتن سيمونيني، قبل سنوات مضت كنت قد عينتك كي تحث تاكسيل على حملة ضد الماسونية، وهذا من شأنه أن يبرهن على مثل هذا الهرج والمرج ويرتد أكثرضد خصوم الماسونية الأكثر

إبتذالاً. والرجل الذي ضمن بإسمك ان المشروع سيكون تحت السيطرة، هو آبي دالا بيكولا، الذي وثقت به ووضعت تحت تصرفه مبلغاً كبيراً من المال. لكن يبدو أن تاكسيل ذهب بعيداً جداً. ولأنك أنت الذي ارسلت الي آبي، فيجب أن تضغط عليه، وعلى تاكسيل ايضاً."

والى هنا في يومياته، يعترف سيمونيني مع نفسه أن عقله غُفل: ويبدو أنه يتذكر أنّ آبي دالا بيكولا يجب أن يهتم بتاكسيل، بيد أنه لا يتذكر أن تعيينه يقوم على مهمة خاصة. ويتذكر قوله ايضاً أن هيبوتيرين سيتعامل مع الموضوع حسب. ومن ثم أخبره أن اهتمامه الحالي يتركز على اليهود وأنه كان على وشك القيام بإتصال مع درومونت وأصدقائه. كان قد فوجيء حين لاحظ كيف أن هيبوتيرين كان قد تخلص بطريقة مُرْضية من تلك المجموعة. سأله سيمونيني، هل أنه لم يؤكد ذلك مراراً، ذلك أن تلك الحكومة ما أرادت التشويش على الحملات ضد اليهودية؟

اجاب هيبوتيرين " الأشياء تتغير، يا كابتن، وانك ترى حتى الآن، أن اليهود اما انهم فقراء يعيشون في الغيتو، كما مازالوا حتى في روسيا وروما، واما صيارفة كبار كما هم هنا في فرنسا. واليهود الفقراء كانوا مرابين أو يمارسون مهنةالطب، بيد أن اولئك الذين جمعوا ثروتهم لتمويل البلاط إغتنوا من قروضهم للملك، لتوفير المال لحروبه. بهذه الطريقة فإنهم دائماً ما يقفون مع السلطة ولا يختلطون في السياسة. ولأنهم مستفيدون من المال فإنهم لا يساهمون في الصناعة. لكن ثمة

شيئاً ما حدث كنا نلاحظه ببطء. بعد الثورة، كانت الدول بحاجة للمال بكمية أكبر من طاقة اليهود لتجهيزه، وهكذا فقدوا موقع احتكاراتهم على الإئتمانات تدريجيا. في هذه الأثناء وشيئاً فشيئاً – أدركنا الآن فقط – أن الثورة جلبت المساواة الى المواطنين جميعاً ، على الأقل هنا في فرنسا. وإن اليهود ما خلا الفقراء منهم في الغيتوهات انضموا الى الطبقة البرجوازية– ليس فقط البرجوازية العليا ولكن حتى البرجوازية الصغيرة، وتنفذوا بين تلك المهن، لسلطات الدولة، والجيش. هل تعرف كم عدد الضباط اليهود اليوم؟ أنهم اكثر مما تتخيل. ليس في الجيش وحده: كان اليهود تدريجياً يشقون طريقهم الى ادخال عالم الجريمة بين العدميين والشيوعيين. وفي يوم من الأيام، كانت الثورات الحقيقية كلها ضد اليهود، لأنها كانت ضد الرأسمالية، واليهود هم دائماً حلفاء الأنظمة الحكومية، بيد أنه من المألوف اليوم أن يكون اليهود معارضين deoppostion. وما هو ماركس ذلك الرجل الذي تتحدث عنه كثيراً ثوراتنا؟ أنه برجوازي مفلس عاش على حياة زوجته الأرستقراطية. وإننا لن ننسى،على سبيل المثال، ان الثقافة الراقية هي في أياديهم، من المدارس الثانوية الى الدراسات العليا، وان مسارح باريس كلها هي في أياديهم ايضاً، واغلب وسائل الإعلام – إنظر الى ,Journal des Débates الصحيفة الرسمية للمصارف haute banque."

مازال سيمونيني لم يدرك ما يريده هيبوتيرن، وحين سأل، تحول اليهود البرجوازيون الى مصدر ازعاج. رد عليه هيبوتيرن بإشارة غامضة.

" لا أعرف. يجب ببساطة أن نراقب الوضع. ولكن المشكلة فيما إذا كنا قادرين على أن نثق بهذه الطبقة الجديدة من اليهود. دعني أكون واضحاً: أنني لا أهتم بتلك الأوهام عن مؤامرة يهودية للسيطرة على العالم. ولم يعد البرجوازيون اليهود يتماهون مع مجتمعهم الأصلي وكثيراً ما يخجلون منه. في الوقت ذاته هم مواطنون لا يمكن الوثوق بهم – انهم ربما كانوا مواطنين فرنسيين لفترة قصيرة حسب ربما يخونوننا غداً، مع عصبة بروسية برجوازية يهودية. كان معظم الجواسيس خلال الغزو البروسي هم يهود إلزاس."

حينما كانا على وشك الوداع، أضاف هيبوتيرن "على فكرة، تذكرالعودة الى زمن لاغرانج كانت لديك تعاملات مع غافيالي. وانك انت الذي قمت بإعتقاله."

" نعم، كان مسؤول التفجيرات في رو دي لا هوشيه. كانوا جميعاً في كايين أو في مكان ما، إذا لم تخني الذاكرة تماماً."

" ما خلا غافيالي، الذي هو هارب الآن في مكان ما في باريس."

" انه من المستحيل أن يهرب من جزيرة الشيطان"

" ومن المستحيل أن يهرب الى أي مكان إذا كنتَ صارما جداً معه."

" لماذا لم تعتقله؟"

" ربما صانع القنبلة الجيد يكون مفيداً الآن. واستطعنا أن نتعقب أثره. إنه يعمل في شراء الملابس العتيقة في كليغنانكورت. لماذا لا تذهب هناك وتبحث عنه؟"

" ان من الصعوبة بمكان تعقب بائعي الملابس العتيقة في باريس. انهم ينتشرون في انحاء المدينة، بيد أن مقاطعتهم الأساسية عادة ما تكون بين موفيتارد وريو سان ميدار. هم(او على الأقل اولئك الذين وصفهم هيبوتيرن) يسكنون قريباً من بوابة المدينة في كليغنانكورت، في مستعمرة من الأكواخ مصنوعة من القش. من الغريب أن ينمو ورد عين الشمس هناك، في تلك البيئة الآسنة، في جو أكثر سخونة.

وفي تزامن، في مكان قريب، كان ثمة مطعم aux pieds humides، هذا هو اسمه لأن على الزبائن أن ينتظروا دورهم وهم في الشارع. ويدخلون مرة واحدة ويدفع كل واحد منهم سو sou واحداً ويغرفون بمغرفة كبيرة في مرجل وينتشلون ما قد يحصلون عليه – قطعة لحم إذا حالفهم الحظ، أو جزرة – قبل أن يدفعهم الزحام الى الخارج. أما بائعو العتيق فلهم فنادقهم الخاصة hotels garnis،لا تتوفر غرف كثيرة فيها – سرير، وطاولة، وكرسيان غريبان. على الجداًر بعض الصور المقدسة، وعبارات مأخوذة من روايات منتشلة من النفايات، وكسرة مرآة، وخُصص يوم الأحد لإغتسال الجسم وتمشيط الرأس. أما بائع العتيق فإنه يفرز محتوياته من: عظام، وإناء من الخزف الصيني، وكأس، وأشرطة زينة قديمة، وقصاصات حرير. يبدأ نهارهم في السادسة صباحاً، وأذا صادف أن رقباء المدينة(أو الشرطة flics كما يطلق عليهم الجميع

الآن) إن وجدوا أي شخص ما زال يعمل بعد الساعة السابعة مساء، فإنه سُيعاقَب بغرامة.

ذهب سيمونيني للبحث عن غافيالي. اخيراً وجده، في حانة bibine التي لا تبيع النبيذ الرخيص حسب،بل تبيع نبيذ الأفسنتين وهو نبيذ غال الى حد ما، يقال إنه شراب قاتل(وكما لو أن المادة لم تكن رديئة جداً) وأشر شخص إليه، لم يكن سيمونيني يرتدي لحيته، منذ أن تذكر أنه لم يكن يرتديها حين تعرف على غافيالي. ورغم مرور عشرين عاماً، كان يعتقد أنه ما يزال بالإمكان تشخيصه. بإستثناء غافيالي.

كان وجهه شاحباً ومتغضناً، وله لحية طويلة. وحول رقبته الهزيلة ربطة عنق مائلة نحو الإصفرار تشبه قطعة حبل معلقة من ياقة ملساء. على رأسه كانت قبعة رثة؛ ويرتدي معطفاً طويلاً مائلاً للإخضرارعلى صديرية متجعدة، ويرتدي حذاءً أكل عليه الدهر وشرب، وبدا على نحو أنه لم ينظف منذ سنوات، وفوقه طبقة من الوحل إعتلتْ شرائط حذائه. بيد أن غافيالي من الصعوبة بمكان أن يُلاحظ من بين بائعي العتيق، منذ أن بدأ يرتدي هنداماً رثاً.

قدم سيمونيني نفسه، متوقعاً إستجابة ودية، وبدلاً من ذلك، نظر إليه غافيالي نظرة شزرة.

قال بعد أن نظر الى سيمونيني بذهول" إنها وقاحة منك أن تقف هنا أمامي، ياكابتن ! هل تعتقد أنني غبي الى هذا الحد؟ في ذلك اليوم الذي وصلت فيه الشرطة واطلقوا النار علينا، وأنا اعرف تماماً

كيف اطلقتَ رصاصة الرحمة على ذلك البائس الذي بعثته إلينا بوصفه وكيلا لك. ونجا جميعنا في قارب أبحر بنا الى كايين، وأنت لم تكن هناك. من السهل أن تضرب عصفورين بحجر واحد. وخمس عشرة سنة من الإسترخاء تمنحك الفرصة في التفكير: أنك خططت مؤامرتنا عليك الآن أن تكشفها. وسيكون ذلك عملاً مفيداً."

" وهكذا؟ تريد أن تنتقم لنفسك؟ أنك امسيت ظل رجل. إذا كانت نظريتك صحيحة، فيجب علي أن أكون في خدمة الشرطة، وكلمة واحدة بالإتجاه الصحيح كافية في أن تعيدك الى كايين. "

" كلا، ياكابتن. يابركة السماء، كلا. إن تلك السنوات في كايين خلقت مني رجلاً حكيماً. وحينما كنتَ في المؤامرة كانت دائماً هناك مخاطرة في الإختلاط مع المخبرين. إن الموضوع يشبه لعبة الحرامية والشرطة. على كل حال، كان يقال، أن كل الثوار عبر السنوات الماضية باتوا يدافعون عن العرش والمذبح. إنني لست مهتماً كثيراً بالعرش والمذبح، لكن تعلقا بي أن زمن المثالية العظيمة قد انتهى. مع ما يسمى الجمهورية الثالثة التي لا يمكنك التأكد من أي طاغية ينبغي عليك قتله. ومازال ثمة شيء واحد أعرف كيف تقوم به، هو صنع المتفجرات. والحقيقة، أنك كنتَ تبحث عني بهدف الحصول على متفجرات، ذلك شيء رائع، طالما أنك تدفع. وأنك تعرف أين أسكن. إن تغيير المحافل والمطاعم ستكون كافية لتدلك عليٌ. من الذي يجب أن اقتله؟ وكأي ثائر يتحول الى مرتزق. ويجب أن تفهم هذه المهمة جيدا."

" نعم، أريد قنابل منك، يا غافيالي. لا أعرف أي نوع من هذه القنابل حتى الآن، وأين. إننا سنتحدث عن ذلك في وقتها. واستطيع أن ادفع لك، وسيكون سجلك القديم نظيفاً، ونفتح صفحة جديدة."

قال غافيالي إنه مستعد للعمل مع مَن يدفع جيداً، وفي الوقت المحدد أعطاه سيمونيني ما يكفي للعيش الكريم لمدة شهر على الأقل دون حاجة للعمل في جمع الخرق. ولا شيء كالتهديد بالسجن يشجع على الطاعة لتنفيذ الأوامر.

في وقت لاحق أخبر هيبوتيرين سيمونيني مايجب أن يفعله غافيالي. ففي كانون الثاني / ديسمبر ١٨٩٣ رمى العدمي، أوغسطي فايلنت عبوة ناسفة صغيرة، مليئة بالمسامير في غرفة نواب البرلمان، وصرخ:" الموت للبرجوازية ! تعيش العدمية !" كانت إشارة رمزية. " إذا أردت قتلك، انني سأعبيء القنبلة بالرصاص،" قال فايلنت في محاكمته. " إنك لا تتوقع مني أن اكذب لأمنحك متعة قطع رأسي." مع ذلك قطعوا رأسه، ليكون مثالا للآخرين، لكن لم تكن هذه هي المشكلة. كانت المخابرات السرية قلقة من أن تلك الإشارات من هذا النوع ربما تكون بطولية وبالتالي يمكن للآخرين تقليدها.

شرح هيبوتيرن الى سيمونيني " هناك مَنْ كانوا قدوة سيئة، هم الذين يدافعون ويشجعون الإرهاب وعدم الإستقرار الإجتماعي، بينما يبقون متخفين بإرتياح في نواديهم ومطاعمهم يناقشون الشعر ويشربون الشمبانيا. إنظر الى لورين تايلهاد الصحافي المبتذل الذي يستمتع بالتأثير المزدوج في الرأي العام منذ أن كان نائبا في البرلمان ايضاً.

هذا ما كتبه حول فايلنت: ' ما يهم حول الضحايا هو اذا كانت الإشارة مسموعة؟' فإن تايلهاد هذا العالم هم أكثر خطورة من الفايلنتيين لأنه ثمة صعوبة أكبر في قطع رؤوسهم. وحان وقت أولئك المفكرين الذين لم يدفعوا أبدا مقابل ما قاموا به في تعليم الدرس العام. "

والدرس يجب أن يرتبه سيمونيني، وغافيالي. وفي فويوت، في الزاوية الضيقة جداً حيث كان تايلهاد يستمتع بإحدى وجبات طعامه الثمينة، إنفجرت عبوة بعد أسابيع قليلة وفقد إحدى عينيه.(كان غافيالي في الحقيقة عبقرياً: كانت العبوة قد وضعت بطريقة بحيث تكون الضحية، بدلاً من الموت، تصاب بجروح بليغة.) واظهرت الصحافة أكثر من ذلك، وكتبت تعليقات تهكمية، " وهكذا إذن، مسيو تايلهاد، كانت هذه هي الإشارة المسموعة؟" العملية شكلت نجاحاً كبيراً للحكومة، ولغافيالي، وسيمونيني. وفضلا عن فقدان إحدى عينيه، فقد تايلهاد سمعته.

كان أكثر اقتناعاً من الجميع هو غافيالي، وكان سيمونيني مسروراً لإعادة الرزق والإحترام الى شخص هو، من خلال انقلاب في حياته، كان من سوء حظه ان يفقدهما.

وثِق هيبوترين بسيمونيني بمهمات اخرى عبر السنوات المنصرمة. وكانت فضيحة بنما فقدت تأثيرها على الرأي العام – وسئم الناس بعد مدة حينما كانت تتكرر الأخبار ذاتها. لم يعد درومونت مهتما بالقضية، بيد أن الآخرين ما فتئوا يذكون النار، وكانت الحكومة قلقة، ذلك

ربما من قبيل (كيف سنعبر عنها اليوم) إرتداد في المواقف كلها. وحانت الآونة أن نصرف الإنتباه عن البقية الباقية من قصة باتت لا طعم لها، وطلب هيبوتيرن من سيمونيني أن ينظم عملية شغب - كبيرة كافية لأن تملأ صدارة الصحف بالإهتمام.

قال سيمونيني ان عملية شغب لن تكون سهلة، وعقّب هيبوتيرن ان اغلب الميول التي تسبب الإضطرابات هم شريحة الطلاب. وأفضل مقترب هو شروع الطلاب للقيام بحركة ما ومن بعد ذلك يأتي دور المختصين بالفوضى العامة.

لم يكن لسيمونيني إتصالات مع الطلاب، لكن منْ يقوم بذلك، فكر حالاً، هي الثورات حتى الآن، والفوضويون. بيد مَن الذي يعرف المجموعات الفوضوية بطريقة أفضل؟ ليس هناك أفضل من شخص يقوم بالتسلل بينهم وبالتالي كشفهم، أنه راشكوفسكي. وهكذا أرسل رسالة إليه، وهوالذي يكشر عن كل أسنانه الذئبية بإبتسامة تعني المودة، وسأل عن التفاصيل.

" كل ما أريده هو ان عدداً قليلاً من الطلاب بإمكانهم إثارة الإضطراب المطلوب."

قال الروسي " هذا عمل سهل، إذهب الى الشاتو روج "

الشاتو روج في ريو غالاند بدا مكاناً للقاء في الحي اللاتيني للمعوزين. ويقع في نهاية فناء واجهة المقصلة الحمراء، وحين تدخل، ستصطدم برائحة خانقة من الدهان الزنخ والفطريات العفنة، لحساء كان قد طُهي وأعيد طهيه لسنوات عديدة. يخلف آثاراً ملموسة على

الجدران الدهنية – ورغم إنه ليس ثمة سبب ظاهر لذلك، لأنه عليك أن تجلب طعامك معك، والدار تعرض عليك النبيذ وأطباق طعام حسب. وثمة غيمة من دخان التبغ الضار ومنفذ للغاز من فتائل المصابيح الذي يتسرب هارباً للخارج يبدو أنه يلقي بظلال نعاسه على مجموعة من الصعاليك جالسين هناك، وعلى كل جانب من جوانب الطاولة ينام ثلاثة أو اربعة، واحدهم على كتف الآخر.

لكن الغرفتين الداخليتين لا يسمح للمتشردين بدخولهما. وبدلاً من ذلك هناك نساء عاهرات متقدمات في العمر يرتدين مصوغات رخيصة، في الغرفة الأولى فتاة مومس عمرها أربعة عشر عاماً سابقة لأوانها في الوقاحة، عيناها غائرتان، ويرتسم على وجهها أعراض السل، ومحتالات محليات، يضعن خواتم مبهرجة بالأحجار المزيفة، وثمة معاطف redingotes بالية فوق سجادة. حين نتجول في الغرفة الثانية تفوح رائحة تختلط برائحة نساء أنيقات ورجال يرتدون ملابس السهرة. والزيارة الى الشاتو روج تحولت الى تجربة لا يمكن فقدانها: في آخر المساء، وخلف المسرح، وصلت عربات مزدانات – le tout Paris ليتمتع أصحابها في عالم الغانيات الساقطات المثير، ومن المحتمل ،كان معظمهن مجندات من قبل مالك الماخور، لجلب انتباه الناس المحترمين الذين يدفعون سعراً مضاعفا لشراب الأفنسينت.

في الشاتو روج، وبناء على نصيحة راشكوفسكي، التقى سيمونيني مع رجل يدعى فايول وظيفته تاجر أجنَّة. رجل كهل يقضي مساءاته

هناك يتناول شراب براندي ,eau de vie قوته الكحولية ١٦٠. وينفق مما يربحه في ذلك اليوم في جولته على المستشفيات، حيث يجمع الأجنَّة والمضَغ ويبيعها الى طلاب كلية الطب، Ecole Medicin. وتنفث عن فايول رائحة كريهة من جسمه الفاسد تمترج برائحة الكحول، وكان مضطراً، بسبب تلك الرائحة النتنة، للجلوس وحده، رغم الجو النتن للشاتو روج أصلاً؛ ولكنه يقول إن لديه علاقات طيبة مع عالم الطلاب، وبخاصة مع أولئك الذين أصبحوا طلاباً حرفيين بتقادم السنين - وأولئك الذين كانوا أكثر نزوعاً إزاء المصالح من دراسة الأجِّنة، ولديهم استعداد للقيام بإضطرابات في أقرب فرصة سانحة.

وفي ذلك الوقت، كما قاده الحظ، كان الشباب في الحي اللاتيني منزعجين من المرائي، من المتزمت القديم السيناتور بيرنغر، الذين اطلقوا عليه لقب الحياء Pere La Pudeur الذي إقترح قانونا يضع حداً لإهانات الأخلاق، التي(قال) إن الطلاب انفسهم ضحاياها الأولى. وكانت الذريعة هي سلسلة من العروضات في Bal des Quartz Arts أداء سارة براون، التي بدت فيها نصف عارية، تعرض عدداً من الأجساد المتلئة(وربما تتنزا من العرق، تخيل سيمونيني برعب.)

الويل، لكل مَنْ يحرم الطلاب من استراق نظر المتعة البريئة. كان فايول ومجموعته يخططون عمليا للذهاب في إحدى الليالي لإثارة الإضطراب تحت نوافذ السيناتور. كل ما يستطيع سيمونيني القيام به هو أن يختار الليلة التي يستطيع فيها أن يعد بعض الترتيبات لفئة من

الأشرار يكونون في الحي، استعدادا وانتظارا لمعركة. وبشيء من التواضع كان فايول يعد لمواجهتها. وما يستطيع سيمونيني فعله هو أنه كان قد أخبر هيبوتيرن اليوم والساعة.

وبالكاد بدأ الطلاب بالإضطراب حينما جاءت مجموعة من الجنود أو الشرطة(ومهما كانوا) فهم قد وصلوا. ولا شيء أفضل من وصول الشرطة لإثارة مشاعر العنف بين الطلاب. وراح يتطاير بعض الحصى يصحبه كثير من الصياح. ومن ثم حدث أن كان يمر بعض الفقراء التعساء من هناك وجاءتهم رشقات من الرصاص في وجوههم من قبل الجنود. وهنا كانت حيوية الموت. وكانت هذه، بداية التمرد الحقيقي. وفي هذه اللحظة، وصل قطاع طرق فايول. أوقف الطلاب عربة، وطلبوا بلطف من الراكبين الترجل ونزعوا أطقم خيول العربة وأطلقوها ثم قلبوا العربة لإستخدامها كمتراس، بيد أن الحرفيين كانوا سباقين للأمور، أناروا مصابيح العربة. وبإختصار، تحولت الإحتجاجات الى شغب، ومن الشغب الى التلميح بالثورة. وانشغلت الصفحات الأولى من الصحف بهذه الحركة لبعض الوقت وداعاً بنما , . Adieu Panama.

البوردريه(أو المذكرة الدبلوماسية كما أطلق عليها الروائي في مكان آخر من النص. سنطلق عليها أينما وردت المذكرة، بدلاً من البورديه.. المترجم)

السنة الأكثر فائدة لسيمونيني كانت ١٨٩٤، حدثت في الغالب عن طريق المصادفة، رغم إن الحظ يحتاج دائماً الى مد يد المساعدة.

في حوالي ذلك الوقت تعمقت آلام درومونت حول زيادة عدد اليهود في الجيش.

تحدث درومونت بصخب " لا أحد يتحدث عن ذلك، لا أحد يريد أن يتخلى عن إيماننا في الجيش عن طريق الحديث علنا عن اولئك الخونة المحتملين لأرض آبائنا من اعماق قلبه عن مؤسستنا المجيدة، أو أن يقول إن ذلك الجيش قد افسده عدد كبير من اليهود " ثم لفظ عبارة هؤلاء اليهود، هؤلاء اليهود ces Jues ,ces Juefs ces " وبشفتيه البارزتين، كما لو أن عُنفَه، وكلماته المتهورة، ستصل مباشرة الى سلالة الإسرائيليين سيئي السمعة جميعها " ولكن يجب أن ينطق أحد ما. هل تعلمون كيف أن اليهودي يحاول الآن ان يكون محترماً؟ من خلال مهنة كضابط مثلاً، أو أن يختلط في غرف الإستقبال مع الأرستقراطيين بوصفه فناناً لوطياً. وزانٍ من طراز النبلاء القديم، أو مع رجال الدين الموقرين الذين لم يعودوا يروقون لدوقاتنا. لم يكلّوا من الغرابة، والشذوذ، والوحشية، ويسمحون لأنفسهم بالتودد الى شخصيات معطرة بعطور الباتشيليه ويتجملون كما تتجمل النسوة.

ومهما كان انحراف الأرستقراطية فإنها لن تنال إلا القليل من اهتمامي - وتلك الكونتيسات اللائي يمارسن الزنى مع لويس تلو اللويس، فهن لسن الأفضل - بيد أن الإنحراف داخل الجيش هو نهاية الحضارة الفرنسية. أنا مقتنع أن غالبية الضباط اليهود هم جواسيس

بروسيين، لكنني بحاجة الى شاهد، شاهد. " وعليكم أن تجدوه !" صرخ على محرري صحيفته.

في مكاتب صحيفة La Libre Parole تعرّف سيمونيني على الميجر استرهازي، كان متأنقاً تماماً، واسترهازي يتباهي بإستمرار بإصول نبله وثقافته الفينيسية، يتحدث عن المبارزة في الزمن الماضي والمستقبل وكان من المعروف عنه أنه كان مثقلا بالديون. يتجنبه محررو الصحيفة حينما يصل الى العمل الخاص لأنهم يتوقعون أن يستدين منهم، وبالطبع، إن النقود التي يستدينها لا تعاد الى دائنيه، وهو مخنث الى حد ما، ويضع منديلاً مطرزاً على فمه، ويقال إنه كان مريضاً بالتدرن. سيرته العسكرية كانت غريبة جداً: أولاً خدم ضابطاً في وحدة سلاح الفرسان في حملة الجيش الإيطالي سنة ١٨٦٦، وبعد ذلك في بابوية Zouaves، قبل أن ينضم الى الفيلق الأجنبي، مقاتلاً في الحرب الفرنسية – البروسية. كان يشاع عنه أنه كان متورطاً في مكافحة التجسس العسكري، ولكن من غير الواضح أن هذا ليس من نوع المعلومات التي يستعرضها الجند في زيهم العسكري. وقدّره درومونت عاليا، ربما ليضمن لنفسه الإتصال العسكري معه.

وذات يوم دعا استرهازي سيمونيني للعشاء في Boeuf a la Mode. وبعد أن طلبا وجبة العشاء a filet mignon d'agneau aux liatues تناقشا عن نوع النبيذ الذي سيشربانه، قال استرهازي بعد ذلك مباشرة " يا كابتن سيمونيني، إن صديقنا درومونت يبحث عن دليل لن يجده مطلقاً. والمشكلة ليس فيما إذا كان اكتشافه لدى المخابرات البروسية

من أصل يهودي في الجيش. للجدران آذان، ينتشر الجواسيس في كل مكان في هذا العالم ومن شبه المستحيل أن ننفضح من جاسوس هنا أوجاسوس هناك. والمشكلة السياسية أننا نتظاهرأنهم موجودون. كي نتثبت من جاسوس أو متآمر، ليس هناك حاجة، وإنك توافق على ذلك، في أن تجد الدليل. وإنه من الأسهل والأرخص أن نخترعه - وإن كان من الممكن أن نخترع ليس دليلا حسب بل، الجاسوس نفسه. ويجب على هذا الأساس، وللمصلحة الوطنية، أن نختار ضابطاً يهودياً ربما يكون مفتوحاً للشك من خلال بعض الهنات، ونثبت أنه كان قد مرر معلومات الى السفارة البروسية في باريس."

" ماذا تعني ب ' نحن '؟"

إنني أتكلم بإسم الإحصائيات لخدمات de Renseignements Francais(شبكة الاستخبارات الفرنسية) التي يقودها المقدم ساندهير. ومن المحتمل أن تعرف أن هذا القسم، ومثل هذه التسمية المتواضعة، معني بالمقام الأول الألمان. كانوا مهتمين أولا بالشؤون الداخلية الألمانية - للحصول على معلومات متنوعة من الصحف، ومن تقارير الضباط هناك في العمل، ومن الشرطة، ومن وكلائنا في جوانب التخوم كلها، في محاولة لإيجاد قدر الإمكان تنظيم جيوشهم، وكم عدد الوحدات العسكرية لسلاح الفرسان لديهم، وكم عدد القوات التي يدفعون - بمعني آخر، كل شيء. لكن القسم قرر حالياً أن ينظر ماذا يفعل الألمان هنا في فرنسا. هناك من يشكو من اختلاط التجسس ومكافحة التجسس، بيد أن ذينك الناشطين مترابطان بدقة. يجب أن

نعرف ماذا يجري في السفارة الألمانية، لأنها أرض أجنبية، وهذا تجسس؛ لكنهم يجمعون المعلومات عنا، ويكتشفون معلومات عن مكافحة التجسس ذلك. وهكذا، لدينا مدام باستيان تعمل منظفة في السفارة. إنها تعمل لصالحنا وتتظاهر بأنها أميّة في حين أن الحقيقة تستطيع أن تقرأ وتفهم الألمان. وفي كل يوم تفرغ سلة المهملات في مكاتب السفارة وترسل لنا الملاحظات والوثائق التي يعتقد البروسيون أنها أرسلت للتلف(وأنك تعرف كم هم أغبياء) وهكذا يجب أن نقدم وثيقة أعطى فيها ضابطنا أخباراً سرية هامة عن تسليح الجيش الفرنسي. الى هنا، من المفترض أن المؤلف يجب أن يكون الشخص الذي بإمكانه الوصول الى المعلومات السرية، وبعد ذلك يكشفها. لذلك أننا بحاجة الى ملاحظة صغيرة، مذكرة – نسميها bordereau. المذكرة لهذا السبب جئنا إليك، ومن هو غيرك، في مثل هذه المسائل، أُخبرنا أنه، أستاذ. "

لم يسأل سيمونيني كيف عرف قسم الإحصائيات عن مهارته. ربما أنهم سمعوا من هيبوتيرن. و شكر استرهازي لإطرائه وقال، " إنني أتخيل أنني استنسخ خط يد شخص خاص."

" اننا حالياً عيّنا مرشحاً بارعاً. إسمه الكابتن دريفوس من الإلزاس بالطبع. إنه يعمل في القسم كمتدرب. متزوج من امرأة غنية، ويوهم نفسه انه ساحر نساء،tombeur de femmes، لذا فإن زملاءه كانوا من الصعوبة بمكان ان يتحملوه، ولم يجدوا شخصاً أفضل منه إن كان مسيحيا. لم يظهر مشاعر التضامن. انه كبش فداء ممتاز. وبعد أن سُلّمت

الوثيقة، ستجرى التحقيقات وسيُميَّز خط يد دريفوس. بعد ذلك، نذهب الى الآخرين مثل درومونت لنثير الفضيحة العامة، ونكشف عن خطر اليهود وفي الوقت ذاته ننقذ شرف القوات المسلحة التي تملك براعة فائقة في كشفها والتعامل معها. هل هذا واضح."

تماماً واضح. في بداية تشرين أول /اكتوبر، وجد سيمونيني نفسه في حضرة المقدم ساندهير، كان رجلاً ذا وجه رمادي وسمات تنم عن حقارة – وعِلْم فراسة ملائم لرئيس مخابرات سرية ومكافحة تجسس.

" هنا لدينا نموذج من خط يد دريفوس، وهنا النص بخط يده." قال ساندهير، وهو يجتازه ويمرر له ورقتين " وكما ترى، أن النص يجب أن يعنون الى الملحق العسكري في السفارة، الفون شوارزكوبن، ويجب أن يعلن عن وصول الوثائق العسكرية عن المكابح الهايدروليكية بندقية حجم ١٢٠ ملم، والتفاصيل الأخرى لذلك النوع. كان الألمان يائسين من مثل هذه المعلومات."

" ربما يكون من المناسب أن نُضّمن بعض التفاصيل التقنية؟" سأل سيمونيني. " يبدو أنها أكثر من مساومة."

قال ساندهير " حالما تنفجر الفضيحة، فإن المذكرة، ستتحول الى ممتلكات عامة. ولا نسمح للصحف بالإطلاع على المعلومات التقنية. هكذا باشر في العمل، يا كابتن سيمونيني. فلراحتك، فإنني سأهيء لك غرفة تتوفر فيها جميع وسائل الكتابة الضرورية. الورق، والأقلام والحبر، المستخدمة في هذه المكاتب. اريد ان يكون العمل متقناً.

ربما ذلك يستغرق منك وقتاً طويلاً وحاول مرات عدة وحسب رغبتك، الى أن يكتمل عمل فحص خط اليد."

هذا ما نفذه سيمونيني. ودُوِّنت المذكرة، على قشور من البصل، كانت وثيقة تتكون من ثلاثين سطراً، ثمانية عشر على صفحة واثنتي عشر على الصفحة الأخرى. كان سيمونيني حذرا ليضمن أن اسطر الصفحة الأولى كانت اعرض ومتباعدة أكثر من الصحفة الأخرى، بحيث تبدو كتابة خط اليد قد كُتبت بطريقة أسرع، وبذلك تبدو ايضاً، أن الرسالة كتبت في حالة من الإثارة - كانت كتابتها في البداية أكثر استرخاء ومن ثم حدث التسريع، مع الأخذ بنظر الإعتبار ان وثيقة من هذا النوع، إذا لم ترمى بعيداً، فإنها ستمزق وبناء عليه، ستصل الى قسم الإحصائيات الى مِزَق من الورق قبل إعادة تجميعها، وأنه من الافضل نثرها في الهواء لتساعد في عملية اللصقcollage، دون أن تضيع بعيداً من يد كاتبها.

على العموم، أنه قام بعمل مستحسن.

بعد ذلك أرسل ساندهير المذكرة الى وزير الحرب، الجنرال ميرسير، في الوقت ذاته أمر بإجراء فحص لكل الوثائق التي عممتها جميع المكاتب في القسم. في نهاية الأمر، أخبره أركان حربه أن الكتابة هي بخط دريفوس، الذي كان قد اُعتِقل في الخامس عشر من تشرين أول / اكتوبر. وحافظوا على سرِّية الأخبار لمدة اسبوعين، بإستثناء السماح بتسريب تفاصيل قليلة لشحذ فضول الصحافيين. ثم

أخذ اسمها بالإنتشار، بداية بسرية صارمة، وأخيراً، أعلن أن المجرم هو الكابتن دريفوس.

حالما تلقى استرهازي تخويلاً من ساندهير اخبر درومونت بالأمر حالا، وبدوره راح يخبر مكاتب الصحف في الغرف وهو يحمل بيده رسالة كبيرة ويؤشر صارخاً " الدليل، الدليل، هذا هو الدليل !"

في مستهل تشرين ثان /نوفمبرسارعت جريدة La Libre Parole بالخط العريض: خيانة عظمى: إعتقال الضابط اليهودي دريفوس. وشرعت الحملة. واحترقت فرنسا برمتها بالسخط.

في الصباح ذاته ، وبينا مكتب الصحيفة كان يحتفي بالحدث السعيد، سقطت عينا سيمونيني على رسالة استرهازي التي تضمنت أخبار اعتقال دريفوس. مازالت راقدة على منضدة درومونت، ملطخة بنبيذ كأسه، لكنها مقروءة بوضوح. وتعلقا بسيمونيني، الذي انفق أكثر من ساعة يقلد خط دريفوس المفترض، بدا الخط واضحاً وضوح النهار، ذلك أن خط اليد الذي قام بتقليده بإعتناء متقن كان مماثلاً لخط استرهازي بكل دقائقه. وليس ثمة أحد يدرك هذا الأمر بإستثناء الزائف.

ما الذي حدث؟ هل اعطاه ساندهير قصاصة الورق مكتوبة بيد ايسترهازي بدلاً من دريفوس؟ هل كان ذلك ممكناً؟ شيء غريب، لا يمكن تعليله، ولكن لا يمكن دحضه. هل كان هذا بفعل المصادفة؟ أو عملاً مقصوداً؟ لكن إذا كان الأمر هكذا، فما هو السبب؟ او هل ان ساندهير قد ضلله أحد موظفيه الذي اعطاه قصاصة الورق خطأ؟ فإذا

كان ساندهير قام بذلك بحسن نية، فيجب اخباره بالخطأ؟ ولكن إذا كان ساندهير قام بذلك متعمداً، فإن سيمونيني سيعرض نفسه للتهلكة إن هو كشف أنه عرف اللعبة الجديدة التي يلعبها ساندهير. هل سيخبر إسترهازي؟ ولكن اذا كان ساندهير قايض خط اليد بهدف إيذاء إسترهازي، ومن ثم إذا اخبر سيمونيني الضحية فإن كل المخابرات السرية ستقف ضده. اهدأ؟ ولكن ماذا لو أن المخابرات السرية اتهمته ذات يوم بتنفيذ المقايضة؟

يجب أن لا يلام سيمونيني على الخطأ. أراد أن يتأكد أن ذلك الأمر واضح، وفضلاً عن كل ذلك ان عملية تزويره جرى الحديث عنها، بوصفها حقيقية لا تزويراً. قرر أن يخاطر وذهب لرؤية ساندهير، الذي بدا متردداً في الحديث معه في بداية الأمر، ربما لأنه خشي من محاولة ابتزاز.

لكن حين شرح سيمونيني الحقيقة(الحقيقة وحدها وبخلاف ذلك فالأمر يعد عبارة عن حزمة من الأكاذيب) تحول وجه ساندهير الى وجه رمادي أكثر من ذي قبل، ظهر أنه لا يريد أن يصدق ذلك.

قال سيمونيني، " أيها الكولونيل، أنك بالتأكيد تحتفظ بصورة فوتوغرافية من المذكرة. خذ عيِّنة من خط دريفوس وأخرى من خط ايسترهازي، ودعنا نقارن النصوص الثلاثة."

أصدر ساندهير أمراً، وبعد فترة وجيزة جاءت ثلاث قصاصات من الورق وضعت على الطاولة. إجرى سيمونيني عدة فحوصات عليها: إنظر هنا، على سبيل المثال. في كل الكلمات يتضاعف فيها حرف ال

ess مثل adresse أو interessant بخط يد استرهازي وأول esses أنه اصغر والثاني أكبر وأنهما غير مترابطين. هذا ما لاحظته هذا الصباح، لأنني كنت وبشكل خاص حريصاً على التفاصيل حين كتبت المذكرة الدبلوماسية. الآن انظر الى خط دريفوس - وأنا أراه للمرة الاولى. مدهش ! فإن حرف ال esse يكون في البداية، والثاني صغيرا، وهما دائماً مترابطان. هل أستمر؟"

" كلا، هذا يكفي. ليس لدي فكرة كيف وقع هذا الخطأ. سأحقق في الأمر. الوثيقة هي الآن بيد الجنرال ميرسير، الذي كان دائماً يقارنها مع عيّنة خط دريفوس. بيد أنه ليس خبير خطوط كتابة. يوجد ايضاً تشابهات كثيرة بين هاذين الخطين. يجب ببساطة أن نتأكد أنه لم يحدث أن بحث عن عيّنة خط إسترهازي، رغم إنني لا أرى لماذا يجب أن يفكر حتى بإيسترهازي - شريطة أن تكون هادئاً. حاول أن تنسى كل شيء عن العملية، وانني اطلب منك ألاّ تعود الى المكاتب. وستعدل مدفوعاتك على وفق ذلك."

من الآن فصاعداً، لا يحتاج سيمونيني الإعتماد على معلومات شخصية ليكتشف ماذا كان يجري، منذ ان كانت الصحف تمتليء بقضية دريفوس. كان بعض الناس، حتى في المقرات العسكرية، يعملون بحذر. وبحث ساندهير عن رأي خبير خطوط اليد الشهير بيرتيلون، الذي أكد أن خط اليد للمذكرة لم يكن دقيقاً ليتطابق مع خط دريفوس، وذكر، أن الخط هو نوع من التزوير الذاتي - وقد غير

دريفوس جزئيا في خط يده. بحيث يجعل مَنْ يقارنه يعتقد أنه يعود الى شخص غير دريفوس. وبالرغم من هذه التفاصيل الصغيرة، فإن الوثيقة كتبت بالتأكيد من قبل دريفوس.

ومَنْ الذي يتجرأ أن يشك فيها، بخاصة حينما كانت La Libre Parole تقصف الرأي العام في كل يوم وتثير الشك أن تلك القضية affaireستُخمَد، لأن دريفوس كان يهودياً وسيحميه اليهود؟ فضلاً عن أن ثمة أربعة آلاف ضابط يهودي في الجيش." وكتب درومونت " لماذا بحق السماء عهد ميرسير بمخابرات الدفاع الوطني الى يهودي إلزاسي كوزموبوليتي؟ ميرسير كان ليبرالياً وينوء تحت ضغط لآونة من درومونت والصحافة الوطنية، اللذين اتهماه كونه يهودياً متعاطفاً، ولا يمكن أن نثبت أنه مدافع عن مجرم يهودي، لهذا لم يقم بأي شيء لإعاقة التحقيق، وإنما العكس، أثبت نفسه، متابعاً للقضية.

ضرب درومونت الطاولة بيده " كان اليهود مبتعدين لفترة طويلة عن الجيش، الذي حافظ على أصالته الفرنسية. والآن، أن الذين تسللوا الى القوات المسلحة الوطنية سيكونون قادة فرنسا، وسيوجه راتشيلد تعبئتهم... وستفهم ما هي النهايات."

ووصلت التوترات الى ذروتها. وكتب قائد الفرسان الكابتن كريميو فوا Crémieu- Foa، الى درومونت يخبره أنه كان يهين الضباط اليهود جميعاً ، وطلب المصالحة. وكلاهما تبارز، وكي نضيف الى الإضطراب،

فمَنْ منهما إختاره كريمو فوا كخيار ثان؟ إسترهازي. وبعد ذلك، ماركوس دي موريس أحد محرري La Lobre Parole ونشرت نتيجة التحدي فيها ضد كريمو فوا بيد أن ضابطا كبيراً في الجيش رفض السماح له المشاركة في مبارزة أخرى وستقتصر مهمته في الثكنات، وهكذا، أخذ الكابتن مايور مكانه، ونفق نتيجة ثقب في إحدى رئتيه. وحمي وطيس النقاش، والإحتجاج ضد انبعاث الحروب الدينية... وجلس سيموننيني، متأملاً بقناعة كبيرة النتائج الكارثية لساعة عمله الوحيدة.

~~~

والتقى مجلس الحرب في كانون أول /ديسمبر، في الوقت ذاته أنتج وثيقة أخرى، ووصلت رسالة الى الألمان من بانيزاردي، الملحق الثقافي الإيطالي، تشير الى " الجبان" D، " الذي باع مختلف التحصينات المختلفة. هل وقف "D" الى جانب دريفوس؟ لا أحد يتجرأ على ذلك. بعد ذلك حسب، اكتشف أن ثمة شخصاً يسمى ديوبويس، مستخدم في الوزاة، كان يبيع معلومات بعشرة فرنكات للمعلومة الواحدة. بعد فوات الأوان. كان دريفوس قد أُدين في الثاني والعشرين من كانون أول /ديسمبر، وفي كانون الثاني /يناير جُرِّد من رتبته في المدرسة العسكرية، وفي شباط /فبراير قرر الرحيل الى جزر آيزلندا.
~~~

ذهـب سـيمونيني لمـشاهدة مراسـم التجريـد، الـتي وصـفها في مذكراتـه بالدراماتيكيـة الإسـتثنائية. اصـطفت القـوات علـى الجوانـب الأربعـة مـن الـبلاط، فوصـل دريفـوس وعليـه أن يـسير كيلـومتراً واحـداً تقريباً بين طوابير من الرجال البواسل الـذين، رغـم هـدوئهم، تمكنـوا من التعبير عن احتقارهم لـه. سـحب الجنـرال داراس سيف المبـارزة، وأحدث جلبة، وسـار دريفـوس بزيـه الرسمـي الكامل بإتجاه الجنـرال، يرافقـه أربعـة مـن رجـال المدفعيـة، بـإمرة رقيـب، وقـرأ داراس حكـم التجريـد. إقـترب ضـابط عمـلاق مـن الجندرمـة يـضع خـوذة بنفـسجية اللون على رأسه من الكابتن، مزق أشرطة رتبـه وأزرّة بذلتـه العـسكرية، ورقم الفوج، وأزال سيف المبارزة وكسره على ركبتيه، ورمـى النـصفين المكسورين على الأرض أمام الخائن.

ظهر سيمونيني هادئا، والتقطت الصحف صوراً لـه كإشارة لخيانتـه. فكر سيمونيني انه سمعه يهتف " انا بريء !" وفي لحظة التجريد، لكـن بطريقـة نبيلـة، مكـث واقفـاً للإنتبـاه بإهتمـام. وكمـا لـو أن، سـيمونيني لاحـظ سـاخراً، اليهـودي القمـيء، وتحديـداً أكثـر دقـة تناسـب ذلـك الوصـف(مغتصِب) كرامة دوره كضابط فرنسي كان غـير قـادر علـى ان يـسأل عـن قـرارات مـسؤوليه الكبـار – كمـا لـو، ومنـذ ان قرروا انـه كـان خائناً، انه سيقبل القضية ولن يسمح لأي شك يساوره. ربما انه شعر حقاً

انه كان خائناً، وان اعلان البراءة كان، تعلقا به، جزءً ضرورياً حسب من الطقوس.

كان هذا ما فكرسيمونيني فيه كيف انه تذكر ذلك، بيد أنه في أحد صناديقه وجد مادة كتبها بريسون في صحيفة Republicqe Francaise، نشرت في اليوم التالي، كانت تختلف تماماً:

في اللحظة التي أعلن فيها الجنرال حكم العار، رفع يده هاتفاً " تعيش فرنسا ,vive la France إنني بريء !"

إنتهى الضابط من مهمته. وسقط الذهب الذي كان يغطي بذلته الرسمية على الأرض، وحتى الشرائط الحمر، وشعار القوات المسلحة، ومعطفه التركي الطويل الأسود تماماً، وقبعته العسكرية الغامقة، وظهر دريفوس الآن مرتدياً ملابس المُدان... إستمر بالهتاف: " إنني بريء. كان الجمهور المحتشد خارج البوابات في الجانب الأخر يرى ملامحه العامة حسب. إنفجروا بصراخ متهكم، وبمواء يشبه الإستهجان. يسمع دريفوس لعناتهم مما اثار غضبه مرة ثانية.

وبينما كان يجتاز مجموعة من الضباط، سمع كلمات " الحمد لله يا يهوذا !" استدار دريفوس حول نفسه بغضب وهو يكرر: " إنني بريء، انني بريء !"

نستطيع الآن أن نميز ملامحه. تفحصناه جيداً للحظات، متمنين أن يحصل على وحي سماوي، بصيرة نافذة في تلك الروح التي تملك

خفايا أعمق والقضاة وحدهم القادرون حتى الآن على الإقتراب واعادة النظر في التدقيق. بيد أن ما هيمن على وجهه هي علامات الغضب التي بلغت ذروتها. كانت شفتاه متوترتين الى حد التجهم المرعب، وراحت عيناه تقدحان شررا. وإننا ندرك إن كان عازماً جداً ويخطو مثل هذه الخطوة العسكرية، فهذا يعود الى أن الغضب خربها وأوشكت أعصابه المشدودة على الإنفجار...

ماذا يختفي في ثنايا روح هذا الإنسان؟ لماذا يستمر في الطاعة، ولماذا لا يحتج ببراءته بهذا الغضب اليائس؟ هل أنه ربما يتأمل دحض الرأي العام، الهام الشك، ان يثير الإشتباه حول نزاهة القضاة الذين ادانوه؟ وخطرت في بالنا فكرة، واضحة كالبرق: إذا كان مذنباً، فلماذا هذا التعذيب المخيف !

ولا يبدو على سيمونيني انه يشعر باي تأنيب ضمير. وذنب دريفوس لا شك فيه، ومعطى ذلك، ان سيمونيني هو الذي قرر. بينا الإختلاف بين مذكراته ومادة الصحيفة ترينا فقط كيف أن القضية قد ازعجت البلد برمته، ورأى الجميع ماقد رأوه من نتائج للأحداث.

في نهاية المطاف، سيذهب دريفوس الى الشيطان، او الى جزيرته. لم يعد سيمونيني يشعر بقلق.

ان ما يُدفع لخدماته، الذي وصله في الوقت المحدد من خلال قنوات سرية، كان في الحقيقة أكثر بكثير مما كان يتوقعه.

احترسوا من تاكسيل

بينما كانت هذه الأحداث تجري، تذكّر سيمونيني انه لم يفقد الإتصال بما كان يقوم به تاكسيل، بخاصة ما تريد ان تقوله مجموعة درومونت عن تلك الأحداث. ويُنظَر الى قضية تاكسيل أولاً وقبل كل شيء بشكوكية skepticism مسلّية(مفهوم فلسفي للوصول من خلاله الى الحقيقة.. المترجم)، ومن ثم، بإنزعاج مفضوح. كان درومونت يُعدُّ مناهضاً للماسونية، ومناهضاً ايضاً للسامية وكاثوليكياً ورعاً – وبطريقته الخاصة كان – ليس بمقدوره تحمّل سبب كونه مدعوماً من قبل مشعوذ. وقد أعدّ درومونت تاكسيل مشعوذا لفترة معينة وهاجمه في صحيفة ,La France juive زاعما أن كتبه كلها قد طبعها اليهود. بيد أن خلال هذه الفترة تدهورت علاقتهما أكثر، لأسباب سياسية.

وكما سمعنا حاليا من آبي دالا بيكولا، أن درومونت و تاكسيل كلاهما ترشحا مستشارين في باريس. ويبحثان عن دعم من مجموعة المصوّتين ذاتها. ولذا بدأت معركتهما فعلاً.

وألف تاكسيل الآن كراساً، عنوانه السيد درومونت، دراسة سايكولوجية،,Monsieur Drumont , étude Psychologique انتقد فيه منافسه درومونت المناهض للسامية بسخرية مفرطة، ولاحظ ان كراهية اليهود اكثر نموذجية بين الصحافة الإشتراكية والثورية من الكاثوليك. وردّ درومونت بالقاء ظلال من الشك على حديث تاكسيل، ومتذكراً

الوحل الذي رماه على المسائل الدينية ومثيراً قضايا مزعجة حول حاجته لمحاربين ضد العالَم اليهودي.

فإذا اعتبرنا سنة ١٨٩٢ قد شاهدت إبداع منشورَينْ في صحيفة- La Libre Parole , في شن الحملة السياسية التي نجحت في كشف فضيحة بنما، وصحيفة الشيطان في القرن التاسع عشر، Le diable siécle au XIXe , التي كانت من الصعوبة عليها أن تصف منشوراً موثقاً – ومن المفهوم أن محرري درومونت يجب أن يعاملوا تاكسيل بإحتقار، وأن صعوباته المتزايدة يجب أن يعقبها احتقار سافر. كان موقع تاكسيل مدمراً، وراقب درومونت، ليس بكثير من النقد، كما بدعم غير مرحب به. وفي قضية غموض ديانا فوغان، وكثير من الإنتهازيين المشكوك في أمرهم كانوا قد تباهوا بمعرفتهم مع امرأة ربما انهم لم يروها بدا.

ونشر دومينيكو مارغيوتا كتابه، مذكرات القائد الأعلى ادرنو للماسونية الفرنسية souvenirs d'un trentetroisième: Adriano Lemmi chef supréme des Francs Macons وأرسل نسخة منه الى ديانا يعلن دعمه لحملتها. وفي رسالته، وصف مارغيوتا نفسه سكرتير محفل سافوناورلا في فلورنسا؛ والمقدّس لمحفل غيوردانو برونو في بالمي، وزعيم المفتشين العموميين الكبار، والحائز على الدرجة الثالثة والثلاثين، للطقوس الإسكتلندية القديمة المقبولة؛ والزعيم الأعلى لشعيرة ممفيس مسرام، والحائز على الدرجة الخامسة والتسعين، ومفتش

محافل مسرام في كالابريا وصقلية، وعضو شرف لمحفل الشرق الكبير في هايتي؛ ونائب عضو في المجلس الإتحادي الأعلى في نابولي؛ والمفتش العام للمحافل الماسونية للكابريين الثلاثة، والسيد الأعلى ل ad vitam للنظام الماسوني الشرقي في مسرام أو مصر، والحائز على الدرجة التاسعة والثلاثين في باريس، والقائد الأعلى لهيكل الفرسان المدافعين عن الماسونية الكونية؛ وعضو شرف ad vitam للمجلس العام الأعلى لإتحاد ايطاليا في باليرمو؛ والمفتش العام الدائم والمفوض الأعلى للإدارة المركزية الكبرى في نابولي؛ وعضو بلاديا الإصلاحي الجديد. وينبغي أن يكون المندوب الماسوني الأكبر، بيد انه قال انه قد تخلى عن الماسونية. قال درومونت انه قد تحول الى الكاثوليكية لأن القيادة السرية العليا للطائفة التي لم تسمح له بقيادتها، كما كان يأمل، ولكن سمحوا بقيادتها للرجل الذي يسمى أدريانو ليمي.

وقد وصف مارغيوتا شخصية ليمي الغامضة وكيف بدأ سيرة حياته كلص في مارسيليا حين زيف رسالة إئتمان بإسم المدفع الصغير وشركاؤه .Falconet and Co في نابولي وكيف سرق حقيبة لؤلؤ وثلثمائة فرنك ذهب من صديقة طبيبه بينا كانت منشغلة بشؤون المطبخ. وبعد أن قضى خدمته في السجن أبحر الى قسطنطينية، حيث دخل في خدمة بقالة اليهودية القديمة للخضار والفواكه، قائلا

إنـه كـان مـستعدا لـرفض تعميـده وسـيقبل ختانـه. وبمـساعدة اليهـود إستطاع بعد ذلك أن يرتقي، وكما نرى، من خلال مراتب الماسونية.

هنا، ختم مارغيوتا حديثه، كيف " أن سلالة اليهـود الملعونـة، الـتي كانـت سـببا لكـل شـرور الإنـسانية، قـد اسـتخدمت كـل تأثيرهـا لتـضمن ذلـك الـشخص الى شعبها، الأكثر خـسة مـن بـين الكـل، ليرتقـي الى الحكومة الكونية السامية في تراتبية الماسونية. "

وابهجت هذه الإتهامات العالَم الكنسي،والبالادينية، وعبدة لوسيفير الـشيطان، والمثلثـات الماسـونية-La Palladisme: Culte de Satan Lucifer dans les triangles masonniques نـشره مارغيوتـا في عـام ٩٥، واسـتهله برسـائل إشـادة مـن أسـاقفة غرينوبـل، مونتاوبـان،و إيكـس، وليمـوغيس، ومينـد، وتارينتـايس، وبـاميرز، وأوران و أنيـسي، فـضلا عـن ليودوف بيافي، بطريرك القدس.

والمـشكلة كانـت معلومـات مارغيوتـا تـضمنت نـصف الـسياسيين في ايطاليـا، وبخاصـة كرسـبي، الـذي كـان ليفتنانـت غاريبالـدي وكـان في ذلك الوقت رئيس الوزراء. كما تضمنت القصص الوهمية حـول شـعائر الماسـونية الـتي طبعـت وبيعـت، وكـان الجميـع سـعداء، ولكـن حالمـا لمسوا الإتصالات الحقيقية بـين الماسـونية والـسلطة الـسياسية شعروا أن ثمة خطرا مزعجا تقوم به بعض الشخصيات الإنتقامية.

وعلى تاكسيل أن يدرك ذلك، ولكنه كـان يحـاول بوضـوح إسـتعادة الخلفيـة الـتي كـان مارغيوتـا يأخـذها منـه، وهكـذا طبـع بإسـم ديانـا، أربعمائـة صـفحة تقريبـاً شـكلت كتـاب، Le 33 éme Crispi، الـذي مـن

خلاله خلط الحقائق المعروفة، مثل فضيحة بانكا رومانا المتضمنة فضيحة كرسبي ايضاً، فضلا عن اخبار حول حلفه مع الشيطان هابوريم ومشاركته في تجمع البولاديين الذين من خلاله اعلنت صوفي فالدر في كل مكان أنها كانت حاملاً ببنت وحين تضعها فإنها ستسميها بإسم معادٍ للمسيحية.

صاح درومونت، فاضحاً " إنها موضوع اوبرا خفيفة ساخرة. ليس ثمة من سبيل لتنفيذ الحملة السياسية !"

حتى الآن كان من المفضل ان يتسلمها الفاتيكان، وهذا ما اغضب درومونت كثيراً. كان لدي الفاتيكان سبب أن يرتبوا مع كرسبي، الذي أزاح الستار عن صرح غيوردانو برونو في ساحة روما، ضحية التعصب الكنيسي، وأنفق ليو الثالث عشر ذلك اليوم، في أداء صلاة الكفارة، أمام تمثال سنت بيتر. ونستطيع أن نتخيل بهجة البابا وهو يتلو الإدعاءات ضد كرسبي: ووجه سكرتيره مونسنيور ساردي، أن لا يرسل لديانا " الدعاء الرسولي " الإعتيادي حسب، ولكن تحياته الحارة والحث على عملها الجدير بالتقديرلإزالة القناع عن " الطائفة الظالمة " وكان ظلم هذه الطائفة برهن على حقيقتها في كتاب ديانا، ويبدو هابوريم بثلاثة رؤوس، وإنسان ذا شعر ملتهب، ووجه قطة، وآخر وجه أفعى - رغم إن ديانا اوضحت بصرامة علمية أنها ما رأته مطلقا على ذلك النحو(وظهر في أحد ابتهالاته كشيخ عجوز تقي بلحية فضية مسرَّحة جداً).

وهمهم درومونت" انهم لم يزعجوا انفسهم ابدا بإحترام معقول ! كيف يتأتى لفتاة أميركية أن تصل حسب الى فرنسا لتعرف أسرار السياسة الإيطالية كلها؟ أنه من الواضح، أن الناس لم يلاحظوا هذه الأشياء، وان ديانا منشغلة بإمور بيع الكتب، ولكن بونيف السامي... بونيف السامي سيُتَّهم بتصديق الهراء ! ويجب على الكنيسة أن تدافع عن هشاشتها !"

كانت La Libre Parole أول من عبَّرت بصراحة عن شكها بوجود ديانا. وكانت قد انضمت حالا الى المطبوعات التي تنادي بوجهات النظر الدينية المُعلَنة مثل العالم والمستقبل، فضلاً عن مجموعات كاثوليكية أخرى، رغم إنهم قاموا بكل شيء، استطاعوا ان يبرهنوا على وجود ديانا. نشرت جريدة Le Rosier de Marie تصريحاً كتبه رئيس كهنوتية الدعاة سنت بير، لوتير، الذي ذكر أنه قد رأى ديانا بصحبة تاكسيل، وبايتيلي، والفنانة التي أدت لوحتها الفنية، رغم إنه حدث في وقت مضى حينما كانت ديانا مستقرة في بالاديان. ويجب ان يكون وجهها الآن مشعا لتحوّلها قريب الحدوث. منذ ان وصفها الكاتب وكما يلي:" انها شابة في الحادية والعشرين من عمرها، فاتنة، طويلة فوق العادة، غير متحفظة، وفية وصادقة، يحف عينيها ذكاء، صاحبة قرار، تملك زمام القيادة، أنيقة الملبس، ذواقة، دون عاطفة، ودون الإكثار من الجواهر التي تبعث على السخرية لكثير من الثريات الأجنبيات... لها عينان غير طبيعيتين مرة بلون زرقة البحر، ومرة أخرى صفراويتين ذهبيتين."

حينما قدمت كأس Chartreuse رفضت كراهية أي شيء له صلة بالكنيسة. يقتصر شرابها على الكونياك حسب.

كان تاكسيل فارس ماغنا pars magna، في تنظيم مؤتمر واسع لمناهضي الماسونية في ترنت، في أيلول /سبتمبر ١٨٩٦. لكن كان هنا، في الحقيقة، شكاً وإنتقاداً مكثفاً من الكاثوليكية الألمانية.

وطلب الأب بومغارتن شهادة ميلاد ديانا وشهادة من كاهن عن عدول ارتدادها. وزعم تاكسيل ان لديه شهادة يحتفظ بها في جيبه، بيد أنه لم يقدمها.

بعد شهر من مؤتمر ترنت، كتب آبي غارنر في Le Peuple Francais وذهب بعيدا في ان يشك ان ديانا كانت تعمية ماسونية، اما الأب بايلي فقد نأى بنفسه عن ذلك في مجلة La Croix المحترمة وتذكر كذلك Kolnische Volkszeitung أن هاكس - باتايلي في السنة ذاتها حين تأسست أول مرة صحيفة الشيطان Le diable ظهرت فيها مقالات متسلسلة كان يجدف في الإله وبجميع كهنته ، وخرج قانون موستل الكنسي، مرة أخرى، ليدعم ديانا، جنبا الى جنب Civilta Cattolica سيفلتا كاتوليكا وسكرتير الكاردينال باروشي، الذي كتب إليها " ليحصنها ضد عاصفة ادعاءات مفترية التي لا تضعها في شك من وجودها."

لا ينقص درومونت إتصالات جيدة في الدوائر المختلفة ولا شحة لحدس صحفي. وما عرف سيمونيني كيف أنه يقوم بذلك، بيد أن درومونت استطاع ان يتعقب أثر هاكس - باتايلي، وربما فاجأه خلال

احدى معضلاته الكحولية، التي من خلالها كان أكثرعرضة للندم والسوداوية. ونتيجة لذلك وقعت دورة الأحداث الدرامية. واعترف هاكس انه كان محتالاً، أولاً في ال Kölnische Volkszeitung ومن بعد ذلك، في جريدة La Libre Parole، وكتب بصراحة: " حين ظهركتاب دورة الجنس البشري encyclical Humanum Genus إعتقدت أن ثمة بعض الأموال تبرهن على سذاجة وهراء لا يسبر غورهما لدى الكاثوليكيين. كل ما تحتاجه هو، أن يمنحك جولي فيرن مظهراً مرعباً لتلك الحكايات قطعا للسبيل. أنا كنت فيرني هذا، وأنا كنت هناك. وإنني مشاهد الخزعبلات، واضعا إياها في سياقات غريبة، متأكداً ان لا احد يستطيع الذهاب ويفحصها. وابتلع الكاثوليك الأمر كله. ومثل هؤلاء الناس الأغبياء حتى في هذه الأيام اذا جاز لي التعبير انني أدفعهم الى الجنون، انهم لا يصدقونني. "

وكتب لوتير في صحيفة Le Rosier de Marie انه ربما كان مضللاً وان الشخص الذي رآه ليس ديانا فوغان، واخيرا ظهر الهجوم الأول لليسوعيين، كتب الأب بورتالي فيétude صحيفة محترمة أخرى. كما لو لم يكن هذا كافياً، وكتبت صحف قليلة أن مونسنيور نورثروب أسقف شارلستون(حيث بايك، الأستاذ الأكبر للأساتذة الكبار من المفترض أن يبقى حياً.) قد رحل الى روما ليطمئن البابا الثالث عشر شخصياً أن الماسونيين في مدينته كانوا أناساً محترمين وليس هناك شيطان في معبدهم. كان درومونت منتصراً. وحل محله تاكسيل. وكانت الحرب ضد الماسونية واليهود قد عادت بجدية مرة أخرى.

(٢٤)

قداس ليلة

السابع عشر من نيسان /ابريل ١٨٩٧،عزيزي الكابتن،صفحاتك الأخيرة تُسهب بطريقة لا تُصدَّق في تواتر الأحداث، ومن الواضح، بينما كنتَ متورطاً بتلك المسائل، كنت أنا منشغلاً بقضايا أخرى. وعلى نحو بيِّن، أنك أُعلمتَ(من المحتم، كنت تحرض تاكسيل وباتايلي اللذين كانا يُبدعان(عما كان يجري من حولي، وربما تتذكرعن الموضوع أكثر ما يمكنني تجميعه.

بينما نحن الآن في نيسان /ابريل، ١٨٩٧، كان التزامي مع تاكسيل وديانا مستمراً أكثر من سنوات عدة. في غضون هذا الوقت قد حدث الشيء الكثير. على سبيل المثال، هل تدبرنا إختفاء بولان؟

قد مضى أقل من سنة بعد أن شرعنا بطبع صحيفة الشيطان، وصل بولان ذات مساء الى اوتيويل، مهتاجاً، وهو يمسح بإستمرار بمنديله زبداً ابيض من على شفتيه.

قال " انني ميت، انهم يقتلونني."

رأى الدكتور بيتايلي أن كأسا من المشروب الروحي الحاد من شأنه أن يعيده الى وضعه الطبيعي. لم يمانع بولان. وبعبارات متكسرة سرد قصة الشعوذة والسحر.

روى لنا انه كان في وضع سيء لا يحسد عليه مع ستانسلاس دي غوتيه ومحفل قبلانية روز كروا، ومع جوزفين بيلادان، وبروحه الإنشقاقية أسس محفل كاثوليكية روزا كروا- الذي يضم الشخصيات التي حققت معهم فعلياً صحيفة الشيطان، ومن وجهة نظري، هناك إختلاف بسيط بين صليبية بيلادان و طائفة فنتراس التي أصبح بولان من خلالها الحَبر الأعظم، وجميع الناس الذين يرتدون رداء القداس ويغطون أجسامهم بالرموزالكابالانية اليهودية. ومن الصعوبة أن نفهم إن كانوا بجوار الرب سبحانه وتعالى أو بجوار الشيطان. ربما كان هذا السبب هوالذي دفع بولان للقتال مع معسكر بيلادان. وذهبوا للبحث عن مؤن في المقاطعة ذاتها ، محاولين إغواء الأرواح الضائعة.

ووصف أصدقاء غوتيه المقربون منه أنه نبيل أصيل(كان ماركيزاً) الذي جمع grimiores الموشّى بالترتر من عمل لول و باراسيلسوس وخطوط معلمه في السحر الأسود والأبيض، أليفاس ليفي، وأعمالا سحرية أخرى محكمة ونادرة جداً. مرت أيامه، ويقال، إنه قضاها في شقة أرضية صغيرة، تقع في شارع ترودیان، حيث أنه لا يستقبل أي أحد خلا المؤمنين بالقوى الخفية، وكان يمكث هناك احياناً لأسابيع دون أن يخرج. وزعم آخرون أنه في تلك الغرف كان يتحارب مع اشباحه، وكان قد ألقى القبض على أحدهم وسجنه في خزانة ملابسه، إنه يعاقر الخمرة والمورفين، ويعطي مادة الى أشباح تصنعها هذياناته.

من الواضح أنه انتقل الى دوائر شريرة، ومن عناوين مقالاته عن العلوم الجهنمية Essays on the Infernal Sceinces التي أدان فيها شيطان بولان أو الشيطاني، إبليس، أو إبليسي، الشر، أو الشرير، ومخططات، تصوره على أنه رجل منحط، حوَّل العهر الى ممارسات طقوسية. "

القصة كانت قديمة. تعود الى عام ١٨٨٧، اجتمع غوتيه، وحاشيته في " مقر تلقين " أدانوا فيه بولان. هل كانت إدانة أخلاقية؟ وقد زعم بولان طويلاً أنه كان قد عوقب بدنياً، وشعر بإستمرار بسوائل غامضة ورماح غير محسوسة تهاجمه، وتضربه، وتجرحه، كان غوتيه وآخرون يلقون بها عليه، من مسافات بعيدة، وكان بولان في منتهى ذكائه.

في كل مساء أخلد فيه للنوم، أشعر أنني أطوف، وثمة منْ ينخسني، يصفعني، وهذا لم يكن تلفيقاً مني لخيال مريض، صدقوني، لأنني في اللحظة ذاتها تُثار قِّطتي على نحو صعقة كهربائية قد تخللت جسمها. أعرف أن غوتيه قد صنع هيئة من شمع يخرمها بإبرة، وأحُّس بطعنات الآلآم. حاولت أن القي بالسحر المضاد لأعميه، بيد أن غوتيه شعر بالفخ؛ أنه أقوى بكثير مني في هذه الفنون، وألقى بالسحر عليّ مرة ثانية. وغشيت عيناي، وضاق نفسي، لا أعرف كم من الساعات سأتحمل هذا العمل."

لم نكن متأكدين أنه كان يخبرنا بالحقيقة، لكن ليس هذا هو الموضوع. إن الرجل المسكين هو مريض فعلاً. كان تاكسيل أوعز لإحدى ومضات إيحاءاته:" قال " إمضِ ودع روحك تجتاز حتفك، ودع أقرب اصدقائك يعلنون أنك توقفت لآونة في رحلتك الى باريس. ولا تعد الى ليون، وابحث عن مأوى لك هنا في هذه المدينة، إحلق لحيتك وشاربيك، وتحول الى إنسان آخر. واستيقظ مرة أخرى، كما ديانا، الى شخص آخر... ولكن ليس كما ديانا، وامكث هناك. وبتلك الطريقة، سيعتقد غوته ومجموعته أنك ميت وتوقف تعذيبك."

" إذا لم أقدر على الذهاب الى ليون، كيف استطيع أن اعيش؟"

" عش معنا هنا في أوتيويل الى أن ينجلي الغبار وسينكشف خصومك. بعد ذلك، ستكون ديانا بحاجة الى مساعدتك الكبيرة، وأنك اكثر نفعا لنا إن كنت هنا ستبقى في كل يوم أكثر من مجرد ضيف."

أضاف تاكسيل " ولكن، إذا كان لديك اصدقاء تثق بهم، قبل أن تجتاز روحك مرحلة الموت، أكتب رسائل مليئة بهواجس الموت واخلق بوضوح إتهامات ضد غوتيه وبيلادان، لذا، فإن مريدي حزنك يمكن أن يشنوا حملة ضد قتلتك."

" وهكذا قضي الأمر. إن الشخص الوحيد الذي يعرف عن الحيلة هي مدام ثيبولت، مساعدة بولان، كاهنة، وكاتمة سر(ربما أكثر من

ذلك) وأعطت اصدقاءه في باريس لمسات وصف لحظات موته. لا أعرف كيف تعاملت مع مريديه في ليون؛ ربما تدبرت دفن تابوت فارغ. وبإختصار بعد ذلك كانت تُستَخدَم كربة بيت من قبل هيوسمان وهو كاتب تقليدي وأحد أصدقاء بولان المدافعين عنه بعد موته - وأنا مقتنع أنه في مساء ما حينما لم أكن في أوتيويل، جاءت مدام ثيبولت لزيارة عشيرها القديم.

عن اخبار موته، هاجم الصحافي جوليس بويس غوتيه في غل بلاز، متهما إياه بشبه ممارسات ساحرة وبقتل بولان، ونشرت لا فيغارو مقابلة مع هيوسمان شارحة فيها التفاصيل كلها وكيف كانت تعمل تعويذات غوتيه. واستمر بويس بإدعاءاته، مرة أخرى، في غل بلاز، مطالباً بالجثة ليرى فيما إذا كان الكبد والقلب قد دمرتهما فعلا سهام رماح غوتيه وحاثاً في الوقت ذاته على تحقيق قضائي.

اجاب غوتيه ايضاً في غل بلاز، مشيراً بسخرية الى قواه الميتة("حسنا، نعم. إنني احمل معظم السموم الحادة بالفن الجهنمي، سأفرقها لترسل ابخرتها السامة، على بعد مئات الفراسخ، في خياشيم أولئك الذين لا أحبهم، انني غيليز دي رايس القرن القادم ")، وتحدى هيوسمان وبويز على حد سواء.

نخر باتايلي من خيشومه ساخراً، مراقباً تلك القوى السحرية، من جانب الى آخر، لا أحد بإمكانه أن يؤذي أحداً، بيد أن صحيفة تولوز

قالت إن ثمة شخصاً حقيقياً كان يستخدم السحر: فثمة عربة ذات خيول اربع تقل بويز الى المبارزة تقوضت دون سبب واضح، استبدل احد الخيول، وسقط هوالآخر ايضاً على الأرض، وانقلبت العربة، لكن وصل بويز الى ساحة الشرف تغطي رأسه الكدمات والخدوش. بل أكثر من ذلك، كان أخيراً قد ادعى أن احدى الرصاصات قد توقفت في ماسور المسدس بإيحاء من قوة خارقة.

وأرسل اصدقاء بولان معلومات الى الصحافة أن روز كروا بيلادين قامت بإحتفال قداس في ساحة نوتردام، ولكن في لحظة السمو لوحوا بخناجرهم مهددين المذبح. مَنْ ذلك الذي يعرف ما حدث حقاً؟ وتعلقاً بصحيفة الشيطان عدّت ان هذا كان خدعة كبيرة في حين اعتاد قراؤها على الأخبار الأخرى. ما عدا ذلك البولان اعاد خنجره الى غمده، وكان الى حدما احتفال غير رسمي.

ذكّره باتايلي " انك ميت، ومهما قالوا عن هذا الإختفاء فإنه لم يعد يهمك كثيراً، الى جانب ذلك، إذا شاء لك أن تظهر مرة اخرى في يوم ما، فيجب أن نضفي حولك هالة من الغموض تكون لفائدتك حسب. لذا، لا تقلق عما نكتبه. لن يكون عنك لكنه عن شخصية بولان التي لم تعد موجودة. "

وافق بولان، ربما في هذيان نرجسيته، إستمتع بقراءة ما كان باتايلي يحلم بممارساته السرية. لكن في الواقع بدا الآن يركز على

ديانا حسب. مكث الى جانبها بثبات الهوس، في الغالب، قلق عليها، وباتت على نحو مضطرد تنام بتأثير أوهامه وخيالاته، على نحو لم تعش حياة واقعية كافية فعلا.

~~~

انك وصفت بإسلوب جيد ماذا قد حدث بعد ذلك. فقد انشق العالم الكاثوليكي الى شطرين. واحدهما شك فعلاً بوجود ديانا فوغان الحقيقي. وتخلى هاكز عن اللعبة، وتهاوت تلك القلعة التي بناها تاكسيل. ويضايقنا الآن خصومنا بغارات متكررة في الوقت نفسه ومن قبل كثير من شخصيات ديانا المقلّدة، أمثال ذلك الرجل مارغيوتا، الذي كنت قد ذكرته فعلا. إننا ندرك أننا ذهبنا بعيداً؛ ان فكرة الشيطان ذي الرؤوس الثلاثة التي حضرت وليمتها مع قائد الحكومة الإيطالية من الصعوبة بمكان تجرعها.

وبإجتماعات قليلة مع الأب بيرغاماشي قد أقنعتني حتى وإن قرر يسوعيّو الرومان في جمعية الحضارة الكاثوليكية Civilta Cattolica الإستمرار بدعم قضية ديانا، وكان اليسوعيون الفرنسيون(كما هو واضح من المادة التي كتبها الأب بارتاليه Portalié التي أشرتَ إليها) صمموا عملياً التخلي عن القصة برمتها. وثمة حديث موجز جرى مع هيبوتيرن قد أقنعني أن الماسونيين لا يمكنهم إنتظار استمرار المهزلة الى نهايتها. واراد الكاثوليك الإنتهاء منها بهدوء، كي لا يجلبوا المزيد
~~~

مـن التـشويه لـسمعة الهيراركيـة، بيـد أن الماسـونيين قـرروا عـدولا دراماتيكيـاً، لـذا فـإن سـنوات دعايـة تاكـسيل كلـها ضـد الماسـونية قـد وُصفت أنها محض نذالة.

وهكذا، في يوم ما تـسلمت رسـالتين في الوقـت ذاتـه. واحـدة مـن الأب بيرغاماشي، تقول " أخولك أن تقدم الى تاكـسيل خمـسين الـف فرنكاً لإغـلاق كـل الأعمـال. الأخويّة في Xt، بيرغاماشـي." والأخـرى، من هيبوتيرن، تذكر " دعنا نضع حـداً لـه. قـدم الى تاكـسيل مائـة ألـف فرنك أنه اعترف وأعلن جهارا أنه لفق كل شيء. "

أغلقت الرسالتين. وكل ما عليّ القيام بـه هـو أن اتـابع الموضـوع- بعد، أن أوعز الى الحسابات بصرف المبلغ المذكور بالطبع.

جعل ارتداد هاكز مهمتي أسهل. كل ما عليّ فعله هو حث تاكسيل علـى ان يتحـول وربمـا لا يتحـول. ومـرة أخـرى، أنـني املـك مائـة وخمسين ألف فرنكاً، في بداية هذا العمل، وخمسة وسبعين ألف فرنكا كانت كافية لتاكسيل، لأن لدي مناقشات أكثر اقناعاً من المال.

قال تاكسيل، " إننا خسرنا هاكز، وإنـه مـن الـصعوبة أن نفضح ديانا في الإختبار العام. انني أفكر كيف نتخلص منها، بيد انني قلـق عليـك. ممـا قـد سمعتـه يبـدو أن الماسـونيين قـد قـرروا وضـع حـد لكـل الإمـور معك، وانك شخصياً قد كتبـت أن انتقـامهم يمكـن أن يكـون دمويـاً. أو لأنـك دافعـت عـن الـرأي العـام الكـاثوليكي، لكـن الآن بإمكانـك أن

تدرك أن حتى اليسوعيين ينسحبون بعيدا وخلسة. لهذا السبب نراهم يعرضون عليك فرصة إستثنائية: محفلاً – لا تسألني أي محفل يكون سريا للغاية – أنهم يعرضون عليك خمسة وسبعين ألف فرنكاً إذا أعلنت صراحة أنك خدعت الجميع. إنك تدرك أن فائدته تعود الى الماسونية: إنهم سيتطهرون من الوحل الذي لصقته بهم وسيعلق بالكاثوليك بدلاً منهم؛ وسيلتقون مصادفة لا يصدقها حتى السذج، وأنك حتى معني بالدعاية في هذه الدورة من الأحداث، وعملك القادم سيكون مبيعه أكثر من اعمالك السابقة، التي كانت تباع بكميات قليلة وأقلها الى الكاثوليكيين. إنك ستربح مرة ثانية لمناهضتك الإكليركية والشعبية الماسونية. إنك تستحق ثروتك.

إنه ما احتاج الى كثير من الإقناع. لأن تاكسيل مهرج، واجتراح فكرة جديدة من التهريج جلبت بريقاً في عينيه.

" إصغ إليّ، يا عزيزي آبي، سأستاجرغرفة وأخبر الصحافة أنه في يوم ما ستظهر ديانا فوغان وستُعرَض أمام التصوير العام الشيطانة آسموديوس التي ستأخذ رخصة من لوسيفير الشيطان ! وفي منشور، دعنا نقول إنني أعدكم أنني سأجري قرعة بين أولئك الحاضرين على آلة طابعة قيمتها أربعمائة فرنك. لسنا بحاجة أن نذهب مباشرة مع آلة الطباعة لأنني سأظهر وأقول إن ديانا غير موجودة أصلا – وإذا لم تكن موجودة فبالطبع أن الآلة الكاتبة غير موجودة هي الأخرى. أستطيع أن أراها فعلا الآن: سأصل الى مقدمة صفحة جميع الأوراق. رائع.

امنحني الوقت لأنظم الحادثة بطريقة افضل، اذا لم يكن لديك مانع، إطلب مقدماً الخمسة والسبعين فرنكاً، كنفقات.

في اليوم التالي، وجد تاكسيل قاعة في الجمعية الجغرافية Societe de Geographie، وستكون مجانية في عيد الفصح. تذكرت أن أقول: " بعد مضي شهر تقريباً. من الأفضل أن تتوارى فيه خلال هذا الوقت، وذلك كي تتجنب اثارة الكثير من القيل والقال. في هذه الغضون، انني أفكر ماذا ستفعل مع ديانا."

تردد تاكسل للحظة. كانت شفته ترتجف، كما شاربيه " انك لا تريد... ازالة ديانا؟" سأل.

أجبت " بالطبع كلا، لا تنس،أنني رجل دين. إنني سأعيدها الى مكانها من حيث أتيت بها أنا."

وبدا انه ثكل بفكرة فقدان ديانا، لكن خوفه من انتقام الماسونية كان أقوى من انجذابه الى ديانا من اي وقت مضى. فضلاً عن كونه وغداً، جباناً. كيف يكون رد فعله إذا قلت " نعم، أنا أنوي إزاحة ديانا؟" ربما خوفاً من الماسونيين، انه في هذه الحالة سيقبل الفكرة – وهكذا طالما انه لم يقم بهذا الفعل.

سيكون عيد الفصح في التاسع عشر من نيسان /ابريل. هكذا، إذا تكلمتُ بعد انتظار شهر منذ مغادرتي تاكسيل، لا بد وان يكون تأريخها التاسع عشر أوالعشرين من مارس \ آذار. واليوم هو السابع عشر من نيسان. لذلك، فإن جمع الأحداث تدريجياً للسنوات العشر الماضية، أكون قد وصلت تماماً قبل شهر. وإذا كانت هذه اليوميات قد

ساعدتني، وان تكتشف ما الذي سبب فقداني الحالي لذاكرتي، ولا شيء قد حدث ابداً. او ربما ان الحادثة الحاسمة وقعت خلال الأسابيع الأربعة الماضية.

والآن كما لو أنني اشعر برعب حقيقي لأنني لا اتذكر اي شيء.

الثامن عشر من فجر نيسان /ابريل.

بينما كان تاكسيل يطوف بإهتياج وإثارة حول الدار، كانت ديانا لا تدرك تماماً ماذا كان يجري. في مناوبتها بين حالتيها الإثنتين، تابعت مناقشاتنا الخاصة عن غياب الوعي، وبدت تستعيد وعيها حسب، وحين نأتي على ذكر شخص أو مكان يبعث وميضاً خافتاً في ذهنها.

كانت تتدهور تدريجياً الى حالة من البصيص مصحوباً بسمة من سمات حيوان، وشهوة حيوانية على نحو مضطرد، توجهها بحرية بإزاء تاكسيل، و باتايلي حين كان يمكث معنا، وبولان، بالطبع- رغم إنني حاولت أن لا أعرض عليها اية ذريعة - وانا ايضاً.

كانت ديانا قد بلغت العشرين من عمرها تقريباً حين دخلت مجموعتنا وهي الآن تبلغ الخامسة والثلاثين. قال تاكسيل وثمة ابتسامة ترتسم على وجهه على نحو متزايد، أنها تصبح أكثر جاذبية كلما نضجت، كما لو أن المرأة التي تزيد عن الثلاثين تكون مرغوبة اكثر. ربما حيويتها النامية في الغالب تمنحها جمالاً ملغزاً لنظراتها.

لكن هذه الإنحرافات التي لم أكن خبيراً بها. يا الهي، لماذا أمعن النظر في جسد تلك المرأة، التي لا تعني تعلقاً بنا أكثر من وسيلة بائسة؟

~~~
~~~

قد قلت إن ديانا لا تعي ماذا كان يجري. ربما كنت مخطئا. ففي آذار /مارس تحولت الى إمرأة محمومة، لأنها لم تعد ترى تاكسيل أوباتايلي. كانت في قبضات الهيستيريا،(قالت) الشيطان كان يعذبها بقسوة، ويجرحها، ويعضها، ويلوي ساقيها، ويصفع وجهها - وارتني علامات مزرّقة حول عينيها، وعلامات جروح شبيهة بالندوب تظهر على راحة يديها. سألت لماذا تفعل القوى الشيطاينة بقسوة إزاء انسان كان بولادياً متعصباً للوسيفير وتشبثت بقوة بتلابيب عباءتي كما لو أنها تطلب نجدة.

فكرتُ ببولان، الذي يعرف كثيراً عن الوحشية أكثر مما أعرف، وفي الحقيقة، حالما استدعيته أمسكت ديانا بذراعيه وبدأت تختض. وضع يديه على قذالها وهدأها، وهمَّ يتحدث إليها بهدوء، ثم بصق في فمها.

قال " ومَنْ أخبركِ، يا بنيتي، أن ذلك الشخص الذي أخضعك الى هذه العذابات هو سيدك لوسيفير؟ ألا تشعرين، بالإزدراء، والأذى لإيمانك بالبالاديين، ان عدوك، هو عدوك بإمتياز، انه الدهر الذي اطلق المسيحيون على اليسوع إسم المسيح، او احد شياطينه المفترضين؟"

قالت ديانا بإضطراب " لكن يا أبي، إن كنتُ بالادينية لأنني لم أعترف بأي قوة للمسيح الطاغية، وقد وقفت ذات يوم بوجه مثل هذا الإمتداد وسيأتي ذلك اليوم لأطعن بالقربان المقدس لأنني إعتقدت انه من الجنون أن نعترف بذلك الحضور الحقيقي الذي كان عبارة عن كتلة من الطحين."

" انك على خطأ يا طفلتي. إنظري ماذا يفعل المسيحيون، الذين اعترفوا بالسلطة العليا لمسيحهم، نعم، ورغم ذلك، فإنهم لا ينكرون وجود الشيطان؛ انهم في الحقيقة، يخافون من اغراءاته، وعداوته، وغواياته. وإننا يجب أن نقوم بطريقة مماثلة. فإذا آمنا بقوة سيدنا لوسيفير، لأننا نؤمن ان عدوه أدوناي هو وجود روحي، حتى وإن كان في مظهر المسيح، ويظهر نفسه من خلال ظلمه. لذلك يجب أن تنحني لتدوسي فوق صورة عدوك وبالطريقة الوحيدة عينها التي سمح المُخلِصْ لوسيفير القيام بها."

" ما هي؟"

" القداس الأسود، أنك لن تحصلي على خير لوسيفير ربنا بإستثناء الإحتفال برفضك لرب المسيحية من خلال رفضك القداس الأسود."

بدت ديانا مقتنعة، وطلب بولان السماح مني بأن يأخذها الى اجتماع التكريس الإبليسي، في محاولة منه لإقناعها ان الشيطانية واللوسيفيرية والبولادينية لديهم الغرض ذاته ووظيفة التطهير ذاتها.

إنني لا اسمح لديانا خارج هذه الدار، ولكن يجب عليّ أن امنحها فضاءً لتتنشق الهواء.

~~~

وجدت آبي بولان في حديث حميم مع ديانا " هل استمتعتِ يوم أمس؟ "

" ماذا حدث يوم أمس؟"
~~~

إستمر آبي: " حسن، صباح غد يجب أن احتفل بقداس مهيب آخر في كنيسة التكريس في باسي. مساء رائع، أنه الحادي والعشرون، في يوم ربيع معتدل، يوم مليء بالغموض السحري. لكن إن وافقت على المجيء، سأهيؤك روحياً، الآن، الإعتراف حسب."

غادرتُ، وبقي بولان معها أكثر من ساعة. وحين استدعاني أخيراً مرة ثانية، قال، إن ديانا ستذهب الى كنيسة باسي في اليوم التالي، وتريدني أن اصطحبها.

" نعم، يا آبي " قالت لي ديانا وعيناها تلمعان بطريقة غير عادية، وتورّد خداها. " من فضلك إفعل "

ينبغي أن ارفض. لكنني كنت فضولياً وما أردت ان يفكر بولان بأنني متزمت.

~~~

رحت ارتجف وأنا أكتب. تلتقي يدي بالصفحة عفوياً تقريباً. إنني لا أتذكر، لكن ذاكرتي نشطت، على نحو أصِفُ شيئاً يحدث في هذه اللحظة بالذات.

إنه مساء الحادي والعشرون. وأنت أيها الكابتن، شرعت بيومياتك في الرابع والعشرين من آذار/مارس، إسرد كيف أنني فقدت ذاكرتي في صباح الثاني والعشرين. إن كان ثمة شيء مزعج قد حدث، فلابد أن يكون هذا في مساء الحادي والعشرين منه.
~~~

إنني أحاول تجميع افكاري بيد أنني أجد صعوبة في ذلك، أنني محموم، أنني خائف، جبهتي تكاد تحترق.

نقلت ديانا معي في العربة الى أوتيويل، أعطيت عنواناً الى سائق عربة صغيرة للإجرة، الذي حدجني بنظرة من زاوية إحدى عينيه كما لو أنه لا يثق براكب من أمثالي، بالرغم من أرديتي الدينية، ولكن حين نقدته بقشيشاً سخياً إنطلق دون أن يلوي على شيء. إننا سرنا أبعد فأبعد من مركز المدينة، وعبر الطرق التي تحولت من ظلام الى ظلام، الى أن دخلنا زقاقاً محاطاً بدور مهجورة سرعان ما تنتهي الى واجهة مهجورة لكنيسة صغيرة.

ترجلنا، كان الحوذي يبدو قلقاً، لهذه المسافة الطويلة التي قطعناها، حين دفعت الإجرة، بحثت في جيوبي عن بعض الفرنكات القليلة، صاح " لا يهم، أيها الأب، شكراً، على كل حال !" واستغنى عن البقشيش لأنه يريد المغادرة بأسرع ما يمكن.

قالت ديانا " انني اشعر بالبرد، إنني خائفة " وضغطت بجسمها على جسمي. تراجعتُ للوراء، بيد انه في الوقت ذاته، رغم إنني لم أر ذراعها، شعرت به من خلف ملابسها، وأدركت أنها مرتدية ملابس غريبة:عباءة ذات قناع، تغطي جرمها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها، بحيث يتوهم المرء في الظلام أنها راهبة، أو أنها إحدى الشخصيات في الروايات القوطية التي تظهر في أقبية دير اللائي يرتدين الزي لموضة بداية هذا القرن. لم أر مثله من قبل أبداً، وبعد

ذلك مرة أخرى، رغم ذلك، لم يخطر ببالي أبداً أن افحص جذعها مع كل الأشياء التي جلبتها معها من منزل الدكتور دو موريه.

كان باب الكنيسة الصغيرة نصف موارب. دخلنا صحناً وحيداً مضاءً بمجموعة من الشموع تحرق المذبح ومجموعة من حوامل مضاءة تشكل دائرة صغيرة قليلة الإنحناء. كان المذبح يغطيه كفن مظلم، يشبه تلك الأكفان التي تستخدم في الجنائز. في الأعلى في مكان الصليب أو صورة أخرى، ثمة تمثال لشيطان على شكل تيس يبرز قضيبه الكبير المنتصب الذي لا يقل طوله على ثلاثين سنتميترا. لم تكن الشموع الآن بيض أو عاجية اللون لكنها سود. في مركز المذبح، في المعبد، ثمة ثلاثة جماجم.

همست ديانا في أذني " أخبرني آبي عنها، أنهم الأولاد الثلاثة الحقيقيون لما تبقي لماغي، ثيوبينس ومنسير وسائيير. وهم الذين تلقوا تحذيراً من نجمة شاهدوها تخر محترقة، وهربوا من فلسطين كي لا يكونوا شهوداً على مولد المسيح."

في مقدمة المذبح، إنتظم صف من الفتيان والفتيات مشكلين نصف دائرة، الفتيان على اليمين والفتيات على الشمال. وكلتا المجموعتين لم تبلغا سن النضج خلا اختلافات طفيفة يمكن ملاحظتها بين الجنسين، وسيبدو ذلك المدرج الساحر محتلاً من خنثويين جميلين. تخفي خلافاتهم القليلة انهم جميعا يضعون تيجاناً من الورود الجافة على رؤوسهم، بإستثناء الفتيان فهم عراة وبالإمكان تمييزهم عن طريق أعضائهم التناسلية، التي يباهى بها بعضهم بعضا، بينما الفتيات يغطي

أجسامهن إهاب طويل في الغالب من قماش شفيف، يلامس نهودهن اليافعة وعجيزاتهن غير الناضجة، دون أن يخفين شيئاً. جميعهم جميلون جداً، رغم ان وجوههم كانت تعبر عن مكر أكثر من البراءة، ولكن هذا بالتأكيد لا يزيدهم إلاّ فتنة- وعليّ أن اعترف(بالوضع الغريب، لأنني رجل دين، أعترف أمامك يا كابتن !) ففي الوقت الذي لم أكن فيه مرعوباً، وعلى الأقل خائفاً أمام امرأة هي الآن ناضجة، فمن الصعوبة علي مقاومة الإغواء لمخلوق ما بعد البلوغ.

يحمل هؤلاء الشماسون غير العاديين أغصاناً راتينجية الى حوامل الشموع، لإنارتها، فضلا عن مباخر يتصاعد منها دخان ونكهة ضعيفة من توابل غريبة تزكم الأنوف. من العراة الآخرين، أطفال رشيقون يوزعون أكوابا صغيرة، وقدم أحدهم لي كوباً، قائلا وهو يحدجني بوقاحة " إشرب يا مسيو آبي، أنه يساعدك على دخول روح الطقوس."

شربته والآن أرى وأسمع كل شيء كما لو أنني في جو ضبابي.

هنا دخل بولان. كان يرتدي معطفاً قصيراً عادة ما يوضع على أحد الكتفين، وفوقه رداء القداس الأحمر موشى بصليب مقلوب. في تقاطع الذراعين للصليب رُسِمتْ صورة التيس الأسود مقعياً على ساقيه الخلفيتين ناشراً قرونه. وفي أول حركة، أخذ آبي، على نحو يقوم من قبيل المصادفة أو الإهمال، يخرج رائحة نحاسية نتنة، ويفتح رداء القداس الأحمر من على كتفه ليكشف عن قضيب ذي نسب ملحوظة لا يمكنني تخيله لدى ذلك الشخص الرخو، وانتصب حالاً، بسبب تناوله بعض المخدرات قبل وقت قريب. يرتدي في فخذيه

جوربين شفافين، شبيهين بذينك اللذين ترتديهما سيليست موغادور حينما كانت ترقص رقصة الكان كان في بال مابيل(والآن أعيد انتاجها في Charivari في منشورات اسبوعية أخرى، وهناك، وأسفاه، لم يرها آبي والكهنة، شاؤوا أم أبوا).

أدار الكاهن الذي يقوم بالقداس ظهره للمحفل وشرع بقداسه باللغة اللاتينية بينما الفتية الخنثويون يرددون:

In nomine Astaroth et Asmodée Beelzébuth Introibo ad " altare Satanae"

" Qui laetificat cupiditatem nostram."

"Lucifer omnipotens ,emitte tenebram tuam et offlige inimicos nostros."

"Ostende nobis ,Domine Satana, potentiam tuam, et exaudi luxuriam meam."

" Et bllasphemia mea ad te veniat."

أخرج بولان صليباً من جلبابه، ووضعه تحت قدمه وداسه عدة مرات " آه،أيها الصليب، اني اسحقك في ذاكرتي، وانتقم من الزعماء القدماء للمعبد. اسحقك لأنك كنت وسيلة تقديس كاذبة للرب المسيح الزائف."

في هذه اللحظة، وبدون انذار، وكما لو أنها صُعقت بنور(لكن بالتأكيد عقب المعلومات التي أعطاها إياها بولان يوم أمس في الإعتراف) عبرت صحن الكنيسة بين مجموعتين من المتعصبين

ودلفت بإستقامة الى قدمي المذبح. واستدارت الى المؤمنين(أو غير المؤمنين، كما كانوا) وبإشارة كهنوتية، نزعت بسرعة قلنسوتها وروبها وظهرت عارية تماماً، لا استطيع وصفها، يا كابتن سيمونيني، ولكن كما لو انني أراها الآن، كاشفة النقاب مثل آزيس، وجهها مغطى حسب بقناع أسود شفيف.

تغلبت على نفسي، على نحو نوبة تشنج عضلي، أرى لأول مرة جسد امرأة عار لا يطاق، وشعراً ذهبياً مائلاً للصفرة محافظة على عفته وعقصته على شكل كعكة أطلقته بحرية خلف رأسها، وسقط دون احتشام ليعانق ارداف مستديرة شريرة، ورقبة نحيفة متغطرسة لهذا التمثال الوثني الذي يرتفع مثل عمود فوق كتفين بيضاوين رخاميين، بينما ينتصب نهداها(وأنا أرى لأول مرة صدر إمرأة عار) بغطرسة واعتداد شيطاني. وبينهما قلادة مدلاة.

استدارت ديانا وتسلقت ثلاث درجات بإتجاه المذبح بسهولة، بعد ذلك، ساعدها الكاهن، اتكأت عليه. استقر رأسها على وسادة حريرية سوداء فضية مهدَّبة، تدلىّ رأسها على حافة المذبح، وتقوس بطنها برقة، وانفرج ساقاها ليظهرا شعراً كستنائياً خافيا مدخل المرأة بينما جسمها يشرق بطريقة مخيفة تحت توهج الشموع الأحمر. يا إلهي ! لا استطيع وصف ما قد رأته عيناي. كان كما لو ان رعبي الطبيعي من جسد المرأة وخوفي يتحركان داخلي ويمتزجان تاركين محض فضاء لشعور واحد جديد. كما لو أن ثمة إكسيراً لا مثيل له يجري الآن في شراييني..

وضع بولان قضيباً عاجياً صغيراً على صدر ديانا، وعلى بطنها ملابس موشّاة ومن خلالها وضع كأساً مصنوعاً من حجر قاتم.

من خلال كأس أخرج خبز القداس، ليس من ذلك النوع المكرَّس الذي تتاجر فيه، يا كابتن سيمونيني، ولكنها رقاقة من تلك الرقاقات التي كان يستخدمها الكاهن في عهد الكنيسة الرومانية المقدسة، رغم انه من المحتمل قد حَرِمْت الآن، كانت على وشك أن تكرس على بطن ديانا.

قال:" Suscipe , Domine Satana , hanc hostiam , quam ego indignus famulus tuus offero tibi Amen. "

أخذ خبز القربان المقدس، وبعد أن أدلاه مرتين نحو الأسفل، رفعه مرتين بإزاء السماء وأداره مرة نحو اليمين واخرى نحو الشمال، وأظهره الى جمع المحفل، قائلاً: " من الجنوب أستدعي خير الشيطان، ومن الشرق خير لوسيفير، ومن الشمال خير بيليال، ومن الغرب خير ليفياثان. إفتحوا القلاع على مصاريعها للجحيم، وحراسي لجحيم بوتومليس بت، أناشد هذه الأسماء، تعالي إلي. أبونا، الذي في الجحيم، الملعون اسمك، مملكتك باطلة، مشيئتك محتقرة، على الأرض كما في الجحيم ! ربما إسم الوحش يُمجَّد.!"

وردّدت مجموعة الفتيان والفتيات، بصوت عال: " ستة، ستة، ستة." هذا رقم الوحش !

صرخ الآن بولان: " ربما سيُمَّجد لوسيفير، الذي إسمه دوم. آه يا زعيم الذنوب، الحب غير الطبيعي، ياسفاح ذوي القربى، ولوط

الإلهي، والشيطان، أنه انت الذي نقدس ! وأنت أيها المسيح، أنا مجبر أن اتحـول الى جـسد في خبـز القربـان المقـدس هـذا، لـذلك، نعيـد آلامك وعذاباتك، وأنك مرة أخرى، مع مسامير صلبك وثقوبك برمح لونغينوس ! "

" ستة ستة ستة، " كرر الفتية والفتيان.

رفع بولان خبز القربان المقدس واعلن " في البداية كان الصلب، والصلب كان مع لوسيفير، والصلب كان لوسيفير عينه. والصلب كان في البدء مع لوسيفير: وكل شيء كان من صنعه، ومن دونه لا شيء يمكن صنعه. والصلب صنع الكلمة وآوى معنا في الظلام. وإننا خلف اشراق الغموض لوسيفير انجبنا بنتاً، ملأت الكون صراخاً، وغضباً ورغبة."

وأزلج خبز القربان الى بطن ديانا، وبعد ذلك أدخله في مهبلها. وبينما هو يحركه،راح يرفعه بإزاء الصرة، صارخاً بصوت عال: " خذي وكلي !"

وسجد خنثوان اثنان امامه، رافعيْن معطفه الإغريقي من على كتفه، وراحا يقبلان عضوه المنتصب. ومن بعد ذلك سجد كل افراد المجموعة المراهقين عند قدميه، وبينما شرعوا بالإستمناء، أخذت الفتيات تسحب حجاب احداهن الأخرى ويتدحرجن بعضهن فوق البعض مطلقات صرخات شهوانية. وامتلأ الجو بالآخرين، والرائحة العنيفة التي لا تطاق، وجميع أولئك الذين يشاهدون، بداية كانت تأوهات شبقية، تلاها لهاث جدل، اخدوا بالتعري وبدأوا بمضاجعة

بعضهم بعضاً، دون تمييز بين الجنس أو العمر، ومن خلال البخار رأيت عجوزاً شمطاء، فوق السبعين من عمرها، كان جلدها متغضنا جداً، نهداها ضامرين مثل ورقتي اللوتس، ساقاها هيكلان، تتدحرج فوق الأرض وقبلها أحد المراهقين بنهم في فرجها.

رحت أختض من قمة رأسي حتى أخمص قدمي، تلفتُّ من حولي لأبحث عن مهرب من وكر الشر، إذ إن الحيز الذي أجثم فيه مليء بدخان كثيف مسموم. وما قد شربته في البداية فإنه بالتأكيد اثملني. لم أعد أفكر بطريقة مستقيمة، وأرى كل شيء كما لو أنه آتٍ من غيمة حمراء. ألمح ومن خلالها جرم ديانا، ما لبثت عارية، دون قناع، هابطة من جهة المذبح. كان الحشد المجنون، رغم استمرار فوضى أجسادهم، فسحوا لها الطريق لتمر، وتتجه إليّ.

كنت ارزح تحت وطأة الخوف الذي شرع بالتناقص ليصل الى حالة الحشد المحموم ذاتها. تراجعتُ نحو الخلف ولكن في نهاية المطاف وجدتُ نفسي أمام قائم. تقترب مني ديانا لاهثة وترتمي فوقي. آه، إلهي ! قلمي يرتجف، أفكاري واهنة، باكياً كما لو أنني(بين الحين والآخر) أعيش الإشمئزاز، غير قادر على الصراخ لأنها ملأت فمي بشيء لا يعود إلي. شعرت بنفسي أتدحرج على الأرض – أثملتني رائحة البخار. جسمها يحاول الإتحاد بجسمي ليوقظ رغبة شبه ميتة في داخلي. إنني الآن ألمس ذلك الجسم الغريب(بيديّ، على نحو أنني أريده !) واستحوذ عليه كما لو أنني كنت في حالة من الهستيريا في سالبيتريرSalpétriere . إخترقت جرحاً بليغاً في داخلها

بفضول طبيب جراح أتوسل الى تلك الساحرة أن تتركني، عضضتها دفاعا عن نفسي، صرخت بوجهي أن افعلها مرة ثانية. رفعت رأسي للخلف، مفكرا بالدكتور تيسوت. إنني اعرف مثل هذه الحماسة ستسبب الإضمحلال لكل جسمي، كما سيضفي شحوباً رمادياً على وجهي الميت، ورؤية رمادية وأحلاماً مروعة، وصوتاً أجش، وآلاماً في بؤبيء عينيّ،وغزواً مهلكاً للعلامات الحمر على وجهي. وتقيؤاً لمواد كلسية وخفقاناً – وأخيراً، العمى والسفلس.

ورغم إننيْ لم أعد بإمكاني أن أرى، فإنني اشعر بأحاسيس مبرِّحة لا توصف ولا تطاق لحياتي، وكما لو أن دمي يتدفق خلال شراييني فجأة لتمزق جميع أطرافي، من فمي، من إذنيّ، من اطراف أصابعي، من شرجي، النجدة، النجدة، وعرفت الآن ما هو الموت، ينتفض من ذلك الكائن الحي البشري، حتى وإن بحث عنه من خلل غريزة غير طبيعية لمضاعفة نسله.

لم يعد بإمكاني الكتابة، لم يعد بإمكاني التذكر، أنني استعيد حياتي، كانت تجربة لا تطاق، كم أتمنى لو أنني استطيع نسيانها...

~~~

وأنا استرجع حالتي الشعورية، وجدت بولان الى جانبي يمسك بيد ديانا، كانت عباءتها تغطيها مرة ثانية. أخبرني بولان أن ثمة عربة واقفة في الباب. " من الأفضل لك أن تأخذ ديانا الى البيت، يبدو أنها منهكة." إنها تختض وتتمتم بكلمات غامضة.
~~~

كان بولان ملزما بشكل غير طبيعي، وفي بداية الأمر إعتقد أنه كان يريد الإعتذار عن شيء ما – بعد كل ذلك، أنه هو الذي جرني الى هذه الأعمال المثيرة للإشمئزاز. لكن حينما اعلمته بإمكانه الذهاب وأنني سأعتني بديانا، بيد أنه أصر على المجيء معنا، مذكراً اياي أنه يعيش في اوتيويل ايضاً. يبدو أنه غيور. وكي ازعجه قلت انني لن اذهب الى أوتيويل ولكن سأذهب الى مكان آخر، وسآخذ ديانا كصديقة موثوق بها.

امتقع لونه، كما لو أنني احمل معي غنيمة تعود إليه. قال " لا بأس، سأصحبكما ايضاً. لأن ديانا بحاجة الى مساعدة."

بعد ان استقّلينا عربة الإجرة ناولت عنواني، Maitre- Albert، دون أن أفكر بأي شيء، على نحو قررت ان ديانا لم تعد تسكن في اوتيويل. نظر بولان اليّ بإنشداه، بيد أنه التزم الصمت، وصعد الى العربة ممسكاً بيد ديانا.

لم نتفوه بأي كلمة خلال رحلتنا. قدتهما الى شقتي. وضعت ديانا على السرير، قبضت على رسغها وتحدثت اليها، لأول مرة بعد كل الذي حدث بيننا.

صرختُ " لماذا، لماذا؟ "

حاول بولان أن يتدخل، لكنني دفعته بعنف بإتجاه الحائط، مسبباً بذلك انزلاقه نحو الأرض. وحينها ادركت أن هذا الشيطان كان ضعيفاً ومريضاً، وبالمقارنة معه، وجدت نفسي هرقل.

تصارعَتُ مع ديانا بحرية، سقطت عباءتها مفتوحة على صدرها. لم استطع تحمل رؤية جسمها مرة ثانية، حاولت تغطيتها، لمست يدي سلسلة مداليتها. وبإختصار، سحبتها، وبقيت في يدي، حاولت ديانا استرجاعها، وسرتُ بإتجاه الغرفة وفتحتُ صندوق المجوهرات الصغير.

كانت في داخله رسوم توضيحية ذهبية، دون شك، كانت لوحات سفرتكوين موسى، وبعض الكتابات العبرية. " ماذا تعني هذه؟" سألت، مقترباً من سرير ديانا، عيناها تحدجان بذهول. ماذا تعني هذه الرموز خلف صورة امك؟

دمدمت ببلاهة، " كانت أمي يهودية... وتؤمن بأدوناي... "

اذن هكذا الأمر، لم يتح لي الجِماع مع امرأة من سلالة الشيطان، ولكن مع امرأة يهودية ايضاً. ورغم خط الإنحدار العرقي بينهما، فإنني اعرف، أيهما العرق من جهة الأم، وإذا،كان بهذا الجِماع، فإن منَيي خصّب ذلك الرحم النجس، سأمنح الحياة لليهود.

" لن تستطيعي فعل ذلك معي " صرختُ، ورميت بنفسي على تلك العاهرة، ماسكاً إياها من رقبتها. صارعَتْ، شددتُ من قبضتي على خناقها، استعاد بولان وعيه، وقذف بنفسه بإتجاهي. دفعته للخلف، بركلة على أُربيّتي فخذيه، رأيته يسقط في زاوية الغرفة. ورميت بنفسي على ديانا مرة اخرى(آه، حقا فقدتُ عقلي !) وبدت عيناها تخرجان من محجريهما تدريجياً، وتدلى لسانها متورماً، وسمعت النَفسْ الأخير، ومن ثم همد جرمها بلا حياة.

سحبت نفسي. وأنا أفكر بجسامة ما قد قمت به. كان بولان يئن في الزاوية، عاجزاً عن اي نأمة يقوم بها تقريباً. حاولت إسترداد إحساساتي وضحكت: مهما حدث، على الأقل أنني لن أكون أباً يهودياً.

خاطبْتَني: عليَّ إخفاء جثة المرأة في شبكة تصريف المياه، أصبحت ليِّن العريكة أكثر من مقبرة براغ، إيّاك ياكابتن. لكن ساد الظلام، انني بحاجة الى فانوس، وعلي أن اجتاز هذه الممرات كلها بقدر المسافة التي تؤدي الى منزلك، وأهبط الى المحل ومن هناك الى شبكة تصريف المياه. انني بحاجة الى مساعدة بولان، الذي تمكن من النهوض من على الأرض وراح يحدق بي بعينين مجنونتين.

في تلك اللحظة أدركت ايضاً أنني لا استطيع أن اترك شاهداً على جريمتي يغادر هذاالمنزل. تذكرت مسدس باتايلي الذي أعطاني إياه. فتحت الجرار حيث اخفيته هناك ووجهته بإتجاه بولان، الذي كان يحدق بي، بذهول.

أخبرته " أنني آسف يا آبي، إذا اردت أن تنقذ نفسك، ساعدني على التخلص من هذه الجثة الجميلة."

وكما لو أنه في حالة انتصاب جنسي. قال " نعم، نعم." وتبدو له ديانا الميتة، بلسانها المتدلي، وبتحديقتها الذاهلة، وبإضطرابه، حينما كانت ديانا عارية، إغتصبتني من أجل شهوتها. تثير الرغبة في داخله.

ولكن، بعد ذلك، لم أكن صافي الذهن كليا ايضاً، وابدو على نحو انني كنت في حلم، لفيت جثة ديانا بعباءتها، وأعطيت الفانوس الى

بولان، ومسكت الجثة من قدميها وسحبتها على طوال الممر المفضي الى المنزل. وهبطت السلم الى المحل، ومن هناك الى شبكة تصريف المياه، كانت رؤوس الجثامين تقرع بجلجلة وحشية في كل خطوة. أخيرا وضعتها الى جانب بقايا دالا بيكولا(الآخر).

ويبدو بولان قد فقد عقله الآن. ضحك. " ربما نضعها هنا في العالم السفلي أفضل من العالم الخارجي، حيث ينتظرني غوته. هل بالإمكان أن امكث هنا مع ديانا؟"

أجبت " ومهما كلف الأمر، يا آبي، لن ارغب أكثر من ذلك."

سحبت المسدس واطلقت، واستقرت الرصاصات في وسط جبهته. سقط بولان على الأرض، وقريباً من ساقي ديانا، انحنيت، رفعته ومددته الى جانبها. كانا مستلقيين كعشيقين.

~~~

هنا، في هذه اللحظة، ومن خلال سرد، أعدت اكتشاف، وبعقل مضطرب، ما قد حدث على عجل قبل أن افقد ذاكرتي.

إكتملت الدائرة. والآن انني اعرف. الآن، في فجر الثامن عشر من نيسان/ابريل في عيد فصح يوم الأحد، قد كتبت ما قد حدث في الحادي والعشرين من آذار/ مارس، في آخر الليل، الى شخص، كنت اعتقد انه آبي دالا بيكولا...
~~~

(٢٥)

فرز الأشياء

يوميات الثامن عشر والتاسع عشر من نيسان /ابريل ١٨٩٧،عند هذه النقطة، أن مَن يطل مِن فوق كتف سيمونيني ليقرأ ما قد كتبه دالا بيكولا سيرى الكلمات تتعثر على نحو مفاجيء، وعلى نحو أن يده لم تعد قادرة على الإمساك بالقلم، تجري تلقائياً ساحبة خربشتها لتواصل الكتابة بهذه الطريقة على الورقة، مؤشرة ترتيب نسق العلامات، ساحبة النسيج الأخضر لمنضدة الكتابة نحو الأسفل، وكما لون أن جسم الكاتب شرع ينهار بإزاء الأرض، وعلى الصفحة الأخرى من الورقة يبدو أن الكابتن سيمونيني استأنف الكتابة.

استيقظ وارتدى زي كاهن، لبس باروكة دالا بيكولا، بيد أنه أدرك الآن، عبر ظلال من الشك، أنه كان سيمونيني. وهناك، فرش على المنضدة مجموعة اوراق، وسرعان ما رأى آخر تلك الصفحات بخط يد دالا بيكولا المُفترَض، كُتبت بطريقة هستيرية وبخط يد مضطربة على نحو متزايد. تعرّق، هم قلبه بالخفقان، حين كان يقرأ واستحضر كل ما قد كُتِب في تلك اللحظة حين توقفت يد آبي عن الكتابة وهو(ال آبي) او بالأحرى هو(سيمونيني) كانا – كلاً، كان – مصعوقاً بالذعر، وتهاوى.

بينما كان يستعيد وعيه، كانت غيوم الإضطراب تنقشع تدريجياً واصبح كل شيء أمامه واضحاً. تعافى، وأدرك أنه و دالا بيكولا هما شخصاً واحداً فلقتا ثمرة واحدة. كان قادراً الآن أن يتذكر ماذا كتب دالا بيكولا في المساء الماضي - بعبارة أخرى، أنه تذكر جيداً أنه هو ذاته، مرتديا زي آبي دالا بيكولا(وليس ذلك الشخص ذا الاسنان الناتئة الذي قُتل، ولكن ذلك الآخر الذي أُعيد الى الحياة وتشخصن بشخصية أخرى لعدة سنوات)، الذي كان حاضراً خلل التجربة الرهيبة للقداس الأسود.

مالذي حدث اذن؟ ربما كان لدى ديانا متسعُ من الوقت لتنتزع باروكته خلل المشاجرة، وربما كان ينزع عباءته ليسحب بها جثتها الهزيلة، ويرميها في شبكة تصريف المياه وعاد مرة أخرى الى غرفته في شارع ميتري-البيرت، وربما فقد عقله في ذلك الوقت تقريباً، وحين استعاد يقظته في صباح اليوم الثاني والعشرين من شهر اذار / مارس، لم يجد ملابسه.

ويُعد الاتصال الجسدي مع ديانا، والكشف عن اصولها اليهودية الحقيرة وضرورة هذه الأصول لها، وطقوس الموت في الغالب يُعد شيئاً كثيراً تعلقا به، وفي تلك الليلة ذاتها التي فقد ذاكرته، اوبالأصح، أن دالا بيكولا وسيمونيني قد فقدا كلاهما ذاكرتيهما، وتبادلت تينك الشخصيتين بعضهما بعضا على مدار ذلك الشهر. وفي كل الإحتمالات، وكما حدث لديانا، فإنه لابد وان كان يتحول من حالة الى حالة اخرى خلال تشكل المعضلة - حالة صرع، إغماء، مَن يعرف - ولكن

دون ان يكون مدركاً لها، وهكذا فإنه في كل مرة يستيقظ فيها يفكر أنه قد نام نوماً عميقاً.

وأدى علاج الدكتور فرويد مفعوله(رغم ان الدكتورلن يعرف بنجاح الدواء). وبواسطة سرد ذاتٍ لتلك المذكرات الى ذاتٍ اخرى استخرجها بصعوبة شاقة من تجاويف عقله، وكما لو أنه في حلم، وصل سيمونيني الى النقطة الحرجة، والصادمة، الى حد أدت به الى حالة من فقدان الذاكرة، amnesia ، حولته الى شخصين متمازين، كلاهما يتذكر جزءً من ماضي حياة الآخر، دون أن يعرف هو او الآخر، ومّن كان تاريخه هو فإنه ليس تاريخ الآخر، والعكس صحيح، ومن هو الذي سيكون قادراً على ان يعيدهما معا الى أنا واحدة، ورغم ذلك، كلاهما يحاول أن يختفي عن الاخر المزعج، إلغاء الآخر شيء لا يمكن تصديقه.

عملية التذكر هذه استنفدت مشاعر سيمونيني كلها، ومن الطبيعي، أن يطمئن نفسه أنه كان حقا بُعث الى حياة جديدة، أغلق دفتر يومياته وقرر الخروج، متهيئاً لأي مواجهة، مدركاً الآن أنه كان هو. كان مستعداً لتناول وجبة طعام جيدة، لكن لن يسمح لنفسه التساهل في الإفراط في الطعام ذلك اليوم، ورأى ان مشاعره كانت موجعة جداً. كناسك من ثيباد، شعر أنه بحاجة الى توبة. تناول طعامه بعدم شهية، لكنه تحمله على مضض. بعد أن دفع ثلاثة عشر سوساً ذهباً الى فليكوتو.

عاد الى البيت، قلَب اوراقه عدة مرات بالتفصيل وجعل يرتبها، ليس لديه سبب للإستمرار في اليوميات - لكنه بدأ بها كي يستحضر ماذا يمكن أن يتذكره الآن - بيد أن كتابة اليوميات أصبحت عادة لديه. وفي غضون شهر واحد حسب، صدّق، بوجود شخص يدعى دالا بيكولا، إخترع شخصاً وهمياً يستطيع من خلاله الحديث، ومن خلال هذا الحديث أدرك أنه بقي دائماً وحيداً لمدة طويلة، حتى في طفولته، ربما(سيندهش السارد) لفصام شخصيته لذلك السبب الوجيه - خلَق إنساناً يتحدث معه.

وحان الوقت ليقبل أن الآخرغير موجود. فضلاً عن ذلك ان اليوميات، هي تسلية متفردة. على كل حال، قد اصبح معتاداً على الصوت المنفرد وقررالإستمرار فيه. ليس ذلك الشعور بحب ذاته حسب، بل عدم حبه للآخرين دفعه أن يعمل ما في وسعه لخلق صديقه الخاص.

وخلق دالا بيكولا - دالا بيكولا - إيّاه-، بعد أن قتل دالا بيكولا الحقيقي - حين طلب منه لاغرانج أن يتعامل مع بولان. فكر بمهمات كثيرة مثل مهمة كاهن التي تثير قليلاً من الشك مما لو كان رجلاً علمانياً. وحبذ فكرة نشور شخص ما كان قد قتله.

حين اشترى أول مرة البيت والمحل التجاري في شارع موبيرت غيرالسالك، بسعر منخفض جداً، لم يكن بحاجة للغرفة ومدخلها الذي يفضي الى شارع ميتري - البيرت، مفضلاً تثبيت عنوانه على شارع موبيرت غيرالسالك، وبذلك يستطيع أن يستخدم المحل. وحالما ظهر

دالا بيكولا في المشهد، أثث الغرفة بأثاث رخيصة واستخدمها كوهم لعنوان آبي الوهمي.

وكان دالا بيكولا مفيداً ليس في التطفل على عبادة الشيطان والحلقات الغامضة حسب، ولكن ايضاً على مظاهر الساعات الأخيرة للإحتضار. وحينما اُستدْعي من قبل أحد الأقرباء المقربين(او البعيدين) سيكون المستفيد من الوصية التي زيفها سيمونيني – واذا كان ثمة أحد يثير شكاًً في وثيقة غير متوقعة، سيكون الشاهد رجل الدين الذي اقسم ان الوصية تثبت الرغبات الأخيرة المعبرة عن الرجل المتوفى. ومن ثم، فإن التعامل مع قضية تاكسيل، كان دالا بيكولا رجلاً ضرورياً له. إنه هو الذي تعامل عملياً مع المخطط الكامل لأكثر من عشر سنوات.

وأثبت تنكر سيمونيني فائدته الى حد، ارتدى زي دالا بيكولا، واستطاع بسهولة من الإلتقاء بالأب بيرغاماشي وهيبوتيرن. كان دالا بيكولا غير ملتحٍ، اشقر اللون، وذا اهداب كثة، يرتدي نظارة زرقاء مظللة تخفي نظراته. وكما لو أن هذا ليس كافياً، فقد ابتكر إسلوباً آخرلخط اليد، كان في الغالب خطاً ناعماً وأنثوياً، وغيَّر من نبرات صوته. وفي الواقع، حين كان هو دالا بيكولا، لم يكتب سيمونيني أو يتحدث بطريقتين مغايرتين حسب، ولكنه وجد نفسه تماماً في خضم ذلك الدور.

وكان من العار، أن يختفي بعد ذلك دالا بيكولا(قَدَرَ كل من هوآبي لذلك الإسم)، ولكن على سيمونيني أن يغسل يديه من

المهمة برمتها، وليس حذف مذكرات تلك الحوادث المخجلة التي أدت الى الصدمة حسب، ولكن في عيد فصح الإثنين ايضاً، وطبقاً للخطة، كان على تاكسيل ان يعلن اعترافه امام الناس، و بموت ديانا، من الأفضل أن يزيح شواهد المؤامرة كلها في حالة أن يبدأ شخص ما بإثارة أسئلة صعبة.

وبقي في يوم ذلك الأحد حسب ثم غادره في صباح اليوم الذي تلاه. وتنكر بزي دالا بيكولا وذهب لمقابلة تاكسيل، الذي كان يزور مدينة أوتيويل في كل ثلاثة أيام في غضون الشهر الماضي ولم يجد ديانا أو نفسه، لكنه وجد امراة عجوزاً حسب، أخبرته أنها لا تعرف أي شيء وتخشى أنهما اختطفهما الماسونيون. وشرح لتاكسيل أن دو موريي قد اعطاه مؤخراً العنوان الصحيح لعائلة ديانا في شارلستون، ووجد طريقة لإعادتها الى أميركا – تماماً في الوقت الذي كان يهيىء فيه تاكسيل عرضاً عاماً عن احتيالاته. أعطى تاكسيل خمسة آلاف فرنك كمقدمة لمبلغ الخمسة والسبعين الف فرنكاً الذي وعده به ورتب المقابلة في مساء اليوم التالي في الجمعية الجغرافية.

وما زال مرتدياً زي دالا بيكولا، وذهب الى أوتيويل. وقد رحبت به المرأة العجوز ترحيباً كبيراً. كانت قد افتقدته وديانا لأكثر من شهر وما عرفت ماذا تقول للمسكين مسيو تاكسيل في زياراته المتكررة. وأخبرها القصة عينها: ان ديانا قد عادت الى اميركا والتحقت بعائلتها. كانت المكافأة السخية أخرست العجوز الشمطاء، جمعت خرقها البالية وغادرت في ذلك المساء.

وفي ذلك المساء ايضاً، أحرق سيمونيني أوراقه كلها ، والآثار الأخرى لمهمتهم خلال تلك السنوات، وفي آخر تلك الليلة أخذ خزانة ملابس ديانا ومحتوياتها الأخرى هدية الى غافيالي – ولم يسأل ذلك الرجل بائع الملابس العتيقة عن البضائع التي عانى منها. في صباح اليوم التالي ذهب الى المالك لإلغاء عقد الايجار، متحججا أن لديه مهمة عاجلة في إحدى الدول البعيدة، ودفع مبلغاً إضافياً لمدة ستة اشهر كإجراء وقائي لأي اعتراض من قبل المالك. وذهب الأخير معه ليرى أن كل شيء في الشقة على ما يرام، تسلم المفاتيح وأغلق الباب.

كل ما تبقى له هو، أن يستأصل دالا بيكولا(للمرة الثانية). ولا يستغرق منه هذا وقتا طويلاً، وأزال سيمونيني علامات انتحال شخصية آبي وأعاد تعليق عباءته في خزانة الملابس، وبذلك، اختفى دالا بيكولا من على وجه الأرض. وكإحتراز، أزاح كرسي المركع(كرسي ذو ذراعين يوضع على أحدهما كتاب.. المترجم) والكتب الدينية من الشقة، ووضعها في محله كمواد لبيعها الى هواة جمع الكتب، ليكون بعدها مستعداً لإنتحال شخصية أخرى.

لم يكن أي اثر لكل ما حدث، ما خلا مذكرات تاكسيل وباتايلي. بيد أن الأخير، بعد خيانته، فإنه من المؤكد لم يظهر على سطح المشهد مرة أخرى، وتعلقاً بتاكسيل فإنه من المؤمل أن تنتهي قصته في ذلك المساء ايضاً.

وفي مساء التاسع عشر من نيسان / ابريل، ارتدى سيموניني ملابسه الفاخرة الإعتيادية، ذهب يستمتع بمشهد تراجع تاكسيل بصرف النظر عن دالا بيكولا. عرف تاكسيل ماتري فورنير حسب، وهو كاتب عدل وهمي، غيرملتحٍ، شعره كستنائياً، ركّب سنّيْن من الذهب. وقد رأى تاكسيل سيموניني ملتحياً مرة واحدة حسب، حينما كان يستخدمه لتزييف رسائل هوغو وبلان، ولكن كان هذا قبل خمس عشرة سنة وربما قد نسي وجه ذلك الناسخ لتلك الرسائل. ولتغطية كل الإحتمالات، التحى سيموניني بلحية رمادية وارتدى نظارة خضراء، جعلت منه شبيهاً بعضو في الجمعية الجغرافية، وهكذا استطاع الجلوس مع الجمهور ليستمتع بالتسلية.

وظهرت أخبار الحادثة في الصحف جميعها. كانت الغرفة محتشدة؛ جاء بعض الناس بدافع الفضول، وآخرون اتباع ديانا فوغان، وماسونيون، وصحافيون، وعدد من ممثلي الأسقف وسفراء بابويون...

تحدث تاكسيل بوابل من لغة جنوبية نموذجية بليغة. ما أدهش الحاضرين، الذين كانوا هناك لمشاهدة ديانا والإستماع الى كل ما قد نشره تاكسيل في غضون خمس عشرة سنة، بدأ كلامه بمهاجمة الصحافيين الكاثوليك وقدم جوهرآياته بقوله، " إنه من الأفضل لكم أن تضحكوا بدلاً من أن تبكوا، لأن حكمة الأمم قد ذهبت." وقد وصف متعته في الإحتيال: " لم تكن ولادتي في مرسيليا عبثاً،" وسخر، من استمتاع الجمهور. وسرد بسرورغامر قصة اسماك القرش في مارسيليا والمدينة المغمورة في بحيرة جنيف، ليقنع الجمهور أنه كان

مخادعاً، لا أحد يوازيه في المزاح العظيم في حياته، وعلى كل حال، سرد قصة حديثه الواضح وكيف أنه ضلل كهنة الإعتراف والمرشدين الروحيين المعينين لضمان إخلاص توبته.

كان مستهل افتتاح خطبته قاطعها الجمهور اولاً بالضحك وبعد ذلك بالغضب المتفجر من عديد من الكهنة، الذين راح غضبهم يزداد. وقف الناس وهمَوا بمغادرة القاعة، وآخرون لازموا مقاعدهم لمهاجمته. وبإختصار، ساد الإضطراب الكبير، لكن مازال صوت تاكسيل يعلو مسموعاً، واصفاً كيف أنه قرر مهاجمة الماسونيين كي يبعث الإرتياح في قلب الكنيسة بعد الجنس البشري Humanum Genes " ولكن في نهاية المطاف " قال " وحتى الماسونيين يجب أن يكونوا شاكرين لي، لأن كتبي التي تضمنت طقوسهم تتضمن بعض التأثير على قرارهم في قمع ممارسات قد عفى عليها الزمن، وتحولت الى سخافة لكل ماسوني كان صديقاً للإرتقاء البشري، وتعلقاً بالكاثوليك، إكتشفتُ في أيام مبكرة لتحولي أن كثيراً منهم كانوا مقتنعين أن المُخطِّط العظيم للكون – الكائن السامي للماسونية – هو الشيطان. لذلك، كل ما وجب علي القيام به هو أن أزوّق إدانته.

واستمر الهياج. حين حول تاكسيل حديثه الى ليو الثالث عشر(وسألني البابا، " ياولدي، ماذا ترغب؟" وأجاب تاكسيل، " أيها الأب المقدس، ان اموت تحت قدميك، في هذه اللحظة، وسيكون هذا من بالغ غبطتي !"، وتحول الصراخ الى مجموعة من المنشدين. صرخ أحدهم، " يعيش ليو الثالث عشر. ليس لك الحق في تلفظ اسمه

!" وصاح آخر، " هل ينبغي علينا أن نصغى الى هذا الكلام؟ انه لشيء مقزز !" وصاح آخر ايضاً " آه، أيها الوغد ! اية طقوس هذه معربدة في الفساد !" وطفق عواء الضحك يتعالى بإستمرار.

قال تاكسيل، " وهكذا، سمحت بشجرة اللوسيفيرية الحديثة بالنمو، مُدخِلاً فيها الطقوس البالادية، مفبركا إياها كليّاً من البداية حتى النهاية. "

ومن ثم وصف كيف أن صديقاً كحولياً قديماً إخترع شخصية الدكتور باتايلي، وكيف أنه ابتدع صوفيا فالدر، أو صوفيا صافو، وكيف انه نفسه قد كتب الأعمال التي ألفتها ديانا فوغان كلها. قال، كانت ديانا إمرأة بروتستانتية عادية، ونسخة نموذجية، وممثلة لصناعة آلات الطابعة الأميركية، ألمعيّة، إمرأة حيوية في بساطة أناقتها، كما هن النساء البروتستانتيات عموماً، وشرع يشاركها في عبادة الشيطنة؛ كانت تستمتع بتلك المشاركة واصبحت شريكة في أعماله الإجرامية. وراحت سخافاته تروق لها، وكتبت الى الأساقفة والكرادلة، وتسلمت رسائل من السكرتارية الخاصة للحبر الأعظم، تعلم فيها الفاتيكان عن المؤامرات اللوسيفيرية.

استمر تاكسيل " ولكن، رأينا حتى الماسونيين تسقطهم ذرائعنا. حين اظهرت ديانا أن القائد السامي لشارلستون قد عين أدريانو ليمي خلفا له للوسيفيرية الحبر الأعظم، وأخذ بعض الماسونيين الإيطاليين، بما فيهم نواب برلمانيون، الأخبار بجدية، وقد انزعجوا لأن ليمي لم يعلمهم، وأسسوا ثلاثة مجالس بالادينية سامية مستقلة، في صقلية،

ونابولي، وفلورنسا، سميت باسم الآنسة ديانا فوغان بوصفها عضو شرف. وكتب المسيو مارغيوتا سيء السمعة انه سبق له وان قابل الآنسة ديانا فوغان، بينما أنا الذي كنت تحدثت اليه عن مقابلة لم تتحقق ابداً، حتى أنه تظاهر أنه تذكرها فعلاً. وكان الناشرون انفسهم قد خُدِعوا، بيد أنهم لم يَشْكوا في الأمر، لأنني اعطيتهم ثروة لنشراعمال يمكن ان تنافس ألف ليلة وليلة، The Thousand and One Nights.

وأردف " ايها السادة، حينما تفهمون تكونون قد وصلتم مرحلة الجنون، وأفضل شيء تقومون به هو ان تضحكوا مع الجمهور. " أضاف وهو يؤشر الى أحد نقاده الشرسين في القاعة "وانت، يا مسيو غارنر، أصبحت الأكثر غضباً من غيرك، والأكثر سخافة بينهم."

صرخ غارنر، وهو يؤشر بعصاه، بينما حاول اصدقاءه تهدئته " أيها الوغد."

قال تاكسيل وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة " مرة أخرى، لا نستطيع أن ننتقد أولئك الذين يؤمنون بالشياطين الذين ظهروا في مراسيم تلقيننا. وهل أن المسيحيين الطيبين لا يؤمنون أن الشيطان أخذ المسيح اليسوع الى جبل، ثم ليريه ممالك الأرض كلها ؟ ولكن كيف يريه ذلك الشيطان كل تلك الممالك اذا كانت الأرض تحيط بنا في كل مكان؟"

وصاح قائلاً " هذا صحيح !"

وصرخ الآخرون " لسنا بحاجة الى التجديف."

وكـان تاكـسيل علـى وشـك أن يختـتم كلامـه " أيهـا الـسادة، انـني اعـترف، انـني كنـت أقـترف وأد الأطفـال. والبلادميـة هـي الآن ميتـة- أماتها أبوها "

ووصـل الـصخب أوجـه. وقـف آبـي غـارنر علـى مقعـد وحـاول أن يخاطـب الجمهـور، بيـد أن صـوته ضـاع وسـط ضـجيج ضـحك أولئـك الغاضـبين وصـراخهم. بقـي تاكـسيل علـى المنـصة حيـث كـان يخطـب، مراقباً بإعتداد نفس زئير الحشد. كانت لحظة مجده. اذا كـان يريـد أن يكون ملك المحتالين،و قد أنجز هدفه.

حدق دون أن يتزحزح قيد أنملة من مكانه الى أولئك المحتجين أمامه وهـم يؤشـرون بقبـضات أياديهم أو بعـصيّهم ويهتفـون " يـا للعـار " بقي يحدق فيهم وكما لو أنه لم يفهم في الغالـب. ما الـذي فعلـه حتـى يستحق العار؟ والحقيقة أن الجميع كان يتحدث عنه!

كان سيمونيني يمتع نفسه أكثر من الجميع بينما كان يفكـر مـاالـذي كان بانتظاره في مستودع الأيام القوادم.

كـان يبحـث عـن دالا بيكـولا مـن أجـل مالـه، ولكـن لا يعـرف أيـن يجده. فإن كان قـد ذهـب الى اوتيويـل، فإنـه سـيجد البيـت شـاغراً، أو ربما شغله أحد ما في الوقت الحاضر. ولم يعرف أي شـيء عـن عنـوان دالا بيكولا في شارع ميتري – البيرت غير الـسالك. كمـا لا يعـرف كيـف يتصل بكاتب العدل فورنير، ولا يعتقد انه يرتبط بذلك الـشخص الـذي كان ولسنوات طويلة، يزيف رسائل هوغـو. أمـا بـولان فمـن المـستحيل ان يجده. كما ليس لديه ادنى فكرة عن هيبوتيرن، الذي عرف بطريقة

غامضة انه من كبار الماسونية، ولا ما يفعله ليتعامل مع هذه الأحداث، لكنه كان يجهل تماماً وجود الاب بيرغاماشي. بإختصار، أن تاكسيل لا يعرف مَنْ يسأل عن نقوده، لذلك فإن سيمونيني ربما وضع المبلغ كله في جيبه(على الأقل، لسوء الحظ، الخمسة آلاف فرنك كمقدمة) بدلاً من النصف تماماً.

إنه من الممتع التفكير بالوغد الذي يتجول في باريس للبحث عن آبي وكاتب العدل اللذين تواريا عن الأنظار، وتعلقاً بالشيطاني والبالاديني اللذين اختفت جثمانيهما في شبكة مجاري المياه المنسية، فإن بيتايلي، حتى وإن كان صاحٍ من كحوله، فليس لديه ما يخبره به، وما يتعلق بمبلغ الفرنكات أنه ذهب الى الجيب الخطأ. يشتمه الكاثوليكيون، وينظر إليه الماسونيون بريبة، الذين كانوا من حقهم أن يخشوا من تحول آخر، وربما كان مثقلاً بالديون الى ناشري كتبه، لا يعرف الى أي وجهة يستدير.

ولكن، فكر سيمونيني، مشعوذ مارسيليا يستحق ذلك.

(٢٦)

الحل الأخير

العاشر من تشرين ثان /نوفمبر ١٨٩٨،مضت سنة ونصف السنة الآن منذ أن تحررت من تاكسيل، وديانا، ودالا بيكولا. إن كنت مريضاً، فقد شفيت الآن. والفضل يعود الى التنويم المغناطيسي الذاتي، أو الى الدكتور فرويد. أشعر بقلق خلل الأشهر الحالية، وإن كنت مؤمناً بالدين، سأقولها إني كنت مذنباً وذلك ما كان يعذبني. ولكن، لِمَ الندم، ومَنْ يعذبني؟

في المساء ذاته كان من دواعي سروري ان اتلذذ فيه بخداع تاكسيل، كنت احتفل بصفاء ذهني تام. كنت حزيناً حسب ليس هناك مَنْ اشاركه نصري، لكنني معتاد تماماً على رفقة اصحابي. ذهبت الى مطعم بريبانت فاشيت Brébant- Vachette، الذي يرتاده الشتات أولائك الذين اعتادوا ان يتناولوا الطعام في ماغني. ومع كل ما ربحته من اندحار تاكسيل، فإنني استطيع تحمّل شراء اي شيء. عرفني النادل، لكن الأهم أنا الذي عرفته. إقترح عليَّ أن أتناول Salade Francilion، التي ابتِدعَتْ بعد انتصار مسرحية الإبن fils لألكسندر دوماس – حسن، حسن، ما أجمل المشاعر التي تبعثها في داخلي تلك الوجبات القديمة. فالبطاطة طُهِيتْ بالمرق، وقُطعت الى شرائح،

ونُكّهت بالملح، و مازالت بحرارتها، مع الفلفل الحار، وزيت الزيتون، وخل أورليان، مضافاً إليها نصف كأس من النبيذ الأبيض،(Chateau d'yquem اذا امكن) وقطع من الخضار الجميلة، وبلح البحر المطهي بحساء مطابخ البلاط، وعروق الكرفس. وتخلط الوصفة كلها ويتم تحريكها، وتغطى بشرائح رقيقة من الكمأة المطهية بالشمبانيا. وتترك لمدة ساعتين وبعد ذلك توضع في طبق لتبرد بحرارة مناسبة قبل تقديمها.

حتى الآن لم أكن مرتاحاً، ويخالجني شعور أنني يجب أن استأنف اليوميات لإسترخاء حالتي النفسية، كما لو أنني مازلت تحت عناية الدكتور فرويد.

مازالت الأشياء المزعجة تواجهني وانني أعيش حالة من القلق. بخاصة، انني متلهف الى معرفة مَنْ هو ذلك الروسي الذي هبط الى شبكة مياه المجاري. هو أو هم – ربما كانا إثنين، كان هنا، أو كانا هناك – وفي تلك الغرف في الثاني عشر من نيسان/ابريل. هل عاد أحدهم منذ ذلك التأريخ؟ في مناسبات عديدة لم يكن بمقدوري أن أجد شيئاً – جرماً صغيراً، قلماً، حزمة من الورق – بعد ذلك وجدتها في مكان حيث أقسم أنني لم أضعها هناك. هل ثمة من كان ينقِّب في ذلك المكان، حرك الأشياء من مكانها، بحث عن شيء ما؟ ماذا؟

" الروسي " يعني راشكوفسكي حسب، لكن هذا الرجل هو أبو الهول. كان هناك مرتين، يطلب مني ما يصفه هو شيئاً جديداً دائماً،

كمادة موروثة غير منشورة من جدِّي. وكنت العب في الوقت، ومرة، انتهي الى ان اضع معاً ملفات مقنعة، ومرة، أثير شهيته.

آخر مرة قال إنه لن يستطيع الإنتظار أكثر من ذلك. وأراد أن يعرف إن كان الموضوع ببساطة مسألة سعر. اخبرته " انني لست جشعاً، في الحقيقة، أن جدي خلَّف لي بعض الوثائق كانت قد سجلت كل شيء ما قد قيل في تلك الليلة في مقبرة براغ، لكنها لم تكن تحت يدي في الوقت الحاضر، ويجب أن اذهب الى باريس لجلبها."

" إذهب " قال راشكوفسكي، وقام بتعليق غامض عن بعض المشاكل ربما أواجهها من تطورات في قضية دريفوس. ماذا يعرف عنها؟

الحقيقة أن دريفوس كان قد ارتحل الى جزيرة الشيطان دون القيام بأي شيء لتهدئة الجدال. وأطلق أولئك الذين يعتقدون أنه بريء حملة - الدريفوسيّون كما يطلق عليهم - وجاء رسم بياني لدراسة خط اليد مقدماً لدحض شهادة بيرتليون.

كل شيء بدأ يقترب مع حلول نهاية سنة (٩٥) حين تقاعد ساندهير من الخدمة(كان من الواضح أنه يعاني من شلل تدريجي، أومن مرض من هذا النوع.) وحل محله شخص يدعى بيكوارت. وهذا البيكوارت تحول الى رجل فضولي وشرع فوراً بإعادة تحقيق قضية دريفوس، رغم إن القضية قد اُغلقت قبل عدة أشهر. بعد ذلك، في أواخر آذار /مارس، وجد بيكوارت في إحدى سلات المهملات في السفارة(مرة أخرى) مسودة البرقية المرسلة من الملحقية العسكرية

للسفارة الألمانية. ليس ثمة تسوية. لكن لماذا كانت الملحقية العسكرية بإتصال مع ضابط فرنسي؟ وحقق بيكوارت مع ايسترهازي، باحثاً عن عيّنة لخط يده وأدرك أن الخط الرئيسي مشابهاً في كتابة المذكرة بخط دريفوس.

جئت لأستمع عن الموضوع حين تسربت أخبار الى صحيفة La Libre Parole، لكن درومونت إحتج على هذا المتطفل الذي أراد إعادة التحقيق بالقضية ليصل الى حل يكون الى صالحه.

" إنني افهم أنه ذهب ليكتب تقريراً الى الجنرالين بويسدفيري وغونز، اللذين من حسن حظهما لم يكونا مهتمين. وكان جنرالاتنا أكثر صرامة في هذا الموضوع."

وطوال شهر تشرين الثاني /نوفمبر إلتقيت ايسترهازي في مكاتب الصحيفة. كان عصبياً جداً وطلب مني الحديث وأن اتكلم معه. جاء الى بيتي مصحوباً بالميجر هنري.

قال ايستيرهازي" يشاع، يا سيمونيني، أن المذكرة، كتبت بخط يدي، وأنك استنسختها من رسائل دريفوس أو من ملاحظاته المكتوبة بخط يده، أليس كذلك؟"

" لكن بالطبع، ان ساندهير قد زودني بنموذج منها. "

" انا اعرف، لكن لماذا لم يدعوني ساندهير الى ذلك اللقاء ايضاً، هل يريد ان يتأكد أنني لم أفحص نموذج خط دريفوس؟"

" انا نفذت ما أرادوه مني."

" انا اعرف، انا اعرف، لكن ليس من مهمتك ان تساعدني في تفكيك هذا السر. فإذا، كان ثمة سبب غامض، فإنهم قد زجوك في جزءٍ من المؤامرة، ربما هناك مَنْ يعتقد أنها فكرة جيدة للتخلص من رجل مثلك في شهادة خطيرة. يعني أنك كنت متورطاً فيها ايضاً؟"

لن اسمح لنفسي الإختلاط بالجيش. لم أكن سعيداً أبداً. بعد ذلك شرح ايستيرهازي ما أراد مني أن افعل. زودني بنموذج رسالة من بانيزاردي، الملحق العسكري الإيطالي، ونص رسالة أخرى زورته انا، معنونة الى الملحق العسكري الألماني، التي أشار فيها بانيزاردي الى تعاون دريفوس.

" الميجور هنري "، أوضح " ستكون مسؤولاً عن إيجاد هذه الوثيقة وتمريرها الى الجنرال غونز."

قمت بواجبي، ودفع لي ايستيرهازي ألف فرنك، ومن ثم لم أعرف ماذا حدث، لكن مع نهاية سنة (٩٦)' كان بيكوارت قد نُقل الى جنود الغدّارات الرابعة في تونس Fourth Fusliers in Tunisia.

على كل حال، في الوقت الذي كنت مشغولاً في التخلص من تاكسيل، يبدو أن بيكوارت تمكن من أن يستخدم قليلاً من نفوذه سراً، ما جعل الأشياء أكثر تعقيداً، وكانت بالطبع، قد وصلت بعض الأخبارغير الرسمية بطريقة ما الى الصحافة، لكن صحافة دريفوس(التي كانت قليلة) اعتبرتها مؤكدة، بينما راحت الصحف المناهضة لقضية دريفوس تشهر به، وظهرت بعض البرقيات، المعنونة الى بيكوارت الذي بدا من خلالها أنه مؤلف البرقيات الشائنة من

الألمان الى ايستيرهازي. وبقدر ما استطيع فهمه، كان ايستيرهازي وهنري وراء تلك البرقيات. كانت لعبة جميلة واحدة بواحدة، في حين لم تكن ثمة حاجة ان نفبرك اتهامات لأن كل ما تريد القيام به هو أن ترد الى خصمك ماقد أرسل إليك. للجدران آذان، التجسس ومكافحة التجسس من اخطر ما يكون حين يقع بين ايدي الجنود. والحرفيون مثال لاغرانج وهيبوتيرن لن يقوما بمثل هذه الفوضى، لكن ما يمكن توقعه من الناس الطيبين جداً في المخابرات السرية في يوم ما ومن جنود الغدّارات في تونس في يوم آخر. أو مَنْ يمر من البابا زيفواس الى الفيلق الأجنبي؟

وفي الأهم كله، كانت هذه الحركة قليلة الفائدة، وانفتح تحقيق مع ايسترهازي. ماذا لو وضع نفسه فوق الشبهات. ويعلنها صراحة ليقول انني أنا الذي كتبت المذكرة؟

~~~

بات نومي سيئاً طوال سنة. ففي كل ليلة اسمع فيها ضوضاء، وقد أُغريت بالنزول للأسفل حيث المحل، بيد أنني كنت قلقاً خشية أن اجد ذلك الروسي هناك.

~~~

في شهر كانون الثاني /يناير في هذه السنة كان ثمة محاكمة خلف الأبواب الموصدة، وكان ايسترهازي قد برأته المحكمة من كل التهم. وحكمت على بيكوارت بالحبس ستين يوماً، بيد أن الدريفوسيين لم يتخلوا. ثمة كاتب بذيء يسمى زولا قد نشر مادة ملتهبة(Jaccus ")، وانضم مجموعة من المؤلفين التافهين فضلاً عن علماء الى الحملة.

للمطالبة بإعادة النظر في القضية. من أولائك الناس - بروست، وفرانس، وسوريل، ومونيه، ورينيه، ودوركيم؟ وليس ذلك النوع الذي يتردد على صالون آدم. مثل بروست، علمت أنه كاتبا لوطياً يبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً، كانت كتبه من حسن الحظ لم تنشر - ومونيه الرسام - الذي شاهدت له لوحة او لوحتين من اعماله، ينظر الى العالم من خلال عينين دبقتين. ماذا يفعل كاتب أو فنان تشكيلي أمام قرارات محكمة عسكرية؟ يا لفرنسا المسكينة، كما يقول درومونت إذا كان أولئك " المفكرون " حسب - أمثال كليمونصو، الذي يدافع عن قضايا يسميها خاسرة - يطلق عليهم - الذين احتفظت عقولهم بأشياء قليلة يعرفون بعض الشيء عنها.

وأحيل زولا الى المحاكمة، ولحسن الحظ، سجن سنة ووضع قيد الحبس. مازالت العدالة في فرنسا موجودة، يقول درومونت، الذي كان قد أُنتخب نائباً عن الجزائر، مؤكداً أنه ستكون ثمة مجموعة جيدة لاسامية في البرلمان، ستساعد في الدفاع عن مطالب المناهضين للدريفوسيين.

وبدأ كل شيء يسير بالإتجاه الصحيح. بيكوارت حُكِم عليه بالسجن لمدة ثمانية اشهر في تموز /يوليو، هرب زولا الى لندن. وانا اعتقد ان لا أحد يعيد فتح القضية. ومن ثم ظهر الكابتن كوينيت، وشرح أن رسالة بانيزارد المتهم بها دريفوس كانت مزورة. كيف استطاع أن يقوم بمثل هذا الإدعاء، في وقت أنني انجزت العملية بإتقان؟ وعلى كل حال، أُخذ الأمر محمل الجد، منذ أن اكتشفوا

الرسالة التي مررها الميجور هنري، وشرع الناس بالحديث عن "هنري الزائف " حين وُضع تحت نظر جماعة الضغط أواخر آب /اغسطس، واعترف هنري بكل شيء واقتيد الى السجن في Mont – Valérien، وقطع حنجرته في اليوم التالي بموس حلاقة حادة. كما قلت، يجب ألاّ تترك أبداً أشياء ثابتة بين أيادي الجنود: ماذا؟ يعتقلون خائناً مشكوكاً فيه ويسمحون له بالإحتفاظ بموس حلاقة؟

إدعى درومونت بغضب. " هنري ما أراد الإنتحار، بيد أنه أُجبر عليه. مازال ثمة الكثير من اليهود في القيادة العامة. ينبغي أن نفتح إكتتابا عاما لتمويل حملة لتبرئة هنري !"

بعد أربعة أيام أو خمسة هرب ايستيرهازي الى بلجيكا، ومن هناك الى انجلترا. كان هروبه بمثابة اعتراف بالذنب كما أعتقد. انني لم افهم لماذا لم يدافع عن نفسه وإلقاء التهمة ضدي.

~~~

قبل ليالٍ قليلة، وبينما كنت أقلّب تلك القضايا في ذهني، سمعت مرة أخرى ضوضاءً في الدار. في صباح اليوم التالي لم أجد حالة من الفوضى في المحل حسب، بل وجدت ايضاً أن القبو كان يعج بها، وكان مزلاج الباب الذي يؤدي الى شبكة مجاري المياه مسحوباً.

كنت أتساءل تماماً إن كنت أطلق ساقيْ للريح كما فعلها إيسترهازي، دق راشكوفسكي جرس باب المحل. ودون أن يزعج نفسه بالصعود الى الطابق الأعلى، إتخذ له مقعداً على احد الكراسي، كانت معروضة للبيع، بدا حديثه فورا: " ماذا ستقول إن أنا اخبرت
~~~

الأمن العام Sureté، بوجود أربعة جثامين في القبو، وصادف أن يكون أحدهم من رجالي كنت ابحث عنه في كل مكان؟ وقد تعبت من الإنتظار، سأمهلك مدة يومين أن تعطيني البروتوكولات التي أخبرتني عنها وبهذا سأكون قد نسيت ما شاهدت في ذلك القبو. وتبدو هذه صفقة عادلة."

لم اندهش ابداً أن راشكوفسكي سيعرف عن شبكة مياه المجاري. عاجلاً أو آجلاً، ينبغي عليّ أن اعطيه شيئاً ما، لذلك حاولت، أن اقتطف فوائد أخرى من الصفقة التي عرضها عليّ. خاطرت بالقول " ربما، ربما ستساعدني في حل المشكلة في تورطي مع المخابرات العسكرية."

ضحك " انك قلق أنهم سيكتشفون انك انت الذي دونت المذكرة؟ "

هذا الرجل يعرف بجلاء كل شيء. وضع يديه بعضهما فوق بعض كما لو انه يجمع افكاره، وشرع يشرح.

" من المحتمل ليس لديك فكرة ماالذي يجري، وبذا فإنك خائف من أن ثمة رجلاً سيدينك. لا تقلق. إنه من المهم لفرنسا برمتها، ولأسباب الأمن الوطني، أن تكون المذكرة أصلية. "

" لماذا؟ "

" لأن المدفعية الفرنسية تهيء آخر سلاحها، مدفع الخمسة والسبعين ملم، ويجب على الألمان أن يستمروا بالإعتقاد أن الفرنسيين مازالوا يعملون على مدفع ١٢٠ ملم. على الألمان أن يكتشفوا أن

العميل كان يحاول بيعهم أسراراً عن المدفع ال ١٢٠ ملم لأنهم كانوا يعتقدون أن هذه نقطة حساسة. وأنت الذي تملك ذكاءً جيداً، يجب ان تعرف ان الألمان يجب ان يقولوا لأنفسهم ' يا إلهي، إذا كانت المذكرة أصلية، فينبغي أن نعرف شيئاً عنها قبل أن تحرق في سلة المهملات !' وبهذا ينبغي أن يتصرفوا من خلاله. بدلاً من ذلك، وقعوا في الفخ. ذلك، لأن لا أحد في المخابرات السرية يروي كل القصة. فكل واحد منهم يعتقد أن زميله الذي يجلس على المنضدة الأخرى هو جاسوس مزدوج، وربما كل واحد منهم يتهم الآخر: ماذا؟ ومثل هذا الخبر المجتزأ من الأخبار قد وصل ولم يعرف عنه الملحق العسكري، رغم انه معنون إليه؟ أو انه يعرف به لكنه لم يعلن عنه؟ تخيل أن ثمة سيلاً من الشك المتبادل – تدحرج أحد الرؤوس من أجل ذلك. كان(ومازال) أمراً حيوياً لكل واحد يريد أن يقبل بالمذكرة كنص أصلي. لهذا وجب إرسال دريفوس الى جزيرة الشيطان بأسرع ما يمكن، للتأكد من أنه لم يستطع الدفاع عن نفسه، ويقال إنه من المستحيل أن يتجسس من أجل مدفع ١٢٠ ملم، لأنه، إذا كان شيئاً من هذا النوع من الجواسيس، الأحرى به أن يتجسس على مدفع ٧٥ ملم. يبدو، في الحقيقة، أن هناك من اعطاه مسدساً، ليوفر له فرصة للإنتحار ليتجنب الإذلال الذي كان بإنتظاره. وبتلك الطريقة، فإن كل مخاطرات المحكمة العلنية قد مُنعت. بيد أن دريفوس كان حرناً. أصر على الدفاع عن نفسه لأنه كان يعتقد انه كان بريئاً. ثمة ضابط لا يصدق أبداً. أضف فوق هذا كله، أنني لا أصدق أن التعيس يعرف شيئاً

عن مدفع ٧٥ ملم. ليس من المحتمل أبداً أن مثل هذه الأشياء تكون في نهاية المطاف على طاولة متدرب عسكري. لكن من الأفضل دائماً ان نكون حذرين. مفهوم؟ فإن كان ثمة مَنْ عرف ان المذكرة هي من عملك اليدوي فإن حزمة البطاقات ستتناثر وحينها سيعرف الألمان أن مدفع ١٢٠ ملم كان سمكة الرنكة الحمراء - ان اولئك الجنود الألمان ربما تباطؤا في تمثلها، لكنهم ليسوا بمثل هذا الغباء المطبق. انك ستخبرني ليست المخابرات الألمانية حسب وقعت في هذا الفخ، بل المخابرات الفرنسية ايضاً وقعت تحت رحمة مجموعة من الخرقى، هذا واضح. وبعكس ذلك ان اولئك الرجال كانوا يعملون لصالح اوكرانا،التي كانت أكثر فاعلية، وكما ترى، لديها مخبرين في كلا المخيمين.

" ولكن ايسترهازي؟"

ذلك سيدنا الرائع هو عميل مزدوج. كان يتظاهر بالتجسس على ساندهير لصالح السفارة الألمانية ولكن في الوقت عينه كان يتجسس على الألمان لصالح ساندهير. عمل بصعوبة بالغة في تخطيط قضية دريفوس، بيد أن ساندهير أدرك أن أيامه معدودة وأخذ الألمان أن يشكون فيه. عرف ساندهير تماماً انه سيزودك بنموذج من خط يد ايستيرهازي. وبالتالي يقع اللوم على دريفوس، ولكن اذا كانت الأشياء قد اتخذت منعطفاً نحو الأسوأ، فإنه من الممكن دائماً أن نضع مسؤولية المذكرة على كاهل ايسترهازي، وبالطبع، أدرك الفخ الذي وقع فيه ولكن بعد فوات الأوان.

" لكن لماذا لم يذكر اسمي؟ "

" لأنهم قد اتهموه بالكذب، وانتهى به الأمر، الى إيداعه في احدى القلاع، أو الغرق في القنال، وبهذه الطريقة يمكنه التمتع بحياة مترفة في لندن، وبمعاش على نفقة المخابرات السرية. سواء أنهم يستمرون في قضية دريفوس، أو يقررون أن الخائن هو ايستيرهازي، فإن المذكرة تبقي أصلية. ليس ثمة من أحد يضع اللوم على زائف مثلك. انك آمن، كأمان البيوت، وأنا، من الجانب الآخر، سأسبب لك إزعاجاً كبيراً عن تلك الجثث في القبو. وبصرف النظر عن هذه المعلومات. ستستقبل غداً زيارة لرجل شاب يسمى غولوفنسكي، الذي يعمل لصالحي. ولا يجب عليك أن تقدم الوثائق المنجزة الأصلية – انها ستبقى في روسيا، وانه سيتعامل معها هناك. ينبغي عليك تزويده بوثائق جديدة، أصلية، مادة مقنعة، لتجسيد ملفك عن مقبرة براغ التي اسمها الآن هو lippis nutum et tonsoribus. ما أعنيه هو، من الرائع أن ما تم الكشف عنه يؤصِّل عن الإجتماع هناك، في المقبرة، ولكن يجب أن لا يوضح حدث موقع الإجتماع، ويجب أن يشير النقاش الى يومنا هذا، وليس الى أوهام القرووسطية."

والآن لدي عمل يجب انجازه.

~~~

نهاران وليلتان لديَّ بتمامهما لأرتب فيهما مئات الملاحظات والجذاذات التي كنت قد جمعتها في غضون زياراتي الى درومونت على مدى عقد من الزمان. لم اتخيل ابدا انني سأستخدمها لأنها
~~~

كانت قد نشرت في صحيفة La Libre Parole، ولكن تعلقاً بالروس ربما قد تكون مادة غير مألوفة. ويجب أن اغتنم الفرصة. وبالتأكيد أن غولونفسكي وراشكوفسكي غير مُهتمِّينْ فيما إذا كان اليهود او لم يكونوا موسيقيين أو مُكتَشِفين دون أمل. والأهم من ذلك اهتماماً، ربما، كان تحضيرهم لإسقاط اقتصاد الناس الطيبين.

دققت كل شيء وهيأت الآن فعلاً خطابات الحاخامات السابقة. فقد خطط اليهود لتولي سكك حديد القطارات، والمناجم، والغابات، وضرائب العقارات والمؤسسات؛ والسيطرة على السلطة القضائية، ومهن المحاماة والتعليم؛ وتسللوا الى الفلسفة، والسياسة، والعلوم، والفنون وفوق ذلك كله الطب برمته، لأن الطبيب بحكم مهنته يكون قريباً من العوائل أكثر من قرب الكاهن لها. من الضروري تعلقاً باليهود ان يقوضوا الدين، ونشر حرية الفكر، ومنع التعليم المسيحي في المدارس، والإستحواذ على تجارة الكحول، والسيطرة على الإعلام. هل بقي شيء ما لا يبتغونه؟

ليس ثمة شيء ما يحول دون أن أعيد صياغة هذه المادة كلها. وسيرى راشكوفسكي نسخة من خطابات الحاخامات التي قدمتها الى غلنكا، الذي يتعامل كليّة مع جدالات ذات طابع ديني مروعة. ولكن عليَّ أن اضيف شيئاً جديداً الى طبعاتي القديمة.

إنني ادرس بإهتمام تلك الطبعات كلها التي ربما تجذب اهتمام القاريء المتوسط. كتبتها كلها بعيداً عن اسلوب خط كان يستخدم قبل نصف قرن، وعلى ورقة كانت تميل نحو الإصفرار. كانت كما يلي:

إن الوثائق التي اعطانياها جدي كُتبت في اجتماعات اليهود في الغاتو حيث كان يسكن حين كان شاباً، مترجمة عن بروتوكولات الحاخامات التي دُوِّنت بعد اجتماعهم في مقبرة براغ.

حين جاء غولوفنسكي الى المحل التجاري في اليوم التالي، فوجئت أن راشكوفسكي استطاع أن يعطي مثل هذه المهمة الهامة الى رجل مترهل، قصير النظر، شاب ذي زي قروي رث يبدو على نحو كان دائماً في آخر الصف من بين زملائه. بعد ذلك، تحدثنا، ومن ثم أدركت أنه كان اكثر ذكاءً مما بدا لي. رطن بلغة فرنسية ضعيفة جداً بلكنة روسية واضحة، لكنه سرعان ما سأل كيف كتبتْ الحاخامات في غيتو تورين بالفرنسية. أخبرته أن جميع الناس المتعلمين في بيدمونت يرطنون بالفرنسية في ذلك الوقت، وقد وافق على ذلك. بعد ذلك تساءلت إن كان حاخامات إيّاي في المقبرة يتحدثون العبرية واليدشية، ولأن الوثائق كانت بالفرنسية فإن السؤال ليس ذو أهمية.

قلت " على سبيل المثال، انظر في هذه الصفحة، كم من الأهمية التي اعطيتها لنشر الأفكار التي يطرحها الفلاسفة العلمانيون لإفساد الأخلاق اللايهودية. واصغِ الى ما يلي: ' يجب أن نلغي مفهوم الإله من العقول المسيحية وإحلال محله العمليات الرياضية والإحتياجات المادية."

وافترضت أن الجميع يكره الرياضيات. متذكراً تذمر درومونت من المنشورات الفاحشة، وقررت أن، على الأقل لأكثرية القراء

الآرثوذوكس، ولفكرة سهولة الإنتشار، والتسلية التافهة للجماهير ستبدو رائعة تعلقاً بالمؤامرة. " واصغٍ الى ما يلي، " قلت الى غولوفنسكي. " كي تمنع الناس من اكتشاف انواع جديدة من الأعمال السياسية، يجب أن نصرف انتباههم الى اشكال جديدة من التسلية " العاب رياضية، ازجاء الوقت، وانواع الهوايات، والحانات، واننا سندعوهم الى المشاركة في المباراة الرياضية والفنية... وسنشجع على ترف الحب غير المقيد وسنزيد من رواتب العمال، وبهذا سنزيد في الوقت ذاته اسعار السلع الأساسية بذريعة مشاكل الزراعة. وسنقوض نظام الإنتاج عن طريق إشاعة الفوضى بين العمال وتشجيعهم على الإدمان على الكحول. وسنسعى الى توجيه الرأي العام بإتجاه أي نوع من النظريات الخيالية التي ربما تبدو تقدمية أو ليبرالية."

قال غولوفنسكي " جيد، جيد، ولكن هل هناك اي شيء للطلاب بصرف النظر عن الرياضيات؟ يشكل الطلاب أهمية خاصة في روسيا. إنهم مشاغبون ويجب ان يبقوا تحت السيطرة."

قلت. " اقرأ مايلي، " حينما نكون في السلطة، أننا سوف نلغي من البرامج التعليمية كل المواد التي يمكن أن تؤذي روح الشباب، وسنجعل منهم مواطنين مطيعين يحبون وطنهم. وبدلاً من السماح لهم بقراءة التاريخ الكلاسيكي القديم الذي يحتوي على السلبيات أكثر من الإيجابيات. سنجعلهم يدرسون مشاكل المستقبل. وسنلغي من الذاكرة الإنسانية مدونات القرون الماضية، التي ربما تكون غير مفيدة

لنا. وعن طريق التعليم المنهجي نكون قادرين على القضاء لكل ما تبقى من استقلال الفكر الذي يحافظ على أهدافنا الى وقت طويل. وسنضاعف ضريبة الكتب التي تقل صفحاتها عن ثلثمائة صفحة، وهذه القياسات سترغم الكتّاب على نشر الأعمال ذات الحجوم الكبيرة وبالتالي سيكون إقبال القراء عليها قليلاً. ونحن، من الجانب الآخر، سننشر الأعمال ذات الأسعار الواطئة لتعليم العقل العام. وتقود الضريبة الى إنقاص متعة القراءة، ولا أحد من الذين يريدون مهاجمتنا بأقلامهم لديهم ما يُمكّنهم من الحصول على ناشر.' وتعلقا بالإعلام، فإن خطة اليهودي ستصور حرية زائفة لذلك الإعلام الذي يضمن سيطرة عظيمة على الأفكار. ووفقاً لحاخامتنا، ثمة العديد من المجلات التي من الممكن شرائها، وهكذا، بإمكانها أن تعبر بوضوح عن وجهات النظر المتباينة، وبهذا نعطي الإنطباع عن النشر الحر للآراء، مع أنها في الواقع جميعاً تعكس آراء الحكام اليهود. سيلاحظون أنه ليس من الصعوبة بمكان شراء الصحفيين، كما هو الحال لدي الإخوانية الماسونية، وليس ثمة ناشرون يجرؤون على عرض ما لديهم عموماً لأن لا أحد يسمح في عالم الصحافة وغير متورط في بعض النشاطات المشبوهة في حياتهم الخاصة ' ستُمنع الصحف جميعها ، بالطبع، من نشر التقارير عن الجرائم، لأن الناس سيصدقون أن النظام الجديد قضى على سلوك الجريمة. لكن من الصعوبة النادرة أن نقلق على قيود الصحافة، ذلك أن الناس يوزنون بالعمل والفقر، ولا يلاحظون إن

كانت الصحافة حرة ام لا. ولماذا ينبغي على العامل البروليتاري الإهتمام إن كان النمامون لهم الحق بقول النميمة؟

قال غولونفسكي بإندهاش " هذا رائع، إن مشاغبينا هم دائماً يشكون من رقابة الحكومة المفروضة. وعليهم أن يدركوا أن الحكومة اليهودية ستكون حكومة سيئة."

" الى هنا يبدو أن الأمر أفضل: ويجب أن نحذر التفاهة، والتقلب وانعدام الحس العام للجماهير. إن الجماهير عمياء ولا تملك بعد نظر؛ أنها تستمع في لحظة ما الى اليمين، ولحظة اخرى الى اليسار. هل من الممكن أن تدير الجماهير شؤون الدولة دون ارباك بمصالحها الخاصة؟ وهل بإمكانها تنظيم نفسها دفاعا عنها ضد الأعداء الأجانب؟ أنه من المستحيل تماماً، لأن أي خطة، حين تتوزع على عدد عقول الجماهير، تفقد قيمتها وبذلك تكون غامضة ويستحيل تنفيذها. إن الأوتوقراط هم وحدهم القادرون على التخطيط على نطاق واسع، وتوزيع الأدوار على الجميع في ميكانيزمية آلة الدولة... ولا يمكن أن تقام الحضارة دون طغيان مطلق، لأن الحضارة هي وحدها التي ترقى تحت حماية الحاكم، كائنا مَنْ كان ذلك الحاكم، وليس الجماهير.' وصلنا الى هنا. إنظر الى هذه الوثيقة الأخرى: ولأنه لا يوجد دستور يُظهِر رغبات الشعب، فإن خطة القيادة يجب أن تبرز من مصدر فردي' واقرأ هذه الوثيقة:' سنسيطر على كل شيء، مثل اسلحة فشنو

المتعددة. ولسنا بحاجة الى الشرطة: فإن ثلث رعايانا سيسيطرون على الثلثين الآخرين."

" رائع."

هنا وثيقة أخرى: الناس هم برابرة، ويتصرفون ببربرية في كل فرصة سانحة. انظر الى اولئك الكحوليين المزعجين، الذين يستهلكونه بلا حدود، اختزلهم الشراب الى حماقة، نتيجة تمتعهم بالحرية ! فهل نسمح لأنفسنا وعوائلنا أن نتصرف مثلهم؟ أن الكحول قاد المسيحيين الى طريق الضلال؛ شبابهم ممزق بجنون مفرط سابق لأوانه وبتحريض من عملائنا... وبإستخدام قوة السياسة المحض نكون الرابح الوحيد، ويجب أن يكون مبدأها العنف، والمكر والرياء هما الحاكم. والشر هو الطريقة الوحيدة لإنجاز عمل الخير. يجب أن لا نتوقف عند الفساد والخداع والخيانة بإتباع وسيلة " الغاية تبررها الوسيلة "

" وهناك حديث كثير عن الشيوعية في روسيا. ماذا يعتقد حاخامات براغ عن هذا الموضوع؟"

" إقرأ هذه الوثيقة: ' والسياسة تمكننا من مصادرة الممتلكات دون تردد، وإن، عملنا بهذه الطريقة، نكون قادرين على اسقاط الآخرين وبالتالي نربح السلطة. وتعلقاً بالعمال إذ سنبدو لهم محررين، ونتظاهر بحبهم تنفيذاً لمبادىء اعلان الإخوانية بواسطة ماسونيتنا. وسنعلن أننا جئنا لتحريرهم من الإضطهاد، وسندعوهم للإنضمام الى صنوف

جيوشنا من الإشتراكيين، والعدميين والشيوعيين. إن الطبقة الأرستقراطية التي تستغل طبقات العمال، كانت مع ذلك مهتمة لتطمينها بأنها ستمدهم بالغذاء الصحي والقوي. بيد أن هدفنا هو عكس هذا: اننا مهتمون بإنحطاط الديانات غير اليهودية. وتكمن قوتنا في الحفاظ على العامل في حالة من الفقر والعجز الجنسي، بهذا العمل نكون قد حافظنا على خضوعه الى مشيئتنا، وفي محيطه الخاص هذا لن يجد أبداً القوة والطاقة الكافيتين للوقوف بوجهنا. ' وهنا هذه الوثيقة: وبإستخدام الوسائل السرية المتاحة كلها سنُحدِث مشكلة اقتصادية كونية، يساعدنا في ذلك الذهب، الذي هو ملك أيادينا. وسنعمل على إنقاص جحافل العمال المنتشرين في كل أوربا لنصل بالتالي الى تحطيمهم. إن هذه الجماهير سترمي بنفسها بعد ذلك بسرور في احضان اولئك، الذين هم في غمرة جهلهم كانوا حكماء منذ طفولتهم، وسنغنم ممتلكاتهم ونسفح دماءهم. إنهم لن يأذوننا، لأننا نملك معلومات جيدة عن توقيت هجومهم وسنتخذ الإحتياطات الضرورية لنحمي مصالحنا."

" وهل لديك أي معلومات عن اليهود والماسونية؟"

" بالطبع، هذي هي. قلما نستطيع أن نوضح اكثر: الى أن ننجز سلطتنا، سنؤسس ونزيد عدد المحافل الماسونية في كل مكان من العالم. وستزودنا هذه المحافل بمصادرنا الأساسية من المعلومات؛ وستكون ايضاً مراكز لدعاياتنا. في هذه المحافل سنجذب معاً

الإشتراكيين والثوريين والطبقات الثورية في المجتمع. سيكون أغلب عناصر الشرطة السرية العالمية اعضاء في محافلنا. ومعظم هؤلاء الذين سينضوون تحت جمعيات سرية هم انتهازيين يسعون الى شق طريقهم بوسائلهم الخاصة دون هدف يستحق. مع مثل هؤلاء الناس سيكون من السهل علينا الوصول الى هدفنا. يجب، بالطبع، اكمال السيطرة على النشاطات الماسونية."

" رائع !"

تذكر ايضاً أن اليهود الأثرياء ينظرون بإهتمام الى سلالة اللاساميين الذي يؤثرون على اليهود الفقراء، وبسبب حث المسيحيين الطيبين وشعورهم بالشفقة إزاء سلالتهم برمتها. إقرأ هذي: كانت مظاهرات المناهضين للاسامية مفيدة جداً للقادة اليهود، حينما يحرضون العواطف في قلوب الأديان غير اليهودية إزاء الناس الذين كما يبدو في قلوبهم مرض. سيخدم هذا بعد ذلك لتأمين الكثير من العاطفة بين تلك الأديان للقضية الصهيونية. أما اللاسامية التي إتخذت صيغة اضطهاد لطبقة اليهود الواطئة، ساعدت القادة للسيطرة عليهم وإبقاءهم تحت ظل العبودية. وقبلوا بهذا الإضطهاد لأنهم تدخلوا في اللحظة المناسبة وأنقذوا اخوانهم. ولاحظ خلال فترة اضطراب معاداة قادة اللاسامية أنهم لم يعانوا أبداً لا في طموحاتهم أو مواقعهم الإدارية الرسمية. كان هؤلاء أنفسهم القادة الذين اطلقوا " كلاب حراسة الدرواس المسيحية الضخمة " ضد اليهود من الطبقات

اليهودية الدنيا. وحققت تلك الكلاب نظاماً بين أسرابهم ليساعدوا في تقوية ثبات آل صهيون. "

ووجدت ايضاً عدداً كبيراً من الصفحات التقنية على نحو مفرط أن جولي قد كرس لقروض وآليات نسب الفوائد. لم أفهم عنها كثيراً. لم أكن متأكداً إن كانت الضريبة قد تغيرت منذ زمن جولي، ولكن اعتمدت على مصادري وأعطيت غولونفسكي صفحات وصفحات ربما انها من المحتمل قد تكون مهمة لتاجر حرفي ماهر قد سقط في الديون، أو في الحقيقة في هوَّة الربا.

أخيرا، كنت قد استمعت مؤخرا الى مناقشات في صحيفة La Libre Parole، حول مترو سكك حديد العاصمة الذي كان يبنى في باريس. كان قصة قديمة إستمرت لعقود، لكن لم يصادق على خطة المشروع رسميا حتى شهر تموز سنة (٩٧)، ودُشِنت أولى الحفريات للخط بين بورتيه فينسين وبورتيه دي ميلوت. وما زال هناك القليل من الإنجاز، بيد أن شركة ميترو قد تأسست، وشنت صحيفة La Libre Parole حملة إستمرت أكثر من سنة ضد عدد كبير من اليهود المساهمين المتورطين فيه. فكرت أن من المفيد، في ذلك الحين، لربط المؤامرة اليهودية بمشروع سكك الحديد وبناء على ذلك كُتب:" ستؤسس في جميع المدن قطارات المترو والأنفاق ، ومن هناك، ننسف كل مدن العالم، فضلا عن مؤسساتها وكل وثائقها."

وسأل غولونفسكي" ولكن إذا كان الإجتماع في براغ عُقد في مثل هذا الوقت الطويل، كيف يستطيع الحاخامات أن يعرفوا عن قطارات المترو؟"

" قبل كل شيء، إذا ذهبت ونظرت الى آخر طبعة ل " خطب الحاخامات، ' التي ظهرت بعد عشر سنين تقريباً في صحيفة المعاصر فإن اجتماع الحاخامات جرى في مقبرة براغ في سنة(١٨٨٠)، حينما كنت أظن أن ثمة قطارات مترو في لندن. على كل حال، يكفي تماماً أن تلك الخطة تبدو شبيهة بالنبوة."

وقد فوجيء غولونسكي كثيراً بهذه الأوراق، التي اعتقد، أنها ستكون مكتوبة بعباراته، وواعدة تقريباً. ولاحظ بعد ذلك،: " ألا تعتقد أن كثيراً من هذه الأفكار مُعبَّر عنها في هذه الوثيقة تناقض واحدتها الأخرى؟ وعلى سبيل المثال، أن اليهود يريدون تحريم الرفاهيات والمتع الفائضة ووضع عقوبات على المدمنين، ومن ثم، وحتى النفس الأخير، يشجعون الرياضة والتسلية، ويحولون العمال الى كحوليين. "

" إن اليهود دائماً ما يقولون شيئاً ثم يقولون عكسه – إنهم كذابون بالطبيعة. ولكن اذا انت انتجت وثيقة من صفحات طويلة عدة، فإن الناس لا يقرؤونها دفعة واحدة. وعلينا أن نحاول للحصول على موجة واحدة من الإشمئزاز بعد الأخرى، وحين يقرؤون بياناً يفضحهم هذا اليوم، فإنهم سينسون ذلك البيان الذي فضحهم يوم أمس. وإذا قرأت بدقة، أنك سترى أن حاخامات مقبرة براغ يرغبون بإستخدام الترف،

والتسلية والكحول ليقللوا من شأن عامة الناس وبالتالي استعبادهم اليوم، ولكنهم إذا حصلوا ذات مرة على السلطة، فإنهم سيرغمون الناس على العيش على نمط من الحيوات بعيدة جداً عن الإعتدال."

" هذا صحيح تماماً، إعذرني. "

وخلصت الى اعتداد بالنفس مشروعا " كما ترى، تأملت عبر هذه الأوراق عقوداً وعقوداً، منذ أن كنت صبيا، أنني اعرفها ظهراً على بطن."

" إنك على صواب، لكن اريد ان انتهي الى كلام قوي جداً، بشيء ما يجب ان تضعه في عقلك وترمز به الى ظلم اليهود. على سبيل المثال: " هدفنا هو ذلك الطموح الذي لا يعرف الحدود، نهم جشع، رغبة في الإنتقام دون رحمة، كراهية مكثفة ' "

" ليس كل رواية رخيصة هي سيئة. لكن ألا تعتقد أن اليهود هم اغبياء ولا شيء غير ذلك، ومن المحتمل القول إن ثمة شيئاً ما سيدينهم فعلاً؟"

" أنا لست قلقا حول هذا الموضوع. تحدث الحاخامات في المقبرة، وبالتأكيد لا احد كان يسمعهم. إنهم لا يخجلون. والجمهور يجب أن يشعر بشيء بالغضب. "

كان غولونفسكي متعاوناً جيداً. أخذ، أو تظاهر أن يأخذ، أوراقي بوصفها وثائق أصلية. ولكنه لم يتردد في تبديلها حين رآها مناسبة له. راشكوفسكي اختارالرجل المناسب.

قال غولونوفسكي في نهاية الكلام " انا اعتقد، أنني املك من الوثائق ما فيها من الكفاية الى حد نطلق عليها " بروتوكولات اجتماع الحاخامات في مقبرة براغ."

كانت مقبرة براغ تسللت خارج إرادتي، بيد أنني من المحتمل كنت قد اسهمت في انجاحها. وبمشاعر من الإرتياح دعوت غولونفسكي الى العشاء في بايلراد، الذي يقع في زاوية الجادة.. الإيطالية، كان الطعام غالٍ، لكنه رائع. وقد قيم غلونفسكي جيداً لحم فراخ الدجاج والبط، بيد أن رجلا قادماً من السهوب من المحتمل أن يكون مدسوساً بإتقان مع شوكروت choucroute. ستكلفني وجبة الطعام هذه قليلاً، على كل حال بإمكاني تجنب نظرات شك النادل كزبون يمضغ علكته بصخب.

لكنه راح يتناول طعامه بتلذذ وعيناه تومضان بإثارة، ربما بسبب النبيذ او – لا اعرف – او للخروج من بعض المشاعر الدينية والسياسية.

قال " ستكون قطعة رائعة للكتابة، تظهر عمق كراهيتهم كسلالة ودين. وتتدفق تلك الكراهية من صفحاتها، وتبدو أنها تطفح من وعاء أصفر مليء بالنكد. والكثير يدرك أننا وصلنا الى لحظة الحل الأخير."

" إنني سمعت حالياً هذا التعبير من عثمان بك – انك تعرفه؟"

" سمعت به. لكن من الواضح، ان هذه السلالة الملعونة يجب اجتثاثها من الجذور مهما كلف الأمر."

" لا يبدو على راشكوفسكي أنه يتفق مع هذا الرأي، قال، إنه من الأفضل البقاء على اليهود أحياءً كعدو جيد."

" إسطورة. إنه من السهل أن تجد عدواً جيداً، لا تتخيل، لأنني حسب أعمل لصالح راشكوفسكي، الذي أشاركه افكاره جميعها. وعلمني بنفسه، وأنت تعمل لصالح سيدك هذا اليوم، يجب عليك أن تهيء نفسك الى خدمة سيد آخر غداً. إن راشكوفسكي لن يبقى الى الأبد. في روسيا المقدسة ثمة الكثير من الآراء الراديكالية افضل من هذه الآراء. والحكومات الغربية هي من الجبن بحيث لا تستطيع أن تتخذ قراراً نهائياً. وفي الجانب الآخر، أنها بلد مليء بالحيوية والأمل البراق، ويفكر دائماً بالقرار الشامل. من هناك يجب علينا أن نتوقع الإشارة الحاسمة، ولكن ليس من أولئك الرجال الفرنسيين الذين يستمرون بالنزهة حول الأخوة والماساواة،egalité وfraternité، وليس من الألمان المساكين الذين ليس بمستطاعهم ايجاد اشارات كبيرة جداً... "

قد خمنت حالياً كثيراً بعد الإجتماع الليلي مع عثمان بك. وقد قرر باريويل أن لا يتعقب مزاعم جدي بعد قراءة رسائله لأنه يخشى من كارثة عامة. لكن ما أراده جدي من المحتمل تماماً ما تنبأ به عثمان بك و غولونفسكي. ربما ادانني جدي أنني حولت حلمه الى حقيقة. أوه، يا إلهي ! لم يكن حسن الحظ يناسبني لإلغاء الناس تماماً. لكنني أسهمت بطريقتي المتواضعة.

كان، بعد كل شيء، عملاً مناسباً. إن اليهود لن يبيعونني أبداً ليدفعوني الى إبادة جميع المسيحيين. وفكرت، منذ أن كان كثيراً من المسيحيين وإذا كان من الممكن أن يقوموا بذلك انفسهم. لمسح اليهود. قولا وفعلا. وهذا ممكن. وبغض النظر عن عددهم، الله سبحانه وتعالى نجح في اغراقه البشرية كلها خلال مرحلة الطوفان، وكانت نسبة اليهود قليلة قياساً لسكان الأرض في زمن نوح.

انا لا اريد تدميرهم بنفسي – انا(كحاكم) رجل مرتد عن العنف الجسدي – بيد أنني ادركت كيف يجب ان يحدث هذا، ومنذ ان عشت خلال أيام الكومونة. خذ مثلاً عصابات الرجال الذين تدربوا جيداً وتلقنوا، وبامكانهم ان يسحبوا أي شخص من انفه المعكوف ويشدون شعره الى الحائط. وإنك في نهاية المطاف فقدت قليلاً من المسيحيين، بيد أن، في عبارات الأسقف الذي هاجم فيها Beziers حين احتلهم الكاثار، أنه من الأفضل ان نكون حكماء ونقتل الكثير. ويعرف الرب ناسه. كما جاء هذا في بروتوكولاتهم، ولكن في نهاية الأمر إتبّعوا مبدأ الوسيلة تبررها الغاية.

(٢٧)
مسك الختام

العشرون من كانون أول / ديسمبر ١٨٩٨،سلّمت الى غولوفنسكي ما تبقى من المادة المتعلقة ببروتوكولات المقبرة، وشعرت بالخواء." وماذا بعد؟ " تساءلت، كما يتساءل طالب شاب بعد تخرجه. وشفيت من مشاعر انفصامي، ولم يَعُد لدي ما اسرد عليه يومياتي.

اتممت مشروع حياتي، الذي ابتدأ مع قراءتي لرواية بالسامو لدوماس في غرفة على السطح في تورين. أفكر في جدي، عيناه تحدقان في المسافات وهو يصف شبح موردخاي. وبفضل عملي هذا، فإن كل الموردخايات في هذا العالم هم في طريقهم الى محرقة موجعة هائلة. لكن ماذا عني أنا؟ ثمة شعور بالمنخوليا يخالجني حينما أتممت العمل، كانت منخوليا أعظم واكثر دقة من حزن ينتاب المرء وهو في رحلة سفينة بخارية.

واصلت تزوير الوصايا وبيع العشرات منها في الإسبوع الواحد، بيد أن هيبوتيرن لم يعد يأتي لزيارتي - ربما يعتقد أنني أصبحت شيخاً كبيراً - وربما نسيت كذلك كل شيء عن الجيش، ربما حذف اسمي من عقول اولئك الذين يتذكرونه، إن كان أيّاً منهم بقي على وجه

الأرض، بإستثناء ساندهير الذي يرقد الآن مشلولاً في المستشفى وايستيرهازي يلعب القمار في ماخور أنيق في لندن.

لا أحتاج الى المال – فقد وفرت منه ما فيه الكفاية – لكنني سئم. أشعر بإضطرابات في معدتي تمنعني من تذوق الطعام. طَهيت حساءً في المنزل، واشعر أنني إذا ذهبت الى المطعم فسأبقى متيقظا طوال الليل. واحياناً أتقيأ. وأُكثر من شرب الماء اكثر مما ارغب.

مازلت أزور مكاتب صحيفة La Libre Parole، لكن لم يَعُد صراخ درومونت ضد الساميّة يهمني. بالرغم مما حدث في مقبرة براغ، فإن الروس يعملون الآن على ذلك.

مازالت قضية دريفوس تستعر بعيداً. واليوم هناك الكثير من الضجيج عن مادة مفاجئة من تأليف الدريفوسيّن الكاثوليكيين في صحيفة لا كروا، الصحيفة التي كانت دائماً تعبر عن مناهضة الدريفوسييّن(ما هذه الأوقات المدهشة التي كانوا فيها حينما قامت صحيفة لا كروا في دعم ديانا !)، ويوم أمس كانت الصفحات الأمامية مليئة تماماً بالأخبار عن مظاهرة عنيفة ضد السامية في دي لا كونكورد. وطبعت صحيفة ساخرة رسوماً كارتونية مزدوجة خططها كاران دي آشي: في الصورة الأولى، ثمة عائلة كبيرة جالسة الى طاولة وتظهر على وجهها علامات الفرح بينما راح الأب يحذرهم من النقاش

في قضية دريفوس؛ وعنوان فرعي، يظهرفيه شخص اخذ في الحديث عنها، ثم نرى انفجار الغضب.

مازالت القضية تقسم الفرنسيين و(مما قد قرأت هنا وهناك) في بقية العالم. هل سيعاد النظر في القضية؟ في الوقت الذي يرزح دريفوس تحت الأسى في كايين. لكنهم يقومون بخدمته.

ذهبت لزيارة الأب بيرغاماشي ووجدته مُتعباً ومتقدماً في العمر. وقلما تثيره الدهشة – إذا أنا بلغتُ الثامنة والستين، فإنه لا بد وقد بلغ الخامسة والثمانين.

قال " يا سيمونينو، أريد أن أودعك. عائدا الى ايطاليا، لأقضي ما تبقي لي من عمر في أحد منازلنا. وعملت ما فيه الكفاية من أجل مجد ربنا. وأنت؟ آمل ألاّ تزج نفسك في متاعب كثيرة مرة أخرى؟ انني اواجه مخاوف المشاكل. كم من السهل أن تعتاد على ايام جدك؟ الكاربوناريون في جانب، ونحن في جانب آخر. الجميع عرف من هم واين اعداءهم. إن الحياة من هذا القبيل لن تستمر طويلاً."

بدأ يفقد ذاكرته. احتضنته بحنان وغادرت.

~~~

في مساء يوم أمس كنت امر مِن امام سان– جوليان – لي – بوفريه. كان جالساً قرب الباب الرئيس ويبدو أنه كان بقايا حطام إنسان، ومصاباً
~~~

بعمى ,cul-de jatte، كانت صلعة رأسه تغطيها ندب مزرَّقة. كان يعزف لحنا متوتراً في صفارة وضعها في أحد منخريه، بينما المنخر الآخر راحت تخرج منه هسهسة خافتة، في الوقت الذي كان فيه فمه ينفتح ليسحب نَفِساً، كما لو أنه كان يغرق.

كان مشهده يخيفني، لكنني لا أعرف لماذا، وكما لو أن الحياة أمست شيئاً مزعجاً.

~~~

لم أستطع النوم. عشت أحلاماً مقلقة ظهرت فيها ديانا شاحبة شعثاء الشعر.

كثيراً ما استيقظ في النهار، اخرج واشاهد جامعي اعقاب السيجار. إنهم دائماً مايسحرونني. أشاهدهم في الصباح الباكر يتجولون حاملين اكياسهم النتنة التي تنبعث منها رائحة التبغ ومشدودة بخيوط سميكة الى أحزمتهم ومثبتة بمسامير معدنية واعتادوا التقاط أعقاب السيجائر بأدوات حاربونية حتى لو كانت تحت المناضد. ومن الممتع جداً مشهد النوادل وهم يقذفون بهم خارج المقهى في الهواء الطلق، واحياناً يرشونهم بسيفون ماء الصودا.

وينفق كثير من جامعي أعقاب السيجار ليلتهم على إمتداد جسر نهر السين، وفي الصباح نراهم يظهرون جالسين على الأرصفة، وهم
~~~

ينثرون التبغ، الذي ما لبث رماداً رطباً وناعماً، أو يغسلون قمصانهم الملطخة بالتبغ السائل ثم ينتظرونها لتنشف تحت أشعة الشمس بينما هم يستمرون في عملهم. وأكثرهم جرأة هم أولئك الذين لا يجمعون أعقاب السيجار حسب، بل يجمعون السيجائر ذاتها ايضاً، حيث يفصلون الأوراق الرطبة عن التبغ وتُعد هذه مهمة متميزة.

ويمكن مشاهدتهم وهم يتزاحمون ويتجولون حول ساحة موبيرت، يبيعون بضاعتهم، وحالما يربحون قليلاً من السنتات، يختفون في الحانات يكرعون الكحول السامة.

شاهدت حيوات اناس آخرين ينفقون حياتهم في تزجية الوقت. بينما انا اعيش كمتقاعد، او كمحارب قديم.

~~~

إنه شيء غريب. احس بنوستالجيا الى اليهود. افتقدتهم. منذ طفولتي وأنا ابني مقبرتي براغ حجراً بعد حجر(إذا جاز لي القول)، ويبدو الآن أن غولوفنسكي قد سرقها مني. مَنْ يعرف ماذا يفعلون بها في موسكو؟ ربما إنهم أدخلوا بروتوكولاتي معاً في وثيقة بيروقراطية جافة خالية من اطارها الأصلي. لا أحد يريد قراءتها. وسأضيّع حياتي في تقديم شاهد دون هدف. أو ربما هذه هي أفكار حاخاماتي
~~~

(وسيبقون دائماً حاخاماتي) للإنتشار في العالم كله وسيؤدون دورهم فيها حتى الحل النهائي.

~~~

قرأت في مكان ما أن ثمة مقبرة لليهود البرتغاليين في أقصى زاوية فناء قديم في جادة دي فلاندر. وشيّدت هنالك دار في نهاية القرن السابع عشر تعود الى شخص يدعى كامو، الذي سمح لليهود، خاصة الألمان منهم ليدفنوا موتاهم هناك بمبلغ خمسين فرنكا للكبار وعشرين فرنكا للصغار. وبعد ذلك تحولت الدار الى رجل يدعى ماتارد ويعمل دبّاغ جلود حيوانات الذي شرع بدفن رفات خيوله وثيرانه المسلوخة بالقرب من مقبرة اليهود، مما أثار احتجاجهم. واشترى اليهود البرتغاليون قطعة أرض مجاورة لدفن موتاهم. أما اليهود من البلدان الشمالية فإنهم وجدوا مكانا آخر في مونتروغ.

في مستهل هذا القرن تقريباً أُغلقت هذه المقبرة، ولكن بإمكانك زيارتها. تضم عشرين شاهدة قبر تقريباً، نُقش على بعضها باللغة العبرية والبعض الآخر بالفرنسية. وقد لاحظت شيئاً غريباً يُقرأ كما يلي: دعاني الله سبحانه وتعالى في الثالثة والعشرين من عمري. لبيت نداءه في ان اكون عبداً مطيعاً له. هنا يرقد المرحوم صاموئيل فرنانديز باتّو، توفي في الثامن والعشرين في السنة الثانية من الجمهورية الفرنسية
~~~

الأولى والوحيدة " اذا ارتأينا الدقة في عهد الجمهوريين، والعلمانيين واليهود".

المكان مهجور، بيد انه ساعدني على تخيلي لمقبرة براغ، التي كنت قد رأيتها في الصور التوضيحية حسب. كنت سارداً جيداً، كان ينبغي عليَّ أن أكون فنانا: ومن تفاصيل قليلة خلقت مكانات سحرية، مثل، مركز المقْمَرة الشريرة للمؤامرة العالمية. لماذا جعلت إبداعي ينزلق من بين أصابع يديَّ؟ كان بإمكاني القيام بأشياء كثيرة اخرى.

~ ~ ~

عاد راشكوفسكي. قال انه مازال يحتاجني. كنت منزعجا. قلت " إنك لم تلتزم بالإتفاق بيننا. واعتقد أننا صفينا الحساب بيننا. وانني اعطيتك المادة قبل ظهورها وقبل أن يراها أي أحد، وبهذا أنك حافظت على سر شبكة مياه المجاري. في الحقيقة، أنا الذي يطالب بعض المستحقات. إنك لا تتخيل مثل هذه الوثيقة المجانية المهمة.

قال الروسي " إنك أنت الذي لم تحافظ على الإتفاق، فقد سًدد ثمن الوثائق مقابل صمتي. والآن تريد مني نقوداً كذلك. جميل إذن، لا أناقشك، فالمبلغ سيُدفع مقابل الوثائق. لذا فأنت ما زلت مديناً لي ببعض المال لقاء صمتي عن موضوع شبكة مياه المجاري. ولكن لا أعتقد أننا سنتماحك، ياسيمونيني. لأنك لا تستحق ثمن هذا الجهد.

وقد أخبرتك أنه من الجوهري لفرنسا أن تكون المذكرة أصلية، وليس لروسيا. وبإمكاني بسهولة أن اشهِّر بك في الصحافة. وستنفق بقية حياتك في المحاكم. آه، نسيت أن أوضح أنني حصلت بعض الشيء عن تأريخ حياتك، فقد تحدثت مع الأب بيرغاماشي والمسيو هيبوتيرن. وأخبراني أنك ستقدم تلك الوثائق الى آبي دالا بيكولا، الذي كان متورطاً في قضية تاكسيل نفسه، وحاولتُ إيجاده. ويبدو أنه تلاشى مع الريح، مع الآخرين الذين كانوا يسكنون في منزل في أوتيويل – بإستثناء تاكسيل نفسه، الذي كان يتجول في باريس. كان يحاول ايجاد رجل الدين المفقود. وبإمكاني توريطك في قتله.

" ليس هناك جثمان له."

" ثمة أربعة منهم في القبو. مَنْ وضع تلك الجثامين الأربعة في شبكة مياه المجاري يستطيع أن يتصرف جيداً ليضع جثماناً آخر في مكان آخر."

كنت تحت رحمة ذلك الحقير. قلت " جيد للغاية، ماذا تطلب؟"

" هناك فقرة في المادة التي كنتَ قد أعطيتها الى غولونفسكي وجدتها فاتنة: " تتضمن خطة لإستخدام سكك قطار المترو ستعيث خرابا في المدن الكبرى. لكن تعلقاً بالمحاججة فإنها بحاجة الى برهان، ونحتاج ايضاً الى قليل من القنابل لتنفجر فعلاً هناك."

" أين؟ لندن؟ لا توجد أي سكك حديد للمترو هنا حتى الآن. "

" إنهم شرعوا بالحفر. وهناك حفريات فعلاً على طول نهر السين. إنك لن تستطيع أن تفجر باريس برمتها. وكل ما احتاجه هو دعامتين أوثلاث دعامات ساندة تكون جاهزة للسقوط، فإذا هدمت جزءً من الطريق، يُعد هذا شيئاً مهماً، انفجار صغير، ولكنه شبيه بالتهديد - والتصميم. "

" فهمت. ولكن أين أنفذ المهمة؟ "

" إنك الآن تعمل في المتفجرات وأستنتج أنك تعرف بعض الخبراء البارعين. ينبغي عليك ان تنظر للأشياء بدقة. إنني متأكد من كل شيء أنك تفجر دون إثارة ضجة - فإن الحفريات الأولى دون حراسة ليلية. لكن دعنا نفترض، سوء الحظ، إذا إكتشف أحد ما القنبلة، فإن كان فرنسيا، فإنه سيتعرض للسجن لسنوات قليلة، ولكن إذا كان روسيا ستشتعل حرب روسية - فرنسية. ولا يمكن أن يكون أحد رجالي. "

كنت على وشك الغضب. لا يمكنني التورط بعمل جنوني مثل هذا، انا رجل سلام، رجل مسن في العمر. وتوقفت عن مثل هذه الأعمال، نتيجة ما كان يسببه ذلك الخواء الذي ينتابني منذ أسابيع، لم أعد اشعر بذلك الإحساس البطولي؟

وبقبولي هذه المهمة فإنني سأعود الى الخط الأمامي. وسأكون عاملاً مساعداً لجلب شرف مقبرتي براغ. ومن المحتمل أن اجعل منها أكثر واقعية مما هي الآن. ومرة أخرى، كنت أدحر السلالة كلها.

أجبته "عليَّ أن اتحدث مع الرجل المناسب، وسأخبرك خلال أيام معدودة."

~~~

خرجت لأبحث عن غافيالي. الذي ما فتىء يعمل في بيع الملابس العتيقة، ومن حسن حظي الذي قادني إليه هو، أن اوراقه كانت نظامية، ويدخر نقوده، ولكن لسوء الحظ، كانت صحته متدهورة في السنوات الخمس الماضية - وتركت مدينة كايين بصماتها عليه. يداه تختضان، ويصارع كي يرفع كأسه، الذي كنت قد ملأته له بكل سخاء مرات عديدة. ويلاقي صعوبة في الحركة، وقلما ينحني، وإنني استغرب كيف يتمكن من جمع خرقه البالية.

إستقبل اقتراحي بحماس متزايد،" أنها لم تعد تستخدم كما كانت سابقا، حين لم يكن بإمكانك استخدام بعض المتفجرات لأنهم لا يعطونك الوقت الكافي للقيام بالمهمة. والآن ان كل شيء يُنجز بوقت كافٍ لتنفيذ التفجير."

" كيف يُنفَّذ العمل؟"

" شيء بسيط. تأخذ معك أي نوع من ساعات التحذير وتضبطها بما يناسبك من وقت. وحين تؤشر الساعة على الوقت المحدد، فإن التحذير ينفجر، وبدلاً من تفعيل الجرس، ربما بإمكانك ربطه، فإنه يفعِّل القنبلة، وتنطلق مخلفة دوياً، وامامك عشرة اميال لتنجو بجلدك."

في اليوم التالي جاء ليراني، جالبا معه آلة صغيرة بسيطة ومرعبة، كيف توصل تلك الآلة بسلك الى اي ساعة تحذير، أن هذا الحجم
~~~

الصغير الذي يشبه حجم لفت الأبرشية، هل بإمكانه أن يحدث انفجاراً؟ طمأنني غافيالي بإعتداد. حتى الآن نعم.

بعد يومين ذهبت لتفجير الحفريات، وسألت بعض العمال بفضول بليد العديد من الأسئلة. ووجدت منفذاً حيث بإمكاني النزول من الطريق الى مستوى الحفريات بسهولة، ومن ثم الدخول الى النفق المسنود بدعامات. ليس ثمة حاجة أن اعرف الى أين يؤدي النفق، اوحتى فيما اذا كان يؤدي بك الى مكان ما. وكل ما أريد القيام به هو مكان القنبلة في المدخل، وهذا كل ما في الأمر.

ينبغي عليَّ أن أتظاهر بالبلادة مع غافيالي: " انني احترم جداً خبرتك، بيد أن يديك ترتجفان ومن الصعوبة أن تحملك ساقاك، وليس بإمكانك النزول الى النفق، ومن يعرف الى أين يؤدي هذا العمل لمثل هذه الأسلاك التي حدثتني عنها."

كانت عيناه دامعتين. " إنني حقاً، قد انتهيت."

" منْ يستطيع القيام بهذا العمل بدلاً عنك؟"

" لا أعرف أحدا. فإن كل أصدقائي، لا تنس، ما لبثوا في كايين. إنك ارسلتهم الى هناك، وأنت مسؤول عن ذلك. انت اردت تفجير القنبلة؟ وعليك أن تقوم بذلك بنفسك؟

" هراء، انا لست خبيراً."

" لا يجب عليك أن تكون خبيراً، وذات مرة قام احد الخبراء بتعليمك. انظر حسب الى هذه الأشياء التي وضعتها على الطاولة. هذا كل ما تحتاجه لتحديد وقت الإنفجار. واختيارأي ساعة للتوقيت، مثل

هذه الساعة، شريطة أن تفهم الميكانيزمية في داخل تلك الأجهزة التي تُفجِّر في الوقت المحدد. وبعد ذلك،تفعِّل بطارية التحذير، وتفعيل المفجر، أنا رجل من الطراز القديم، لذا سأستعمل بطارية توليد دانيال. وفي هذا النموذج من البطاريات، لا يشبه فولتيات البطاريات الأخرى، فإن العناصر التي في داخلها تكون سائلة بشكل رئيس، نصف حاوية صغيرة مليئة بكبريت النحاس والنصف الآخر بكبريت الزنك. وتوضع صفيحة صغيرة من النحاس في محلول النحاس وصفيحة الزنك في محلول الزنك. وتشكل نهايات الصفيحتين قطبي البطارية. هل فهمت؟ "

" الى حد ما، نعم."

" جيد. لكن المشكلة الوحيدة هي مع بطارية توليد دانيال يجب ان تكون حذراً في تحريكها، وحتى تتصل بالمُفجِّر وبالمادة المتفجرة، ومهما يحدث، فليس هناك مشكلة. وحين توصلها بأعلى السطح، فآمل – وبعكسه فإن المُشغِّل يكون مُعفّلا. وتعلقا بالمتفجِّر، فإن أي نوع من الشاحنة تكون وافية بالغرض. وأخيراً نأتي الى هذه الشاحنة عينها. ففي الماضي، كما تتذكر، فقد إعتدت استخدام البارود الأسود. لكن قبل عشر سنوات إخترعوا متفجرات البالستيت – عشرة بالمائة كافور والأقسام الأخرى المتساوية من مادة النتروجليسيرن وسائل الكولوديون الدبق. وثمة مشكلة في بداية الأمر مع الكافور، الذي يتبخر بسهولة، صانعاً مُنتجاً غير مستقر، ولكن بعد أن شرع الإيطاليون بإنتاجه في أفيغليانا، بدا معتمداً عليه. أو أنني استطيع أن أقرر

إستخدام الكوردايت، الذي اخترعه الإنجليز، حيث أن خمسين بالمائة من الكافور يحل محل الوازنين، وتعلقاً بالبقية فإنها تأخذ ثمانية وخمسين بالمائة نتروجليسيرين وسبعة وثلاثين قطن البارود، يذوب في مادة الأسيتون ثم يقذفها حتى تبدو سميكة مثل أصابع الإسباغاتي. حينها أقرر ما هو الأفضل، ولكن ليس هناك اختلافاً كبيراً. وهكذا فإن أول شيء تقوم به هو أن تضبط عقارب الساعة للوقت الدقيق، ثم تصل الساعة بالبطارية، والأخيرة بالمتفجر، والأخير بالشاحنة، بعدها يتم تفعيل الإنذار. ولا تنس إرجاع نظام العمليات – فإذا أوصلت بداية، وبعدها فعّلت الإنذار، ومن ثم إعادة عقارب الساعة... بانغ ! هل فهمت؟ بعدها تغادر الى البيت، او الى المسرح، او الى المطعم – في هذه الأثناء ينفجر اللغم ذاتياً. هل فهمت، يا كابتن؟

" نعم، فهمت. "

" لن أذهب بعيداً كما يقول الطفل، ولكن أحد الكابتنات الغاريبالديين القدماء سيكون متأكداً. يجب أن تكون يدك ثابتة وعيناك صافيتين. محض تنفيذك هذه العمليات البسيطة كما أخبرتك. وكل ما تقوم به هو أنك تتبع النظام الصحيح."

~~~

وافقت. إذا نجحت، سأتجاوز سنوات عمري، وسأعود إستعداداً لتمريغ كل الحاخامات في هذا العالم تحت قدمي. وتلك العاهرة في غيتو تورين. Gagnu، هاه؟ سأهتم بكِ.
~~~

أريد أن أتحرر من رائحة ديانا الساخنة، التي تطاردني خلال ليالي الصيف منذ سنة ونصف السنة. وقد أدركت هدفي في الحياة كله لأذل السلالة الملعونة. كان راشكوفسكي مصيبا حين قال: الكراهية وحدها تدفيء القلب.

يجب أن أتمم مهمتي لكل حقوق التاج. فقد أرتديت معطفي وباروكة لحيتي لقضاء سهرات ليلية في نادي جولييت آدم. وعن طريق المصادفة تقريباً اكتشفت أسفل خزانة صغيرة تجهيزات كوكايين بارك وديفيز تلك التي حصلت عليها من الدكتور فرويد. مَنْ يعرف كيف أتت الى هنا؟ ولم أجربها من قبل أبداً، ولكن اذا كان الدكتور مصيباً، فينبغي أن تعطيني نسغاً جديداً. ولدي ايضاً خمس جرعات من الكونياك. وأشعر الآن كما لو أنني أسد.

رغب غافيالي المجيء معي، لكنني لم أسمح له - أنه بطيء جداً، ويقف في طريقي.

وفهمت جيدا تماماً كيف تجري الأمور. وهذا الديناميت يسبب واحداً من الجحيمات التي تثير ضجة.

اعطاني غافيالي التعليمات الأخيرة: " إحترس هنا، وإحترس هناك."

بحق السماء أنني لم اكن حتى الآن عجوزاً مجنوناً عاجزاً.

توضيحات

تاريخياً

إن الشخصية الخيالية الوحيدة في هذه القصة هي شخصية البطل سيموني سيمونيني حسب. أما جدُّه، الكابتن سيمونيني، فهوشخصية غير مبتكرة، وكان معروفاً في التاريخ حسب، بوصفه كاتب رسائل غامض الى آبي بارويل.

وبقية الشخصيات(ما عدا شخصيات ثانوية قليلة عَرَضية مثل نتايو ريبودنغو ونينوزو) هي موجودة فعلياً، وتتحدث وتفعل كما وُصِفت وكما جاء وقيل في هذه الرواية. وهذه حقيقة، وليست تلك الشخصيات التي ظهرت بأسمائها الحقيقية حسب(وربما نجد الكثيرمنها غير محتمل. وحتى شخصية مثل شخصية ليو تاكسيل موجودة فعلا ايضاً) ولكن هناك ايضاً شخصيات ظهرت تحت أسماء خيالية، حيث وتعلقاً بالسرد الإقتصادي فقد خلقتُ شخصية فردية(مُبتَكَرة) تقول وتتصرف بما كان يقال ويُفعل من قبل شخصيتين (حقيقيتين تاريخياً.)

لكن في حالة التأمل، وحتى في شخصية سيمون سيمونيني المصنوعة في الواقع هي شخصية مركَّبة نُسِبت احداثها الى شخصيات أخرى هي فعلياً قامت بتلك الأحداث. وفي الحقيقة، وكي نكون صريحين، أنه مازال يعيش بيننا.

القصة والحبكة

يدرك السارد ذلك، وبكل ما في الكلمة من معنى أن تسلسل الحبكة الفوضوية في اليوميات المُنتَجة هنا (تتحرك للأمام وللخلف، وبإستخدام ما يسمى الإسترجاع، flash back) ربما يجد القاريء صعوبة في تتبع خطى تقدم الأحداث، منذ ولادة سيمونيني وحتى نهاية كتابة يومياته. إنه التوازن القدري بين القصة و الحبكة، وحتى الأسوأ من ذلك، كما اعتاد الشكلانيون الروس القول(وكلهم يهود) بين ال fabula وsjuzet. والسارد، كي يكون صادقاً، فإنه وفي كثير من الأحيان وجد من الصعوبة بمكان العثور على طريقته الخاصة، بيد أنه يشعر أن القاريء الكفء ليس بحاجة أن يستغرق في خضم التفاصيل حسب، وينبغي عليه أن يتمتع بالقصة ذاتها. على كل حال، ولفائدة القاريء النبيه جداً، او ذلك المتلقي الذي لم يكن متسرعا في تمثّل الهضم، هنا رسمنا جدولا يُظهر العلاقة بين المستويين(ثمة حقيقة شائعة، لكل مَنْ اعتاد أن يطلق عليها أنها رواية " مُنجَزة ببراعة").

الفصل	الحبكة	القصة
١.عابر سبيل ذات صباح رماد	يشرع السارد بمتابعة يوميات سيمونيني.	
٢. مَنْ أنا؟	يوميات الرابع والعشرون من آذار/مارس ١٨٩٧	
٣. جيز ماغني	يوميات الخامس والعشرون من آذار/مارس ١٨٩٧ (وصف وجبات طعام جيز ماغني ١٨٨٥-١٨٨٦)	يوميات الخامس والعشرون من آذار/مارس ١٨٩٧
٤. في يوم جدي	يوميات السادس والعشرون، آذار ١٨٩٧- ١٨٣٠ الطفولة والمراهقة في تورين	حتى وفاة جدي
٥. سيمونينو الكاربوناري	المخابرات.	
٦.العمل في المخابرات	مذكرات الثامن والعشرون من آذار ١٨٩٧	
١٨٦٠		

التجسس على جولي في السجن فخ
الكاربوناريين

١٢. ليلة في براغ يوميات الرابع من نيسان /ابريل ١٨٩٧ ١٨٦٥– ١٨٦٦
الطبعة الأولى من مشهد
مقبرة براغ؛ واللقاءات
مع برافمان وكوغنوت.

١٣ – دااللا بيكولا يقول يوميات الخامس من نيسان / ابريل ١٨٩٧انه ليس داللا بيكولا

١٤. بياريتز يوميات صباح الخامس من نيسان / ابريل ١٨٩٧ ١٨٦٧– ١٨٦٨
لقاء غويدشي في ميونخ
؛ مقتل دالا بيكولا.

١٥. دالـلا بيكـولا يبعـث حيـاً يوميـات الـسادس والـسابع مـن نيـسان ١٨٩٧ ١٨٦٩
لاغرانج يصف بولان ١٨٦٩.

١٦. بولان يوميات الثامن من نيسان/ابريل ١٨٩٧–١٨٦٩
دالا بيكولا يلتقي بولان

١٧.ايام الكومونة يوميات التاسع من نيسان / ابريل ١٨٩٧ –١٨٧١

ايام الكومونة

١٨. البروتوكولات يوميات العاشر والحادي عشرمن نيسان ١٨٩٧

١٨٧٩-١٨٧١

عودة الاب

بيرغامشي؛

توسيع مشهد

مقبرة براغ؛

مقتل جولي.

١٩. عثمان بك يوميات مساء الحادي عشر من نيسان /ابريل ١٨٩٧ - ١٨٨١

اللقاء مع

عثمان بك

٢٠. الروس يوميات الثاني عشر من من نيسان ١٨٩٧

٢١. تاكسيل يوميات الثالث عشر من نيسان /ابريل ١٨٩٧ - ١٨٨٤

سيمونيني يلتقي تاكسيل

٢٢. الشيطان في القرن

التاسع عشر يوميات الرابع عشر من نيسان /١٨٩٧ابريل ١٨٨٤-١٨٩٦

سميونيني ضد الماسونيين

٢٣. اثنتا عشرة سنة
قضيتها جيداً

يوميات الخامس عشر والسادس عشر من
نيسان /ابريل ١٨٩٧ - ١٨٨٤-١٨٩٦
(السنوات ذاتها خلال هذه الفترة
يلتقي سيمونيني اطباء علم النفس في
جيز ماغني كما وُصف في الفصل ٣)

٢٤. ليلة قداس

يوميات السابع عشر من نيسان /ابريل ١٨٩٧
(التي تنتهي فجر الثامن عشرمن نيسان)
١٨٩٦-١٨٩٧
سـقوط مغـامرة

تاكسيل

؛ الأول من
اذار ١٨٩٧؛
القداس الأسود

٢٥. فرز الأشياء

يوميات الثامن عشر والتاسع عشرمن نيسان/ابريل ١٨٩٧-١٨٩٧
سيمونيني
يتدارك الأمر
ويلغي دالا
بيكولا

محتويات الرواية